شرح القصيدة الحلوانية
في ذِكر ملوك حمير

تأليف الشيخ العالم

ابي عبدالله محمد بن سعيد القلهاتي الأزدي

الشارح

الشيخ العالم الفقيه

عادي بن يزيد بن محمد الأزدي البهلوي

الطبعة الاولى

١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م

شرح القصيدة الحلوانية

في ذِكر ملوك حمير

تأليف الشيخ العَالِم

أبي عبد الله محمد بن سعيد القلهاتي الأزدي

الشارح

الشيخ العَالِم الفقيه

عادي بن يزيد بن محمد الأزدي البهلوي

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

الناشر

مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان
للشؤون الدينية والتاريخية

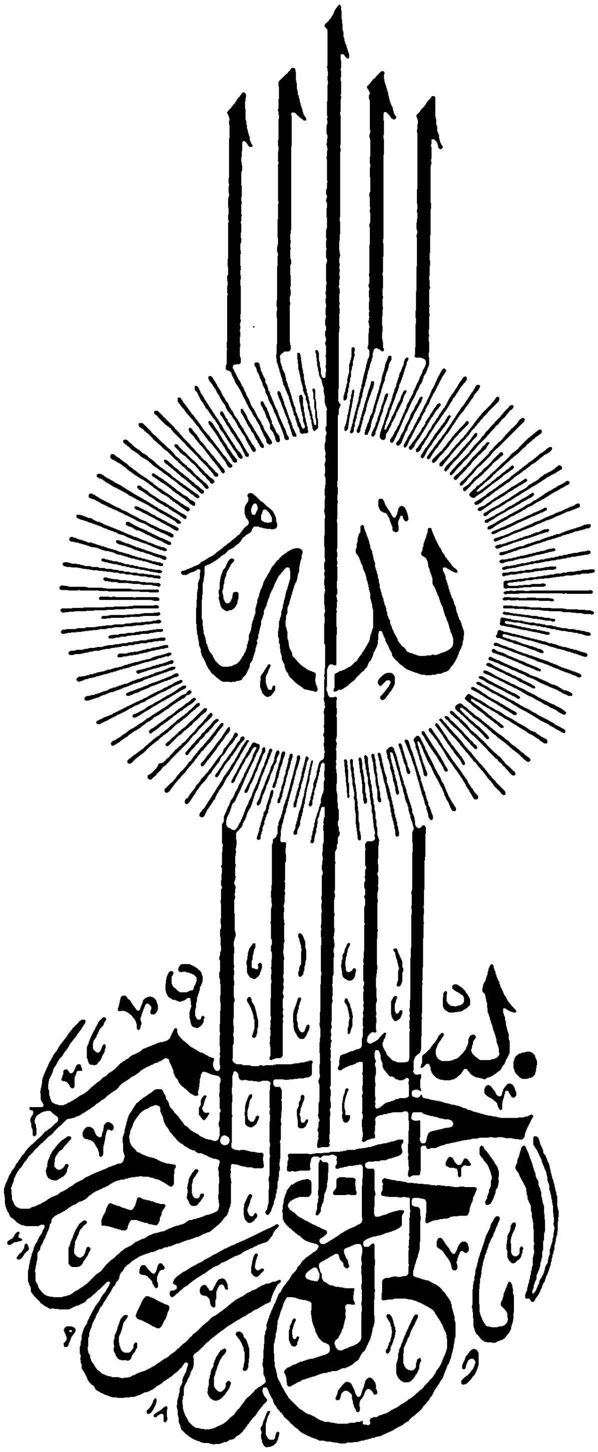
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الفضيلة الحلوانية في مدح ملوك حمير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر

وإن اعترض معترض ذو محاله أو قال قائل ذو جداله هل يجوز للمرء أن يذكر مفاخره ويعدد
مآثره قلنا نعم له ذلك مع صحة عقيدتنا بأن منال الآخرة لا تنال إلا بالأعمال الصالحة بل
بالفخر في الدنيا لكن الجنة وقد افتخرت العرب من طرق الرواية قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين
ولا فخر وعن ابن عباس أن رجلاً قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من خير الناس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خير الناس ولا فخر وروي عنه صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنه
قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقال صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وروي
بيد أني من قريش وقال أنا أفصح العرب ولا فخر وقوله ولا فخر فهذا تواضعاً منه دالاً على حسن أدبه الجميل
صلى الله عليه وسلم قال الشاعر إن التواضع بالشريف جميل والافتخار في الطلعة بالخير قال نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم تكلموا تعرفوا وقال الله في محكم كتابه وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم يعني في الآخرة وما أعد الله فيها لخليقته من الجزاء على طاعته في الدنيا
والدنيا لا تصل إلى الآخرة ولو في الافتخار قال أبو سفيان يوم أحد اعل هبل ذروة الجبل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال فقال
صلى الله عليه وسلم لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وهبل صنم كان لقريش افتخر به أبو سفيان
وافتخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الله أعلى وأجل وأن قتلى المؤمنين في الجنة مصيرهم وأن قتلى المشركين
في النار فقد افتخرت العرب في الجاهلية والإسلام فمن ذلك أنه لما وفد العلاء بن الحضرمي على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتقرأ من القرآن شيئاً فقرأ هو الذي أخرج من الحبلى نسمة وحشا فانتهى
النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال أتروي من الشعر قال نعم وحيّ ذوي الأضغان تسب قلوبهم
تحيتك الأدنى فقد يرفع النغل وإن دحسوا بالكره فاعف تكرماً وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يؤذيك منه سماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

صورة الصفحة الأولى من المخطوط الأول

ليكون ذلك حسرة في القبائل ولا ينفعكم حولها بل القصد واعملوا بالذي وارسلوا بأسكم شدا بين ودعوكم
تشهدا ولا تفترق جماعتكم او تقعوا بعلة وتحرز على ملككم ايها المعاشر ولتحذروا ايها الغابر ببتة ومكم الناس ويحذركم
ذو البأس وان عصيتم لوى حدث بكم القتل كل قبيلة وصرتم مثلا في كل جيل يطلبون منهم الجوار فلا
يجاورنهم هذا راى جذع بن سنان فقام اليه زهير وبعده علي فقال الملك تعلمه بزيد والعهد لعلك ولو كان
ذلك مراده فينا فقال جذع بن سنان ان الملك حدث عن احسن النظر لنفسه قال فقال زهير لجذع ويحك
يا ابن سنان سملقة الحق وصاحبي بكيف لمعذرته فقال له جذع بن سنان وليس عندي غير هذا قال فلما راى زهير ما
ترايه وانه عزيه الى جذعا فقال له يا جذع اما اردت لمعرفة اطمعت فيه لظن في قبلك فرأينا الهلال فيه
والبدر ثم اردت عنك وعن غسان فرأينا الموت فيه ثم اردت العزيه في منزله فرأينا العار فيه ثم رأيت ما
يريد سملقة بقومه فرأيت الفناء وكشف العورات فعند رأيه قتل سملقة قال فسار زهير وبعه حتى نزل على سملقة
فنجد عنده نفرا من بني زيد متضيفين فقال زهير وبعه يا سملقة وعاقبت عملك في الاصلاح والمواساة فقد هلكت
اعمامهم ومواسيهم ونحن بكم فطلبنا الرحم وانسا دار البين واعلم ان معاذا بنبيه ثم نطلب منزلا نرحل اليه
عنكم وانتم عمود ذوي ولم يضيقا خصاصة منكم وكان سملقة عارفا عارفا فعند ذلك قال ... ربيعة الكلام
فقال سملقة دعني يا زهير ربيعة ان الذي اتيت فيه اراه مذبوحا فعند ذلك قال زهير وبعه ما ... ذلك فقال له
المغيرة كلام الملوك والدليل في يدها مذبوحا قال ثم ان زهير وبعه بات مع سملقة على فراش وبات بنو زيد
بعيدا منها قال فلما كان في جوف الليل ... زهير بغير علم العسلي الى سملقة العكي وهو نائم فوضع سيفه في سملقة
حتى مات قال ثم اتى الزيديين فقال سملقة مات وان اصبح ميتا لم يسلم من اللوم اذا اصبح ميتا فاهربوا تحت
ليلكم قال فلما اصبح غسان وراوا سملقة قتيلا على فراشه اجتمعت واغارت على غسان فخرج اليهم جذع
في ثلاثة نفر من الازد فقال لهم يا قومنا لم تحملون علينا ونحن بنو الام والاب والجد واشترى ... منا
حمّا فذكان من زهير وبعه ما كان ثم هرب على وجهه ولم نعلم اي ارض اقلته ونحن نطلبه حتى نظفر به وندفعه
الى ورثته فيقتلوه بسملقة وقد كان من زهير وبعه بغير عقد والعلم والهوى ولا ارادة فقال عند ذلك
صلح بعضهم بعضا وابتعدوا الى جذع بن سنان ... ذلك منهم فقال القبلون ... منقطع

صورة صفحة نهاية شرح القصيدة ، وتظهر فيه كلمة مُنقطع ، من المخطوط الأول

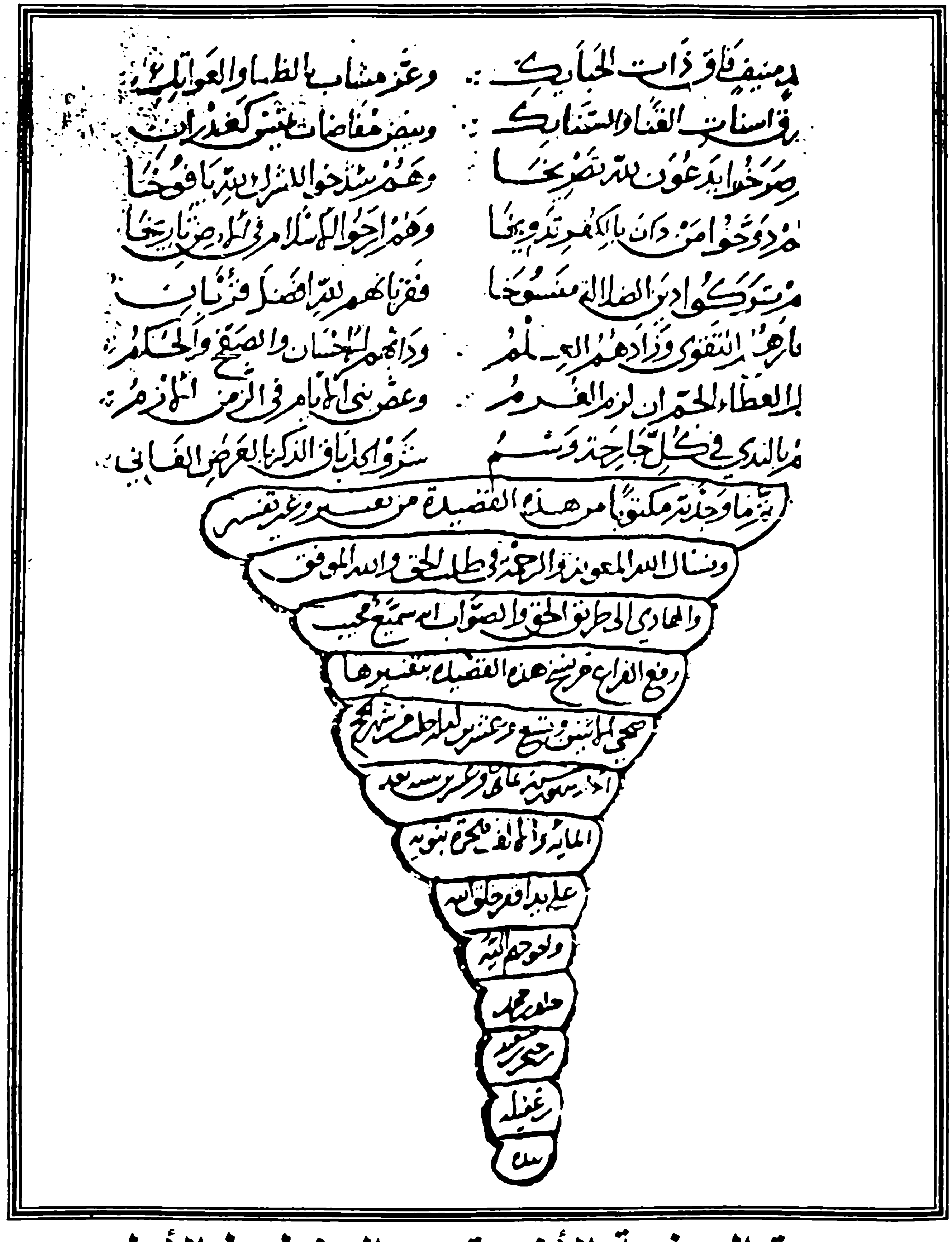

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط الأول

هذه القصيدة الحلوانية في مدح ملوك حمير

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر واعن يا كريم فان اعترض معترض ذو محال

هل يجوز للمرء ان يذكر مفاخره ويعد دماءه قلنا نعم له ذلك

مع صحة عقيدة بان منازل الاخرة انما تنال الا بالاعمال الصالحة

لا بالفخر في الدنيا لكن فيما فخر به العرب ومن طريق الرواية

قال النبي صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين ولا فخر وعن

ابن عباس ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله من خير الناس فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم انا خير الناس ولا فخر وعنه صلى الله عليه وسلم

يوم حنين وآله قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

وقال صلى الله عليه وسلم انا افصح العرب بيد اني من قريش

وروي بيد اني من قريش وقال انا افصح العرب ولا فخر

وقوله ولا فخر يعني تواضعا منه دالا على حسن ادبه الجميل

صلى الله عليه وسلم قال الشاعر

شان النوا جمع بالشر وجميل الا افتخار بالطاعة بالخير

قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تكلموا تعرفوا وقال الله

صورة الصفحة الأولى من المخطوط الثاني

قال فلما كان في جوف الليل اتى زوبعة عامر
الغساني الى سملقة العكي وهو نايم فوضع
ضبيعه في سملقه حتى مات قال ثم اتى الزيدين
فقال سملقه مات وان اصبح ميتاً لم نسلم
من والده اذا اصبح ميتاً فانهن مواخت لبلنهم
قال فلما اصبحت عك وراو سملقة قتيلاً
على فراشه اجتمعت واغارت على غسان فخرج
لهم جدع في ثلاثة نفر من الازد فقال لهم
قومنا لا تعجلون علينا ونحن بنو ام واب
واحد وانتم اقرب الناس منا رحما وقد كان
من زوبعة ما كان انهم هرب على وجهه ولم يعلم
اي ارض اقلته ونحن نطلبه حتى نظفر به وندفعه
اليكم بيته فيقتلوه بسملقه وقد كان ما كان من
زوبعة بغير عقد ولا علم ولا هوى ولا ارادة فقال
عند ذلك صلح بعضهم بعضا وانتهوا الى جدع بن
سنان
ذلك منهم فقال اتقتلون منقطع

صورة صفحة نهاية شرح القصيدة ، وتظهر فيه كلمة مُنقطع ، من المخطوط الثاني

شعارهم التقوى وزادهم العلم ... ودابهم الاحسان والصفح والحلم

تمت هذه القصيدة المسماة بالحلوانية

والحمد لله حق حمده وصلى الله على

سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم

على يد الفقير الى ربه

الناسخ احمد بن سالم بن خليف

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط الثاني

هذه القصيدة المسماة الحلوانية في مدح ملوك

حميد بسم الله الرحمن الرحيم

وان اعترض معترض ذو محاره وقال قايل ذو اجدال

هل يجوز للمرء ان يذكر مفاخره ويعدد ماثره فقلنا نعم لذلك

مع صحة عقيدتنا بان منال الآخرة لا ينال الا باعمال الصالحة

لا بالفخر في الدنيا لكن الحجة فيما افتخرت العرب من طريق الرواية

قال النبي صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين ولا فخر وعن

ابن عباس ان رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا رسول الله من خير الناس فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم انا خير الناس ولا فخر وروي عنه صلى الله عليه وسلم

يوم الخندق انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال

صلى الله عليه انا افصح العرب بيد اني من قريش وروي

بيد اني من قريش وقال انا افصح العرب ولا فخر وقوله ولا

فخر فهذا تواضعا منه دال على حسن ادبه الجميل صلى الله عليه وسلم

قال الشاعر ان التواضع بالشريف جميل

الافتخار في الطاعة بالخير قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

صورة الصفحة الأولى من المخطوط الثالث

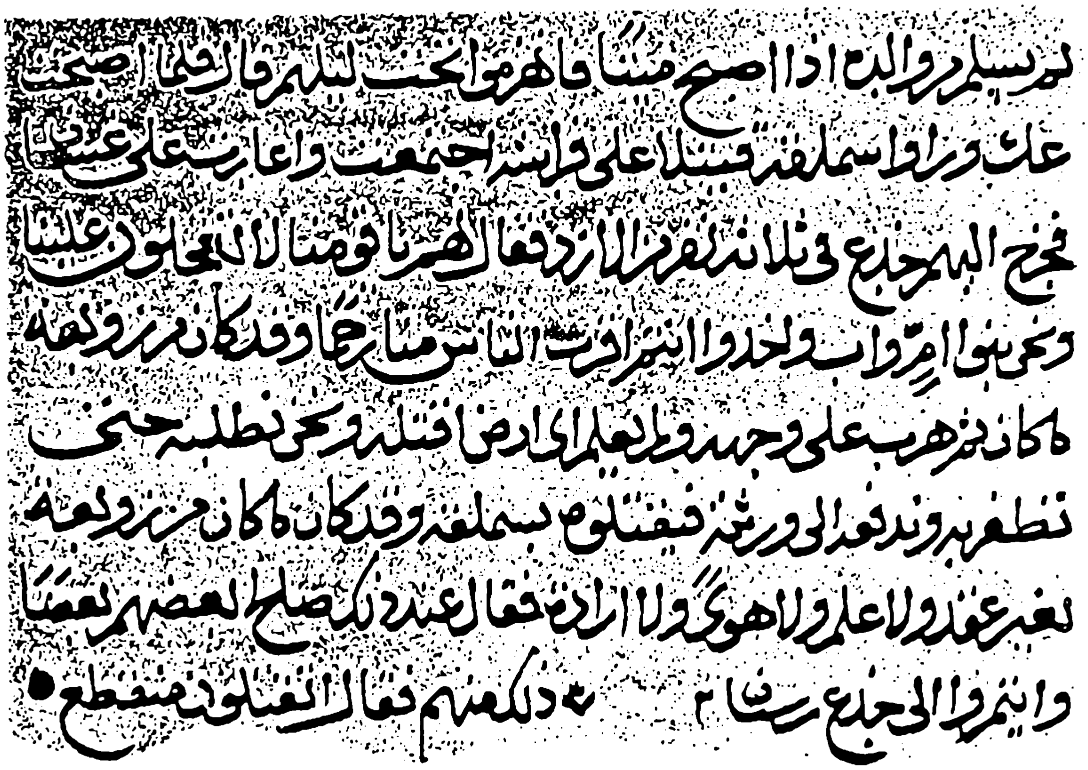

صورة صفحة نهاية شرح القصيدة ، وتظهر فيه كلمة مُنقطع ، من المخطوط الثالث

وهم تركوا دين الضلالة منسوخا ۞ فعزّ بأيهم لله أفضل قربان ۞

شعارهم التقوى وزادهم العلم ۞ ودأبهم الحسنى والصفح والخاتم ۞

وبذل العطا للجيران لزم العزم ۞ وعصريهم الأيام في الزمن الأزمن ۞

هم نجوم الهدى في كل جار جيد وسمح ۞ سروا كل باق الذكر بالعرض الفاني ۞

تم ما وجدناه مكتوباً من هذه القصيدة من تفسير غير تفسير ونسأل الله المعونة والرحمة في طلب الحق والله الموفق والهادي إلى طريق الصواب إنه سميع قريب مجيب وكان الفراغ من نسخ هذه القصيدة ضحى الخميس وأربع ليال خلت وعشرين من شهر شعبان من أحد شهور سنة ١٢٨٢ بعد الهجرة النبوية الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط الثالث

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي

سلطنة عمـــان
ص.ب. : ٩٥١ مسقط
الرمز البريدي : ١١٣
تليفون : ٧٣٩٧٩٤ (٠٠٩٦٨)
فاكس : ٧٣٦٥٧٨ (٠٠٩٦٨)

التاريخ : ١٢/ ذو القعدة /١٤١٥هـ .

الموافق : ١٢/ أبـريـــل/١٩٩٥ م .

﴿ لطف الله جل شأنه وعظم سُلطانه ﴾

لما كُنا نبحث في قمم الجبال عن كلمتين ، فتعطلت السيارة ، وانقطع الوصل ، وبلد ليس بها أنيس ، إلاّ اليعافير وإلاّ العيس ، وكُنا ثلاثة ، وأصغرنا سِناً ، ولا يعرف لأدوات السيارة ، اكتشف هذا الصبي ، أن الإتصال من الوقود إلى المحرك ، قد انقطع مُنجذباً ، فأصلحه ، فاشتغلت السيارة ، وزال القلق ، بعد أن كُنا مُؤكدين الخطر ، وأنا مريض .

فبُورك من طفل ، أنقذ الله برحمته أرواحنا ؛ فتحية لك يا راشد بن حمد ، وبُوركت وأنت طفل ، وبُوركت وأنت الآن كبير في المكتبة .

محمد بن احمد بن سعود
آلبوسعيدي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تقرير عن الرحلة الإستكشافية إلى وادي قرّان :

في صباح يوم الإثنين : ١٠/ ذو القعدة /١٤١٥هـ ، المُوافق : ١٠/٤/١٩٩٥م ، صَحِبنا معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود آلبُوسعيدي - المُستشار الخاص لجلالة السُلطان للشؤون الدينية والتاريخية - للقيام برحلة إستكشافية إلى وادي قرّان ، إستمرت لمُدة ثلاثة أيام .

وعند وصولنا إلى منطقة البئر ، أمر معاليه بأن يكون في هذه المنطقة مُخيم المبيت الخاص بنا ؛ وقد تم عمل مُخيم للمبيت بمنطقة البئر ، الكائن (بوادي إسماعيه) .

وبعد الإستراحة ، بدأنا في الرحلة الإستكشافية إلى منطقة قرّان ، وقد بلغت المسافة بين منطقة البئر (المُخيم) ، إلى منطقة قرّان ، حوالي : (٣٤) كيلومتر ، وقد قطعنا تلك المسافة لمُدة ساعتين ذهاباً ، وساعتين إياباً .

وقد وجدنا في وادي فضحي ، (طريق قرّان) ، فوق الجبل ، قبور على هيئة بروج ، يبلغ عددها : (٦) قبور ؛ وفي أسفل الجبل يُوجد عدد : (٧) قبور .

وفي الجيله (قرّان) ، وجدنا أيضاً قبُور على هيئة بروج ، يبلغ عددها : (١) قبر ؛ وهذه المنطقة لا تصل إليها السيارات في الوقت الحاضر ، نظراً لعدم وجود طرق مُعبدة .

وفـي الشـيل ، وجـدنا أيضـاً قبُـور علـى هينـة بـروج ، يبلـغ عددها : (١٧) قبر .

ويُقدر عـدد القبـور : (٩٠) قبـر ، وتـاريخ بنـاء هـذه القبـور يرجـع مُنـذ عَـام : ٢٥٠٠ ق.م ، إلـى : ٢٠٠٠ ق.م ؛ إذن سيكون عُمر هذه القبور في هذا الوقت الحاضر ، يبلغ من : ٤٠٠٠ إلى : ٤٥٠٠ سنـة .

وقـد اكتشـفت البعثـة الأثريـة للجمعيـة التاريخيـة الألمانيـة ، والتي أنـهت عملية إكتشافها لهذه القبور في عام : ١٩٩٤م : بـأن هذه القبـور تحتـوي علـى هياكـل عظميـة ، وتحـف أثريـة ، وهـذه الحضـارة تسـمى : [حضـارة أم النـار] ، وتـم وضـع لوحـة بـهذا الإكتشاف قريباً مـن هـذه القبـور ، فـي تلـك المنطقـة ، وقـد تـم نقل تلك المعلومات منـها .

وسُكان قرَّان ، هُم من قبيلة : بني حسين ، وقد شاهدنا طفلين هُمـا : مسـعود بـن سـالم بـن محمـد الحسـيني (أبكـم لا يـتكلم) ؛ وسالم بن خلفان بن سعيد الحسيني .

وفـي الطريـق إلـى قـرَّان ، مـن وادي إسـماعيه ، يمـر هـذا الطريق بعدة مناطق ، أهمها : الحيس ، مقطع ، الحبينه ، حوان .

وهنـاك وادي مقطـع ، وبـه عيـون كثيـرة ؛ ومـن منـاطق وادي مقطع : شباك ، قفيصي .

وذهبنـا إلــى سـوقه ، وتبعـد عـن منطقـة البنـر (المُخـيم) ، مسافة : (١٩) كيلومتر ، وإستغرق الوقت للوصول إليها ، سـاعة

ونصف الساعة ؛ وتوجد في سوقه أفلاج ، وهي : فلج قبيل (مهجور) ، وفلج محيدث ، وفلج الطارق .

وسُكان سوقه ، من قبائل : الربخي ، والحسيني .

وفي الطريق إلى سوقه ، توجد هناك أيضاً مناطق مثل : إمبات ، والحيله .

وفي وادي قرَّان ، لا يُوجد ماء للشرب ، ويتم توصيل الماء لهم عن طريق سيارة نقل ماء الشُرب ، والمسئول عنها يُدعى : عُبيد بن سليم النهدي - من منطقة السيح ، من وادي إسماعيه - يقوم بتوصيل ماء الشرب إلى أهالي منطقة قرَّان ، بالتناوب مع زميل آخر له .

عِلماً بأنه لا توجد بلاد ، أو أموال ، في منطقة قرَّان ، وإنما هناك (شوان) فقط ، مُتنقلين ، وعددهم قليل .

ومن المُلاحظ أيضاً ، أن بعض أولادهم يذهبون للتعلم بالمدرسة الحكومية ، والتي تقع في وادي إسماعيه ؛ وهناك حافلة تابعة للمدرسة تقوم بنقلهم من محل سكنهم إلى المدرسة ، وبالعكس ، ويقدر الوقت ذهاباً وإياباً ، أكثر من (٤) ساعات يومياً .

وفي الختام ، أقدم هذا التقرير المُوجز ، عن تلك الرحلة الإستكشافية إلى وادي قرَّان ؛ والله من وراء القصد .

كتبه / راشد بن حمد بن راشد الحارثي بيده

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي

سلطنة عمـــان
ص.ب. : ٩٥١ مسقط
الرمز البريدي : ١١٣
تليفون : ٢٤٧٣٩٧٩٤ (٠٠٩٦٨)
فاكس : ٢٤٧٣٦٥٧٨ (٠٠٩٦٨)

التاريخ : ٣٠/ ربيع الأول /١٤٢٨هـ .

الموافق : ١٨/ أبـــريـــــل /٢٠٠٧ م .

فضيلة الشيخ القاضي الفقيه الولد / سالم بن راشد القلهاتي سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وقع اختيارنا لنشر قصيدة الشيخ العَالِم / أبي عبد الله محمد بن سعيد القلهـاتي الأزدي ، المعرُوفـة : " بالقصـيدة الحلوانيـة فـي ذِكـر ملـوك حمير " ، مع شرحها للعَلاَّمة البصير / عادي بن يزيد بن محمد الأزدي البهلوي .

وعليه ، يسعدنا جداً مُشاركتكم لنا في هذا العمل البار ، وذلك في وضع ترجمة بقلمكم المدرار ، عن هذا الشيخ العبقري الكبير ؛ وفي الحديث الشريف : " خيركم ، خيركم لأهله " ؛ ودُمتم مُوفقين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مخلصكم محمد بن أحمد

محمد بن أحمد بن سعود
آلبـوسعيـدي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إلى جناب معالي السيد الجليل الهُمام / محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي المُوقر
" المُستشار الخاص لجلالة السُلطان للشؤون الدينية والتاريخية "

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعـد ،

لقد تلقيت رسالتكم الكريمة ، ببالغ التقدير والإحترام ، والتي عبرتم فيها عن رغبتكم بطبع : " شرح القصيدة القحطانية " ؛ فإني أتمنى لكم التوفيق ، جزاكم الله خير الجزاء ؛ وكلفتموني فيها ، أن أكتب ترجمة لناظمها الشيخ العَالِم محمد بن سعيد القلهاتي ؛ فهذا مما تشرفت به ، لحُسن ظنكم بي .

ولكن للأسف ، لم تكن لديَّ معلومات كافية عن هذا الشيخ ، إلاَّ النَّزر القليل ، وأنت أوسع إطلاعاً في ذلك ؛ ولكن إمتثالاً لأمرك ، كتبت هذه النُبذة اليسيرة ، التي وصلت إليها معلوماتي ، وكفى بالمرء أن يقف عند حده .

وإني أقدم إعتذاري في تأخير الرد ، لأنني كُنت أبحث عن المعلومات ، وما تيسر لي كتبته ، فانظر فيه ، والأمر إليك .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق التقدير وأجل الإحترام ،،،

مخلصكم // سالم بن راشد القلهاتي
٢٠/ربيع الآخر ١٤٢٨هـ
٢٠٠٧/٥/٨م

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي جعل اللُّغة العربيّة أفضل اللغات وأحسنها ، وأكملها فصاحة وبياناً ، وجعل الشِعر ديوان العرب ، على إختلاف طبقاتهم ، وتباين أغراضهم ونزعاتهم - الخاصة والعامة - جامعاً لمُبتكرات أفكارهم ، يُنبئ عن حُسن لهجاتهم ، فهو على الرغم حادي مركب الأمة في سيرها ، وكان له الدُور البارز في مُجتمعهم ، وقد إحتل مكانته المرمُوقة في الجاهليّة ، فكانت تقام له الندوات ، ويحضرها الفُصحاء والبُلغاء ، وينصب له الحُكام للمُفاضلة فيه .

ولما جاء الإسلام ، لم يضع من قدره شيئاً ، ولم يفقد مكانته التي كان عليها ، ودليل ذلك : إنشاده بحضرة رسول الله (ﷺ) ، وإعجابه به ، وذلك لمّا أنشد كعب بن زُهير قصيدته المشهورة في مدحه (ﷺ) ، واعتذاره له ؛ فقد قال : " إن من الشِعر لحكمة ، وإن من البيان لسحراً " ، وخلع عليه بُردته ... وبعد :

فإني وقفت على القصيدة المُسماة : " القحطانية " ، التي نظمها الشيخ العَالِم الأديب / أبو عبد الله محمد بن سعيد القلهاتي الأزدي ، وقام بشرحها / الشيخ عادي بن يزيد بن محمد الأزدي البهلوي ، فرأيتها بغاية من البلاغة ، فقد إمتازت بالجودة ، والرصانة ، وقوة الأسلوب ، وجزالة اللفظ ، ورقة النسيب ، يظهر ذلك من مبانيها ؛ وقد قام بطبعها السيد الجليل محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي - أبقاه الله - الذي كرّس حياته في جمع المخطوطات ، وأسس لها مكتبة ، جمعت الآلاف من الكُتب ،

حِفاظاً عليها من التلف ، وطبع كثيراً من مخطوطاتها ؛ جزاه الله خيراً على ما قام به من خدمة العِلم الشريف .

أما الشيخ القلهاتي - صاحب القصيدة - فهو : أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي ، نسبة إلى بلدة قلهات ، التي كانت من أقدم المُدن المشهُورة في عُمان .

نشأ بها هذا الشيخ ، وتلقى بها مبادئ العُلوم ، ثم رحل إلى المنطقة الداخليّة ، التي كانت حاضرة العِلم - آنذاك - زاخرة بالعُلماء الأجلاء ، ليواصل تعلّمه ، كما أشار إلى ذلك في كِتابه : " الكشف والبيان " ، عن شيوخه الذين عاصرهم ، ثم رجع إلى بلده ، فصار ممن يُشار إليه بالبنان ؛ واسع الإطلاع ، مُتضلعاً في شتى فنون العِلم ، حتى وصفه بعض الكُتاب ، بأنه فقيه ، وأديب ، ومُؤرخ ، وفيلسوف .

ويدل على سَعة إطلاعه ، مُؤلّفاتهُ ، ومن أبرزها ، كِتابه : " الكشف والبيان " ، في مُجلدين ؛ وله مُؤلّفات أخرى ، منها : " الفرق بين الفِرق " ، وكِتاب : " السيرة الكلويّة " ؛ وهذا مما عُثر عليه من مُؤلّفاته .

عاش هذا العَالِم في القرن الرابع الهجري - على أرجح الأقوال - أما المُدة التي عاشها ، فلم نستطع تحديدها بالضبط ، لأننا لم نجد تاريخ ولادته ووفاته .

أما مسكنه من مدينة قلهات ، فهو في الجانب الغربي منها ، فلازالت أثاره باقية ، يُعرف ببُرج الشيخ ، مشهور عند أهل المدينة ، يتناقله الخاص والعَام ، جيل عن جيل .

أما القبيلة التي منها هذا الشيخ ، فهي تسكن مدينة صُور ، مُنتشرة في عدة قرى من الولاية .

هذا ما وصل إلى عِلمنا عن حياته ، وما اطلعنا عليه من مُؤلَّفاته التي خلدت له الذِكر ، كما قال الشاعر :

فلم يبق منهم غير نشر حديثهم — وما اكتسبوا من فعل محمدة وذم
إنما المرء حديثٌ بَعده — فكُن حديثاً حسناً لمن روى

﴿ ذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١) ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

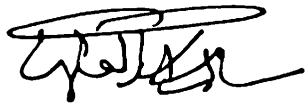

سالم بن راشد القلهاتي

حُرر في : ٢٠/ ربيع الآخر / ١٤٢٨هـ .
المُوافق : ٠٨/ مايو / ٢٠٠٧ م .

(١) سورة الحديد : ٢١ ؛ سورة الجمعة : ٤ .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تقديـم :

عِلم الأخبار يفوق كل عِلم - شرفاً ومنزلـة - ولا ينـال إلاّ بصبر على عِلمه وتعلمـه ، ولا يتمعن مـا فيـه من إيراده وإصداره ، إلاّ إنسان قد تجرد للعِلم وفهم معنـاه ، وذاق ثمرتـه ، واستشـعر مـن عِزه ، ونـال من سروره .

وقديماً قيل : " أن عِلم النسب والأخبـار ، مـن علـوم الملـوك وذوي الأخطـار ، ولا تسموا إليـه إلاّ النفوس الشريفة ، ولا يأبـاه إلاّ العقول السخيفة " .

ويُروى : (أن أحد العُلماء قال : الأخبار تصلح للدِّين والدُّنيا ؛ فقيـل لـه : الـدُّنيا قـد عرفنـا ، فمـا للآخـرة ؟ قـال : فيهـا العِبـر يعتبرها) ؛ وقال الله (تعالى) ، مُخبراً عن قصـة يُوسـف وإخوتـه : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولـي الألبـاب ﴾ [1] ، وقـال (تعالى) : ﴿ ومثلاً من الذين خلوا مـن قبلكم وموعظـة للمُتقين ﴾ [2] ، وقـال (عز وجل) : ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾ [3] .

ولـذلك ، قـال بعضـهم لولـده : عليـك بالأخبـار ، فإنـهـا لا تعـدم كلـمة علـى هُـدى ، وأخـرى تـنـهي عـن ردى ؛ قال معاوية : ليس

(١) سورة يوسف : ١١١ .
(٢) سورة النـور : ٣٤ .
(٣) سورة طـــه : ٩٩ .

ينبغي للرجل أن يستغرق شيئاً من العِلم ، إلاّ عِلم الأخبار ، فأما غير ذلك ، فالنتف والشذر .

وقيل : لولا تقييد العُلماء على الدهر خواطرهم بالأخبار ، وكُتبهم للآثار ، لبطل أول العِلم ، وضاع آخره .

وهُنا ، نجد ما قيده العلاّمة الموسعي الكبير ، المُؤرخ ، العارف بأخبار العرب وأنسابها ، الشيخ الثبت محمد بن سعيد القلهاتي (رحمه الله تعالى) ، في قصيدته الرائعة ، المُسماة :

{ القصيدة الحلوانية في ذِكر ملوك حمير }

أثراً هاماً ، جمع فيه ما وعي من نسبية هذه الشجرة المُمتد ظلها ، والمُتفرعة الأغصان ، قرناً بعد قرن ، إلى يومنا هذا .

لقد أبرز فيها عِلماً جامعاً بأنساب العرب وأخبارها ، يدل على طول باعه ، واتساع معرفته .

وها هي مع شرحها ، طبقاً ذهبياً نُقدمه .

والله ولي التوفيق ،،،

بقلم / عبد الله بن سُلطان بن راشد المحروقي السناوي

مُقَدِّمَة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

رب يسر ، وأعن يا كريم ؛ وإن اعترض مُعترض ذو مُحال ، أو قال قائل ذو جدال : هل يجوز للمرء أن يذكر مفاخره ، ويُعدد مآثره ؟ قلنا : نعم ، له . ذلك ، مع صحة عقيدتنا ، بأن منال الآخرة لا تنال إلاّ بالأعمال الصالحة ، لا بالفخر في الدنيا ، لكن الحجة فيما إفتخرت به العرب من طريق الرواية .

قال النبي : " أنا ابن الذبيحين ولا فخر " ؛ وعن ابن عباس : أن رجلاً قام إلى رسول الله ، فقال : يا رسول الله ، من خير الناس ؟ فقال رسول الله : " أنا خير الناس ولا فخر " .

وروي عنه يوم الخندق ، أنه قال : " أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " ؛ وقال : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش " ـ وروي : ميد أني من قريش ـ ؛ وقال : " أنا أفصح العرب ولا فخر " ، وقوله : " ولا فخر " ، فهذا تواضعاً منه دالاً على حُسن أدبه الجميل (ﷺ) ؛ قال الشاعر :

إن التواضع بالشريف جميل　　　الإفتخار في الطاعة بالخير

قال نبينا محمد : " تكلموا تعرفوا " ؛ وقال الله (عزّ وجلّ) في مُحكم كِتابه : ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (١) ، يعني : في الآخرة ، وما أعد الله فيها لخليقته من

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

من الجزاء على طاعته في الدُّنيا ، والدُّنيا درب الآخرة .

فقد إفتخرت العرب في الجاهلية والإسلام ، فمن ذلك أنه لما وفد العلاء بن الحضرمي الكندي ، إلى النبي ، فقال : " أتقرأ من القرآن شيئاً " ، فقرأ : { وهو الذي أخرج من الحُبلى نسمة تسعى } ، فانتهره النبي ؛ ثم قال : أتروي من الشعر ؟ قال : نعم :

وحي ذوي الأظعان تستبق ودهم   تحيتك الأدنى وكي يرفع النعل

وأنشد :

فإن دحسوا بالهجر [1] فاعف تكرماً   وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل
فإن الذي يُؤذيك منه سماعه   وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي : " إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا " ، ثم قال : [وإن الذي قالوا وراءك لم يقل] .

وكيف لا يفتخر المُفتخر ، وقد ركب الله (ﷻ) ، في الخليقة الخصال الكريمة ، والرذيلة من الأفعال ، تستوجب المدح ، وغير ذلك يستوجب الذم .

فقال : فكيف يكون الفخر بقحطان ، وقد سبق لهم من الفخر ما لا يُرد ؛ ومن فاخرهم فقد أزرى بنفسه ، وقد نطق فيهم كِتاب الله (ﷻ) وأفخرهم رسول الله ؛ قال الله (ﷻ) في مُحكم كتابه :

---

(١) فإن دحسوا : يُروى (بالحاء المُهملة والخاء) ؛ بالهجر : في (اللسان) : بالشر .

﴿ رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ [1] ؛ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ [2] ؛ وقال : ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ [3] ، والمعنى : بل قوم تبع .

ولو علم الله أن في خليقته خير من قوم تبع ، لضرب به مثلاً ، كما وصف ربنا : تبعاً وقومه ، ونوه بذكرهم شرحاً ، وأحسب أني وجدت رواية عن رسول الله ، أنه قال : " لا تسبوا تبعاً فإنه قد كان أسلم " .

وقال : " حمير رأس العرب ونابها ، وكندة لسانها وسنانها ، والأزد غرصمتها وهامتها " ؛ ثم قال : " اللهم اغفر للأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبنائهم ، وجيرانهم " .

وقال : " غسان أفضل العرب في الجاهلية ولاية ، وأحسبهم في الإسلام بقية ، والناس بقية " .

وقال : " من كان يؤمن بالله واليوم فليحبب الأنصار ، وغسان الذين تبوءوا الدار والإيمان ، أووني ونصروني وآزروني ، هم إخواني في الحق ، وشيعتي في الآخرة ، أول من يدخل الجنة من أمتي في شفاعتي (رحمهم الله) " ؛ ومن الأنصار الذين بايعوا النبي ليلة العقبة ، وأقاموا معه بمكة ، حتى هاجروا

---

(١) سورة التوبة : ١٠٨ .
(٢) سورة الفتح : ١٨ .
(٣) سورة الدخان : ٣٧ .

إلى المدينة ، فهم أنصار مهاجرون ، ولم تجتمع الهجرة والنصرة لغيرهم ؛ قال شاعرهم :

جمعنا مع الإيواء نصرا وهجرة فلم يرحي مثلنا في المعاشر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى وأمواتنا من خير أهل المقابر

والأنصار الذين بايعوا النبي ، عند ليلة العقبة ، سبعون رجلاً ، فهم نقباء ، شهداء ، فضلاء ، ولهم من الشواهد عند العرب في مفاخرهم كثير ، فهم بدريون عقبيون .

وفي رواية عن محمد بن جبير ، عن أبيه ، أنه قال : كُنا مع النبي في بعض طرقاته ، إذ أقبل وفد ، فقال النبي : " أتتكم أهل اليمن كأنهم السحاب ، هم خير أهل الأرض " ، أو قال : " خير من في الأرض " ، فقال رجل من قومه : ومنا يا رسول الله ، فأعرض رسول الله ، ثم عاوده مرة بعد مرة ، فقال : ومنكم ؛ وقال النبي : " أن أهل اليمن ، ألين قلوباً ، وأرق أفئدة ، الإيمان يماني ، والحكمة يمانية " .

وسُئل النبي : أي الناس أفضل ؟ فقال : أهل اليمن ؛ وقال : " إن باليمن كنوز الله ، كلما رق الإسلام ، أخرج الله منهم كنزاً " .

وقال : " لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر " ؛ وقال : " من أبغض الأنصار ، أبغضه الله حتى يلقاه ، ومن أحبهم ، أحبه الله حتى يلقاه " ؛ وقال : " لا يحبهم إلاّ مؤمن ،

ولا يبغضهم إلاّ مُنافق ، وحبهم إيمان ، وبغضهم نفاق " .

وقال : " لولا الهجرة لكنت رجلا من الأنصار " ؛ وقال : " اللهم اغفر للأنصار ، ولذريتهم ، ولمواليهم ، ولجيرانهم ، آووني إذ طردت ، ونصروني إذ خذلت ، وأنفقوا عليَّ إذا لم أجد " ؛ وقال : " الأنصار كرشي وعيبتي " ؛ وقال : " الحكم في الأنصار " ، ثم قال : " العيش عيش الآخرة ، فارحم اللهم المهاجرة والأنصار ؛ وقد قال الله في الأنصار : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ (١) ، ثم أنزل الله في بني تميم : ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (٢) ؛ ووجدت في قراءة عبد الله بن مسعود : بنو تميم : [أكثرهم لا يعقلون] .

والأوس والخزرج : لهم شرف في الإسلام ، وعز في الجاهلية ، وهم أمنع العرب في الجاهلية حوزة ، وأعزهم حريماً .

ويُقال : أنهم امتنعوا من تبع ، ولم يمتنع من تبع سهل ولا جبل ، وقتلوا ابن تبع في الحرب ، وكان اسمه : خالد ، وامتنعوا عنه ، وغزا الصين ، ولم يغز الصين غيره من الملوك ، ولا طمع فيها غيره ، وكان لا يمر في غزواته بمدينة إلا ظفر بها ، وكتب على بابها ، وهو الذي كتب على باب (سمرقند) كِتاباً في لوح من حديد ، وعلى باب (مرو) كِتاباً في لوح من حديد ، وهو باق إلى اليوم ، وهو الذي يقول في شعر طويل :

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .
(٢) سورة الحجرات : ٤ .

وثبتت بالصين لي بيعة ثياب الحرير وكنز الذهب

ويُوجد : أن تبع آمن بالنبي ، قبل أن يُبعث بسبعمائة عام ؛ ويُقال : بأكثر من ذلك ؛ وهو الذي يقول في شِعره :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
له أمة سميت في الزبور وأمته من خيار الأمم
يقال قريش هم قومه وأنصاره الأزد أسد الأجم
ومنا صناديد يأوونه إذا حل بالحل بعد الحرم
إذا طردته قريش النجار وكانوا لدى قوله ذا صمم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً وابن عم
وألزمت طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم
وكنت عذاباً على المُشركين أسقيهم كأس موت وخم
أوازره في عظام الأمور وأفرج عن صدره كل غم

وقد ذكر الله (ﷻ) ، الفخر في الدُّنيا ، فقال في مُحكم كِتابه الكريم : ﴿ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ (١) ؛ فإن كانت الدُّنيا مطية للجاهل ، فقد افتخر أبناؤها فيها بما ركب فيهم من الأخلاق الجميلة .

وقد فاز الرجل - وهو تبع - بمفاخر الدنيا ، إن كان الفخر بالسؤدد ، فله الفخر والسابقة ، وإن كان الفخر بالدين ، فقد جاء

(١) سورة الحديد : ٢٠ .

في الحديث الصحيح : أنه آمن بالرسول قبل مبعثه ، وشعره حُجة .

ولما رأيت - أيدكم الله - كل أحد يفتخر بنفسه ، وبقومه ، وأجداده ، وأسلافه ؛ رأيت من وجه المُذاكرة ، مع قلة معرفتي بالأنساب ، وجمود خاطري ، وقلة بياني ، أن أذكر طرفاً مما يُوجد لقومي ، من السوابق التي لا ينكر عدد مآثرهم - مما أحفظ .

وقيل : أن [الشِعر ديوان العرب] ، وقد كان الشعر الذي نظمه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد ، قد جمع فيه مناقب القحطانية في القصيدة التي له ، المعروفة : بـ " الحلوانية " ، وهي قصيدة يجهل من ليس له معرفة غرايبها ، فقد شرحها السيد عادي بن يزيد ، وأنساب المذكور فيها من العرب ، وقد ذكرت الشعراء الشعر ومدحته في غير موضع ، وقال أبو تمام :

ولو خلال سنها الشعر ما درى   بُناة العُلا من أين تؤتى المكارم

ويحق لمن كان في قومه بهذه المفاخر السنية أن يفتخر ، إذ هم أصله ، وهو منهم ، فقد نالت بمحامد الله (ﷻ) ، " القحطانية " ، شرف الدُنيا ، وأرجو لهم منال الآخرة ، بنصرهم نبيهم ، وقيامهم بحجته ، وثبوتهم على طاعته ، وتصديقهم للرسول (ﷺ) تسليماً كثيراً .

❁❁❁

ابتدأ الشيخ السيد عادي بن يزيد بشرح القصيدة : " الحلوانية " ، فقال :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي لا تدركه الأبصار ، ولا تملكه الأقطار ، ولا تغيره الأفكار ، ولا يغيره ليل ولا نهار ، ولا تلحقه الخواطر ، ولا ترمقه النواظر ، المحمود بعموم نعمته ، الموجُود بظهور حكمته ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وبسط الرزق برحمته ، حمداً ينموا على مرور الأيام ، ويزكوا على كرور الأعوام .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله المليك ، الواحد الذي ليس له شريك ، وأشهد أن محمداً نبيه الصادع بالحق ، المُرسل إلى كافة الخلق ، أرسله إلى جميع الأنام ، وجعله مصباحاً للظلام ، وأوضح به شرائع الإسلام ، وبين معالم الحلال والحرام .

صلى الله عليه وآله وسلم ، ما بدا فلق ، ودجى غسق ، وأضاء شفق ، وعلى آله مصابيح الدجى ، ومفاتيح الهدى ، الأئمة الأبرار الأخيار ، وسلم تسليماً كثيراً ... وبعد :

فإنه جرى ببعض أندية الآداب ، عند ذي الحجى والألباب ، والفضل اللباب ، ذكر قصيدة الشيخ الأجل السيد الأفضل أبي عبد الله محمد بن سعيد ، الكاتب للقصيدة المعروفة : بـ " الحلوانية " ، وافتخار القحطانية على العدنانية ، واظهار

فضل اليمانية على النزارية ، فأشار من طاعته واجبة مفترضة ، وأوامره ثابتة غير منتقضة ، فطاعته من أوجب الحقوق ، ومخالفته ضرب من العقوق ، أن أستخرج غريبها وأنساب المذكورين فيها ، وأوضح من كل قصة ما يكفيها ، وأبين غرائب عجيبها وعجابها ، وأستودع جميع أنسابها ، وأظهر مكنون دفائنها ، وأ‌ﻓ‍‍ـ‍ـ‍ﺗ‍ـ‍ـ‍ح أبواب خزائنها ، وأكشف ما فيها من الإغراب ، وأزينها بالإعراب ، وأطلع شموسها وأقمارها ، وأضيء للعالمين أنوارها ، وأسمعهم بروقها ورعودها ، وأطلع عليهم نحوسها وسعودها ، واجعل سهاها قمراً ، ودجاها شرراً ، حتى يأتي بصورة مزينة ، ومعاني مبينة ، ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ﴾ [1] ، فسألته أن يقيل عثاري ، ويقبل اعتذاري ، ويغطي عليَّ عواري ، وكل ذلك مخافة العيب ، والإزراء على تظهر الغيب .

لأنه قد قيل : من ألَّف فقد إستهدف ، فإن أحسن فقد إستشرف ، وإن أساء ، فقد إستقذف ، واستقلته فما أقال من استقال ، ولا رجع عما قال ، وأبى إلاَّ العمل بطاعته ، وامتثال الأمر من ساعته ، فلم أرى إلاَّ ترك مخالفته ، ولزوم محالفته ، والدخول تحت أمره ونهيه ، والغوص في لجة بحره ، فلبيت حينئذ دعوته ، ونصرت كلمته ، وبذلت في طاعته طاقتي ، مع فقري من العِلم وفاقتي ، لأني قليل المعرفة بالعربية ، واللغة

(١) سورة الأنفال : ٤٢ .

اليعربية ، وليس لي عِلم بأنساب العرب ، ولا خبرة بأحساب ذوي الحسب ، إلا أنـي أستعين علـى ذلـك بـالنظر فـي كُتـب الأنسـاب ، وسؤال ذوي الألباب والآداب ، إن شاء الله .

ونيتـي فـي شرح هذه القصيدة ، تـأثير العلم وجمعه ، ونظم أصـوله وفروعـه ، لأن القصـيدة تجمـع فنـون العلـم وشـجونه ، وتظهر دفائنـه ومكنونـه ، وأنـا أذكر فـي شرحها شيئاً مـن أمثـال العرب وأشعارها ، وقصصها وأخبارها ، وغريـب اللغات ، وشيئاً من الآيات والروايات ، والعبارات والكنايات ، طالباً من الله جزيـل ثوابـه ، وهارباً مـن أليم عقابـه ، ومـا قصـدت بـذلك إلاّ الأجـر لا الفخر ، والشكر لا للذكر .

وعندي ، أني لست ممن يجول في هذا الميدان ، ولـيس لـي إلى ما قد تناولته يدان ؛ أقول كما قال الشاعر :

إذا لم يكن إلاّ الأسنة مركبا   فلا رأي للمضطر إلاّ ركوبها

ومـا تصديت إلى شرح هذه القصيدة ، إلاّ حتـى أكـون ممـن تشبه بأهل العِلم ، وتحلى بحلية أهل الحلم والفهم ، لأنـه قد جـاء في الحديث عن النبي ، أنه قال : " من تشبه بقوم فهو منهم " .

وإنما أنا بشر ، ولـم يدعني إلـى تـأليف هذا الكِتـاب ، بطر ولا أشر ، ولكني رجوت بلوغ الوطر ، والفوز بالظفر ؛ فمن وجد فـي كِتـابي هـذا شـيئاً مـن الخطـأ والخطـل ، والزيـغ والزلـل ، فليقـل عثرتي ، ويستر هفوتي ، ويقبل معذرتي ، لقلة معرفتي ، وضعف

بصيرتي ، لأنه قد قيل : من ستر عورة أخيه المُؤمن ، ستر الله عورته يوم القيامة ، وبالله الإستعانة على الإبانة والأيضاح ، والهداية على الإستقامة والإصلاح ، وهو حسبي وكفي ، وصلى الله على رسولهُ المُصطفى ، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً .

القصيدة

القصيدة الحلوانية (١)

ألا حي دار الحي من بطن حلوان   وحي مراعيهم بأكناف قران
وحي اللوى فالأبطح الدمث الدان   ووادي الحمى والمرخ من سفح رامان
مآلف أحباب ومعهد أخدان   ديار بها في اللهو جررت أرسان

۞ ۞ ۞

ذكرت بها الحيَّ الجميع قبيل أن   يعيث الردى فيهم فيأذن بالشطن
فبت سمير الهم والليل قد دجن   كأني سليم لم تذق عينه الوسن
بكى أسفاً وارتاع خوف الردى وأن   كمثلي لما هيج الشوق أحزاني

۞ ۞ ۞

وعهدي بها والشمل مُتصل العقد   مضارب فيها كل واضحة الخد
مُنعمة الأطراف مهزوزة القد   تميس كغصن البان في كفل نهد
وترنو بعين الظبي في الأجرع الفرد   وتجزيك من وصل بصد وهجران

۞ ۞ ۞

فيا حُسنها من أربع وملاعب   ويا طيبها من أدور ومضارب
مسارح ربات الحجال الربارب   ومغنى الغواني الآنسات الكواعب
برزن ولا يخشين رقبة راقب   ويختلن في برد الشباب بريعان

۞ ۞ ۞

فلا غرو إن أضحت مغاني الأوانس   ومرتبع الغيد الحسان الشوامس
ذوات الغصون الناعمات الموائس   تنوء بكثبان الرمال الحوابس

---

(١) هذه القصيدة مُسدسة ، كل بيت ستة مصاريع .

وتـزهـو بألـوان الحُلي النـفائس   مراتع وحش من ظباء وصيران

۞ ۞ ۞

فقد طالما سامرت في سمراتها   نواعمَ نشر المسك من نشراتها
ويجلو الدجى الإشراق من قمراتها   حسان التثني نجتني ثمراتها
تزود لحظ العين من نظراتها   ونشر الكبا والعنبر الغض والبان

۞ ۞ ۞

سللن من الألحاظ بيضاً قواضباً   جعلن لها منا القلوب مضاربا
وحسرن عن مثل الشموس جلانبا   مشارقها أرواحنا والمغاربا
وأسبلن من فوق المتون ذوائبا   يعلُّ بماء الورد روح وريحان

۞ ۞ ۞

فيا بأبي تلك الربا والملاعبا   زمان الصبا فيها سحرت الكواعبا
وجررت أذيال البطالة ساحبا   فزرت فلم أخش الغيوور المراعبا
خرائد كالأقمار بيضا ربارابا   ذوات نهى قد زانهن واحصان

۞ ۞ ۞

وأجريت أفراس الضلال بها غياً   أرى منكراً حياً ومطرفاً حيا
وبي سكرات لم أطع معها نهياً   بروق شباب مدن أغصانه ريا
وفرط غرام شفني من هوى رياً   وأترابها سعدى وسلمى سلامان

۞ ۞ ۞

فيا بأبي تلك الحمول تغرب   سرت بسليمى والرباب وزينب
وكل غضيض الطرف أحور أشنب   فشطت ديار الحي بعد تقرب

فيا للنوى تعساً له من مُعذب تملك قلبي بعدهن فأضناني

۞ ۞ ۞

سما نحوهم طرفي وقد شطت النوى بهم وعرتني نهكة الشوق والجوى
وصرت أسيرا بعدهم ليد الهوى أشاق الهوى من أجل من سكن اللوى
وأهوى بذاك الجزع إذ نزلوا الثوا فارتاع للبرق المضيء بخفان

۞ ۞ ۞

أقول وقد جادت أكف الهواطل وهبت لنا ريح الصبا بالأصائل
ترى أن سلمى بعد شحط المنازل ترق لما بي من جوىً وبلابل
وتعلم أني بعدها غير آهل تهيج لي التذكار حسرة ثكلان

۞ ۞ ۞

ألا أنني صبٌ بسلمى مُتيم فيا ليتها تدري بما بي وتعلم
وفي مُهجتي بعد التحكم تحكم وتقضي وإن كانت تجور وتظلم
فقلبي بأيدي حُبها مُتقسم فأي عزاء لي وصبر وسلوان

۞ ۞ ۞

أحن إذا ما البرق لاح وأومضا وقهقه صوت الرعد في الدجن معرضا
وروى الحيا مغنى الوصال وروضا وفض الهوى عقد السلو ونقضا
وهب الكرى في كل جفن فأغمضا حنين الثكالى أو ترابيع فصلان

۞ ۞ ۞

وإن أوقدت بالمندل الرطب نارها وأذكت لمرتاد الديار أوارها

وهبت صباً هاجت إلينا انتشارها		تذكرت أيام الصبا واخضرارها
وروضات أكناف الحمى وازدهارها		فظلت كأني شارب كأس نشوان

✿ ✿ ✿

ومهضومة الكشحين ريا الروادف		خدلجة الساقين لمياء المراشف
تثني بأعطاف وحُسن سوالف		وجيد كأجياد الظباء العواطف
إذا نشرت ذعراً بروعة خائف		وترنوا بعيني أحور الطرف وسنان

✿ ✿ ✿

كأن على فيها إذا الليل جنحاً		أريج فتيت المسك لما تنفحا
حكى ثغرها نور الأقاحي تفتحاً		ولم أر منها قط أحسن ملمحا
ولا جؤذراً يزجي أغن مرشحاً		وكالبدر في وحف الذوائب فينان

✿ ✿ ✿

تريك جبيناً زاهراً مُتهللاً		وخداً أسيلاً واضحاً ومُقبلا
وطرفاً بسحر البابلي مُكحلاً		وليلاً دجوجياً من الشعر أليلا
وثديين مثل العاج لم يتقلقلا		كأنهما في صدرها الرحب حقان

✿ ✿ ✿

مُدانية طوعاً لمن يستفزها		مُواتية من في الوصال يبزها
مُعاطية كأس الهوى من يوزها		فيا حبذا التخميش منها وغمزها
إذا حسرت عنها من القمص قزها		وجال لها فوق النطاق وشاحان

✿ ✿ ✿

غضيضة لحظ الطرف ريا المخلخل		مؤشرة الأنياب ظميا المقبل

ترائبهــا مصــقولة كالســجنجل طرقــت بليــل كالبرنــدج أليــل
ولـم أخـش مـن واشٍ رقيب وعُذل وقد أنـزفت كأس الكرى كل يقظان

۞ ۞ ۞

فلما اطمأنت بي لديها المضاجع ولـذت حـديثاً بالأصيل المسـامع
وأخلـص سـراً للـهوى وودائــع ولـم يبـق مـن دون الرغائـب مـانع
ولا ذائـد عمــا نُحــب ودافــع وغفـل عنــا كـل واشٍ وغيران

۞ ۞ ۞

بثثت لهـا وجـدي بهـا وصبابتي ومـا ينطـوي منهـا عليـه حشاشـتي
وأبـدت كمــا أبديتــه مــن كـآبتي فبحـت بأسراري لهــا وأمـانتي
وبـاحت بأسـرار لــها كباحتي ولـم ينكتـم مـا بيننـا ثـم سران

۞ ۞ ۞

فقلـت لهـا والليل وحف ذوائبه وقـد سـترت عنــا الرقيـب غياهبـه
وطاب لنا مجني الهوى ومشاربه وجــادت فلـم تبخـل بمــا أنــا طالبــه
أيـا خلتي ممـن أبـوك منـاسبه فغصت وقـالت مـن مُعد بن عدنان

۞ ۞ ۞

فقلت لهـا مـا أنـت من ذي المفاخر ولا أنــت مــن أهـل العلــى والمــآثر
ولا أنـت مـن نسـل الكـرام الأخـاير ولا أنت من ذي الفضل بين العشائر
فـقـومك قـوم أهـل شـاء وبـاعر ومرعى بشام من بقول وحوذان (١)

۞ ۞ ۞

---

(١) في نسخة أخرى ، شطر البيت هكذا : [ومرعى بقول من بشام وخوذان] .

قد اتخذوا من أكدر العهن ملبسا ومن شعر المعزاء مأوى ومكنسا
وفي الأرض من حر الهواجر مرمسا تراهم إذا ما الليل جن وعسعسا
وهب نسيم فيه صرد تنفسا يلوذون بالشجراء لوذة عريان

۞ ۞ ۞

فهم في بقيع الأرض حول المرابض جثوم كأمثال الدجاج البوايض
ويسعون في المعزاء بين المواخض لشرب ضياح أو لحسوة قابض
وفي البيد أمثال النعام الرواكض لخرط أراك أو لسدر وسعدان

۞ ۞ ۞

وقالت وقد نضت قناعاً وبرقعاً وأبدت جبيناً كالوذيلة أنصعا
ومدت إلى شجري بناناً مُقمعاً لقد قلت ما إن لم أجد عنه مدفعا
فمن أنت أمن ذا عشيرك لا لعا فقلت لها ها ها ولي نفس جذلان

۞ ۞ ۞

ألا فاتقني عني المآثر واسمعي ألا فاحفظي عني المفاخر وارفعي
وبالحق من صدق الأحاديث فاقنعي أنا ابن المعالي واللواء المشرع
أنا ابن الألى أهل الحجاب الممنع أنا ابن الملوك الغُر من آل قحطان

۞ ۞ ۞

تبوأت بالشماء من دوحة الأزد أولي الشرف السامي المُؤيد والمجد
وأهل المساعي السابقين إلى الحمد هم ملكوا الدنيا على القرب والبعد
وجاسوا خلال الأرض بالخيل والجند بنوا سد يأجوج من القطران

۞ ۞ ۞

فمن كمُزيقياء [1] الذي مزق الحلل — قفا في الندى آثار آبائه الأول
وجاد فأغنى جوده كل من يسل — له آل عدنان على رغمهم خول
به في الندى بين الورى يضرب المثل — كأن يديه بالمواهب عينان

۞ ۞ ۞

وعامر ماء المزن من مثل عامر — إذا أخلفت أيدي السحاب المواطر
يقوم مقام الصيب المتواتر — ومدخر للحمد أسنى الذخائر
فيغني بما يحويه أهل المفاقر — وذي سغب بادي المجاعة ظمآن

۞ ۞ ۞

وحارثة الغطريف ليث المواكب — غياث البرايا في السنين اللوازب
وبدر الدجى في الدست غيث المواهب — ترى كرماً عند إزدحام المطالب
على راحتيه لاختيار الرغائب — له بسجال العرف ترشح كفان

۞ ۞ ۞

ومن كامرئ القيس الذي شيد الفخرا — وبارى بجدوى جود راحته القطرا
وأغنى وأقنى كل من لصق العفرا — وسامى محلاً في العُلا الشمس والبدرا
إذا مد بالجدوى أنامله العشرا — تهب له في الخلق بالفضل ريحان

۞ ۞ ۞

وثعلبة البهلول فاذكر خلاله — وعدد إذا ما شئت عداً خصاله
فليس له في الخلق شبه ولا له — شبيه يباري جوده وجماله
أبى الله يوماً أن ينال مناله — عوائف من إبنا نزار كذبان

۞ ۞ ۞

(١) في نسخة أخرى : { فمنا مُزيقياء الذي مزق الحلل } .

ومازن زاد الركب في زمن المحل	مفيد الندى مولى الجدى قاتل البخل
مضى مثلا في الناس منقطع المثل	تناشده الركبان في الوعر والسهل
وعم بني الأيام بالفضل والبذل	تبوأ مجداً دونه بُرج كيوان

✿ ✿ ✿

فما في الورى ملك عظيم كمازن	غياث البرايا من مُقيم وظاعن
حكى صوب كفيه إنصباب الهواتن	وفاق بني الدنيا بفعل المحاسن
سما بعُلىً فوق المجرة قاطن	ومجدٍ له فوق الكواكب سوران

✿ ✿ ✿

فغسان غسان الملوك الأوائل	حموا بالظبا مسلولة بالذوابل
وبالترك بيضاً والدلاص الذوابل	قصور العُلى محفوفة بالصواهل
وساروا بقسط في الأنام وباطل	فأنى بحي مثل أملاك غسان

✿ ✿ ✿

فمن مثل عمرو في الأنام وعامر	وحارثة الغطريف تاج المفاخر
ومن كامرئ القيس الهمام المغاور	وثعلبة البهلول أفضل آمر
ومازن الوهاب زاد المسافر	إذا ما سرت قود تعدت بركبان

✿ ✿ ✿

فمن مثل ذي اليومين في البؤس والنعم	مُفيدٌ بلا مَنٍّ وَمُعطٍ بلا سَأم
ومن كأبيه ذي الفضائل والكرم	جوادٌ فلم يعرف مقالاً سوى نعم
فحاز معانيهم مدى الدهر مخترم	فهل لمعد مثل هذين ملكان

✿ ✿ ✿

فنحن بنو ماءِ السماءِ الغطارف وأهل مُزيقيا الملوك السوالف
لنا سُرُرٌ موضونة وزخارف عليها حشايا أحشيت ومطارف
لنا في البرايا نقمة وعواطف نُميت بإذلال ونُحيي بإحسان

✿ ✿ ✿

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ملوكاً أولي بأس ومجدٍ محلق
سما بهم طول النجار المعرق إلى حيث لا يسمو أخامص مُرتقي
وسادوا وقادوا كالحيا المُتدفق على كل ذي قلٍّ وكثرٍ وغرثان

✿ ✿ ✿

ومنا الذي نال المدى في المطالب وبزَّ إقتساراً كل عذراء كاعب
وألبس عاراً آل بكر وغالب وعاف إرتشاف الكأس من كل شارب
ونادم دون الخلق زهر الكواكب فهل مثله ملك نديماه نجماه

✿ ✿ ✿

وعمرو بن هند مضرط الحجر الأصم سعى طالباً ثأراً فأدرك وانتقم
فألقى تميماً في جحيم من الضرم له أنمل أنواؤها صوبها ديم
ومالٌ مباح في ذرى منزل حرم ورحب فناء مُستزادٍ لضيفان

✿ ✿ ✿

ومنا الذي في الأرض بالخيل أوضعا وهدم أركان الملوك وزعزعا
وأغنى مُفيداً من أطاع وشيعا وكاد فأفنى من عصى وتمنعا
إذا شمته وأبنيه في دسته معا ترى أسداً حقاً جناحيه شبلان

✿ ✿ ✿

لبأسهم تعنوا الملوك الجبابر وتنحط عن مرقى العلو الأكابر
وتفرق منهم في الديار العشائر لهم سير مثل الشموس زواهر
تتيه بها الدنيا وتزهو المنابر قد إنتشرت في كل طرس وديوان

۞ ۞ ۞

ومنا الفتى الضحاك أكرم به ملكاً أراق دما الأعداء عن غلب فتكا
وروى بقيع الأرض إذ طلها سفكاً وأوردهم من بأسه منزلاً ضنكا
وشردهم في كل ناحيةٍ هلكاً فأضحوا وهم أيدي سبا بين غيطان

۞ ۞ ۞

تقسمهم غول الفجاج الدوائر وتخضمهم فيها صروف المقادر
وتغتالهم أيدي الردى في التغاير بما إقترفوه من عظيم الجرائر
فأضحوا حديثاً مُعجباً للسوامر بهم يتغنى المُنشدون بألحان

۞ ۞ ۞

وهل في معد كالهُمام ابن عادياً بذمته لله أصبح وافيا
وفي الأرض عن قبح المعائب نائياً غداة أتاه جيش غسان غازيا
يطالبه ما استودع الملك عادياً فلم يستكن ثم إستكانة ولهان

۞ ۞ ۞

ولم يرض يوماً بالدناءة والخسف ولم يغض إغضاء الذليل على عنف
وقادوا إبنه فرداً إلى مصرع الحتف فنازلهم بالطعن والضرب والحذف
وأضحى عزيزاً في الورى شامخ الأنف بما لم يضعه من ودائع أديان

۞ ۞ ۞

ومنا الذي من بعد دينٍ تنصرا   وصعر خداً عزةً وتكبرا
وولى وقد عاصى الأمير المُؤمرا   ولم يخش من أبناء عدنان معشرا
وأم بجيش يملأ الأرض قيصرا   فايوانه بالروم أعظم إيوان

يحف بأطراف القنا والنيازك   ويزهو بالولدان فوق الأرائك
تطوف بأيديهم صحاف السبائك   ونشر عبير شيب بالمسك صائك
شعارهم الرومي تحت الحبانك   ومنظوم ياقوت ودرّ ومرجان

تطل عليه الطير بالمسك ناضحه   وتزدحم الوفاد للرفد مائحه
له أنملٌ كالسحب العرف طافحه   وكفٌّ وكوفٌ للمكارم لائحه
وذو همةٍ للنجم في السمك طامحه   سليل الأولى الأملاك أرباب تيجان

لنا مطعم عين النعيم وقلبه   وما يصطفيه ربنا ويحبه
ومسرحنا ريف الشام وخصبه   وكم ثم من قصر لنا التبر تربه
ومفرشه الخز الذي يستحبه   وعدنان مأواها الخراب بقيعان

ومطعمها عند الخطوب الكوائن   إذا نزلت للرعي حول المدائن
صيادة جرذان هناك سواكن   وأخذ يرابيع قصعن كوامن
وجرش ضباب في الجحور مواكن   بها يتغذى منهم كل مبطان

وإن عضهم ناب الزمان المكالب ... ونصهم منه بخف وغارب
لها في متون المقفرات الغوارب ... وجالوا مجال الجن في كل جانب
وألقوا بها أشراكهم كالأرانب ... وما ترتعيها من ضباع ومضربان

۞ ۞ ۞

ومنا الذي قد بيَّن الله أمره ... وأعلا عُلاه في الأنام وقدره
وأثر في الذِكر المُسطر ذِكره ... إلى أن يُوافي الخلق في البعث حشره
فذاك الجُلندى غاصب الفُلك دهره ... مليكٌ عزيز قاهر كل سُلطان

۞ ۞ ۞

ومنا الذي لم يرض بالذل مقعداً ... ولم يعتضد إلاَّ الحُسام المُهندا
فأورده ممن عصى وتمردا ... وساء مقالاً هامة والمقلدا
فيا حبذا جذع إذا الشعر أنشدا ... فمن مثله أو كالهمام ابن حيدان

۞ ۞ ۞

شرح القصيدة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بيت القصيدة :

ألا حي دار الحي من بطن حلوان ... وحي مراعيهم بأكناف قران
وحي اللوى فالأبطح الدمث الدان ... ووادي الحمى والمرخ من سفح رامان
مآلف أحباب ومعهد أخدان ... ديار بها في اللهو جررت أرسان

الشرح :

هذا بيت واحد ، لأن القصيدة مُسدسة ، كل بيت ستة مصاريع ، وهذا شرح البيت :

وأما قوله : { ألا حي } : فـ [ألا] : كلمة يستفتح بها الكلام توكيداً وإيجازاً ، لأنهم يفتحون كلامهم بـ [ياء ، وأيا ، وألا ، ويا] ؛ وقال بعض النحويين : إن [يا] للنداء ، و [ألا] لإستفتاح كلامهم ؛ قالوا : يا هذا ، وألا يا هذا ؛ ويكون للأمر ، والدعاء ، والتعجب ؛ فللتعجب قول الشاعر :

ألا قاتل الله اللوى من محلة ... وقاتل دنيانا بها كيف ولت

ويكون بمعنى : التلهف والتعجب ؛ قال :

ألا ربما أمضيت فيك ركائبي ... وكلفتها طي الفلا وهي ظلع

وقال امرؤ القيس :

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل لبالي ... .

وقال كُثير :

ألا لا أرى بعد إبنة الضمر لذة لشيء ولا ملحا لمن يتملح

وقد تزاد [لا] مع [ألا] ، فتقول : ألا لا ؛ قال الشاعر :

فقام يذود الناس عنها بسيفه وقال ألا لا من سبيل إلى هند

وقال لبيد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

وتكون [ألا] بمعنى : هلا ، في حال ؛ وتنبيه في حال ؛ كقولك : ألا أكرم زيداً ، بكون [ألا] صلة لإبتداء الكلام ؛ يُنبه المُخاطب ؛ قال الله (عَزَّوَجَلَّ) : ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ﴾ (١) ، وقال : ﴿ ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ﴾ (٢) ؛ وتقول : هل كان ذلك ؟ فيقال : ألا لا ، تجعل [ألا] تنبيها ، و [لا] نفياً .

وأما قول الله (تَعَالَىٰ) : ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ (٣) ؛ فهذه دخلت عليها [ألف] الإستفهام ، لأن العرب تأمر بلفظ الإستفهام ؛ قال الله ، حكاية عن إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ﴿ ألا تأكلون ﴾ (٤) ، أي : كلوا ؛ وقال : ﴿ ألا تسجد ﴾ (٥) ، أي : اسجد ، وقال : ﴿ ألاَّ يسجدوا ﴾ (٦) .

وتكون [ألا] للعرض أيضاً ، مثل قولك : ألا تنزل عندنا فنكرمك ؛ وتكون للتمني ، مثل قولك : ألا ماءً بارداً فنشربه ؛ وتكون للإستفهام ؛ قال الله (تَعَالَىٰ) : ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ (٧) ؛ وتكون [إلاَّ] ـ مُشددة

(١) سورة هود : ٨ .
(٢) سورة يونس : ٦٢ .
(٣) سورة الملك : ١٤ .
(٤) سورة الصافات : ٩١ ، سورة الذاريات : ٢٧ .
(٥) سورة الأعراف : ١٢ .
(٦) سورة النمل : ٢٥ .
(٧) سورة الشورى : ٥٣ .

مكسورة الألف ـ : حرف تحقيق بعد جحد ، كقولك : لا إله إلاّ الله ؛ وتكون إستثناء ، كقولك : ما رأيت إلاّ زيداً ، وفيها أكثر من هذا ، تركته إختصاراً وإيجازاً .

أما قوله : { ألا حي دار الحي من بطن حلوان } ؛ فـ [حي] : فعل الأمر من التحية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ [1] ، فإذا أمرت من يُحيي ، قلت : حي زيدان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ تحيتهم فيها سلام ﴾ [2] ؛ قال الستالي :

حي الديار وإن زادتك أحزانا رعيا لعهد حبيب بينها بانا

والتحية : البقاء والخلود ؛ قال الشاعر :

من كل ما نال الفتى قد نلته إلاّ التحية

يعني : البقاء ولا سبيل إليه ؛ ودار الحي : موضعهم الذي ينزلون ويحلون به .

قال النحويون : الدار والديار : المساكن والمنازل ؛ وقال بعضهم : الدار : المنازل ؛ وقال بعضهم : الدار : المساكن والمنازل ؛ والدار : جمع الجمع ؛ قال الشاعر :

سألت الدار تخبرني عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أناخ الحي أياما وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم وأي منازل نزلوا
فقالت بالقبور هم لقوا والله ما فعلوا

---

(١) سورة النساء : ٨٦ .
(٢) سورة يونس : ١٠ ؛ سورة إبراهيم : ٢٣ .

وقال الشاعر :

أجد الحي فاحتملوا سراعا   فما بالدار إذ ظعنوا كتيع

أي : ما بها أحد ؛ والحي : واحد الأحياء ؛ والأحياء : بطون العرب وقبائلهم ؛ قال عنترة :

وحي هلالاً لا هوادة بينهم   لهم نسب في آل عوف مآثر

وقال الأعشى :

لعمر أبي الحي النزول على النقا   لقد أيقظونا بالعقيق وناموا

وأما قوله : { من بطن حلوان } ؛ فحلوان : إسم بلد ، أو مدينة ، ولا أدري أنها بالعراق ، ولا بالشام .

وقال حاتم بن عبد الله :

ولو أني أقمت في أرض حلوان   أقمت الحدود في حلوان

وقد ذكرها صاحب : " المقامات " ، في كِتابه ، وأنشأ فيها مقامة تسمى : " الحلوانية " .

وإنما سُميت القصيدة : " الحلوانية " ، لقوله : { ألا حي دار الحي من بطن حلوان } ، فسُميت الحلوانية بذلك ؛ وبطن حلوان : وسطها ؛ وبطن كل شيء : وسطه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ببطن مكة ﴾ [1] ؛ وبطون الأرض ، وبطون الأودية : ما إنخفض منها ؛ قال الشامي :

عفا بطن قوٍّ من سليمى فعالن   فذات الغضى فالمشرفات النواشر

---

(١) سورة الفتح : ٢٤ .

أما قوله : { وحي مراعيهم بأكناف قران } ؛ فحي : قد مضى القول فيه ؛ ومراعيهم : هي الأماكن التي يرعون فيها مواشيهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ (١) ؛ قال الشماخ :

رعاك الذي إسترعاك أمر عباده وحياك من أحياك للضر والنفع

وقال التهامي :

رعى الله بدراً بالحجاز عهدته وإن كنت لا ألقاه إلاّ مُودعاً

وفي الحديث : " كلكم راع وكلكم مسؤولاً عن رعيته " .

وقوله : (رعاك الله) ، أي : حفظك الله ؛ وأما الأكناف : فهي النواحي والأقطار ؛ وكنف كل شيء : جانبه وناحيته ؛ وكنفه الله : حفظه ، من قولهم : نحن في كنف الله ، أي : حفظه ؛ والكنيف : الحظيرة حول الماشية ، وحول بيوت الحي ؛ وقال :

ألا أن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس إما أرملوا أو تمولوا

وقال الشاعر :

فعيناي هلا تبكيان لمالك إذا أذرت الريح الكنيف المترعا

قوله : (كما الناس) ، في البيت الأول ، أي : كالناس ، و (ما) زائدة ؛ وأكناف الجبل : نواحيه ؛ قال تميم بن قدير :

وهناك ذا العيد السعيد ولا يزل رحب المنازل مُخضب الأكناف

والكِنيف (بكسر الكاف) : وعاء طويل ، يجعل فيه إسقاط المتاع ،

(١) سورة طه : ٥٤ .

ونحوه ؛ وتصغيره : كنيف .

قال عُمر : " ابن مسعود كنيف مليء عِلماً " ؛ فكنيف : تصغير الكنيف ، على وجه التعظيم والمدح ؛ الكنفان : الجانبان ؛ الأكناف : الجمع .

وقران : لا أدري [1] ، أنه جبل ، أو موضع مورد ، ولا منزل ، وأنا أسأل عنه إن شاء الله تعالى .

قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ [2] ؛ وقيل : أنه قيل للعباس بن عبد المطلب : أن عبد الله بن العباس سُئل عن مسألة ، فقال : الله أعلم ؛ فقال العباس : بخ بخ ، رد العِلم إلى أهله ؛ قال الشاعر :

---

(١) تعليق : قوله : " وقران لا أدري ..... " ؛ (توجد في أحرام ولاية إبراء ، بين البحر والعمران ، بين الجبال مسافات كبيرة ، وبين هذه المسافات التي اطلعنا عليها ، يُوجد خمسة وعشرون مُنشاة ، وهي شبه البروج ، أنشئت بالحصى مرصوصة رصاً مُحكماً ، ورأينا من وزارة التراث والثقافة ، لانحة صادرة عن دائرة الآثار ، تقول : أن هذه البروج هي قبور جاهلية قديمة ؛ لا نعرف الموضع ، غير أنا رأينا آثار حضارة ، وبأطراف أحد أطراف المُتسع المُترامي الأطراف ، وادٍ غزير ضيق جداً ؛ وبعد التجوال ، وجدنا به سُكنى ، ما يُقارب عشرين بيتاً ، تم بناءها بالسعف ومواد أخرى ؛ ووجدنا شيخا يُدرِّس القرآن الكريم ، فسألناه عن هذه الأمكنة ، قال : هذا الوادي الضيق هو : وادي حيوان ، وكان في القديم يُسمى : حلوان ، أما ذلكم المُتسع يُسمى : قران ؛ وبعد تتبعنا للوهود ، وجدنا أن هذه الأمكنة كانت ماهولة ، وأن " قران " مُتسع للرعي ؛ وتتبعنا الأودية ، فإذا هي تصب في قرية : " فنس " ، على واجهة البحر .

أما الشارح ، فلا نلومه ، إذ هو يسكن : " بُهلى " ؛ أما الناظم فيتنقل كثيراً في البحر ، وهو عَالِم بكل شبر من وطنه الكبير عُمان ، فإن كنت تريد الإطلاع على شخصيته ومُؤلفاته ، فهي موجودة بمكتبتنا) .

إنتهى هذا التقرير مُقتبساً من تقريرنا الواسع ، حينما زرنا هذه الأمكنة في عَام ١٤١٥هـ ، وهو موجود بالمكتبة ، وفيه تفصيل عن البروج القبور) ؛ بقلم / السيد محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي .

(٢) سورة الإسراء : ٣٦ .

فمن كان يهوى أن يُرى مُتقدماً ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

وقوله : { وحي اللوى فالأبطح الدمث الدان } ؛ قد مر تفسير : حي ؛ وأما اللوى : فهو مُسترق الرمل ، حيث يخرج منه إلى الحدود ، وهو مقصور ؛ قال ابن دريد :

يا ظبية أشبه شيء بالمها راتعة بين السدير فاللوى

وقال غيره :

ألوى بصيرك في اللوى رسم خلت أوطانه وتزايلت قطانه

والأبطح : واحد البطاح ، وهو منصوب بالعطف على اللوى بالفاء ، لأن (الفاء) من حروف العطف ؛ واللوى : موضعه النصب بوقوع الفعل عليه ؛ لأنك تقول : حي زيداً فاللوى ، موضعه موضع زيداً ؛ والأبطح : مُذكر ؛ والبطحاء : مُؤنثة ؛ وبطحاء مكة معروفة ؛ قال الشامي :

حكمة آبائك من فارس كسرتها المعط قريش البطاح (١)

وقال غيره شِعراً :

أشتاقها وعلى الحمى داري وفي سفح الأباطح من دارها

وأما الدمث : فهو اللين ؛ والدماثة : لين الأخلاق ؛ تقول : دمث لجنبك ، أي : لين له ؛ قال ابن دريد :

أماطت لثاماً عن أقاح الدمائث بمثل أساريع الجفون العثاعث

---

(١) هكذا وجدت البيت ؛ أ هـ .

والدمانث ، واحدها : دمث ، ثم جمع دمث : دماث ، ثم جمع دماث : دمانث ؛ والدمث : الأرض السهلة اللينة ؛ والعثاعث : جمع عثعث : وهو المُتراكب من الرمل ؛ وقيل : هو ظهر الكثيب الذي ليس به نبات ؛ والداني : القريب ، نقول : دنا ، يدنو ، فهو دان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ [1] ، أي : قريب ، يناله القائم ، والقاعد ، والنائم ، لأنه ليس في الجنة تعب ولا نصب في طلب العيش ؛ قال المُتنبي حيثما قال :

يرمي بها البلد البعيد مظفر كل البعيد له قريب دان

وقال :

نأيته فدنا أدنيته فنأى خمشته فنبا قبلته فأبى

وأما قوله : { ووادي الحمى والمرخ من سفح رامان } ؛ فالوادي : موضعه النصب ، وهو معطوف على ما تقدم من قوله : { وحي اللوى فالأبطح الدمث الدان } ، كأنه قال : وحي وادي الحمى ؛ والوادي : واحد ؛ والجمع : الوديان ، والأودية ؛ قال الله : ﴿ فسالت أودية بقدرها ﴾ [2] ؛ وقال : ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ [3] ، أي : قطعوا الصخر ؛ قال إمرؤ القيس :

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذب يعوي كالخليع المعيل

والحمى : المرعى الممنوع ، الذي لا يرعى فيه إلاّ من يحميه ويمنعه ؛ وحمى الملك : ما منعه من الرعية ؛ وحمى الطبيب المريض من

(١) سورة الرحمن : ٥٤ .
(٢) سورة الرعد : ١٧ .
(٣) سورة الفجر : ٩ .

الطعام والشراب : إذا منعه منه ، مخافة تزايد العلة ؛ قال ابن دريد :

تقول سليمى ما لجسمك شاحباً　　　كأنك يحميك الشراب طبيب

وقال الشاعر :

ولو حمي المقدار عنه مهجة　　　لرامها أو تستبيح ما حمى

حمى : منع ؛ والحمى : مقصور ؛ والمرخ : شجر ؛ يُقال : في كل شجر نار واستمجد ؛ والمرخ والعقار - أيضا - : شجر ، وهما معروفان بكثرة النار ؛ قال إمرؤ القيس ، حيث يقول :

أمرخ خيامهم أم عشر　　　أم القلب في إثرهم مُنحدر

وقال :

كأن البرين والدماليج علقت　　　على عشر أو خروع لم يخضد

وقد قيل : أن العشر : هو الأشخر ؛ والخروع : هو العرش ؛ وقيل : هو السمسم ، والله أعلم .

وأما السفح : فهو أسفل الجبل ، وهو ما سفح عليه الماء من الجبل ؛ ويُقال لرأس الجبل : عرعرة ، ولأسفله : الحضيض ؛ يُقال : تجبلنا وأقاموا بالحضيض ، وهو قرار الأرض عند سفح الجبل ؛ قال الستالي :

ترى بعدها هل يسفح الدمع عاشق　　　على السفح أو يعطوا برامة ريم

الرامة : اسم مكان ؛ والريم : الظبي الأبيض ؛ ويعطوا : يتناول ؛ ورامان : اسم مكان أو جبل ، والله أعلم ؛ قال الستالي :

حي المنازل من أكناف رامان　　أبلى جديد مغانيها الجديدان

وأما قوله : { مآلف أحباب ومعهد أخدان } ؛ فالمآلف : جمع مألف ، وهو المكان الذي كُنت تعرفه وتألفه وتسكنه ، وكنت تألف أحبابك فيه ؛ قال الشاعر :

واتخذ التسهيد عيني مألفاً　　لما جفا أجفانها طيف الكرى

والأليف : الذي تألفه ويألفك ، وهو الألف أيضاً ؛ قال :

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر　　وغصنك مياد ففيم تنوح

وفي الحديث : " القلوب أجناد مُجندة ، فما تعارف يأتلف ، وما تناكر إختلف " ؛ فنظمه الشاعر ، فقال شعراً :

إن القلوب لأجناد مُجندة　　لله في الأرض والأهواء تختلف
فما تناكر منها فهو مُختلف　　وما تعارف منها فهو مُؤتلف

وقال الله (ﷻ) : ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم ﴾ [1] ، أي : إئتلافهم .

والأحباب : جمع حبيب ؛ قال الله (ﷻ) ، حكاية عن اليهود : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ [2] ، وقال : ﴿ سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [3] ، وقال : ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [4] ، وقال : ﴿ إن الله يُحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ [5] ؛ ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ؛ وفي الشِعر ، قال إمرؤ القيس :

---

(١) سورة قريش : ١ ـ ٢ .
(٢) سورة المائدة : ١٨ .
(٣) سورة المائدة : ٥٤ .
(٤) سورة آل عمران : ٣١ .
(٥) سورة الصف : ٤ .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ....

وقال :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان   ورسم عفت آياته بعد أزمان

وقال غيره :

فأحبابنا بالغور والنفس قد أبت   من الشوق إلاَّ أن يجن جنونها

وقال المُتنبي :

خليلي ما للعاشقين قلوب   ولا لعيون الناظرين ذنوب
ويا معشر العشاق ما أبغض الهوى   إذا كان لا يلقى المحب حبيب

وقال أيضاً :

أنت الحبيب ولكني أعوذ به   من أن أكون مُحباً غير محبوب

والمُحب (الفاعل) ؛ والمحبوب (المفعول) ؛ قال :

يجشمك الزمان هوى وحُباً   وقد يدنوا من المقت الحبيب

وأما العهد : فهو ما عاهدته وعرفته .

قال النحويون : الاسم المعهود المُعرف بالألف واللام ؛ والمعهد : المكان الذي نزلته وعرفته بنزولك فيه مرة بعد مرة ؛ والعهاد : المطر الذي قد تقدم قبله مطر ؛ والأول من المطر اسمه : الوسمي ، ثم الوبلي ، ثم العهاد ؛ قال ذو الرمة :

هل تعرف المعهد المحيل رسمه عفت رواسمه وطال قدمه

والمعهد : (واحد) ؛ والجمع : (معاهد) ؛ قال الشاعر :

معاهد حياها الحيا بعهاده فما عهدها للعاشقين دميم

والعهد : الميثاق الذي تأخذه على صاحبك ، إذا لم تأمنه الرجوع عما كان لك عليه ؛ قال الله (ﷻ): ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ﴾ (٢) ، أي : مسئولاً عنه ، وقال : ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ﴾ (٣) .

والأخدان : الأصحاب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ (٤) ؛ واحد الأخدان : خدن ، أي : صاحب ؛ قال لبيد :

نبكي على أثر الشباب الذي مضى ألا إن أخدان الشباب الرعارع

وأما قوله : { ديارٌ بها في اللهو جررت أرسان } ؛ فالديار : جمع دار ؛ قال الشامي :

قف بالديار بذي الأراك وسلم واسأل صوامت ربعها المستعجم

قال الله (ﷻ): ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (٥) ، وقال في الجمع : ﴿ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ (٦) ؛ وجررت (بالتشديد والتخفيف) ، كله سواء ؛ وجررت الشيء : سحبته ، بمعنى واحد ؛ قال امرؤ القيس :

خرجت بها تمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

---

(١) سورة طـه : ١١ٵ .
(٢) سورة الإسراء : ٣٤ .
(٣) سورة البقرة : ١٠٠ .
(٤) سورة النساء : ٢٥ .
(٥) سورة الأعراف : ٧٨ ، ٩١ ؛ سورة العنكبوت : ٣٧ .
(٦) سورة هـود : ٦٧ ، ٩٤ .

ويُروى : (على أثرها أذيال مرط مرحل) ؛ والمرط : الخز المُعلم ؛ والمُرحل : فيه خطوط ؛ واللهو : كل ما يلهي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم ﴾ (١) ؛ قال ابن دريد :

وعيشك مازلت خلف الصبا ولائم ما عشت للقلب لهو

وقال غيره :

فلِلَّهِ مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب

وقيل : أن اللهو في هذا البيت : الزوجة ؛ والبطالة : الفراغ من الإشتغال ؛ وتسمى - يعني المرأة - : العطلة أيضاً ؛ يُقال : رجل باطل وبطال ، وعاطل وعطال ، أي : لا شُغل له .

قال الله (ﷻ) : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ﴾ (٢) ، في تفسير الآية ، اللهو : هي الزوجة ؛ إن الله (ﷻ) ، قد نسب إلى الصاحبة والولد .

فقال الله : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ﴾ (٣) ؛ قال إمرؤ القيس :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يُحسن اللهو أمثالي

ويُروى : (كبرت وأن لا يُحسن السر أمثالي) ؛ فالسر : النكاح ؛ واللهو : الزوجة ؛ وقال غيره :

لقد غلبت لهو علينا برأيها فليس لخلق في الكلام سبيل

---

(١) سورة محمد : ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء : ١٧ .
(٣) سورة الأنبياء : ١٧ .

يعني باللهو : الزوجة .

وقيل في تفسير الآية : أن اللهو : الولد ؛ واللهو : كل ما يلهى به الإنسان ؛ والأرسان (جمع رسن) ، والرسن : ما جعل في عنق الدابة لتجري به ؛ قال الشاعر حيث يقول :

نفسي فدى لفتاة طيرت وسني كأنها مُهرة مخلوعة الرسن

وقال غيره :

أنا لولا الخمر والوجه الحسن لم يكن والله مخلوع الرسن

وقال المُتنبي :

إن خليت ربطت بآداب الوغى فدُعاؤها يُغني عن الأرسان

وقال الشامي :

فدعوني أجيل خيل التصابي هاملات مجرُورة الأرسان

بيت القصيدة :

ذكرت بها الحيَّ الجميع قبيل أن يعيث الردى فيهم فيأذن بالشطن
فبت سمير الهم والليل قد دجن كأني سليم لم تذق عينه الوسن
بكى أسفاً وارتاع خوف الردى وأن كمثلي لما هيج الشوق أحزاني

الشرح :

أما قوله : { ذكرت بها الحيَّ الجميع قبيل أن } ؛ ذكرت : من

الذكرى ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المُؤمنين ﴾ (١) ، وقال (ﷻ) : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾ (٢) ؛ قيل : [إن] ها هنا بمعنى : أي قد نفعت الذكرى .

وقال (ﷻ) : ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ (٣) ، وأيام الله : هي التي هلك فيها الأمم الخالية ؛ قال إمرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ....

الذكرى (على وزن فعلى) : مُؤنثة ؛ والحي : واحد الأحياء ؛ وقد مر ذكره ؛ والجميع : المجتمعون ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ليوم الجمع ﴾ (٤) ؛ ويوم الجمع : يوم القيامة ؛ سُميَّ بذلك : لإجتماع الخلائق فيه ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إهبطا منها جميعا ﴾ (٥) ، وقال (ﷻ) : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ (٦) ؛ قال الشاعر :

إذا إجتمع الآفات فالبخل شرها وشر من البخل المواعيد والمطل

قال الراجز :

تجمعن من شتى ثلاث وأربع وواحدة حتى كملن ثمانيا

وفي الرواية : (الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب) ؛ وقال رسول الله (ﷺ) : " ما إجتمعت أمتي على ضلال " ، وقال (ﷺ) : " من فارق

(١) سورة الذاريات : ٥٥ .
(٢) سورة الأعلى : ٩ .
(٣) سورة إبراهيم : ٥ .
(٤) سورة التغابن : ٩ .
(٥) سورة طـــه : ١٢٣ .
(٦) سورة الحجر : ٣٠ ؛ سورة ص : ٧٣ .

الجماعة ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه " .

وأما قوله : { قبيل } : تصغير قبل ، وهو ظرف زمان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ من قبل أن يأتي يوم ﴾ [1] ، وقال (ﷻ) : ﴿ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ [2] ؛ والعرب ترفعها على الغاية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ [3] ؛ قال المُتنبي شعراً :

عزيز أسى من دأبه الحدق النجل ... عناء به مات المحبون من قبل

وإذا توسطت الكلام ، كانت ظرفاً منصوبة ؛ قال الشاعر :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... لسعدي شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبل فهيج لي البُكا ... بُكاها فقلت الفضل للمُتقدم

وقبيل : (تصغيره) ، لأن العرب تصغر الظروف ، فتقول : قبيل ، وبُعيد ، وفويق ، وتُحيت ؛ قال الستالي :

أخي بُعيد الشيب هل يُحسن الهزل ... وهل للغواني عند ذي عدم وصل

ومثل هذا كثير لا يُحصى .

وأما : [أن] : هي أداة من أدوات النصب ، تنصب الأفعال المُستقبلة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [4] ؛ و [أن] نصف إسم ، وليست باسم تام ؛ تمامه بفعل ، كقولك : أحب أن ألقاك ، فصار [أن] ، و [ألقاك] في الميزان اسماً واحداً تاماً ؛ و [أن] اسم ناقص ، وهي تحل محل المصدر ، مثل قولك : أحب أن تقوم ، أي :

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٤ ؛ سورة إبراهيم : ٣١ ؛ سورة الروم : ٤٣ ؛ سورة الشورى : ٤٧ .
(٢) سورة النساء : ٤٧ .
(٣) سورة الروم : ٤ .
(٤) سورة البقرة : ١٨٤ .

أحب قيامك ؛ ولها وجوه كثيرة ، ليس هذا موضع استيفاء شرحها .

وأما قوله : { يعيث الردى فيهم فيأذن بالشطن } ؛ فيعيث : منصوبة بأن ـ التي قد ذكرناها ـ ؛ ويعيث : يفسد ؛ والعيث : الفساد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تعثوا في الأرض مُفسدين ﴾ [1] ؛ فالعيث : أشد الفساد ، وأصله : من العثه ، وهي دُويبة تفسد الأديم ؛ وأديم معثوث ؛ تقول : عاث يعيث ؛ وعثا يعيث ؛ وعثي يعثى ، ثلاث لغات .

وقيل : أن العثة هي السوس ؛ وأحدها : سوسة ، تأكل الصوف ، والشعر ، وتفسد الأديم .

وقيل : الرجل قد نفى ولده وطرده عنه ؛ اجعل لولدك كل يوم درهماً ؛ فقال : إن ذلك الدرهم في مالي أسرع مضرة من السوس في الصيف في الصوف ؛ قال ابن دريد :

على العهد أم أوفى به الدهر نذره   وكر البلاء فيه بأيد عوايث

العوايث : المُفسدات ؛ والنوى : البُعد والإرتحال ؛ قال ابن دريد شعراً :

وكلما ما جنيته مُغتفر   في جنب ما أساره شحط النوى

والنوى (مقصور) ، وأصله من قولك : انتويت ، أي : أضمرت الرحيل والإبتعاد ؛ ونوى وانتوى ، بمعنى واحد ؛ قال رسول الله (ﷺ) : " إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى " ؛ والنية (تخفف وتثقل) ؛ قال الشاعر ـ في التثقيل ـ :

---

(١) سورة البقرة : ٦٠ ؛ سورة الأعراف : ٧٤ ؛ سورة هود : ٨٥ ؛ سورة الشعراء : ١٨٣ ؛ سورة العنكبوت : ٣٦ .

فما فسدت لي يعلم الله نية عليك ولكن خنتني فاتهمتني

وقال آخر - جمع بين اللغتين - حيث يقول :

جئتك بلا نية علني وما نيتي لك بالخافية

وأما قوله : { فيأذن بالشطن } ؛ فيأذن : منصوبة بالعطف على يعيث ؛ ويعيث : منصوبة بأن ؛ ويأذن ، معناه : يعلم ؛ والأذان : الإعلام ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأذان من الله ورسوله ﴾ (1) ، أي : إعلام ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فأذن مؤذن بينهم ﴾ (2) ، وقال (ﷻ) : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً ﴾ (3) ، وقال (ﷻ) : ﴿ إذ تحسونهم بإذنه ﴾ (4) ، أي : بعلمه ؛ وتحسونهم ، أي : تقتلونهم ؛ وقال الحارث بن حلزة :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

والأذين : لغة في الأذان ؛ قال الشاعر :

وليلة ناعم طربت فيها إلى أن راعني صوت الأذين

والشطن : البُعد ؛ وسُميَّ الشيطان شيطاناً : لبُعده من الخير ؛ والعرب تقول : دار شطون ، ويوشطون ؛ قال النابغة :

فأصبحت بعدما وصلت بدار شطون لا تعاد ولا تعود

وقال :

---

(1) سورة التوبة : 3 .
(2) سورة الأعراف : 44 .
(3) سورة الحج : 27 .
(4) سورة آل عمران : 152 .

أزمان يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني إذ كنت شيطانا

يُقال للرجل الشهم الشجاع : شيطان ؛ وللمرأة الحسناء : شيطانة وجنية ؛ قال آخر :

جنية ولها جن يعلمها رمي القلوب بلا قوس ولا وتر

ويُقال لضرب من الجان : شيطان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [1] ؛ وقال بعض المُفسرين : يعني : الحيات ؛ وقال بعضهم في تفسير الآية : إنه اسم شجرة ببلاد اليمن تسمى : الزقوم ، لها منظر كريه ؛ وقال بعضهم : ما أراد إلاَّ رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم ، وهم فسقة الجن ومردتهم ؛ قال الشاعر :

جنية من نساء الإنس أحسن من شمس النهار وبدر الليل قد قرنا

وقال آخر :

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يُلقى في السجن والأغلال

عكاه ، أي : شده ؛ يعني به : سُليمان بن داوود (عليهما السلام) ، وكان مُتمرد من الجن والإنس ؛ وغيرهم يُقال له : شيطان ، وشيطن ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ [2] ، وقال (ﷻ) : ﴿ شياطين الإنس والجن يُوحي بعضهم إلى بعض ﴾ [3] ، يعني : مردتهم ؛ وشياطين العرب : شُجعانهم أصحاب الفتك منهم ، الذي يركب أحدهم الأمر ، ولا يخشى فيه لومة لائم .

---

(١) سورة الصافات : ٦٥ .
(٢) سورة البقرة : ١٤ .
(٣) سورة الأنعام : ١١٢ .

قولـه : { فبت سمير الـهم والليل قد دجـن } ؛ فبت : من مبيت الليل ؛ تقول : بت أفعل كذا وكذا ، وإذا لم يبت ؛ قال امرؤ القيس شِعراً :

فبـات عليه سرجـه ولجـامـه   وبات يغني قائم غير مُهمل

وكـل مـن أدركـه الليـل فقـد بـات ، نـام أو لـم يـنم ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ (١) ؛ وتقول : ظل يفعل كذا وكذا ، إذا فعله نـهاراً ؛ والسمير : الذي يسمر في الليل ؛ والسمار : جمـع واحده سامر ؛ قال غيره :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكة سـامر
بـلـى نحـن كـنـا أهلـها فأبادنا   صروف الليالي والجدود العواثر

سـميرك : هـو الـذي يُسـامرك وتُسـامره ؛ والسـمر : هـو الاسـم ؛ والسمار : الجماعة الذين يتحدثون ليلاً ، وإنما سموا سماراً من السمر ؛ والسـمر : ظـل القمـر ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ مُسـتكبرين بـه سـامراً تـهجرون ﴾ (٢) ؛ نصب : ﴿ مُستكبرين ﴾ ، على الحـال ، والـهاء التـي في : ﴿ بـه ﴾ ، راجعة على البيت الحرام ، وقولـه : ﴿ تـهجـرون ﴾ ، القـرآن ؛ وقيل: ﴿ تـهجرون ﴾ ، تـهذون ؛ وقيل : تتحدثون ، والله أعلم بتأويل كِتابه .

والـهـم : معـروف ، وهـو مـا أهمـك ، وأشـغل فكـرك ، وأحزنـك ؛ قـال الشاعر :

الـهـم فضـل والمُـقـدر كـائـن   فـعلام يشـغل فـكـره الإنسان

والهم : (جمع الهمة) ؛ يُقـال : فـلان بـعيـد الـهمـة ، إذا كـان طـالبـاً

---

(١) سورة الفرقان : ٦٤ .
(٢) سورة المؤمنون : ٦٧ .

للمعالي والمكارم ؛ قال الشاعر :

له همم لا مُنتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقد جمع الشاعر بين اللغتين (الهم ، والهمة) ؛ فقال :

وقائلةٍ لم عرتك الهموم وأمرك مُمتثل في الأمم
فقلت ذريني على همتي فإن الهموم بقدر الهمم

وقال النابغة :

كليني لِهَمٍّ يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطي الكواكب

قوله : (كليني) ، أي : احفظني ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾ [1] ؛ ونصب أميمة ، لأنه مُنادى فرخم .

وأما قوله : { فبت سمير الهم والليل قد دجن } ، معروف ، وهو ضد النهار ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ [2] ، خفض الليل بواو القسم :

والليل مُذكر منك بعيد فتسلوا والأسماء منك قريب

وقال لبيد :

في ليلة كفر النجوم ظلامها ....

وقوله : { والليل قد دجن } ؛ فـ (قد) : حرف يدخل على الفعل الماضي والمُستقبل ؛ تقول : قد سار ؛ وقد يسير ؛ ودجن الليل : إذا أظلم ؛

(١) سورة الأنبياء : ٤٢ .
(٢) سورة الليل : ١ .

والدجى والدجنة ، بمعنى كله : الظلمة ؛ قال ابن دريد :

أما ترى رأسي حاكي لونه   طرة صبح تحت أذيال الدجى

وليل داج وداجن ، أي : شديد الظلمة ؛ ودجن : فعل ماضٍ ؛ وداجن : اسم .

وأما قوله : { كأني سليم لم تذق عينه الوسن } ؛ كأني : تأتي على التشبيه ؛ قال امرؤ القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا   لدى سمرات الحي ناقف حنظل

قال الله (ﷻ) : ﴿ كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ [1] ، وقال (ﷻ) : ﴿ كأنهم أعجاز نخل مُنقعر ﴾ [2] ؛ والسليم : اللديغ ، وهذا من المقلوب ، تكلمت به العرب عند التفاؤل ؛ قال الشاعر :

صل يموت سليمة قبل الرقى   ...... [3] والصل ضرب من الحيات

وسليمة : لديغة ، يعني : أنه يموت لديغة ، قبل أن يرقى ؛ قال النابغة :

يُسهد في يوم يغشى سليمها   لحلي النساء في يديه قعاقع

يُسهد ، أي : يُمنع من النوم ، لئلا يدب فيه السَمّ ، فلما سمع قعقعة الحلي ، امتنع من النوم ؛ والسليم في هذا : السالم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾ [4] ، أي : سالم من النفاق والشرك ، والله أعلم .

---

(١) سورة الحاقة : ٧ .
(٢) سورة القمر : ٢٠ .
(٣) بياض في الأصل .
(٤) سورة الشعراء : ٨٩ .

وقوله : { لم تذق عينه الوسن } ، فـ [لم] : حرف نفي ، وهي من أدوات الجزم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ (١) ، وقال (ﷻ) : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ (٢) .

وتذق : من الذواق ؛ وليس للعين ذواق ، وإنما هذا على الإستعارة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ (٣) ، وقال (ﷻ) : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ (٤) ، المعنى في هذه الآية : ذق إنك أنت الذليل اللئيم ؛ وعندي ، أنها نزلت في أبي جهل ، والوليد بن المُغيرة .

وفي الحديث : " حتى يذوق من عسيلتها ، وتذوق من عسيلته " ، والعسيلة في هذا الحديث : كِناية عن الجِماع ؛ قال الأعشى :

فذوقي فتى حي فإني ذائق فتاة أناس مثل ما أنت ذائقه

وقال عمرو بن كلثوم :

تجور بذي اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا

وقوله : { لم تذق عينه الوسن } ؛ فالعين : معروفة ، وهي العين المُركبة في الإنسان ، أداة البصر ؛ والعين ـ في اللغة ـ على وجوه كثيرة ، فمنها : العين التي ذكرناها ؛ وعين الله : حفظه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ تجري بأعيننا ﴾ (٥) ، أي : بحفظنا ؛ والعين : المال ؛ وعين الماء ؛ وعين الشمس ؛ والعين المُركبة ؛ والعين : الديار ؛ قال ابن المقداد :

---

(١) سورة البينة : ١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٧٩ .
(٣) سورة الطلاق : ٩ .
(٤) سورة الدخان : ٤٩ .
(٥) سورة القمر : ١٤ .

حبشي له ثمانون عينا بين عينيه قد يسوق أفالا

وعين القوم : الذي عند مقدمهم ، وينظر إليهم ؛ وعين الميزان ؛ قال الشاعر :

ولقد مرسهم بميزان الهوى فكلاهما ما زاد حبة خردل

وعين القوم : سيدهم وشريفهم ؛ تقول : هؤلاء عينان قومهم ؛ وأعينان الرجال ؛ وأعيان الأحاديث ؛ وعيون المسائل ؛ وعيون الأخبار ؛ وعين الأخبار ، أي : متاعه ؛ قال جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذا وفي الغر من أنيابها بالقوادح
وفي وجهها الصافي المليح نعيمه وفي قلبها القاسي بود جمايح

وقال غيره :

عينان عينان لم ترق دموعهما في كل عين من العينين نونان
نونان نونان لم يخططهما قلم في كل نون من النونين عينان

يُريد العيني الأولتين : عين الماء ؛ وبالنونين : السمكتين ؛ وفي العين أكثر من هذا إختصرته .

والنوم : الوسن ، والسِّنة أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [1] ؛ فالسِّنة : دون النوم ؛ والنوم : أثقل من السِّنة ؛ ورجل وسنان ، أي : نومان ، وهو الوسين ؛ والسِّنة : النوم والنعاس ؛ وأبدى ، والهجوع ، والهجود ، والرقاد ، والسنات ، والغمض ، والإغفاء ، والبرد : كل هذا بمنزلة النوم في البرد ، بمعنى : النوم ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

بردت مراشفها عَليَّ فصدني   عنها وعن ترشافها البرد

وأما قوله : { بكى أسفاً وارتاع خوف الردى وأن } ، البُكاء : معروف ، وهو يُمد ويُقصر ؛ قال الشاعر - وقد جمع بين اللغتين - :

بكت عيني وحق لها بُكاها   فما يُغني البُكاء ولا العويل

قال الله (ﷻ) : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ (١) ، وقال (ﷻ) : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً ﴾ (٢) ، أي : يضحكون قليلاً في دار الدُنيا ، ويبكون كثيراً في جهنم ، من شدة عذاب جهنم ؛ نسأل الله أن يجيرنا منها ، ويخرجنا عنها .

والأسف : الحُزن ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا أسفي على يوسف ﴾ (٣) ، أي : واحُزناه ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فلما أسفونا انتقمنا منهم ﴾ (٤) ، أي : أغضبونا ، ولا يجوز بمعنى أحزنونا ؛ والتأسف : التوجع ؛ والحُزن ، والأسف : يكون بمعنى الحُزن ، وبمعنى : الغضب ؛ فإذا جاءك أمر من قِبل ممن هو فوقك ، فأنت تأسف أسفاً ، وأنت آسف ومُتأسف ؛ وإذا جاءك أمر ممن هو دُونك ، فأنت آسف وأسيف ، أي : غضبان .

تقول : أسفني الأمر ، أي : أغضبني ؛ والأسيف : العبد ، لأنه مقهور محزون ؛ والأسيف : السريع البُكاء والحُزن ؛ ومنه حديث عائشة : " أن أبا بكر (رضي الله عنه) أسيف " ؛ والأسيف ، والحُزن ، والقلق ، والمضض ، والكآبة ، والبث ، والترح ، واللوعة ، والكمد ، والوجد ، والبلبال : كله بمعنى واحد .

---

(١) سورة النجم : ٤٣ .
(٢) سورة التوبة : ٨٢ .
(٣) سورة يوسف : ٨٤ .
(٤) سورة الزخرف : ٥٥ .

وأما قوله : { وارتاع } ؛ والروع : الفزع ؛ وسُميت الحرب يوم الروع : لما فيها من الفزع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى ﴾ [1] ، أي : الفزع ؛ والفزع (بفتح الزاي) : الخوف ؛ والفزع ، والروع (بضم الراء) : هو القلب ولبه ؛ تقول : وقع ذلك في روعي ، أي : في قلبي ؛ وفي الحديث : " إن روح القدس نفث في روعي ، أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها " ؛ وقال عمرو بن كلثوم في الروع ، بمعنى : الفزع :

وتحملنا غداة الروع جُردٌ عَرِفن لها نقائذ وافتُلينا

نقائذ : جمع نقيذة : وهو ما أنقذ منه من أيدي العدو ؛ وافتلت المُهر : إذا ربيته ؛ والفلو : المُهر الصغير ؛ يُقال : فلاه يفلوه ، إذا فطمه ؛ والفلا : الفطام .

وأما قوله : { وارتاع خوف الردى } ؛ والخوف ، والروع ، والفزع : كله واحد ، لأنه إذا اختلف اللفظ ، جاز تكرير المعنى ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يعلم سرهم ونجواهم ﴾ [2] ؛ والسر والنجوى : شيء واحد ، وقال (ﷻ): ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ [3] ، والرمان : من الفاكهة ؛ قال ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثاث وفي أنيابها شنب

فالحوة واللعس : شيء واحد ؛ ومثل هذا كثير .

قال الله (ﷻ) ، في الخوف : ﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من

---

(1) سورة هود : ٧٤ .
(2) سورة التوبة : ٧٨ .
(3) سورة الرحمن : ٦٨ .

خوف ﴾ (1) ؛ وقال لموسَى (عليه السلام) : ﴿ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾ (2) ؛ وقال : ﴿ لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون ﴾ (3) ؛ قال الشاعر :

كأن بلاد الله وهي عريضة   على الخائف المطلوب كفة حابل

وأما الردى : فهو الهلاك ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾ (4) ؛ قال الشاعر :

تنادوا وقالوا أردت الخيل فارساً   فقلت أعد الله ذلكم الردى

وقوله : { خوف الردى وأن كمثلي } ؛ ويحتمل أن يكون بمعنى : هل ، أي : وهل كمثلي ؛ و (الكاف) في : كمثلي ، (كاف) التشبيه ؛ كقولك : زيد كعمرو ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ كما فعل بأشياعهم ﴾ (5) ، وقال (تعالى) : ﴿ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ﴾ (6) ، وقال (تعالى) : ﴿ كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ (7) ، وقال (تعالى) : ﴿ كمثل صفوان عليه تراب ﴾ (8) ، وقال (تعالى) : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾ (9) ، وقال (تعالى): ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ﴾ (10) ؛ مثل الشيء ، شبهه في (كاف) التشبيه ؛ قال امرؤ القيس :

مُهفهفة بيضاء غير مُفاضة   ترائبها مصقولة كالسجنجل

وقال - أيضاً - شِعراً :

---

(1) سورة قريش : 4 .
(2) سورة القصص : 31 .
(3) سورة النمل : 10 .
(4) سورة الليل : 11 .
(5) سورة سبأ : 54 .
(6) سورة الرعد : 14 .
(7) سورة البقرة : 17 .
(8) سورة البقرة : 264 .
(9) سورة إبراهيم : 18 .
(10) سورة البقرة : 265 .

ولا مثل يوم في قدور إن ظلته كأني وأصحابي على قرن أعفرا

وقال أيضاً :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ....

وقوله : { كمثلي لما } ؛ فلما : من أدوات الجزم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولما يعلم الله ﴾ [1] ، وقال (ﷻ) : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ [2] ؛ وهي تدخل على الماضي والمُستقبل ؛ وتترك الماضي على حاله .

وأما قوله : { هيج } ؛ فهيج ، معناه : حرك ما كان ساكناً من الشوق والأسف ، وأشعل نار الوجد وأضرمها ؛ قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق إلاّ حمامة دعت ساق حر من حمام ترنما

والحر : فرخ الحمام ؛ والساق : الحمام الذكر ؛ ويُقال : ساق حُرٍّ ذكر القماري ؛ قال الشاعر :

وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة مطوقة ورقاء تصدح بالفجر
هتوف تبكي ساق حر ولا ترى لها دمعة يوما على خدها يجري
تغنت بلحن فاستجاب لصوتها نوائح بالأضياف في فنن السدر
إذا فترت كرت بلحن شج لها تهيج للصب الحزين جوى الصدر
دعتهن مطراب العشيات في الضحى بصوت يهيج المستهام على الذكر
فأسعدها بالنوح حتى كأنما شربن سلافاً من معتقة الخمر

---

(١) سورة آل عمران : ١٤٢ ؛ سورة التوبة : ١٦ .
(٢) سورة الأحزاب : ٨٦ .

تجاوبن لحنا في الغصون كأنها   نوائح ميت ينتدبن بذي قبر
فقلت لقد هيجتن صبا متيما   حزينا وما منكن واحدة تدري

والشوق : معروف : وهو النزاع إلى المحبُوب ؛ قال المُتنبي شِعراً :

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم   وأين من المُشتاق عنقاء مغربِ

وعنقاء مغرب (على الإضافة ، ويُرفع على النعت) ؛ والعنقاء ، قيل : طائر على عهد سُليمان بن داوود (عليهما السلام) ، وليس اليوم منها شيء ؛ قال امرؤ القيس :

سما لك شوقاً بعدما كان أقصرا   وحلت سليمى بطن قوٌّ فعرعرا

والأحزان (جمع حُزن) ، والحُزن : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قال إنما أشكوا بثي وحُزني إلى الله ﴾ [1] ؛ والبث ـ أيضاً ـ : الحُزن ، ولكن إذا اختلفت الألفاظ ، جاز تكرير المعنى ؛ قال الشاعر :

ألا حبذا هند وأرض بها هند   وهند أتى من دونها النأي والبُعدُ

فقال : (النأي والبُعدُ) : وهو نوع واحد ، وهو جائز في لغة العرب ؛ وقد جاء في القرآن الكريم ، والأسفار ، وقد ذكرنا منه طرفا .

بيت القصيدة :

وعهدي بها والشمل مُتصل العقد   مضارب فيها كل واضحة الخد
مُنعمة الأطراف مهزوزة القد   تميس كغصن البان في كفل نهد
وترنو بعين الظبي في الأجرع الفرد   وتجزيك من وصل بصد وهجران

(١) سورة يُوسف : ٨٦ .

الشرح :

قوله : { وعهدي بها والشمل مُتصل العقد } ؛ والعهد - قد مر ذِكره - : وهو ما عهدته قبل ؛ والعهد والعقد - في اللغة - على وجوه كثيرة ، فمنها : الأمان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ﴾ [1] ؛ والعهد : اليمين ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ [2] ؛ والعهد : الوصية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ﴾ [3] ؛ والعهد - أيضاً - : الزمان ؛ يُقال : كان ذلك على عهد فلان ، أي : في زمانه ؛ والعهد : الميثاق ؛ قال الله (ﷻ) ، لإبراهيم (عليه السلام) : ﴿ إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [4] ؛ وفيه أكثر من هذا تركته .

وقوله : { وعهدي بها } ، جار ومجرور ، والجار (الباء) ، والمجرور (الهاء) ؛ و (الهاء) راجعة إلى الدار ، من قوله : ديار بها ؛ والشمل : فهو إجتماع الرجل بأهله ؛ والعرب تقول لمن تدعوا له : جمع الله شمله ؛ ولمن تدعوا عليه : شتت الله شمله وبدده ؛ قال الشاعر :

قطع التقى سبب الغرام وفرقت   شمل الهوى أيدي المشيب الشامل

قال غيره :

ولا نظمت إلى مشمولة أبدا   شملي ولا رحت مرتاحاً إلى راح

والمشمول ، والمشمولة : من أسماء الخمرة .

---

(١) سورة التوبة : ٤ .
(٢) سورة النحل : ٩١ .
(٣) سورة يس : ٦٠ .
(٤) سورة البقرة : ١٢٤ .

وقولـه : { متصـل العقـد } ؛ فالمُتصـل : ضـد المُنقطـع ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ويقطعون مـا أمـر الله بـه أن يُوصـل ﴾ [1] ؛ قـال امـرؤ القـيس الشاعر :

إني بحبلك واصل حبلي ويريش نبلك رايش نبلي

والعقد : معروف : وهو ضد الحل ؛ ويُقال في المثل : يعاقده ذكر جلاه ؛ قال الشاعر :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

والعقد - أيضاً - : العهد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأوفوا بعهد الله ﴾ [2] ، وقال (ﷻ) : ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ [3] ؛ قال عمرو بن كلثوم :

متى نعقد قرينتنا بحبل نجذ الحبل أو نقصي القرينا

قوله : { مضارب فيها } ؛ فالمضارب : القباب والخيام ، من قولهم : ضربنا قبتنا قسمتنا ، (نصباً بالفعل) ، لا من قرينته ، والقبة المضروبة : التي رفعت بعمدها وأطنابها ؛ قال الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس قوم لا سراة لهم ولا سراة إذا جُهَّالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلاَّ بأعمدة ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

وجدت أن : القبة : من قطن لين ؛ والخباء : من صوف ؛ والنجاد : من صُوف ووبر ؛ والفسطاط : من شَعر ؛ والسرادق : من كرسف ؛

(١) سورة البقرة : ٢٧ ؛ سورة الرعد : ٢٥ .
(٢) سورة النحل : ٩١ .
(٣) سورة المائدة : ١ .

والقسع : من جلود ؛ والطراد : من أدم ؛ والخيمة : من شجر .

وقوله : { مضارب } ، جار ومجرور ، والمجرور التي هي (الهاء) مُتصلة بها .

وقوله : { مضارب فيها كل } ؛ فـ [كل] : تخفض ما بعدها ، وهي تكون بمعنى : الكل ، وبمعنى : البعض ، وبمعنى : الكل ؛ فقوله (ﷻ) : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ (١) ، وقوله (ﷻ) : ﴿ كل من عليها فان ﴾ (٢) ؛ وأما بمعنى : البعض ، فقوله (ﷻ) ، في قصة بلقيس: ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ (٣) ؛ قال ابن عباس ، يعني : ما أرضها ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ تدمر كل شيء ﴾ (٤) ، ولم تدمر الأشياء كلها .

وكل لا تقع إلاّ على نكرة ، وكل واحد ، ومعناه : جماعة ، وهو حرف ، وُضع ليدُل على الجماعة ، ولفظه واحد ، لا يدخله تأنيث ؛ تقول : كل الرجال توجهت .

وقوله : { واضحة الخد } ؛ الواضحة : البيضاء ؛ قال الشاعر :

قوامك مُهتز وجيدك واضح وحيث مجال الطرف منك أسيل

والواضحة : الأسنان ، سُميت بذلك : لبيانها ؛ قال الشاعر :

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة
وكلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

والوضاح : جذيمة الأبرش ، وهو ملك بني فهم الأزدي ، وكان أبرص ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ ؛ سورة الأنبياء : ٣٥ ؛ سورة العنكبوت : ٥٧ .
(٢) سورة الرحمن : ٢٦ .
(٣) سورة النمل : ٢٣ .
(٤) سورة الأحقاف : ٢٥ .

فهابت العرب أن تقول : الأبرص ؛ فقالت : الأبرش ؛ ويُسمى البرص : وضحاً ، لبياضه ؛ وفي الحديث : " من احتجم بيوم الأربعاء ، أو بيوم السبت ، وأصابه وضح ، فلا يلومن إلاّ نفسه " ؛ والخد : معروف : وهو خد الإنسان ؛ قال طرفة الشاعر :

وخد كقرطاس الشامي ومُستقر   كسيب الهيماني خده لم يحدد

يصف خد الناقة ؛ قال التهامي شِعراً :

أسيلة خد دونه الأسل السمر   وفوق ارتشاف الثغر من ثغرها ثغر

وقوله : { مُنعمة الأطراف مهزوزة القد } ؛ مُنعمة الأطراف : لينة الأطراف من النعمة ، يعني : يديها ، ورجليها ، وأصابعها ؛ وأطراف الرجل : أباؤه وأجداده ؛ قال الشاعر :

فكيف بأطرافي إذا ما شتمتني   وما بعد شتم الوالدين صلوح

ويقولون : فلان ما يعرف ، أي : طرفيه أطول ، يعنون : أي أبويه أفضل .

وقوله : { مهزوزة القد } ، يعني : أنها إذا مشت ، تمايلت وتحركت كاهتزاز الرمح ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾ [1] ، أي : حركيها ؛ وتقول : هززت ، وأززت ، لأن (الهاء والألف) مخرجهما واحد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾ [2] ، أي : تحركهم وتدفعهم دفعاً ؛ والهز والأز : قريب المعنى بعضه من بعض ؛ وفي الحديث : " أن النبي (ﷺ) ،

(١) سورة مريم : ٢٥ .
(٢) سورة مريم : ٨٣ .

إذا قـام إلـى الصـلاة ، يُسـمع لجوفـه أزيـزاً ، كـأزيز المرجـل " ، يعني : حركة من الخوف ؛ قال الشاعر :

اهتز عند تمنى وصلها طرباً ورب أحليد أحلى من الظفر

والقد : قامة الإنسان ؛ وحُسن قوامه واعتداله ؛ والقد : واحد ؛ وجمعه : قدود ؛ وفي القدود : الإهتزاز ؛ قال الشاعر :

برزن من تلك العيون أسنة وهززن من تلك القدود رماحا

وأما قوله : { تميس كغصن البان في كفل نهد } ؛ والميس - أيضاً - : الحركة والإضطراب ؛ قال شِعراً :

وتأودت تختال بين مروطها ميس القضيب على نقي مترجرج

والغصن : معروف : وهو واحد الأغصان ؛ يُشبه به قوام النساء ؛ ويُستعار الغُصن مكان قوام المرأة ؛ وقوام الرجل ، إذا كان مُنتصباً ؛ قال الحريري شِعراً :

فلاح ليلٌ على صُبح أقلهما غُصن وضرست البلور بالبرد

يعني : بالليل فروعها ؛ وبالصبح وجهها ؛ فالغصن قامتها ؛ والبان شجر الشوع الذي يُستخرج منه الدهن ؛ قال امرؤ القيس :

برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المُنفطر

أي : ناعمة رطبة ؛ والخرعوبة : البدينة ؛ والخرعوبة : الفصيل أيضاً ؛ والمُنفطر : المُتشقق ؛ قال غيره :

فما أعيف الهندي لا دردره وأزجره للطير إلاّ عناصره

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ينتف أعلا ريشه ويُطايره
فأما غراب واغتراب وغربة وبان فبين من حبيب تُعاشره

وأما قوله : { في كفل نهد } ؛ فـ (في) حرف جر ، يُخفض ما بعده ، إذا كان الاسم مُنصرفاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ (1) ؛ قال الشاعر :

وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلاّ بأجدعا

وقال غيره :

بطل كأن ثيابه في سرجه يجدي نعال السبت ليس بتوأم

أي : في سرجه طويلة ؛ وتكون بمعنى (إلى) ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ (2) ، أي : إلى أفواههم ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فتهاجروا فيها ﴾ (3) ، أي : إليها ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (4) ، أي : مع عبادك ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ فادخلي في عبادي ﴾ (5) ؛ لأن حروف الصفات ، يقوم بعضها مقام بعض ، وتدخل بعضها على بعض .

والكفل : معروف : وهو عجيزة المرأة وردفها ؛ قال الشاعر :

لها كفل كالدعص لبده الندى ....

وقال غيره شِعراً :

---

(1) سورة طـه : 71 .
(2) سورة إبراهيم : 9 .
(3) سورة النساء : 97 .
(4) سورة النمل : 19 .
(5) سورة الفجر : 29 .

خُزاعية اللبات مُهرية الحشا ... مُتبلة الأرداف رُومية الكفل

والنهد : العظيم الثاني ، تقول : نهد الرجل : إذا بدا ؛ والنهد : الفرس ، لسبقه الخيل وتقدمه ؛ ويُسمى نهد الجارية : لبدُوه ، ونتوه ، وشخوصه ؛ قال عُمر بن أبي ربيعة شِعراً :

وناهدة الثديين قلت لها اتكي ... على الأرض في ديمومة لم توسد
فقالت عَليَّ اسم أمرك طاعة ... وإن كنت قد عودت ما لم أعود

وأما قوله : { وترنو بعين الظبي في الأجرع الفرد } ؛ فالرنو : إدامة النظر ؛ تقول : رنا يرنو ؛ قال امرؤ القيس الشاعر :

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة ... إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

اسبكرت : طالت وامتدت ؛ قال الشاعر :

فأبت وطالت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحُسن جنت

والدرع للمرأة الكبيرة ، وهو مُذكر ؛ ودرع الحديد مُؤنثة ؛ والمجول تلبسه الصغيرة ، وهو الذي لا كُم له ؛ يقول : هي ما بين هاتين ، لا كبيرة فتلبس الدرع ، ولا صغيرة فتلبس المجول .

وقوله : { وترنو بعين الظبي } ؛ فالعين : معروفة ، وقد مر ذِكرها ؛ والظبي : معروف ، وهو واحد الظبا ؛ قال الشاعر :

يقول لظبي راتع وسط روضة ... لأنت أخو ليلى فقال يُقال
وإن تكن ليلى غزال بعينها ... فقد أشبهتها ظبية وغزال

والظبي ـ أيضاً ـ : كثيب ، معروف ؛ قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه   أساريع ظبي أو مساويك اسحل

الرخص : الناعم ؛ والشثن : الغليظ الخشن ؛ والأساريع (جمع أسروع) : وهو الدود على الشوك والحشيش ؛ ويُقال فيه : سروع ، وأساروع ؛ وفي جمعه : تساريع وأساريع ؛ واسحل : شجرة من شجر الشوك ؛ وقيل : هي السوجار ؛ والأجزع : مكان هو جانب الوادي ؛ وتقول لمن تأمر : أجزع ، أي : اقطع ذلك الموضع الذي يُسمى الجزع ، والأجزع : واحد ؛ والجمع : الأجازع (بالزاي غير المُعجمة) ، مثل : الماء الذي ينحدر من الجبل ؛ والأجزع مُذكر ؛ والجزعاء مُؤنثة ؛ قال الشاعر :

ربوع بجرعاء الحمى ورسوم   إليها جوى لا ينقضي ورسيم

وقال في الجرع :

أجرع لما أصبح الجرع مُستوحشاً   وما كنت أخلو منه في الأنس من وجد

والفرد نعت الظبي وصفته ، وليس هو من نعت الأجزع ، كأنه قال : ونزلوا بعين الظبي الفرد بالأجزع ، لأن الظبي إذا كان مُنفرداً ، نصب عُنقه ، وفتح عينيه ، وذلك يزيده حُسناً ؛ قال طرفة :

طحوران عوار القذى فتراهما   كمكحُولتي مذعُورتي أم فرقد

يعني : البقرة الوحشية ؛ وإن كانت مذعُورة ، كانت أشد ، لإنتصابها وفتح عينيها ؛ والفرقد : ولدها ؛ وفي الكلام تقديم وتأخير ، كأنه قال : وترنو بعين العين الفرد بالأجرع ؛ والفرد : المُنفرد عن الظبا ، وعن إلفه ؛ والفرد : واحد من العدد ؛ قال الشاعر :

في القيل هَمٌّ وفي التزويج مبغضة والله فرد يُحب الفرد فانفرد
لو كان في كثرة الأولاد مكرمة ما قال ما اتخذ الرحمن من ولد

وقال غيره :

فقف أو فسر في الأرض شرقا ومغربا فما أنت في كل البلاد سوى فرد

وقوله : { وتجزيك من وصلٍ بصدٍ وهجران } ؛ وتجزيك : فالجزاء معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ (١) ؛ والجزاء يكون في الخير والشر ، قال (ﷻ) : ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

قال الحارث بن حلزة : أعلينا جزاء كندة ؛ أي : يغنم غازيهم ، ومنا الجزاء ؛ { وتجزيك من } : فـ [من] حرف جر ، وهي الإبتداء ، كما أن [إلى] إنتهاء الغاية ؛ وتقول : خرجت من العراق إلى مكة ، فقد ابتديت : بمن ، وانتهيت : بالى ، أي : ابتديت بالعراق ، وانتهيت إلى مكة .

وقوله : { وتجزيك من وصلٍ } ؛ فالوصل : معروف ، وقد مر ذِكره ، فأضربنا على اعادته بالإختصار .

وقوله : { بصدٍ } ؛ فالصد : الإعراض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ رأيت المُنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ (٣) ؛ قال امرؤ القيس :

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مُطفل

وقوله : { بصدٍ وهجران } ؛ فالهجران : هو الهجر ؛ والهجر :

(١) سورة الشورى : ٤٠ .
(٢) سورة الطور : ١٦ ؛ سورة التحريم : ٧ .
(٣) سورة النساء : ٦١ .

القطيعة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ (١) ؛ وفي الحديث : " لا يحل لامرئ مُسلم ، أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام " ، (وهو بفتح الهاء) .

والهجر (بضم الهاء) : الكلام القبيح ؛ والهاجرة : وقت انتصاف النهار ، واشتداد الحر إلى الزوال ؛ قال امرؤ القيس الشاعر :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرةٍ ذمول إذا صام النهار وهجرا

وأما قوله : { وتجزيك من وصلٍ بصدٍ وهجران } ؛ فالمعنى : تجزيك بالوصل ؛ فـ [من] ها هنا بمعنى : [الباء] ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ له مُعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ (٢) .

وأما قوله (ﷻ) : ﴿ يلقي الروح من أمره ﴾ (٣) ، أي : بأمره ؛ لأن حروف الصفات ، يدخل بعضها على بعض ؛ قال امرؤ القيس الشاعر :

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

ومثل هذا كثير تركته .

بيت القصيدة

فيا حُسنها من أربع وملاعب ويا طيبها من أدور ومضارب
مسارح ربات الحجال الربارب ومغنى الغواني الآنسات الكواعب
برزن ولا يخشين رقبة راقب ويختلن في برد الشباب بريعان

(١) سورة النساء : ٣٤ .
(٢) سورة الرعد : ١١ .
(٣) سورة غافر : ١٥ .

الشرح :

أما قولـه : { فيـا حُسنـها } ؛ نصب (حُسنها) على التعجب ، كما تقول : ما أحسن زيداً .

وقوله : { فيا حُسنـها } ؛ كقولك : مـا أحسنها ؛ ويُحتمـل أن يكـون نصب (حُسنها) على نداء المُضاف ، لأن [يا] حرف نداء ، والحُسن : مُضـاف إلـى الضـمير المُتصـل بـه ، وهـو عائـد علـى الـديار ؛ والحُسـن : معروف : وهو عائد على الحال ؛ قال الشاعر :

قد جاء لي بزيادة من غير ما وعد قريب حسنـه إحسانـه

وقولـه : { مـن أربـع وملاعـب } ؛ و [مـن] : قـد مضـى الكـلام عليهـا ؛ والأربـع : جمـع ربـع : وهـو المنـزل ؛ والأربـع ، والربـوع ، والمرابع : كلـه بمعنى واحد ؛ والربع : مـا ينزلونـه ويحلـون بـه فـي أيـام الربيع ؛ قال الشاعر :

وسل منزلاً حـل الربيـع ربوعه وحيـاه وكـاف الحيـاء المثجـج

وقال غيره :

واستمطر السحب الثقـال الأربع حصبيـة قد أقفـرت ورسـوم

وقوله : { وملاعب } ، جمع ملعب : وهي ناحيـة الدار وعرضـها ، التي تلعب فيه صبيان الحي ؛ قال الشاعر شِعراً :

أبصرت ملعبها القديـم فدلني نشر العبير الورد تحت الملعب

وقال غيره :

وتعبير آيات وريق دموع   وملعب فتيان من السادة النبل

واللعب : المعروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ [1] ؛ قال عمرو بن كلثوم شِعراً :

كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بأيدي لاعبينا

واحد المخاريق : مخراق ، وهو : ثوب يلوى ، ثم يُثنى ، فيتضارب به الصبيان .

وقوله : { ويا طيبها } ؛ كقوله : { فيا حُسنها } ؛ فالقول في (طيبها) ، كالقول في (حُسنها) ؛ والطيب : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾ [3] ؛ وكل حلال طيب ؛ وكل حرام خبيث ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ويحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ﴾ [4] ؛ قال الشاعر :

ومن الدليل على القضاء وكونه   بُؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال غيره :

ما كان أطيب عيشتي وألذها   قبل المشيب ولمتي سوداء

و (الهاء) في حُسنها ، وفي طيبها : راجعة إلى الديار .

وقوله : { من أدورٍ ومضارب } ؛ فالأدور : جمع دار ؛ والدار ، والدور ، والأدور : كلها جمع ذلك ؛ قال الشاعر شِعراً :

---

(١) سورة الدخان : ٣٨ .
(٢) سورة البقرة : ٥٧ ، ١٧٢ ؛ سورة الأعراف : ١٦٠ ؛ سورة طـه : ٨١ .
(٣) سورة البقرة : ١٦٨ .
(٤) سورة الأعراف : ١٥٧ .

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيرها الأقطار والديم

وقال لبيد :

عفت الديار محلها فمقامها   بمنى تأبد غولها فرجامها

وأما المضارب : فهي القباب ، والخيام ، وقد مر ذِكرها فيما تقدم ؛ والمضارب أيضاً : مضارب السيوف ؛ ومضرب السيف : حده ؛ قال المُتنبي :

ونصبنني غرض الرُماة تصيبني   محن أحد من السيوف مضاربا

والضرب : معروف ، وهو مصدر : ضربت أضرب ضرباً ؛ والضرب (بتحريك الضاد والراء) : العسل الأبيض - عسل النحل - ؛ والظراب (بالظاء) : الربا الصغار ؛ والضرب بالحصى : هو الطرف ؛ قال لبيد بن ربيعة :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانع
فسلهن أن لاقيتهن متى الفتى   يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

والضراب ؛ ضراب الفحل : الناقة ؛ والمُضاربة : المُفاعلة ، وهي من البيع والشراء ؛ وضرب الله على الآذان ، أي : أنامها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فضربنا على أذانهم في الكهف سنين عدداً ﴾ [1] ، أي : أنامهم ؛ وضرب الشيء : مثله ؛ قال الشاعر :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها   ويجهد أن يأتي لها بضريب

(١) سورة الكهف : ١١ .

الضريب والضرب ؛ المثل يتبعنا مثل هذا الضلال الكِتاب ، وإنما أردنا شرح القصيدة .

وأما قوله : { مسارح ربات الحجال الرباريب } ؛ فالمسارح : جمع مسرح ، وهو المكان الذي تسرح فيه المواشي ، الإبل ، والغنم ، وغير ذلك ؛ والسرح : الماشية بعينها ؛ قال الشاعر :

فقم قبل أن ينجلي الظلام فتقبل من قبل سرح الإبل

وقوله : { ربات الحجال } ، يعني : النساء ؛ الواحدة : ربة ؛ قال الشاعر :

أذات الجبين الصمت والمعصم الخالي قفي وانظري ما غير السقم من حالي
ويا ربة الخال الخفي ترفقي بقلب فتى يصبوا إلى ربة الخالي

لأنه يُقال للمرأة : ربة البيت ؛ وربة الخدر ؛ قال الشاعر :

ربة محراب إذا جئتها لم أدن حتى أرتقي سلما

ويُقال للرجل : رب الدار ؛ ورب المال ؛ قال زهير الشاعر :

ورب معد والأحاليف حوله عباب كموج اللجة المُتلاطم

رب معد ، أي : سيدهم ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ (١) ، وقال (تعالى) : ﴿ أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ﴾ (٢) ؛ فهذا على مجاز اللغة وسعتها ؛ وأما الرب على الحقيقة ، فهو رب الأرباب (جل جلاله) .

---

(١) سورة المائدة : ٢٤ .
(٢) سورة يوسف : ٤١ .

وأما الحجال : فهي السرير ، فإذا كان على السرير حجلة ، فهو أريكة ، والجمع : أرائك ؛ وإذا لم يكن عليه حجلة ، فهو سرير ، والجمع : أسرة ؛ قال الشاعر :

ويحجب بينها أبدا وبيني ظلام الليل أو عتم الحجال

وقال غيره :

وحجبت النوى الطيبات عني فساعدت البراقع والحجالا

وأما الربارب ؛ فواحده : ربرب ؛ والربرب : ولد الظبية ؛ قال طرفة :

خذول تراعي ربرباً بخميلة تناول أطراف البرير وترتدي

وأما قوله : { ومغنى الغواني الآنسات الكواعب } ؛ فالمغنى : المنزل الذي يغنون فيه ، وبه عن غيره ؛ قال الستالي شِعراً :

ما بكاني في المغاني وهواي للغواني

فالمغاني : المنازل ؛ والغواني : النساء ؛ قال الشاعر :

ومُغنى لايزال يغن فيه أغاريد الغواني والأغاني

فالمُغنى : هو المنزل ؛ والغواني : النساء ؛ والغواني : جمع غانية ؛ والغانية سُميت ، لإستغنائها بالجمال عن الزينة ؛ وقيل : الغانية ذات الزوج ، التي استغنت بزوجها ؛ ثم كثر ذلك في كلامهم ، حتى قيل : لذات الزوج وغيرها ؛ وقيل : الغانية التي تعجب الرجال ؛ وقيل : هي التي في بيتها ؛ قال الشاعر :

أزمان ليلي حصان غير غانية وأنت أمرد معروف لك الغزل

وأما قوله : { الآنسات الكواعب } ؛ فالآنسات : جمع آنسة ؛ والآنسة : التي تأنس إليها ؛ قال الستالي :

كل آنسة مُتمايسة لابسة ورق القضب

وقال لبيد :

دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون حلالها وحرامها

وقال الراجز :

وبلدة ليس بها أنيس إلاَّ اليعافير وإلا العيس

وقوله : { الكواعب } ؛ والكعاب : جمع كاعب ؛ والكاعب : التي قد تكعب ثديها ، إذا نهد واستدار ؛ وسُميت الكعبة كعبة : لإستدارتها ؛ وأهل العراق يسمُون البيت المُرتفع : كعبة ؛ قال المُتنبي شِعراً :

يا حبذا المتحملون وحبذا وادٍ لثمت به الغزالة كاعبا

وقال :

تغير مني الدهر ما شاء غيرها وأبلغ أقصى العُمر وهي كعاب

وأما قوله : { برزن ولا يخشين رقبة راقب } ؛ فقوله : برزن ؛ فالبروز معروف : وهو خروجك وظهورك ؛ والأرض البراز : المُنكشفة الواضحة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإذا برزوا من عندك ﴾ [1] ، وقال (ﷻ) :

---

(١) سورة النساء : ٨١ .

﴿ لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [1] ؛ قال الشماخ :

فمازال يبرى كل رطب ويابس وينعل حتى نالها وهو بارز
فأصبح فوق الحقف حقف سالة له مركض في مستوى الأرض بارز

وقوله : { ولا يخشين } ؛ و [لا] : حرف نفي ، وحرف عطف أيضاً ؛ ويخشين : من الخشية : وهو الخوف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ويخشون ربهم ﴾ [2] ، وقال (تعالى) : ﴿ ولم يخش إلاّ الله ﴾ [3] ، وقال (تعالى) : ﴿ إنما يخشى الله من عِباده العُلماء ﴾ [4] ، وقال (تعالى) : ﴿ يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ [5] ؛ وهي في القرآن كثير ؛ قال عنترة :

ولقد خشيت بأن أموت ولا أرى للحرب دائرة على ابني ضمضم

وقال الحريري شِعراً :

أصدق منه الزور خوف ازوراره وأرضى استماع الهجر خشية هجره

وأما قوله : { ولا يخشين رقبة راقب } ؛ فالرقبة : حالة الإرتقاب ، مثل : الجليسة ، والعقدة ؛ والراقب والرقيب سواء : وهو معروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون ﴾ [6] ، وقال (تعالى) : ﴿ وارتقبوا إني معكم رقيب ﴾ [7] .

وقيل لبعض الناس وكان مريضاً : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أعين الرقباء ، وألسن الوشاة ، وأكباد الحساد ؛ قال المُتنبي شِعراً :

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ .
(٢) سورة الرعد : ٢١ .
(٣) سورة التوبة : ١٨ .
(٤) سورة فاطر : ٢٨ .
(٥) سورة النساء : ٧٧ .
(٦) سورة الدخان : ٥٩ .
(٧) سورة هود : ٩٣ .

كأن الفجر جبٌ مُستزار يُراعي من دنته رقيبا

وقال التهامي :

ثم الضياء عليه في غسق الدُجى حتى كأن الحُسن من رُقبائه

وأما قوله : { ويختلن في برد الشباب بريعان } ؛ يختلن : من الخُيلاء ، وهو : التبختر في المشي ، وجر الثياب مع التكبر ، والإعجاب بالنفس ، وتلك مشية يبغضها الله ورسوله ، إلاَّ في الحرب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (١) ؛ ذم المُختال ؛ قال الحريري :

أختال في برد الشباب وأجتلي نعم الوسيمه

وقال بديع الزمان :

توشحت أبا الفتح بهذا السيف مُختالا
فما تصنع بالسيف إذا لم يك قتالا

وقال المُتنبي :

إن كنت تكبر أن تختال في بشر فإن قدرك في الأقدار يختال

وقوله : { ويختلن في برد الشباب بريعان } ، فـ [في] : حرف جر ، وقد مر ذِكره .

وقوله : { في برد الشباب } ، فليس للشباب برد ، وإنما هذا استعارة ، جعل له برداً ؛ والبرد من الثياب معروف ؛ وجمعه : برود ؛ قال

---

(١) سورة لقمان : ١٨ .

الشاعر :

سحبت بها برد الصبابة والصبا إذا العيش غض والشباب رخيم

وهذا - أيضاً - على الإستعارة ؛ قال غيره :

أني اهتدت للتيه منشاها ولا سفح المعظم من مجر برودها

والبرد : القز ؛ والبرد : النوم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ﴾ [1] ؛ فالبرد : النوم ، على ما جاء في التفسير ؛ قال الشاعر :

بردت مراشفها عليَّ فصدني عنها وعن ترشافها البرد

أي : النوم ؛ والشباب معروف ؛ قال الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للعقل أي مفسده

وقال غيره :

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا

وفي الحديث : " إن الشباب شعبة من الجنون " ؛ وقيل : أن السُكر من أربعة أشياء : سُكر الشباب ، وسُكر الشراب ، وسُكر الغناء ، وسُكر الأمر والنهي .

وقيل : أن السُكر من أربعة أشياء بيانية ، غير سُكر الأمر والنهي ، وريعان الشباب أوله ونشاطه ، وريعان كل شيء أوله ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة النبأ : ٢٤ .

أدركتني عيشاً تولى والصبا رأو رواه رانع ريعانه

بيت القصيدة :

فلا غرو إن أضحت مغاني الأوانس ومرتبع الغيد الحسان الشوامس
ذوات الغصون الناعمات الموانس تنوء بكثبان الرمال الحوابس
وتزهو بألوان الحُلي النفائس مراتع وحش من ظباء وصيران

الشرح :

فأما قوله : { فلا غرو إن أضحت مغاني الأوانس } ؛ فـ [لا] : حرف نفي ، وقد مضى الكلام فيه .

وقوله : { فلا غرو } ، أي : فلا عجب ؛ قال الشاعر :

فلا غرو إن صلى أديب بجاهل فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

وقوله : { إن أضحت } ؛ فـ [إن] : حرف من حروف الشرط والجزاء ، كقولك : إن تكرمني أكرمك ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ [1] ؛ وأضحت : من الضُحى ، وهو عند إرتفاع الشمس ؛ وأضحى : من أخوات كان ، ترفع الإسم ، وتنصب الخبر ؛ وقد أقسم الله (عز وجل) ، بالضُحى ، فقال (تعالى) : ﴿ والضُحى * والليل إذا سجى ﴾ [2] ، أي : سكن ؛ قال امرؤ القيس :

وتضحي فتيت المِسك فوق فراشها نؤوم الضُحى لم تنتطق عن تفضل

(١) سورة النساء : ٣١ .
(٢) سورة الضُحى : ١ – ٢ .

وتضحي : فعل مُستقبل ؛ والضُحى : الاسم ؛ وأضحت : فعل ماضٍ مُتصل بضمير ، والضمير الذي فيه (التاء) العائد على المغاني ، في قوله : { مغاني الأوانس } ؛ والأوانس : جمع ؛ واحده : آنسة ، وقد مر تفسيرها ، فاكتفينا عن إعادة الكلام مخافة الإطالة .

وأما قوله : { ومرتبع الغيد الحسان الشوامس } ؛ فالمرتبع : المنزل الذي ينزلون به أيام الربيع ؛ والمرتبع ، والمربع ، والربع : بمعنى واحد ؛ وقد مر الكلام في شيء منه ؛ والمرابيع : الأمطار ؛ قال لبيد :

رزقت مرابيع النجوم وصابها   ودق الرواعد جودها فرهامها

مرابيع : أمطار النجوم ؛ وأمطار الربيع ؛ واحدها : مرباع ؛ وصابها ، بمعنى : أصابها ؛ والغيد : النساء ؛ سُمين لذلك للينهن ؛ تقول : شباب أغيد ، أي : ناعم ؛ قال طرفة :

تربعت القفين في الشول ترتعي   حدائق مولي الأسرة أغيد

تربعت ، أي : رعت أيام الربيع ؛ والقف : ما ارتفع من الأرض ؛ والشول : الإبل التي قد شالت بأذنابها ؛ وحدائق : بساتين ونخيل ؛ والأسرة : مُجانب الماء في الأرض ؛ وكذلك سُميت المرأة غيداء ؛ والجمع : الغيد ، والغادة ؛ والغيداء : واحدة ؛ قال الشاعر :

إن في الأظعان من وادي منى   غادة ما فزت منها بالمنى

وقال المُتنبي :

وكان أطيب من سيفي مضاجعة   أشباه نورقه الغيد الأماليد

ورجل يتاغيد في مشيته ، أي : يتمايل من لينه ونعومته ؛ والحسان : جمع حسناء ؛ والحسنة : الجميلة ؛ والحُسن : الجمال ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ (١) ؛ قال امرؤ القيس :

وواد كجوف العير قفراً مظلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان

والإحسان : ما تفضلت به على غيرك ، وأسديته إليه من المعروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾ (٢) ؛ والشوامس : منسوبة إلى الشمس ، لبياضهن وصفاء ألوانهن ؛ قال الحريري :

وكم مشكلات حكين السهى خفاء فصرن بكشفي شموسا

حكين ، أي : شابهن ، يعني : أن المُشكلات إذا خفين ، كما يخفى السُها ، وهو نجم عند بنات نعش ؛ يمتحن الناس أبصارهم ، فإذا كشفهن هو بتفسيره ، صرن شموساً ، أي : واضحات مُشرقات كالشمس ؛ والشموس : جمع شمس ؛ ويحتمل أن يكون البشائر : شموس (بفتح الشين) ، وهو : الفرس الذي لا ينقاد مع قائده ؛ قال الشاعر :

واقرا المسامع أما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

الحرون : الذي لا ينصرف مع راكبه ، ولا ينقاد مع قائده ؛ فإذا كان الشوامس (جمع شمس) ، كان المعنى : أنهن اللواتي ينفرن من الزينة ، ولا ينقدن مع من يقودهن إليه ، تشبيها بالدابة الشموس ، وهذا الوجه أحسن من الأول ، والله أعلم ؛ واللغة واسعة .

وأما قوله : { ذوات الغُصون الناعمات الموائس } ؛ فذوات :

(١) سورة الرحمن : ٧٠ .
(٢) سورة الرحمن : ٦٠ .

(جمـع) ؛ واحـده : ذات ؛ ويُقـال للإثنـين : ذواتـا ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ذواتي أكل خمط ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ (٢) .

ويُقال : هي ذات جمال ومال ؛ وهما ذواتي مال وجمال ؛ وهن ذات مال وجمال ؛ وذو : اسم ناقص ؛ تقول : رجل ذو مال ؛ ورجلان ذو مال ؛ ورجال ذوو مال .

وقوله : { ذوات الغُصون } ، أي : صاحبات الغُصون ، استعارها وكناها عن الغدور ، أي : هن يشبهن الغصون ؛ قال الشاعر :

فهل أثلاث القاع إن هبت الصبا   يحيل نداها أو تميل غصونها

والأغصان : هي الأفنان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ (٢) ، أي : أغصان ؛ قال امرؤ القيس ، وذكر الغُصن والأغصان :

بدائع أعطاف المنايا تركنه   كما مال غُصن ناعم بين أغصان

والغُصن (واحد) ؛ والأغصان (جمع) ؛ والناعمات : نعت الغُصون وصفتهن ؛ والناعم : اللين ؛ والغُصن لا يميس ولا يتمايل ، إلاَّ إذا لان من رطوبته وغضوضته ؛ وأصله من النعيم والنعمة ؛ قال الشاعر :

ولازال سكان الحصيب وأرضهم   زمانهم في نضرة ونعيم

قال الله (ﷻ) : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ (٣) ؛ والموائس - أيضا - : من صفة الغُصون ؛ وماس الغُصن : إذا تحرك وتمايل ؛ قال المُتنبي :

---

(١) سورة سبأ : ١٦ .
(٢) سورة الرحمن : ٤٨ .
(٣) سورة الإنفطار : ١٣ ؛ سورة المطففين : ٢٢ .

بيضاء يمنعها تكلم دلها   تيها ويمنعها الحياء تميسا

وأحسب أنه نصب [تميساً] على إضمار [إن] ؛ كأنه قال : ويمنعها الحياء أن تميسا ؛ والله أعلم .

وأما قوله : { تنوء بكثبان الرمال الحوابس } ؛ تنوء : تثقل ؛ قال الله (ﷻ) ، في قصة قارون : ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾ [(١)] ؛ قال المُفسرون أهل العِلم باللغة : هذا من المقلوب ، أي : تنوء العصبة بالمفاتيح ؛ والآية : لتنوء المفاتيح بالعصبة ؛ وتنوء بهم : تثقلهم ؛ والمُفتاح والمفاتيح : سواء ؛ قال الشاعر :

كانت عقوبة ما جنيت كما   كان الزنا عُقوبة الرجم

أي : كما كان الرجم عُقوبة الزنا ؛ قال الأعشى :

وإن امرأ أسرى إليك ودونه   من الأرض موماة وبيداء سملق

وله - أيضاً - قال :

لمخوفة إن تستحق لصونه   ولا تعلمي أن المعان موفق

أراد : أن الموفق معان ؛ فقلت : وهذا كثير في القرآن الكريم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾ [(٢)] ؛ المعنى : ذرأنا جهنم ؛ وكذلك قوله (ﷻ) : ﴿ فلا تحسبن الله مُخلف وعده رسله ﴾ [(٣)] ؛ يعني : مُخلف رُسله وعده ؛ ومثل هذا كثير في لغة العرب وأشعارها .

---

(١) سورة القصص : ٧٦ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٣) سورة إبراهيم : ٤٧ .

وقوله : { تنوء بكثبان الرمال } ؛ لعظمها ، أو ثقلها ؛ قال امرؤ القيس :

كحقف النقا يمشي الويدان فوقه بما احتسبا في لين مس وتسهال

وقال غيره :

تمشي به فكأنما أكفالها كثبانه وقدودها قضبانه

وقال غيره :

تجاذبه الأرداف عند قيامه فيقعد منه نصفه ثقل نصفه

وقال غيره :

ترى خلفها نصفاً فتاة قويمة ونصفاً نقاً يرتج أو يتمرمر

يقول : نصفها فتاة قويمة ، أي : قامتها مثل الفتاة ، من عُنقها إلى خصرها ، والنصف الثاني : من الخصر إلى ما تحدر ، شبهه بالنقا ، وهو : الكثيب من الرمل .

وقوله : (يرتج أو يتمرمر) ، يعني : أنها إذا مشت ارتج كفلها وتحرك واضطرب ، لكبره وعظمه وضخامته ؛ ومعنى البيت الأول : فيقعد منه نصفه ، ثقل نصفه ، يعني : أن نصفه الأول يجر نصفه الأعلا ، فيقعدها إذا أرادت القيام لعظمه ؛ والعرب تصف النساء بعظم أكفالهن ؛ وجميع الشعراء على ذلك .

وأما قوله : { الرمال الحوابس } ، فالحوابس : نعت للرمال ، ولعله أراد : أنها تحبس الماشي عليها ، لعلوها وارتفاعها ، لأنها تنهال

تحت الرجل الماشي ، فلذلك قال : تحبسه ، ولا يقدر أن يمشي عليها . وكذلك الكفل ، إذا كان عظيماً ، يحبس الناظر إليه عن النظر إلى غيره ، والله أعلم بما أراد صاحب القصيدة في معنى الرمال الحوابس .

وأما قوله : { وتزهو بألوان الحُلي النفائس } ؛ فتزهو : فتعجب ؛ والزهو ، والإعجاب بالنفس ، والكبرياء ، والعظمة ؛ تقول : زها ، يزهو ، فهو زاهي ، ومزهو ؛ قال حاتم الطائي :

فما زادنا بأوا على ذي قرابة غنانا ولا أزرى بإحساننا الفقر

ويروى : فما زادنا بأواء ؛ والبأواء : الكبر والعظمة ؛ تقول : تكبر الرجل ، وتجبر ، وتاه ، وزها ، وتصلف ، وبذخ ، وشمخ بأنفه ؛ قال الشاعر :

ألج لجاجاً من الخُنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب

وهو النسر أيضاً .

وأما قوله : { بألوان الحُلي } ؛ فألوان : جمع لون ؛ والألوان ، والأجناس ، والأصناف ، والضروب : كله بمعنى واحد ؛ قال امرؤ القيس :

وغيث كألوان الفنا قد هبطته تعاور فيه كل أوطف حنان

الفنا : حب شجر أحمر ، وهو : عنب الثعلب ؛ وجدت : أن عنب الثعلب ، هو : المجاج ؛ والحَلْيّ : جمع حلي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ﴾ [1] ؛ قال الشاعر :

(١) سورة طـه : ٨٨ .

قامت وقد برد الحلي تميس في ثني الوشاح

والحلي : (بالتخفيف والتثقيل) ؛ قال الستالي :

ووسوس الحلي منها حين تلبسه جيداء براقة اللبات ملساء

وقال غيره :

يُرى حُليها من حُسنها متزين ومن حُسنها يزداد طيباً عبيرها

والنفائس : (جمع نفيسة) ، وهي : أعلا ما يكون من مال الرجال ؛ والنفائس : نعت الحُلي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ (١) ؛ أي : من أكرمكم ، وأفضلكم ، وأشرفكم ؛ قال المُتنبي :

أبقى زريق للثغور مُحمداً أبقى نفيس للنفيس نفيسا

وقال الحريري :

يودون لو سالمته المنون وعالت نفائسهم والنفوسا

النفائس : (جمع نفيسة) ؛ والنفوس : معروفة .

وأما قوله : { مراتع وحش من ظباءٍ وصيران } ؛ فمن قال : مراتع (بالتاء) : فهي الأماكن التي للرعي ، ترعى فيها الأنعام وجميع المواشي ؛ والرتع : الرعي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب ﴾ (٢) ؛ وقرئت : ﴿ يرتع ويلعب ﴾ ؛ قال النابغة :

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .
(٢) سورة يوسف : ١٢ .

لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذا العر يكوى غيره وهو راتع

وراتع : راعي ؛ ومن قال : مرابع (بالباء) ، وهو جمع : مربع ، وربع ؛ وقد مر ذِكره وتفسيره .

وأما قوله : { مراتع وحش } ؛ فالوحش : معروف : وهو الظبا ، وبقر الوحش ، والذئب ، وغير ذلك من السباع ، وكل ما استوحش منه بني آدم ونفر منه ، فهو وحش ؛ قال امرؤ القيس :

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وجرة : مكان ؛ ومطفل : معها ولدها .

وأما قوله : { من ظباءٍ } ؛ فالظباء : معروفة ؛ والعرب تكنى بها ، وببقر الوحش ، عن النساء ؛ قال الشاعر :

وتحت الوالي والقنا مُستظلة ظباء أعارتها العيون الجآذر

نصب (مُستظلة) على أنه نعت نكرة تقدم ؛ والجآذر (جمع جوذر) : وهو ولد البقرة الوحشية .

وقوله : { من ظباءٍ وصيران } ؛ وصيران (جمع صوار) : وهي بقر الوحش ؛ قال امرؤ القيس :

ترى بقر الصيران في عرصاتها وقيعانها مملوءة حب فلفل

بيت القصيدة :

فقد طالما سامرت في سمراتها نواعم نشر المسك من نشراتها

ويجلو الدجى الإشراق من قمراتها حسان التثني نجتني ثمراتها
تزود لحظ العين من نظراتها ونشر الكبا والعنبر الغض والبان

الشرح :

فأما قوله : { فقد طالما سامرت } ؛ فـ [قد] : حرف يُوجب به التثني ، كقولك : قد كان كذا وكذا ؛ وقوله : قد طال ، أي : طال الزمان الذي كان قد سامرته ؛ وطال ، أي : أتى عليه زمان طويل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فطال عليهم الأمد ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

نسلي نفوساً عن مُصابك علمها بأن طوال العيش غير طويل

يُقرأ : رجل طويل وطوال ؛ قال المُتنبي :

إذا وصفوا له داء بثغر سقاه أسنة الأسل الطوال

قال امرؤ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ....

وقوله : { فقد طالما سامرت } ؛ فـ [ما ، ومن] : بمعنى واحد ؛ قال أبو عُبيدة ، في قوله (ﷻ) : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ (٢) ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها ﴾ (٣) ؛ إن [ما] في هذه المواضع بمعنى : من ؛ وقال أبو عمرو ،

---

(١) سورة الحديد : ١٦ .
(٢) سورة الليل : ٣ .
(٣) سورة الشمس : ٥ – ٧ .

هي بمعنى : الذي ؛ وزعم بعض أنها : قريب ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ [1] .

وقال ابن الأنباري : [من] لا تكون إلاّ للناس ؛ و [ما] لغير الناس ؛ وهي في هذه المواضع اسم ناقص ، بمعنى : الذي ، وضعها النصب بموضع موقع الفعل من قوله : { سامرت } ، و [إن] جعلت موضعها رفعاً ، وجعلتها فاعلة ، بقولك : طال ما جاء ؛ والله أعلم .

وسامرت : فاعلت : من المُسامرة ؛ والسمر : وهو معروف ، وقد مر ذِكره ؛ والسمرات (جمع سمرة) ، وهو : شجر معروف ؛ قال امرؤ القيس :

كأن غداة البين يوم تحملوا　　لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وأما قوله : { نواعم نشر المسك من نشراتها} ؛ نواعم : (جمع ناعمة ومُنعمة) ، يعني : أنها نشأت في النعمة ، ففيها غضوضة ورطوبة ؛ وقد مر ذِكر هذا الاحتجاج عليه ؛ والنشر : الرائحة الطيبة ؛ قال التهامي :

أبصرت ملعبها القديم فدلني　　نشر العبير الورد تحت الملعب

وفي الحديث : " خرج معاوية ونشره معه أمامه " ، يعني : ريح المسك ، قال امرؤ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام　　وريح الخزامى ونشر القطر

القطر : العُود الهندي ؛ والنشر : ضد الطي ؛ قال طرفة الشامي :

---

(١) سورة الليل : ٣ .

أطوي الهوى والدمع ينشره والطي لا يبقى على نشر

والنشر : الموت ؛ قال الشاعر :

ففي الجهل قبل الجهل موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحيى بالعِلم ميت وليس له تحت النشور نشور

قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ﴾ (٢) ؛ والمِسك (بكسر الميم) : معروف : وهو الطيب ؛ قال الشاعر :

كأن المِسك والكافور منها وطعم الزنجبيل على اللسان

وقال الشاعر :

كأن بين فكها والفك فأرة مَسك ذبحت بسك

وأما المَسك (بفتح الميم) : هو الجلد ؛ يُقال : هو في مَسك سيح ؛ وأما المُسك (بضم الميم) : فهو ما أمسك النفس من الطعام والشراب ؛ قال الله (ﷻ) ، في المِسك الذي هو الطيب : ﴿ ختامه مسك ﴾ (٣) ؛ يعني : أن خاتمته مِسك ، يعني : إذا فرغ الشراب منه ، وجد فيه عند فراغه رائحة المِسك وطعمه ؛ والله أعلم بتأويل كِتابه .

وأما قوله : { من نشراتها } ؛ فـ [من] حرف جر ، وقد مر ذِكره ؛ ونشراتها : (جمع نشر) ؛ والنشر : قد مر ذِكره وتفسيره .

---

(١) سورة عبس : ٢٢ .
(٢) سورة الفرقان : ٢٢ .
(٣) سورة المطففين : ٢٦ .

وأما قوله : { ويجلو الدجى الإشراق من قمراتها } ؛ فيجلوا : يكشف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ [1] ؛ في قول بعض المُفسرين : أنه ظهر .

ونحن نقول : أن الذي ظهر للجبل آية من آيات الله (ﷻ) ، كما قال (ﷻ) : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً مُتصدعاً من خشية الله ﴾ [2] ؛ والله أعلم ، وتركت الإطالة في هذه الآية ، ليس هذا موضعه .

وقال الله (ﷻ) في أمر الساعة : ﴿ لا يجليها لوقتها إلاَّ هو ﴾ [3] ؛ لا يكشفها إلاَّ هو (ﷻ) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ [4] ؛ قال الشاعر :

ألمت بنا في ليلة مُكفهرة فما سفرت حتى تجلى ظلامها

قال امرؤ القيس :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح فيك بأمثل

أي : انكشف ؛ والدجى : الظلام ؛ قال ابن دريد :

أما تري رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

والإشراق : النور والضياء ، مأخوذ من الإشراق ، أي : إشراق الشمس ؛ تقول : شرقت الشمس ، إذا طلعت ؛ وأشرقت : إذا أضاءت ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ [5] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ يسبحن بالعشي والإشراق ﴾ [6] ؛ قال التهامي :

---

(1) سورة الأعراف : ١٤٣ .
(2) سورة الحشر : ٢١ .
(3) سورة الأعراف : ١٨٧ .
(4) سورة الشمس : ٣ .
(5) سورة الزمر : ٦٩ .
(6) سورة ص : ١٨ .

إذا انتقبت أعشى النواظر وجهها ضياءً وإشراقاً فكيف سفورها

وأما قوله : { من قمراتها } ؛ من : قد مر تفسيرها ؛ وقمراتها : (جمع قمر) ، يعني : وجهها ، ونوره وحُسن بياضه ؛ لأن القمر عندهم أبيض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [2] ؛ والشعراء شبهوا وجوه النساء : بالشمس والقمر ؛ قال الشاعر ، وأحسب أنه أبو نواس :

يا قمر أبصرت في مأتم يندب شجوا بين أتراب
يبكي فيذري الدمع من نرجس ويلطم الورد بعناب
فقلت لا تبكي قتيلاً مضى وأبكي قتيلاً لك بالباب

وقال غيره :

كأن الثريا علقت في جبينها وفي خدها الشعرى وفي وجهها القمر

وقال الستالي :

وقد بلغت من العلياء منزلة ما نالها النيران الشمس والقمر

وأما قوله : { ويجلو الدجى } ؛ فيجلو : يكشف ، وقد مر تفسيره ؛ والدجى : الظلام ، وموضعه النصب ، بوقوع الفعل عليه ؛ والفعل : يجلو ؛ والفاعل : الإشراق ، من قوله : { ويجلو الدجى الإشراق من قمراتها } ، معناه : أن وجهها إذا أشرق على الدجى وهو

(١) سورة الشمس : ٢ .
(٢) سورة فصلت : ٣٧ .

الظلام ؛ فقدم المفعول وأخر الفاعل ؛ كما قال الله (ﷻ) : ﴿ إنما يخشى الله من عِباده العُلماء ﴾ [1] ؛ فقدم وأخر ؛ فالعُلماء الذين يخشون الله ؛ فالفعل منهم ؛ واسم الله (ﷻ) مفعول ؛ ولو قرأ قارئ : ﴿ إنما يخشى الله من عِباده العُلماء ﴾ [1] ؛ فرفع اسم الله (ﷻ) ، ونصب العُلماء ، لكان كُفراً ؛ وإن قرأ هذا في الصلاة ، فسدت صلاته ؛ ومثل هذا كثير في القرآن الكريم والشعر .

وأما قوله : { حسان التثني نجتني ثمراتها } ؛ الحسان : (جمع حسناء) ، وقد تقدم تفسير ذلك ؛ والتثني : التمايل ، والتعايد ، والتعطف في المشي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثاني عطفه ﴾ [2] ، يعني : الكبر والإعجاب ؛ قال الشاعر :

فاهتف شجار اللحاظ إذا تثنى يهز قضيبا في نقى مترجرج

وقال غيره :

مُتثنياً كالغُصن قام بقده سكران سُكر هوى وسُكر شباب

وقوله : { حسان التثني نجتني } ؛ فالمجتنى : من الجني ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ [3] ؛ قال :

لعمرك ما كل فرع يدل جناه اللذيذ على أصله

والجاني : الذي يجني ؛ قال :

---

(١) سورة فاطر : ٢٨ .
(٢) سورة الحج : ٩ .
(٣) سورة الرحمن : ٥٤ .

هـذا جنـاي وخـيـاره فيـه   إذ كل جان يده إلى فيه [1]

والجاني : المُذنب ؛ قال الحريري ، وجمع بين اللغتين :

أخمـد بحلمـك مـا يذكيـه ذو سـفه   من نار غيظك واصفح ما جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيـب بـه   والأخذ بالعفـو أحلى مـا جنى الجاني

الجاني فـي البيت الأول : المجني الذي قد جنى الذنب ؛ والجاني في البيت الثاني : الذي يجني الثمرة ، وغيرها ؛ قال امرؤ القيس :

فقلت لها سيري وارخي زمامه   ولا تبعديني من جناك المعلل

جعل ما ينال منها من التقبيل واللمس ، بمنزلة الجنى من الثمرة ، وهذا جائز في لغة العرب ، على الإستعارة والتوسع ؛ والجَنان (بفتح الجيم) : القلب ؛ والجِنان (بكسر الجيم) : البساتين ؛ واحده : جنة ؛ والثمرات ، من قوله : { نجتني ثمراتها } : جمع ثمرة ؛ والثمرة : معروفة : وهي تكون من كل شجرة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

زان الممالك بالمكارم أنه   ليزين أشجار الرياض ثمارها

وليس للنساء ثمرة كثمرة الأشجار ، ولكن أراد المُغازلة ، والمُحادثة ،

---

(١) قوله : { هذا جناي وخياره فيه ..... } ، البيت للفتى عمرو ابن أخت الملك المُنذر:
هـذا جنـابي والخيـار فيـه   وكل جانٍ يده في فيـه
أ هـ ، بقلم : السيد محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي

(٢) سورة البقرة : ١٥٥ .

والمُفاكهة ، والمُواصلة ، وما يجد من اللذة منهن ، وجعله بمنزلة جني الثمرة ، وهذا استعارة .

وأما قوله : { تزود لحظ العين من نظراتها } ؛ فتزود : من الزاد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (1) ؛ قال الشاعر :

الخير أبقى وإن طال الزمان به   والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقال طرفة :

لعمرك ما الأيام إلاّ معارة   فما اسطعت من معروفها فتزود

واللحظ : معروف : وهو النظر بمُؤخر العين ؛ قال الشاعر :

فرأيت سيف اللحظ ليس بمغمد   من تحت أدمعها ولا مسلولا

وقال غيره :

هيفاء فاترة الألحاظ مُقلتها   وأقتل اللحظ للعشاق ما فترا

وقوله : { لحظ العين } ؛ فالعين : معروفة ، وقد مر تفسيرها ، والقول فيها .

وقوله : { من نظراتها } ؛ فالنظر : جمع نظرة ، ونظر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فنظر نظرة في النجوم ﴾ (2) ؛ قال التهامي :

نظرت ولي عينان عين ترقرقت   ففاضت وأخرى حار فيها حمامها

---

(1) سورة البقرة : ١٩٧ .
(2) سورة الصافات : ٨٨ .

وقال التهامي :

كأنما عينها منها وقد نظرت   وحثها السير في بعض الأضاميم

الأضاميم : الغدران ، شبه عينيها بميم مكتوبة ، لأن الماء الراكد إذا حركته صارت فيه إدارات كأنها القوارير .

فمن أراد ، جعل (تزود) فعلاً ماضياً ، ومن أراد جعله اسماً ؛ وخص اللحظ بالإضافة ، ومعناه : تزود من لحظ عينها إذا نظرت .

وقوله : { ونشر الكبا والعنبر الغض والبان } ؛ فنشر : معطوف على لحظ ، كأنه قال : تزود من لحظ العين ومن نشر الكبا ؛ والنشر : معروف ، وقد مر ذِكره ؛ والكِبا (ممدود مكسور الكاف): العود ؛ قال امرؤ القيس :

وباناً وألوياً من الهند زاكياً   ورنداً ولُبنى والكباء المقترا

وقال غيره :

ألح علينا الجوع حتى كأنما   بانا فناريح الطعام كباء

وكَبا (مفتوح الكاف) : الزند ؛ وكبت النار : خمدت ؛ وكبا الفرس يكبو .

ويُقال : لكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة ؛ قال :

من حيث لا وجه الزمان بعابس   أبداً ولا زند الرجاء بكاب

والعنبر : معروف : هو الطيب ؛ قال التهامي :

لما وطنت دمشقاً بيع ما وطنت منها التراب بسعر العنبر الذفر

وقال ابن دريد :

والناس كالنبت فمنه رائق غض نضير عوده من الجنى

والبان : معروف : وهو شجر الشوع ؛ قال التهامي :

فهل عند غصن البانة اللدن أنه تناسبه أجيادها وخصورها

وقد تقدم تفسير البان ؛ والله أعلم .

بيت القصيدة :

سللن من الألحاظ بيضاً قواضباً جعلن لها منا القلوب مضاربا
وحسرن عن مثل الشموس جلائبا مشارقها أرواحنا والمغاربا
وأسبلن من فوق المتون ذوائبا يعلُّ بماء الورد روح وريحان

الشرح :

قوله : { سللن من الألحاظ بيضاً قواضباً } ؛ هذا على الاستعارة والتشبيه ، لأنه جعل الألحاظ بيضاً ، أي : سيوفاً ؛ وليس للألحاظ سيوف ؛ وتقول : سللت السيف ، أي : انتضيته وأخرجته من غمده ؛ قال المُتنبي :

ليس إلاّكَ يَا عَلِيُّ هُمامٌ سيفه دون عرضه مسلول

وقال غيره :

كأن برقاً في متون غمامة هندية في كفه مسلولا

وقد مر تفسيره ؛ والبيض : السيوف ؛ قال الشاعر :

يغني عن السمر بالسمر الكعوب وهو بيض الوجوه بيض الهند في شعل

والقواضب : السيوف ؛ وسُميت قواضباً ، أي : قواطعاً ، لأن القضب هو القطع ؛ تقول : قطعت الشيء ، وبترته ، وقطعته ، وحسمته ، وأبنته ، وأبتته ، وبتلته ، وبتكته ، وقصمته ، ووضمته ، وصرمته ، وضربته ، وقضبته ، كل هذا بمعنى : القطع ؛ وسُميَّ السيف : القضيب ، والحُسام ، والباتر ، لأن اسمه مُشتق من القطع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ [1] ، أي : انقطع إليه في العبادة ؛ والبتك : القطع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولأمرنهم فليبتكن أذان الأنعام ﴾ [2] ؛ والقضب : القتُ الذي تطعمه الناس دوابهم ؛ ويُسمى - أيضاً - الرطبة ؛ أحسب أنه اشتقاق اسمه من القطع ، لأنه يقطع عند جزازه ؛ والجزاز - أيضاً - القطع ؛ قالت الخنساء :

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لا تجز

وقال المُتنبي في القواضب : أنها السيوف :

وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها فوق السهول عواسلا وقواضبا

وأما قوله : { جعلن لها منا القلوب مضاربا } ؛ جعلن ، بمعنى : فعلن ؛ لأن الجعل من العباد ، وصف وفعل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجعلوا لله

(١) سورة المزمل : ٨ .
(٢) سورة النساء : ١١٩ .

شركاء الجن ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ [2] ؛ معناه : قالوا ذلك وتكلموا به ، ووصفوا الله (ﷻ) ، بما لا يليق بصفته ، (ﷻ) عن ذلك علواً كبيراً ؛ والجعل من الله (ﷻ) خلق ، قال الله (ﷻ) : ﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ [3] ؛ أي : خلق ؛ وليس لهذا الكلام معنى في هذا الموضع ، ولكنه قد جرى الكلام في الجعل ، لقوله : { جعلن } ، قال طرفة :

ولا تجعليني كامرئ ليس همه   كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي

وقال آخر :

ولا تجعلي الشورى عليك غضاضة   فإن الخوافي قوة للقوادم

وقوله : { جعلن لها } ؛ فالهاء عائدة على القواضب ، يعني : أن القواضب التي سلتها الألحاظ ، لم يجعلن لها مضارباً إلاّ القلوب ؛ والقلوب : معروفة ؛ وقلب الرجل : فؤاده ؛ وقيل : القلب مُضغة من الفؤاد ، مُعلقة بالنياط ؛ والقلوب : جمع ؛ واحده : قلب ؛ قال أهل اللغة : إنما سُمي القلب قلباً ، لأنه يتقلب ، ولكثرة تغيره ؛ وأصله من قولك : قلبت الشيء ، أقلبه قلباً ؛ قال الشاعر :

ما سُميَّ القلب إلاّ من تقلبه   والرأي يصرف والإنسان أطوارا

والعرب تكني بالقلب عن العقل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن في ذلك لذكرى

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٠ .
(٢) سورة الزخرف : ١٩ .
(٣) سورة الأنعام : ١ .

لمن كان له قلب ﴾ [١] ، أي : عقل ؛ وفي الحديث : " إن لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن يس " ؛ وليس هذا موضع الإطالة في هذا الفن ، إلاّ أنا احتجنا إلى ذكر ما قصدنا إليه .

وأما المضارب : فهي جمع ضريبة ؛ والضريبة : ما يضرب به الإنسان ؛ قال الشاعر :

عليَّ بضرب السيف في غادة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وليس عليَّ أن تبين الضرائب

الضرائب والمضارب : سواء ؛ قال المُتنبي :

ونصبنني غرض الرماة تصيبني ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ محن أحد من السيوف مضاربا

وله أيضاً :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

وأما قوله : { وحسرن عن مثل الشموس جلائبا } ؛ حسرن ، أي : كشفن ؛ قال الشاعر :

وقد سفرت عن وجهها فكأنما ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تحسر عن شمس النهار جهامها

تحسر ، أي : انكشف ؛ والجهام : السحاب ؛ و [عن] : حرف جر .

وقوله : {عن مثل الشموس} ؛ فمثل الشيء مثله ؛ ومثل : تخفف وتثقل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ﴾ [٢] ، أي : شبه الحمار ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ [٣] ،

---

(١) سورة ق : ٣٧ .
(٢) سورة الجمعة : ٥ .
(٣) سورة العنكبوت : ٤١ .

أي : كشبه العنكبوت ؛ قال امرؤ القيس :

له حارك كالدعص لبده الهوى إلى كاهل مثل الرتاج المضبب
وعينان كالماويتين ومخرج إلى سند مثل الصفيح المنصب

الرتاج : الباب ؛ والمضبب : هو الذي يصب الحديد ؛ والماويتين : المرآتان ؛ والسند : الظهر ؛ وقيل : الرأس ؛ وقيل : ما فوق الحاجب ؛ والصفيح : الحجارة ؛ والشموس : جمع شمس ، وقد مر ذكره وتفسيره .

وأما شبه وجوههن بالشموس لبياضهن وحُسنهن ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ [1] ؛ والجلابيب : جمع جلباب ؛ قال المُتنبي :

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلاببا

وأما قوله : { مشارقها أرواحنا والمغاربا } ؛ مشارق ومغارب : جمع مشرق ومغرب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ [2] ؛ نصب مشارقها ومغاربها على الظرف ، كأنه قال : أن هذه الشموس تطلع وتغيب في مشارق أرواحنا ومغاربها ؛ أو قال : أن هذه الشموس جعلت مشارقها ومغاربها أرواحنا ؛ ويُحتمل أن يكون قال : أرواحنا في مشارق هذه الشموس ومغاربها ، فيكون بوقوع الفعل ؛ والنحو كله يحتمل على القياس .

والذي قال : لا يحتمل القياس لغة العرب ؛ قيل : أنها لا تحتمل القياس ، ولا يجوز القياس فيها ، إنما يُوجد حفظ عن الأشياخ ؛ قال المُتنبي في المشارق والمغارب :

---

(١) سورة الشمس : ١ .

(٢) سورة المعارج : ٤٠ .

كالشمس في كبد السماء وضوءها　　　يغشي البلاد مشارقاً ومغاربا

والروح : معروفة : وجمعها أرواح ؛ وقد اختلف فيه العُلماء ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العِلم إلاّ قليلا ﴾ (١) ؛ وقيل : الروح من النفس ، وفوق النفس ؛ وقال : الروح الذي به الحياة ، والنفس الذي بها العقل ، فإذا نام النائم ، قبض الله (عز وجل) نفسه دون روحه ، والروح تقبض عند الموت ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ (٢) ؛ قوله (تعالى) : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ (٣) ، أي : يميتها ، لقوله (تعالى) :﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ (٤) .

فالروح : مُذكرة ؛ والنفس : مُؤنثة ؛ سُميت النفس نفساً : لبدو النفس منها ؛ وسُميَّ الروح روحاً : لأن الروح يُؤخذ به ؛ قال الشاعر ـ حجة في تذكير الروح ـ :

لو كان قاتل عُمراً غير قاتله　　　بكيته ما أقام الروح في جسدي

وأما قوله : { وأسبلن من فوق المتون ذوائباً } ، أي : سبلن ؛ قال الشاعر :

سبلن ستر الحُب بيني وبينها　　　فلما حست كأس الهوى ذهب الستر

وقوله : { من فوق المتون ذوائباً } ؛ فـ [من] : حرف جر ؛ و [فوق] : ظرف من ظروف المكان ؛ وضد هذه : تحت ؛ قال الله (تعالى) :

---

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .
(٢) سورة الزمـر : ٤٢ .
(٣) سورة الزمـر : ٤٢ .
(٤) سورة الأنعام : ٦٠ .

﴿ اجتثت من فوق الأرض ﴾ [١] ؛ والمتون : جمع متن ؛ قال امرؤ القيس :

وفرع يغشي المتن أسود فاحم   أثيث كقنو النخلة المتعثكل

ويُروى : (يزين المتن والذوائب) ؛ يصل الشعرة الواحدة منه ذؤابة ، والجمع : ذوائب ؛ قال الشامي :

الممطرون على العفاة سحائبا   والساحبون على النجوم ذوائبا

وأما قوله : { يعلُّ بماء الورد روح وريحان } ؛ يعل ، أي : يسقى مرة بعد مرة ، لأن العلل الشُرب بعد الشُرب ؛ والنهل أول الشرب ؛ يقول : سقيته علا بعد نهل ؛ قال الشاعر حيث يقول :

تؤمل أن تعل بوصل ليلى   ولم تنهل فكيف لك العلول

والناهل عند العرب : العطشان ؛ قال النابغة :

الطاعن الطعنة يوم الوغى   ينهل منها الأسل الناهل

أي : الريان ؛ والنهل : الشُرب الأول ؛ قال الستالي :

قم بنا عجلاً لا تطع عذلاً   واسقني نهلاً بعد علل

وهو يعني : ذوائب الشعر .

قوله : { يعل بماء الورد } ، أي : يدهن بماء الورد مرة بعد مرة .

وقوله : { بماء الورد } ؛ فقصر الماء وهو ممدود ، ضرورة الشعر ، ولو مده لتغير عليه المعنى الشِعر وعروضه ؛ وقد أجازوا

(١) سورة إبراهيم : ٢٦ .

للشاعر قصر الممدود ، ولم يجيزوا له مد المقصور ؛ وماء الورد : ما عُصر منه : وهو معروف ؛ قال ابن دريد :

كأنما الصهباء مقطوب بها ماء جنى الورد إذا الليل غسا

وقوله : { روح وريحان } ؛ الروح : طيب الرائحة ؛ والريحان : هو هذا الشجر المعروف المشموم ؛ وفي غير هذا ، الروح : الرحمة ؛ والريحان : الرزق ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ (١) ؛ قال النمر بن تغلب :

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر
على أرض سلمى وجيرانها مدى هبت الريح وقت السحر

فالروح : الرحمة ؛ والريحان : الرزق ؛ على ما جاء في التفسير .

وقيل : الريح طيب النسيم ؛ وقيل : الرحمة : فروح ، وريحان ، وحياة ، وبقاء لا موت فيه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ لا تيأسوا من روح الله ﴾ (٢) ، أي : من رحمة الله روحاً ، لأن الروح والرحمة يكون بها .

والروح : تذكر وتؤنث ؛ وعيسى (عليه السلام) روح الله ؛ والروح الأمين جبريل (عليه السلام) ؛ قال (تعالى) : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٣) ؛ وقيل : الروح ملك عظيم ، يقوم وحده صفاً ، والملائكة صفاً ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ (٤) ؛ والله أعلم بتأويل كِتابه ؛ قال

---

(١) سورة الواقعة : ٨٩ .
(٢) سورة يوسف : ٨٧ .
(٣) سورة الشعراء : ١٩٣ .
(٤) سورة النبأ : ٣٨ .

الشافعي :

علـلانـي بـالـروح والـريـحـان   لـيـس شـيء سـواهـمـا مـن شـانـي

بيت القصيدة :

فيا بـأبي تلـك الربـا والملاعبـا   زمان الصبا فيها سحرت الكواعبا
وجررت أذيـال البطالـة ساحبا   فزرت فلم أخش الغيوور المراعبا
خرائـد كالأقمـار بيضا ربـاربا   ذوات نـهى قد زانـهن واحصان

الشرح :

قوله : { فيا بأبي تلك الربا والملاعبا } ؛ معناه : أفدي تلك الديار والملاعبا ؛ ونصب [الربـا والملاعبـا] ، بوقـوع الفعل المضـمر ، وهـو أفـدي ؛ الربـى : بـأبي ؛ والربـى : جمـع رُبـوة ، وهـي بضـم (البـاء) ؛ ورباوة : (بالألف وفتح الراء) ؛ ورباوة : (بضم الراء والألف) ؛ وقيل في قولـه (ﷻ) : ﴿ إلـى ربـوةٍ ذات قـرار ومعين ﴾ [1] ؛ قيـل : هـي أرض فلسطين ، وبهـا مقـام الأنبيـاء (عليهم السـلام) ؛ وقيـل : هـي دمشـق ؛ وقيل : بيت المقدس ، والله أعلم ؛ قال الشاعر :

واقـرأ الـسـلام عـلـى الـربـوع   ولا أقـل مـنـي الـسـلام

والملاعب : جمع ملعب ؛ قال الشامي :

يا سعد قف أسعد أخاك بوقفة   نبكي رسوماً أقفرت وملاعبـا

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٠ .

وقد مر شيء من هذا .

وأما قوله : { زمان الصبا فيها سحرت الكواعبا } ؛ الزمان : معروف ، وهو منصوب على الظرف ، ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء ؛ قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته مُنذ أزمان

والصبا : معروف : وهي أيام الصغر ؛ قال الشاعر :

سقياً لأيام الصبا من صاحب أيام أغدو للسرور مُصاحبا

وقال غيره :

غنينا به عُمر الصبابة والصبا بكل رخيم الدل أحور أدعج

وقال غيره :

ومنهن رود القد مخطفة الحشا صبوت إليها والصبا لي شافع

قوله : { سحرت الكواعبا } ، فمعناه : بالسحر الخديعة ؛ تقول : سحرنا فلان بكلامه ، أي : خدعنا ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾ (1) ، أي : من المخدوعين ؛ وقيل : من المُعللين ؛ وقيل في قوله (ﷻ) : ﴿ فأنى تسحرون ﴾ (2) ، أي : من أين تخدعون ؛ وفي قوله (ﷻ) : ﴿ إلاّ رجلاً مسحوراً ﴾ (3) ، أي : مخدُوعاً ، لأن السحر خديعة

---

(1) سورة الشعراء : ١٥٣ ، ١٨٥ .

(2) سورة المؤمنون : ٨٩ .

(3) سورة الإسراء : ٤٧ ؛ سورة الفرقان : ٨ .

وحيلة ؛ قال امرؤ القيس :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

أي : نعلل ونخدع ؛ والساحر كان في قوم فرعون العالم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾ [1] ، أي : العالم .

قال ابن عباس : عظموه لقولهم : أيها الساحر ، لأنهم كانوا يُعظمون الساحر في ز مانهم ؛ وقيل : تكلم رجل بين يدي ابن عباس بفصاحة ؛ قال : هو السحر الحلال .

وقوله : { سحرت الكواعبا } ، أي : خدعتهن بحُسني وجمال شبابي في زمان الصبا ؛ والله أعلم .

والكواعب : النساء اللواتي قد كعب ثديهن ، وقد مر تفسير هذا القول فيه ، والإحتجاج عليه .

وأما قوله : { وجررت أذيال البطالة ساحباً } ؛ فجررت ، وجررت (بالتخفيف والتثقيل) : كله بمعنى واحد ؛ تقول : جررت ثوبي وسحبته ؛ قال امرؤ القيس :

خرجت بها أمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

ويُروى : (على إثرها أذيال مرط مرحل) ؛ والأذيال : جمع ذيل ؛ والحجة عليه ، قول امرئ القيس ، وقد روي البيت بجمع الأذيال ؛ وواحدها : ذيل ، وقد ذكرنا الروايتين ؛ قال الحريري :

وخضت السيول ورضت الخيول تجر ذيول الصبا والمرح

---

(١) سورة الزخرف : ٤٩ .

والبطالة : الفراغ من الأشغال ؛ قال الشاعر :

قَلِلَـهِ مني جانـب لا أضيعـه وللهو مني والبطالة جانـب

فقد قيل : أن في تفسير البيتين : اللهو المرأة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ﴾ [١] ؛ وقيل : أن البطالة الفراغ من الأشغال ، ولعلها تكون من الباطل ؛ قال لبيد :

فلا تسألن المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

وما أحسب أنها البطالة ، التي هي الفراغ ؛ والله أعلم .

والساحب : الذي يجر ثوبه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴾ [٢] ؛ قال الشاعر :

أيام أسحب في ميادين الصبا ذيل ولا أعطي عناني ساحبا

وقوله : { فزرت فلم أخش الغيور المراعبا } ؛ فزرت : من الزيارة ؛ قال النبي (ﷺ) ، لأبي هُريرة : " زر غباً ، تزدد حُباً " ؛ فنظمه الشاعر ، فقال :

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً وإن شئت أن تزداد حُباً فزر غبا

فالغب على زمان ، والمتواتر المتتابع ؛ وقيل : أن أبا هُريرة كان قريباً لعائشة ، لما قال رسول الله (ﷺ) تلك المقالة ، فقالت : أكثرت من زورة فملك ، وزدت في ذلك فاستقلك ، لو كنت ممن يزور غباً ، لزاد في

(١) سورة الأنبياء : ١٧ .
(٢) سورة القمر : ٤٨ .

قلبه محلك ؛ فقال النبي (ﷺ) : " ما جفوناه ، ولا مللناه ، ولكن أدبناه " .

وقوله : { فزرت فلم أخش فلم أخش الغيور المراعبا } ؛ فـ [لم] : حرف جزم ؛ وأخش : من الخشية : وهي الخوف ، وقد مر تفسيرها والقول فيها ؛ والغيور : الذي يُغار على أهله ؛ وقيل : أن الله كتب الجهاد على الرجال ، وكتب على النساء الغيرة ؛ وقيل : الغيرة من الإيمان .

قيل : سُئل رسول الله (ﷺ) : هل على هذه النساء جهاد ؟ قال (ﷺ) : " نعم ، جهادهن الغيرة ، يُجاهدن أنفسهن ، فإن صبرن ، فهُن مُجاهدات ، ولهن أجران " ؛ تقول : امرأة غيور ، وغيرى ؛ ورجل غيور ، وغيران ؛ والجمع : الغير ؛ قال الشاعر :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا   على نسائكم كسرى ولا جمعا

وقال بعض حُكماء العرب : ما فجر غيور قط ؛ وقيل : الغيور الجزوع في المُشاركة في زوجته ، وكذلك المرأة الغيور من النساء ، هي الجزوع من مُشاركة غيرها فيه ؛ قال جرير :

أفمن يُغار على النساء حفيظة   إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

والمراقب والرقيب : في المعنى واحد ، وقد مر تفسيره .

وأما قوله : { خرائد كالأقمار بيضاً ربارباً } ؛ الخرائد : جمع خريدة ؛ والخريدة : الحيية ، أي : ذات الحيا ؛ تقول : أخرد الرجل ، إذا استحيا مع تكبره ، وإقرار إذا استحيا مع ذلة وانقباض ؛ قال المُتنبي :

إذا كنت تخشى العار في كل خلوةٍ   فلم تتصباك الحسان الخرائد

وقال الشامي :

جفا النوم أجفاني فلست براقد وعاودني ذِكر الحسان الخرائد

وخرائد : منصوبة بوقوع الفعل ؛ والفعل زرت ؛ كأنه قال : وزرت خرائد كالأقمار ، ولم أخش الغيور المراقب .

قوله : { كالأقمار } ؛ فهذا كاف التشبيه ، وقد ذكرناه ؛ والأقمار : جمع قمر ؛ قال التهامي :

أرأيت من عنفت فيه فقال لي أما الوجوه فإنها أقمار

وقال في الواحد :

إذا تبدى نهاراً خلت غرته شمساً وإن لاح ليلاً خلته قمرا

والبيض : النساء الشديدات البياض ؛ قال امرؤ القيس :

مُهفهفة بيضاء غير مُفاضةٍ ترائبها مصقولة كالسجنجل

والربائب : جمع ؛ واحده : ربيبة : وهي التي تربى في النعمة ؛ أخذ من قولها : ربيت الصبي ، إذا حسنت تربيته ؛ والربيب : ولد امرأة الرجل من غيره ؛ والجارية : ربيبة الرجل من امرأته ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ (١) ؛ ويجوز أن يكون ربيبة بنته ، من قولك : رب يُرب ، إذا أصلح أنها بنته ؛ يصلح ويُصلح شأنه ، والله أعلم ؛ قال التهامي :

---

(١) سورة النساء : ٢٣ .

ما بين غزلان الصريمة فالنقا   فالروض غير مربرب بمربرب

وقوله : { ذوات نُهىً قد زانهن وإحصان } ؛ فذوات : جمع ذات ، وقد مر تفسيره ؛ والنُهى : العقل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ [1] ؛ قال ابن دريد :

وقد علت بي رُتباً تجارُبي   أشفين بي منها على سُبل النُهى

وقوله : { قد زانهن } ، أي : زينهن وحسنهن ، وهو من الزينة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ [2] ؛ قال التهامي :

إذا زين الحُلي النساء فإنه   يزينه أجيادها ونحورها

والحصان : التعفف ، والتنزه عن الريبة ، والترفع عنها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإذا أحصن فإن أتين بفاحشةٍ فعليهن نصف ما على المُحصنات من العذاب ﴾ [3] ؛ قال الأعشى :

وبيني حصان الفرج غير دميمة   وموموقة فينا كذاك ووامقة

وقال غيره :

وكم فرج مُحصنة عفيفة   أحل حرامه بأبي حنيفة

وقال عمرو بن كلثوم :

وثدياً مثل حق العاج رخصاً   حصاناً من أكف اللامسينا

---

(١) سورة طـــه : ٥٤ ، ١٢٨ .
(٢) سورة طـــه : ٥٩ .
(٣) سورة النساء : ٢٥ .

والحَصان (بفتح الحاء المُهملة) : العفيفة ؛ والحِصان (بكسر الحاء المُهملة) : الفرس الذكر ؛ ولا يُقال للفرس الأنثى : حِصان ؛ والجمع : الحصن ؛ قال الشاعر :

ولقد علمت على توقي الردى إن الحصون الحصن لا مدر القرى

بيت القصيدة :

وأجريت أفراس الضلال بها غياً أرى منكراً حياً ومطرفاً حيا
وبي سكرات لم أطع معها نهياً بروق شباب مدن أغصانه ريا
وفرط غرام شفني من هوى رياً وأترابها سعدى وسلمى سلامان

الشرح :

فقوله : { وأجريت أفراس الضلال بها غياً } ، أي : بعثته للجري واستحضرته ؛ قال امرؤ القيس :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثاب

شأوين : أطلقين ؛ وعطفه : جانب عُنقه ؛ وهزيز الريح : صوتها ؛ وأثأب : شجرة لها ورق كورق الطرفاء ؛ وقال أبو عمرو : الأثأب شجرة التين ؛ قال ابن دريد :

إن امرأ القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامه دون المدى

تقول : جرى الفرس جرياً ؛ وجرى الماء جرياناً ؛ قال الله (ﷻ) :

﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ [1] ؛ يعني سفينة نوح (عليه السلام) ؛ والأفراس : جمع فرس ؛ واحده : فرس ؛ قال الشاعر :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله   وعري أفراس الصبا ورواحله

والضلال : معروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

ألا تسألن المرء ماذا يحاول   أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

والغي : سكرة الشباب ، والإنغماس في مظالم الناس ؛ قال الشاعر :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره   ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقال الله (تعالى) : ﴿ فسوف يلقون غياً * إلاَّ من تاب وآمن ﴾ [3] ؛ قيل : الغي : الهلاك ؛ وقيل : الغي : واد في جهنم .

وأما قوله : { أرى مُنكراً حياً ومطرفاً حيا } ؛ أرى : من رؤية العين ؛ قال الله (تعالى) ، حكاية عن إبليس (لعنه الله) : ﴿ إني أرى ما لا ترون ﴾ [4] ؛ ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ؛ قال المُتنبي :

نرى عظماً بالصد والبين أعظم   ونتهم الواشين والدمع منهم
فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها   ولم تر قبلي ميتاً يتكلم

وأما قوله : { أرى مُنكراً } ؛ فالمُنكر : ضد المعروف ؛ فمن نهى

(١) سورة هـود : ٤٢ .
(٢) سورة إبراهيم : ١٨ ؛ سورة الحج : ١٢ .
(٣) سورة مريم : ٥٩ ، ٦٠ .
(٤) سورة الأنفال : ٤٨ .

عن المُنكر ، فقد أمر بالمعروف ؛ ومن أمر بالمعروف ، فقد نهى عن المُنكر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المُنكر ﴾ (١) ؛ قال النابغة :

أبى اللّه إلاّ عدله ووفاءه   فلا النُكر معروف ولا العُرف ضائع

فكل ما أنكرته ، فهو مُنكر ؛ وكل ما عرفته ، فهو معروف ؛ وقد وجدت في بعض النُسخ : { أرى مبكراً حياً } ، فمن رواه مبكراً ، أراد من البكور ؛ قال امرؤ القيس :

تروح من الحي أم تبتكر   وماذا يضيرك لو تنتظر

قال الله (ﷻ) : ﴿ ولهم رزقهم فيها بُكرة وعشياً ﴾ (٢) ؛ قال زهير حجة على البكور :

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة   فهن ووادي الرس كاليد للفم

وقوله : { مبكراً } ، يحتمل أن يكون معناه : أرى ، وأنا مبتكراً حياً من أحياء العرب ؛ ونصب حياً على فقدان الخافض ، أي : مبكراً إليَّ ؛ ويحتمل أن يكون منصوباً بوقوع الفعل ، ويكون الفعل مضمراً ، أي : قاصداً ؛ وقاصداً فيه معنى الإستقبال ؛ وقاصداً ، وأقصد : سواء ؛ ويُحتمل حياً من الحياة : غير ميت ؛ والله أعلم بما أراده .

قال الله (ﷻ) : ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ (٣) ؛ قيل : الحياة الطيبة من الجنة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أمواتٌ غيرُ أحياءٍ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .
(٢) سورة مريم : ٦٢ .
(٣) سورة النحل : ٩٧ .
(٤) سورة النحل : ٢١ .

وقوله : { ومُطرفاً حياً } ؛ فالمطرف : الشيء المُكتسب ؛ تقول : أطرفت كذا وكذا ، أي : اكتسبته وغنمته ، من إبل قوم آخرين ؛ قال ذو الرمة :

كأنني من هوى خرقاء مطرف   دامي الأظل بعيد الشأو مهيوم

بعيد الشأو ، أي : بعيد الهم والنزاع ؛ والطريف والتليد : ما ورثه الرجل من آبائه ، ولم يكتسبه ؛ قال الشاعر وأجاد :

وأصبح مالي من طريف وتالد   لغيري وكان المال بالأمس ماليا

وعين مطروفة : أصابتها طرفة ، أي : عوراً .

وأما قوله : { ومطرفاً حيا } ؛ يحتمل أن يكون { حياً } ، نعت مطرف .

وأما قوله : { وبي سكرات لم أطع معها نهياً } ؛ فالسكرات : جمع سكرة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ [1] ؛ قيل : قرأ بعض القُراء : [وجاءت سكرة الحق بالموت] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

مُتثنياً كالغُصن مال بقده   سكران سكر هوى وسكر شباب

وقال غيره :

---

(١) سورة ق : ١٩ .
(٢) سورة الحج : ٢ .

أبا حاضر من يزن يظهر زناؤه ومن يشرب الخرطوم يُصبح مسكرا

وقوله : { لم أطع معها نهياً } ؛ فـ [لم] : حرف جزم ؛ وأطع فعل مُستقبل مجزوم بلم ، ولم سلم من الجازم كان أطيع ، وهو من الطاعة والإنقياد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ (١) ؛ ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولا تطع الكافرين ﴾ (٣) ؛ قال المُتنبي :

غدا الزمان مُطيعاً خاضعاً لهم وليس يأمر إلاَّ بالذي أمرا
لا تستطيع الليالي جبر ما كسروا من أي شيء ولا كسر الذي جبرا

وقال النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

ذو أمة ، أي : ذو دين .

وقوله : { لم أطع معها نهياً } ؛ فـ [مع] : حرف جر ، يجمع به الشيء إلى الشيء ؛ تقول : هذا مع هذا ، وتكون للصُحبة أيضاً ، لأنك إذا قلت : كُنت معه ، فقد صحبته ، وتكون معاً أيضاً ؛ قال متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كأني ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وفي [مع] لغتين : فتح العين وتسكينها ؛ قال الله (ﷻ) في الفتح :

---

(١) سورة النساء : ٥٩ ؛ سورة محمد : ٣٣ .
(٢) سورة الكهف : ٢٨ .
(٣) سورة الأحزاب : ١ ، ٤٨ .

﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ﴾ [2] ؛ وتسكين العين لغة ربيعة ، والهاء مُتصلة بمع ، عائدة على السكران ، وموضعها الخفض بمع .

وقوله : {لم أطع معها نهياً} ؛ والأمر ضد النهي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لولا ينهاهم الربانيون ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ [4] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [5] ؛ قال الشاعر :

ولا تنهى عما نهاه ذو النهى　　　عشر ولا تأتي لعرض جديس

كمثل نعل النقا [6] ؛ قال :

رجينا وينهاه الثرى حيناً　　　..................................

وأما قوله : { بروق شباب مدن أغصانه ريا } ؛ بروق : جمع برق ، والبرق : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ [7] .

ووجدت في نُسخة : { يروق شباب } ؛ قال : فإن الصحيح هذه النسخة : يروق : تعجب ؛ وراقني الشيء : أعجبني ؛ قال الحريري :

فما راقني إذ لاقني بعد بعده　　　ولا شاقني مذ لاقني لوصاله

والشباب : معروف ؛ وهو ضد الشيب ، وقد مر تفسيره .

---

(١) سورة النساء : ١٤٦ .
(٢) سورة النساء : ٧٣ .
(٣) سورة المائدة : ٦٣ .
(٤) سورة الأعراف : ١٥٧ .
(٥) سورة الحشر : ٧ .
(٦) هكذا في الأصل .
(٧) سورة الروم : ٢٤ .

وقوله : { مدن أغصانه } ؛ مدن . أي : مسن وتحركن ؛ ومادوا ، ومال ، وماس : كله بمعنى واحد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم ﴾ [1] ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ أن تميد ﴾ ، بمعنى : أن لا تميد ، لقوله (ﷻ) : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ [2] ، أي : لا تضلوا ؛ والمايد في الشجر : الذي يميل رأسه ؛ وتميد المائدة : لأنها تميد بمن عليها ، أي : تميل ؛ قال الشامي :

وَعَدَّل مِن أيامنا كل مائل   وَثَبَّتَ مِن أقدامنا كل مايد

والأغصان : (جمع غصن) ، وقد مر ذِكره .

وقوله : { مدن أغصانه ريا } ؛ فري : من الري ؛ قال ابن دريد :

يقول للأجراز لما استوسقت   بسوقه ثقي بريٍّ وحيا
فأوسع الأحداب سيباً مُخصباً [3]   وطبَّق البطنان بالماء الروى

الروى : الذي يروي الإنسان ؛ والحيا : المطر ؛ والروى : الماء الكثير ؛ وهذا الوصف إنما هو على الإستعارة ، لأنه جعل للشباب بروقاً ، وليس له بروق ، ولا له أغصان تميد من الري ، ولكنه أراد النضارة ، والإشراق ، والنور ، والبهاء ، والمنظر ، والحُسن .

وأما قوله : { وفرط غرام شفني من هوى ريا } ؛ فرط ، أي : ما تقدم منه ؛ وفي الرواية : " أنا فرطكم على الحوض " ، أي : مُتقدمكم إليه ؛ قال الشاعر :

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا   كما تعجل فراط لوراد

---

(١) سورة النحل : ١٥ ؛ سورة لقمان : ١٠ .
(٢) سورة النساء : ١٧٦ .
(٣) في نسخة أخرى : مُحسباً .

والتفريط : التسويف في الأمر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ (١) ؛ والفراط : المُتقدمون للتفريط ، ينظرون لهم الماء والكلأ ؛ والغرام : شدة الحُب والهوى ؛ يُقال : فلان يغرم بفلانه ، أي : مُغرم بكذا وكذا ، أي : مُولع به ؛ قال الشامي :

وأسأل أهل الركب واستعرف واغتنم حمداً بأسعاف الشجي المُغرم

وقال جماعة :

ولا مُسعد إلاّ البُكاء على النوى ولا زاد إلاّ لوعة وغرام

قال الله (ﷻ) : ﴿ إن عذابها كان غراما ﴾ (٢) ؛ قيل : هلاكاً ؛ وقيل : دائماً لازماً .

قال الحسن : قد علمُوا أن كل غريم يُفارق غريمه إلاّ غريم جهنم " ؛ نعوذ بالله منها ؛ والغريم : الذي عليه الدَّين ، والذي له الدَّين جميعاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنا لمغرمون ﴾ (٣) ؛ قال حاتم :

فما أكلة إلا نلتها بغنيمة ولا جوعة إن جمعتها بغرام

أي : بهلاك .

وقوله : { شغفني } ، أي : أنحلني ؛ والشفوف : نحول الجسم من الهم ، والوجد ، والحُب ؛ قال الأعشى :

وأرسلت إلى سلمى بأن النفس مشفوفه
فما جادت لنا سلمى بخبز ولا فوفه

---

(١) سورة الزمر : ٥٦ .
(٢) سورة الفرقان : ٦٥ .
(٣) سورة الواقعة : ٦٦ .

وأما قوله : { من هوى ريا } ؛ فالهوى : معروف : وهو مقصور من هوى النفس ، والهواء ممدود ما بين السماء والأرض ؛ والهوى قد ذكره الله (عَزَّوَجَلَّ) في كِتابه ، لقوله (تَعَالَى) : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [1] .

قيل : إن الهوى إلهُ يُعبد من دون الله (عَزَّوَجَلَّ) ؛ وقال الشعبي : " إنما سُميً الهوى هوى ، لأنه يهوي بصاحبه في النار " .

وقيل : أن الله (تَعَالَى) ، ما ذكر هوى في القرآن إلاّ ذمه ؛ وفي الحديث عن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : " ثلاث مُهلكات : شُح مُطاع ، وهوىً مُتبع ، وإعجاب المرء بنفسه " ؛ قال بعضهم : هواك دواك ، فإن خالفته فدواك ؛ قال الشاعر :

نون الهوان من الهوى مسروقة ... وأسير كل هوى أسير هوان

وقال غيره :

إن الهوى لهو الهوان بعينه ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا
وإذا هويت فقد تعبدك الهوى ... واخضع لحُبك كائناً ما كانا

وقال ابن المُبارك :

ومن البلاء وللبلاء علامة ... أن لا ترى لك من هواك نزوع
والعبد عبد النفس من شهواتها ... والحُر يشبع تارة ويجوع

وقال أبو العتاهية :

واعص هوى النفس ولا ترضها ... إنك إن أسخطتها زانكا
حتى متى تطلب مرضاتها ... وأنها تطلب عدوانكا

(١) سورة الفرقان : ٤٣ .

وقال محرريه (١) :

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة   وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف من هويت فإنما   هواك عدو للخلاف صديق

وقال غيره :

وآفة العقل الهوى فمن علا   على هواه عقله فقد نجا

وجمع بين هوى النفس ، والهوى الذي بين السماء والأرض : وهو الممدود ؛ قال أيضا :

ليالي أعصى الدهر عنها على العصى   هواها صحيح والهواء سقيم

وأما قوله : { من هوى ريا } ؛ فريا : امرأة ؛ قال الشاعر :

ورويت من ريا برشف رضابها   فزاد هيامي ترقب من ريا

وأما قوله : { وأترابها سُعدى وسلمى سلامان } ؛ فالأتراب : جمع ترب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وكواعب أترابا ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فجعلناهن أبكارا * عربا أترابا ﴾ (٣) ؛ فالعرب : جمع عروب : وهي المُتحببة إلى زوجها ؛ والأتراب : التي سنهن واحد ، وليست واحدة منهن أكبر سناً من الأخرى ؛ تقول : هو تربي ولتربي وقربي ؛ قال الشامي :

ما بين ولدان كأقمار الدجى   وكواعب مثل الدمى أتراب

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) سورة النبـا : ٣٣ .
(٣) سورة الواقعة : ٣٦ ـ ٣٧ .

وقوله : { سُعدى وسلمى } ؛ وسُعدى : اسم امرأة ؛ قال التهامي :

تعاتب سعدى أن تنقل دارها   وأية شمس يستقل نهارها

وسلمى - أيضاً - : اسم امرأة ؛ ولهذه من الأشعار كثيرة ، تركتها إختصاراً وإيجازاً .

وقوله : { سلامان } ؛ فسلامان : تثنية سلام ؛ كأنه قال : عليٌ من سعدى وسلمى سلامان ، أي : كل واحدة منهن سلام ؛ وسلامان - أيضاً - : اسم رجل ؛ والله أعلم .

بيت القصيدة :

فيا بأبي تلك الحمول تغرب   سرت بسليمى والرباب وزينب
وكل غضيض الطرف أحور أشنب   فشطت ديار الحي بعد تقرب
فيا للنوى تعساً له من مُعذب   تملك قلبي بعدهن فأضناني

الشرح :

فأما قوله : { فيا بأبي } ؛ فإنه معطوف على ما تقدم من قوله : { فيا بأبي تلك الربى والملاعبا } ؛ وتقدم القول في : (بأبي) ، لأنه أراد : أفدي بأبي ؛ ويجوز أن يكون أقسم ، كما تقول : أحلف بالله ؛ و [يا] : حرف نداء ؛ و [تلك] : خطاب التأنيث ؛ تقول : تلك المرأة ؛ كما تقول : ذلك الرجل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾ [(1)] ؛ لأن العشرة مُؤنثة ؛ قال الشاعر وأحسن وأجاد :

فتكلمت تلك الديار ولم تكن   تلك الديار تكلم الزوارا

(1) سورة البقرة : ١٩٦ .

وقوله : { الحمول } ؛ فالحمول : ما يحمل عليه من الإبل ، وهي الحمول ؛ والحمول - أيضاً - قال الله (تعالى) : ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشا ﴾ (١) ؛ فالحمولة : كبار الإبل ؛ والفرش : صغارها ؛ والحمولة : ما يُحمل عليه ؛ والفرش : ما لا يُحمل عليه ؛ والحُمولة (بضم الحاء) : المتاع الذي يُحمل عليه من الإبل ؛ ويحتمل أن يكون أراد الحُمولة (بضم الحاء) ، وعلى ذلك الركبان ؛ قال المُتنبي :

من رآها بعينها شاقه القطان ... فيها كما تشوق الحمول

وأما قوله : { تغرب } ، أي : غوارب ، وغاربات ، وغرب : (جمع) ، واحده : غارب ؛ وغاربة : الأنثى ؛ ويحتمل غرب : اسم رجل ؛ والله أعلم ؛ قال الشاعر وأجاد :

بعيني رأيت الشمس يوم تحملوا ... وحثوا المطايا في المغارب تغرب

ووجدت : أن غرب جبل بالشام .

وقوله : { سرت بسليمى والرباب وزينب } ؛ فسرت : يعني الحمول ، أي : الإبل سرت بسليمى ؛ وسرت : من سرى الليل ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ (٢) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ (٣) ؛ تقول : منه سرى ، وأسرى ، ثلاثي ورباعي ؛ قال الشاعر :

وإن امرئً أسرى إليك ودونه ... من الأرض موماة وبيداء سملق

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٢ .
(٢) سورة الفجر : ٤ .
(٣) سورة الإسراء : ١ .

وقال غيره :

عند الصباح يحمد القوم السرى ....

وقوله : { والرباب وزينب } ؛ والرباب : اسم امرأة ؛ وكذلك زينب : اسم امرأة ؛ قال الشاعر :

قلت فوا أسفاً بها ريح الصبا بعد الأفول وزينب ورباب

وأما قوله : { وكل غضيض الطرف أحور أشنب } ؛ فـ [كل] : مضى تفسيرها ؛ وغضيض الطرف : من قوله : غض بصره ، يغضه غضاً ، فهو غاض ؛ وطرف غضيض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قل للمُؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾ (١) ؛ قال عنترة :

دار لآنسة غضيض طرفها طوع العناق لذيذة المُتبسم

والغض : الفتور من الطرف ؛ قال جرير :

فغض الطرف أنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والأحور : الأبيض ؛ والحوراء : البيضاء ؛ والعين الحوراء ، فيها ثلاثة أقوال :

قال أبو عُبيدة : والحوراء : شدة بياض العين في شدة سوادها ؛ وقال أبو عُبيدة الشيباني : الحوراء : السوداء العين الذي ليس في عينها سواد بياض ، وهذا لا يكون في الأنس ، ولا يكون في الوحش ؛ وكذلك قال سعيد بن جبير ، في قوله : (حوراء العين) ، لأن الأحور : أسود العين .

(١) سورة النور : ٣٠ .

قال ابن السكيت : الحور عند العرب : سعة العين ، وكبر المقلة ، وكثرة البياض ، فضرب الحور حسنه المحاجر ، صغرت العين أم كبرت ؛ قال الفراء : الحور العين ، فيها لغتان حورٌ عين ، وحورُ عين ، والحواريون : المجاهدون ؛ وقيل : الحواريون : القصارون ؛ وقيل : الصادقون ؛ وقيل : الملوك ؛ وقيل : هم خاصة الأنبياء .

وأما قوله : { أحور أشنب } ؛ تحديد في الأسنان ؛ قال الشاعر :

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب

وقال غيره :

بأبي أنت وفوك الأشنب كأنما ذر علينا الذرنب

وقال الشامي :

قلت عديني بالوصل سيدتي فابتسمت عن واضح أشنب
ثم قال سراً لجارتها قد عاش من بعد موت أشعب

وقوله : { فشطت ديار الحي بعد تقرب } ؛ شطت : بعدت ؛ قال الشاعر :

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غد بعد

وقوله : { ديار الحي } : موضع إقامتهم بها ؛ قال الشاعر :

قف بالديار فحيها بتحية واستخفها واستخبر استخبارا

وقد تقدم شيء من هذا في : الدار ، والديار ، والحي ؛ و [بعد] : كلمة دالة على الشيء الأخير ؛ تقول : هذا بعد هذا ؛ وهذا منصوبة ، إذا

لم تكن غاية ؛ فلما قلت : أما بعد : رفعته على الغاية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ (١) ؛ وأما التقرب : فهو التفعل من التقريب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ (٣) ؛ وقال الشاعر :

ليالي لا أسماء منك بعيدة ... فتسلوا ولا أسماء منك قريب

مسألة : فإن قيل : لِمَا قلت : قريب ، ولم تقل : قريبة ، وهي مُؤنثة ؟ قل : لأنه ظرف وليس بصفة ، والعرب تفعل ذلك في قريب وبعيد ؛ ويقولون : الدار قريب وبعيد ، يكون في الجمع والمُؤنث بلفظ واحد ، ولا يدخلون فيه (الهاء) ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٤) ؛ قال ابن زيد الطائي ، ووصف هزبراً :

أرمي ضيغما شرسا ... وعينه في الدجى مسترق لمع

فقال : (مسترق لمع) ؛ ولم يقل : (مسترقة لمعة) ، وهي مُؤنثة ، لأن العرب تصف المُؤنث بصفة المُذكر ، يريدون به جنسها ، والجنس مذكر ، يجوز أن تقول : امرأة جالس وقاعد ، يريد جنس المرأة لا المرأة ؛ قال :

ولعين الناس وأركانهم ... مخالف للزمن الساقط

فقال : (مخالف) ، ولم يقل : (مخالفة) ، لأنه أراد به الجنس ؛ فإن جعلت قريباً أو بعيداً صفة في معنى مُقتربة ، قلت : هي قريبة ، وهما

---

(١) سورة الروم : ٤ .
(٢) سورة هود : ٨١ .
(٣) سورة الصف : ١٣ .
(٤) سورة الأعراف : ٥٦ .

قريبان ، وهن قريبات ، فقس على هذا وتبينه ، تصب إن شاء الله تعالى ؛ ولم نجعل في كِتابنا هذا إلاّ أنه قد جرى ذِكره .

وأما قوله : { فيا للنوى تعساً له } ؛ منصوب على المصدر ، وهي كلمة موضوعة للذم ، تقول العرب لمن تدعو عليه ؛ قال الشاعر :

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

قال الله (ﷻ) : ﴿ فتعساً لهم ﴾ [1] ؛ والتعس : أن يخر الإنسان على وجهه .

وقوله : { تعساً له } : جار ومجرور ، و (الهاء) في [له] ، عائدة على النوى ، وموضعه الجر باللام الزائدة ، والمُعذب : المفعول : وهو من العذاب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾ [3] ؛ وقد ذكر الله (ﷻ) ، العذاب في مواضع كثير من القرآن الكريم .

وأما قوله : { تملك قلبي بعدهن فأضناني } ؛ فتملك : تفعل من الملك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾ [4] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ [5] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قل اللّهُمَّ مالك المُلك تؤتي المُالك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ [6] ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة محمد : ٨ .
(٢) سورة الأنفال : ٣٣ .
(٣) سورة الأنفال : ٣٤ .
(٤) سورة النمل : ٢٣ .
(٥) سورة الإنفطار : ١٩ .
(٦) سورة آل عمران : ٢٦ .

أما يكفيك أنك تملكيني   وأن الناس كلهم عبيدي

والقلب : معروف ، وقد مر تفسيره .

وقوله : { بعدهن } ؛ وقد مر تفسير (بعد) ؛ وأما الضمير المُتصل بها ، فعائد على : سليمى ، والرباب ، وزينب .

وأما قوله : { فأضناني } ؛ فالضناء : المرض ؛ والهزال : من الهوى ؛ قال الشامي :

والضنا ألف الصبا وتنكرت أحواله   ....

وقال غيره :

يقول لقد أصبحت مضنى مسقما   وشاهد دعوى العاشق السقم والضنا

بيت القصيدة :

سما نحوهم طرفي وقد شطت النوى   بهم وعرتني نهكة الشوق والجوى

وصرت أسيراً بعدهم لِيَدِ الهوى   أشاق الهوى من أجل من سكن اللوى

وأهوى بذاك الجزع إذ نزلوا الثوا   فارتاع للبرق المضيء بخفان

الشرح :

قوله : { سما نحوهم } ؛ فسما : ارتفع ، وسميت السماء سماء : لارتفاعها وعلوها ؛ وكل ما علاك وأظلك : فهو سماء ؛ وسما : فعل ماض ؛ تقول : سما ، يسمو ، سمواً : إذا ارتفع ؛ قال امرؤ القيس :

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا   وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

وقال :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حال على حال

وقوله : { سما نحوهم } ؛ فنحوهم ، يعني : قصدهم ؛ تقول : نحوت نحو فلان ، أي : قصدت قصده ؛ والناحية : كل جانب ، تنحى عن الفرار ؛ وسمي النحو نحواً : لقصده البيان ؛ قال :

وللكلام وجوه في تصرفه والنحو فيه لأهل النحو أنحاء

والضمير المُتصل بنحو موضعه ، والضمير على ما تقدم ذِكره .

وقوله : { سما نحوهم طرفي } ؛ فالطرف : طرف العين ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قاصرات الطرف ﴾ [(١)] ، أي : حابسات الطرف ، لا ينظرن إلى غير أزواجهن ؛ والطرف : واحده وجمعه سواء ؛ قال الشاعر :

فلو أن طرفاً صاد طرفاً بطرفه لصدت بطرفي طرف ذات المطارف

قيل : الطرف : تحريك الجفون ، وهو أن يشخص النظر ؛ وفلان يطرف ؛ والطرف : اسم جامع للبصر ؛ ولا يُثنى ، ولا يُجمع ؛ و [قد] : حرف ، وقد مر تفسيره ؛ وشطت : قد مر - أيضاً - تفسيره ؛ وقد مر - أيضاً - ذِكر النوى ، والإحتجاج عليه .

وقوله : { بهم وعرتني نهكة الشوق والجوى } ؛ فقوله : عرتني ، أي : أصابتني ؛ يقول : عراك أمر يعروك : إذا غشيك وأصابك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن نقول إلاَّ اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ [(٢)] ؛ والعرة : الجرب ؛ قال النابغة :

---

(١) سورة الصافات : ٤٨ ؛ سورة ص : ٥٢ ؛ سورة الرحمن : ٥٦ .
(٢) سورة هـود : ٥٤ .

فحملتني ذنب امرئ وتركته كذا العر يكوى غيره وهو راتع

والمعرة في القرآن الكريم : هو الإثم والجناية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ معرة بغير علم ﴾ [1] ، أي : إثم ؛ والعرة : القدرة .

يُقال : العرة تذهب الغرة .

قيل : العر : الجرب ؛ والغرير : يخرج من مشافر الإبل ، فتلوي أعناقها لأجله ؛ وفي العرة والغر أكثر من هذا تركته .

وقوله : { وعرتني نهكة الشوق والجوى } ؛ فالنهكة : الهلاك من المرض ؛ والنهك : التنقص ؛ والشوق : معروف : وهو يُراع المُحب وحبيبه ، أي : المحبوب ؛ والمحبوب : مشوق ؛ والمُحب : شائق ؛ قال المُتنبي :

وقفنا ومما زاد بثا وقوفنا فريقي هوى منا مشوق وشائق

والشوق : الاسم ؛ والجوى : مرض في الجوف ، ويكون في القلب ؛ قال ابن دريد :

يُرجى اصطباري وأنى يكون يصير لقلب عميد الجوى

صرى : مثل ذو جوى : وهو الذي فيه الداء ؛ قال الشاعر :

أروم صديقا أستريح من الجوى إليه وبحر الأصدقاء غزّير
تصح لي الأقدام ظاهر ودهم وتأبى طباع أن يصح ضمير

وأما قوله : { وصرت أسيراً بعدهم لِيَدَ الهوى } ؛ فصرت : فعل ماض ؛ يقول : صرت أسيراً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ألا إلى الله تصير

(١) سورة الفتح : ٢٥ .

الأمور ﴾ (١) ؛ وهي من أخوات [كان] ، تنصب الخبر ، وترفع الإسم ، و [التاء] المُتصلة بها موضعها الرفع ، لأنها اسم ظرف ، والخبر : أسيراً ؛ والأسير : هو المأسور ؛ وفعيل ، بمعنى : مفعول ، مثل : قتيل ومقتول ؛ وجريح ومجروح ؛ والأسير : هو المحبوس ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ (٢) ؛ قال التهامي :

وأهوى يداً في طرفها لا لزينة ولكن قلبي حيث سارت أسيرها

قال الله (تعالى) : ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ (٣) ؛ قرئت : [وإن يأتوكم أسرى تفدوهم] ؛ والأسارى : جمع أسير ؛ وقد مر تفسير (بعدهم) .

وأما قوله : { لِيَدَ الهوى } ؛ فليس للهوى يد على الحقيقة ، ولكن هذا على الاستعارة ، ومُجاز اللغة وسعتها ؛ واليد في اللغة لها وجوه كثيرة ، فمنها : الجارحة المُركبة في الإنسان ؛ وهي منفية عن الله (عز وجل) ، قال (تعالى) : ﴿ بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ (٤) ؛ قال المُفسرون : يداه : نعمه وقدرته دائمتان لا ينقصهما شيء ؛ قال الشاعر :

ولها علينا نعمة سلفت لسالف الهجران يجحدها
لو تممت أسباب نعمتها تمت بذلك عنه بأيدها

قوله : { الهوى } ؛ قد مر تفسيره .

---

(١) سورة الشورى : ٥٣ .
(٢) سورة الإنسان : ٨ .
(٣) سورة البقرة : ٨٥ .
(٤) سورة المائدة : ٦٤ .

وقولـه : { أشـاق الـهوى مـن أجـل مـن سكن اللـوى } ، قـد مـر تفسيره ، والقول فيه .

وقولـه : { مـن أجـل } ؛ كمـا تقـول : فعلـت هـذا مـن أجلـك ؛ ومـن جـزاك ؛ ومـن جريـر ؛ بـل وحيـدك : كلـه بمعنـى واحـد ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل ﴾ (١) .

وقولـه : { سـكن } : فعـل مـاض مـن السـكون ؛ سـكت ، بمعنـى : سـكن ، مـن السـكون ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ولمـا سـكت عـن موسـى الغضـب ﴾ (٢) ؛ أي : سـكن ؛ وأقـول : سـكنت الـريح ، وسـكن المطـر ؛ والسكن (مجزوم غير مُتحرك) : هـم العيـال ، وهـم أهـل البيـت ، وهـم السُكان ؛ والسِكان ـ أيضـاً ـ : ذنـب السـفينة الـذي يُعدل بـه ؛ والسكن (مجزوم) ـ أيضاً ـ : المنزل ، هو : السكن ؛ والسكن (المُحرك) : هو الرحمة ، ونسكن ونستريح إليه ؛ ومنـه قولـه (ﷻ) : ﴿ إن صلاتك سكن لهم ﴾ (٣) ؛ وسكنت بالمكان ، أي : أقمت به ؛ قال :

واسكن مـا سكنـت ببطـن وادٍ   وأظعـن مـا ظعنـت ولا أسيـم

وقوله : { وأهوى بذاك الجزع إذ نزلوا الثـوى } ؛ أهوى : من الهوى ، وقد مر ذِكره ؛ والجزع : قد مر تفسيرها أيضاً ؛ و [إذ] : يُخبر بهـا مـا مضـى مـن الزمـان ، وهـي واجبـة ، تقـول : أتيتـك إذا أتـاك زيـد ، و [إذا] تكون للتقبل ، ولغير الواجب ؛ تقول : أتيتك إذا أتاك زيد .

وقـد قيل : أن تكون ـ أيضاً ـ لما يُستقبل ؛ كما تكون [إذ] لمـا يُستقبل ، وهـي فـي القـرآن الكريم ، والأشعار كثير ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذ قال الله

(١) سورة المائدة : ٣٢ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٤ .
(٣) سورة التوبـة : ١٠٣ .

يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس ﴾ [1] ؛ فهذا للمُستقبل ، لأن عيسى (عليه السلام) بعده لم يقل ، وإنما أخبر الله (عز وجل) عما هو قائله لا مُحالة ، لعلمه بما يكون قبل أن يكون ؛ وكذلك قوله (تعالى) : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ [2] ؛ [إذ] التي معناه الإستقبال ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون ﴾ [3] ؛ وفي هذا كثير تركته خوف الإطالة .

وقوله : { إذ نزلوا الثوى } ؛ فنزلوا : أقاموا ؛ والمنزل : المكان الذي يُنزل فيه ، والجمع : منازل ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ [4] ؛ تقول : نزل الرجل بالمكان ، إذا وقف به وأقام ؛ قال عمرو بن كلثوم :

وأنا المانعون إذا حمينا   وأنا النازلون بحيث شينا

وقوله : { إذ نزلوا الثوى } ؛ الثوى : وجدتها بالنون ، والتاء ، والثاء ؛ فإن كانت بالنون : النوى ، فقد مر تفسيره ؛ وإن كانت بالتاء : فالتوى ، يعنى : الهلاك ؛ وإن كانت بالثاء ، فالثوى : يعنى : الإقامة ؛ ولا أحسبه إلاّ (بالثاء) ؛ قال الحارث بن حلزة :

آذنتنا ببينها أسماء   رب ثاو يمل منه الثواء

وأما قوله : { فارتاع للبرق المُضيء بخفان } ؛ فارتاع : مأخوذ من الروع : وهو الفزع ، وقد مر تفسيره ؛ والبرق : معروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ [5] ؛ قال

---

(1) سورة المائدة : ١١٦ .
(2) سورة سبأ : ٥١ .
(3) سورة سبأ : ٣١ .
(4) سورة يس : ٣٩ .
(5) سورة البقرة : ١٩ .

عليّ بن أبي طالب : الرعد صوت ملك يزجر السحاب بالتسبيح والثناء ، والبرق يلقيه يميناً وشمالاً .

وأكثر قول أهل العلم : أن البرق ملك ، أو صوت الملك ؛ وعن شهر بن حوشب : أن الرعد صوت ملك ، يقول : سبحان ربي العظيم ؛ وقال ابن عباس : الرعد : ملك من الملائكة ، وهو الذي يسمعون صوته ، والبرق : سوط من نور ، يزجر به السحاب ؛ وكذلك عن مجاهد وعكرمة .

وفي الحديث : أن الله (ﷻ) ، يُنشئ السحاب ، فينطق أحسن النطق ، ويضحك أحسن الضحك ؛ وقيل : منطقه الرعد ، وضحكه البرق ؛ وقال الأعلى : البرق : مخاريق الملائكة ؛ وقال مُجاهد : البرق : مضغ ملك ؛ والمخاريق : ثياب تضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً ؛ قال عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

والمضغ : التحريك والضرب ؛ قال القطامي :

تراهم يعمرون من اشتركوا ويحتنبون من صدق المضاغا

تقول : رعدت السماء ؛ وبرقت ، وأرعدت ، وأبرقت : بمعنى واحد ، قال الله (ﷻ) : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ [1] ؛ قال الشامي :

يختطف البرق فؤادي كلما أنست من أرض الشام بارقا

وقال امرؤ القيس :

---

(١) سورة البقرة : ٢٠ .

أحار ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مُكلل

أراد (حارث) ، فرخم ، فقال : أحار وميض البرق لمعانه ، إذا كان خفيفاً ، يومين ملأ عين ؛ والجواب : إيماض برق في عماء ناصب ، والحبي ما أشرف من الغيم ودنا منه ؛ والمكلل : الذي بعضه فوق بعض ، وأضاء : إذا لاح وأشرق تلألأ ؛ شعراً :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى ينظم الجزع ثاقبه

وخفان : اسم مكان ؛ قال الشاعر لليلى الأخيلية :

وأشجع من ليث بخفان جاذر قوم بخفان عهدناهم
سقاهم الله على نوئه نوء السماكين فرواهم

برق تلألأ : زانه الضوء .

بيت القصيدة :

أقول وقد جادت أكف الهواطل وهبت لنا ريح الصبا بالأصائل
ترى أن سلمى بعد شحط المنازل ترق لما بي من جوىً وبلابل
وتعلم أني بعدها غير آهل تهيج لي التذكار حسرة ثكلان

الشرح :

أما قوله : { أقول } ؛ والقول : حكاية عن الكلام ؛ يقول ، قال ، فهو : قائل ؛ والقائل : هو المُتكلم ، وهو : الفاعل ؛ والمفعول : هو الكلام ، وهو : المفعول ، وقد مر تفسير هذا .

وقوله : { وقد جادت } ؛ جادت : من الجود ؛ والجود : المطر

الكثير ؛ وقد جاد السماء تجود جوداً ، إذا أمطرت مطراً كثيراً (بغير ألف ، وهو فعل ثلاثي) ؛ وتقول : أجَاد زيد في فِعله يجيد جُوداً ، (مضمُومة الجيم ، والأولى مفتوحة الجيم) ، وهذا فعل رُباعي ؛ قال الشاعر :

يا من غدا إنسان عين الورى وحيلة الأيام تعلو الذرى
بكل ذي الإحسان من فعله وجوده كالجود إذ تمطرا

وقوله : { أكف الهواطل } ؛ فأكف : جمع كف ؛ قال الشاعر :

جواد سمت في الخير والشر كفه سموا يود الدهر أن اسمه كف

وليس للهواطل كف على الحقيقة ، وإنما هذا على الإستعارة ومجاز اللغة ، وقد تقدم مثل هذا فيما مضى ؛ وجمع الكف : أكف ؛ وتثنيته : كفان ؛ قال الشاعر :

إن سحت لي يداه فاسكن يداه وإن شطت بي كفاه فكفاه

والكف : مُؤنثة ؛ والهواطل : السحاب ، سُميَ بفعله ، لأنك تقول : هطلت السحابة ، تهطل ، هطلا [1] ؛ والهواطل : جمع هاطلة ؛ تقول : هطل السحاب ، وانهل ، وانهمل ، وهتن ، وهتل ، وسح ، وانسح ، وجاد : كل هذا بمعنى واحد ؛ قال المُتنبي :

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل

وقال غيره :

وستر الندى ستر العراب سعادة فيبدو وهل يخفى الرباب الهاطل

---

(١) في نسخة أخرى : وهطلانا .

الرباب : السحاب ؛ والهاطل : المطر .

وقوله : { وهبت لنا ريح الصبا بالأصائل } ؛ تهب : من الهبوب ؛ قال الشاعر :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكونا

والريح : معروف ؛ وقيل : الرياح تأتي بالرحمة ؛ والريح تأتي بالعذاب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ (1) ؛ ﴿ صرصر ﴾ ، أي : باردة ؛ وقال الله (ﷻ) ، في الخير : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ (2) .

وقال بعض : الريح تكون في الخير والشر جميعاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ﴾ (3) ؛ فالريح ها هنا في موضع الرحمة ؛ وقال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (4) ؛ فالريح ها هنا بمعنى النصر ، أنه يعني : يذهب نصركم ؛ لأنه قيل : ما كان نصر قط إلاّ بريح ، فسُميَ بها على الإستعارة والمجاورة .

وفي الحديث : " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور " ؛ ومهاب الرياح أربع ، وهي : القبول ، والدبور ، والشمال ، والجنوب ؛ قال امرؤ القيس :

ويعقبه جنوب وصبا وقبول ودبور وشمل

فالصبا : ريح تأتي من مهب الجنوب إلى مهب القبول ؛ وتأتي من مهب القبول إلى مهب الشمال ، سُميت صبا ، لأنها صبت ، فجاءت من

---

(1) سورة الحاقة : ٦ .
(2) سورة الحجر : ٢٢ .
(3) سورة يونس : ٢٢ .
(4) سورة الأنفال : ٤٦ .

بين مهب ريحين ؛ قال الشاعر :

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

وأما الأصائل (فجمع أصيل) : وهو آخر النهار ، وجمعه أصائل ، وآصال ؛ وتصغيره : أصيل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ بالغدو والآصال ﴾ (١) ، جمع : أصيل ؛ قال عمرو بن كلثوم :

تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلاً حدينا

وقال الشامي ، في الجمع :

حين ديني سوى المدام وداني شربها بالغدو والآصال

وقال أيضاً :

لم يبق لها الوجد بالظهيرة ظهراً بالله ولربك بالآصائل أوصالي

وأما قوله : { ترى أن سلمى بعد شحط المنازل } ؛ فـ [ترى] : فعل لم يُسم فاعله ، و [أن] : حرف تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ كقولك : أن زيداً خارج ؛ وفي التنزيل ، قال الله (ﷻ) : ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ (٢) ؛ وسلمى : اسم امرأة ، وموضعه النصب بأن ، ولكنه مُعتل ، لا يتبين فيه الإعراب ، وقد مر تفسيره أيضاً ؛ وشحط المنازل : بعدها ؛ قال شِعراً :

طرقت هند لحبيب غدوة قد من طيف وربع قد شحط

(١) سورة الأعراف : ٢٠٥ ؛ سورة الرعد : ١٥ ؛ سورة النور : ٣٦ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ؛ سورة المائدة : ٣٩ ؛ سورة الأنفال : ٦٩ ؛ سورة التوبة : ٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ؛ سورة النور : ٦٢ ؛ سورة الحجرات : ١٤ ؛ سورة الممتحنة : ١٢ ؛ سورة المزمل : ٢٠ .

وقال الحريري :

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو سقط
وأطعه إن عاصى وإن هو عز وأدن إذا شحط

والمنازل : جمع منزل ؛ واحده : منزل ، وقد مر تفسيره .

وأما قوله : { ترق لما بي من جوىً وبلابل } ؛ ترق : مأخوذ من الرقة والرحمة ؛ رقيت الرجل ورحمته ، ورثيت له ؛ والجوى : معروف ؛ قال الشاعر :

ويا حبها زدني جوىً كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

والبلابل : جمع بلبال ؛ قال الشامي :

وباتوا على عرفان غير توهم وعندي من الذكرى رسيس وبلبال

وأما قوله : { وتعلم أني بعدها غير آهل } ؛ فـ [تعلم] : من العِلم ، وهو ضد الجهل ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض ﴾ (١) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ وما يعلم تأويله إلاّ الله ﴾ (٢) ؛ قال زهير :

وما الحرب إلاّ ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرخم

وأما قوله : { وتعلم أني بعدها غير آهل } ؛ فـ [غير] : تكون استثناء ، تقول : هذا درهم غير دانق ، يعني : إلاّ دانق ؛ وتكون اسماً ،

---

(١) سورة البقرة : ١٠٧ ؛ سورة المائدة : ٤٠ .
(٢) سورة آل عمران : ٧ .

تقول : مررت بغيرك ، وهذا غيرك ؛ وتكون نعتاً ، تقول : هذا درهم تام غير دينار ، معناه : مُغاير دينار ؛ وإذا قلت : مررت بغير واحد ، فمعناه : بجماعة ؛ و [غير] لا تكون عند المُبرد إلاَّ نكرة ؛ قال غيره : تكون نكرة في حال ، ومُعرفة في حال .

وقوله : { غير آهل } ؛ فـ [آهل] ، معناه : مُقيم ؛ قال المُتنبي :

لك يا منازل في القلوب منازل　　أقفرت أنت وهُن منك أواهل

أواهل ، يعني : مُقيمات .

وقوله : { تهيج لي التذكار حسرة ثكلان } ؛ وثكلان ، وتهيج : قد مر تفسيره أيضاً ؛ والحسرة : معروفة : وهي التأسف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

فوا أسفاً لو كان يغني التأسف　　ويا حسرتاً لو كان يغني التحسر

وأما قوله : { حسرة ثكلان } ؛ فالثكلان ، والثاكل ، هو : الفاقد لولده ، أو أبيه ، أو أخيه ، أو أحد من قرابته ؛ والأنثى : ثكلى ، على قول : فعلى ؛ قال المُتنبي :

كأن الجفون على مُقلتي　　ثياب شققن على ثاكل

وقال غيره :

وقد زعموا أن النجوم خوالد　　ولو حاربته ناح فيها الثواكل

---

(١) سورة يـس : ٣٠ .
(٢) سورة الأنعام : ٣١ .

وقال غيره :

كأنك أبصرت الذي بي فخفته إذا عشت فاخترت الحمام على الثكل

الثكل : اسم ؛ والثواكل : جمع ثكلى .

بيت القصيدة :

ألا أنني صبٌ بسلمى مُتيم فيا ليتها تدري بما بي وتعلم
وفي مُهجتي بعد التحكم تحكم وتقضي وإن كانت تجور وتظلم
فقلبي بأيدي حُبها مُتقسم فأي عزاء لي وصبر وسلوان

الشرح :

فقوله : { ألا أنني صب بسلمى مُتيم } ؛ فـ [ألا] : قد مر تفسيره .

وقوله : { صب بسلمى } ؛ فـ [الصب] : مأخوذ من الصبابة ؛ قال الخليل : الصبابة : المحبة ، والوجد بها ؛ والصبابة : مصدر الرجل الصب ، والفعل منه : يصب إليها ؛ يصب عشقاً ، فهو صب بها ؛ والرجل يصب ، أي : به صبابة برقة الشوق ؛ تقول : صب الرجل ، يصب ، صباً ، وصبابة ؛ قال الشاعر :

يصب إلى الحياة ويشتهيها وفي طول الحياة له عناء

وقوله : { مُتيم } ؛ المُتيم : المُستعبد بالهوى ؛ وتيم الله : عبد الله ؛ وتيم اللات : عبد اللات ؛ قال الشاعر :

أبى الله أن يلقى الرشاد مُتيم ألا كل أمر حم لابُد واقع

وقال غيره :

فقلت لقد هجتن صباً مُتيماً حزينا ولا منكن واحدة تدري

وأما قوله : { فيا ليتها تدري بما بي وتعلم } ؛ فـ [يا] : حرف نداء ؛ و [ليت] : تمني ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ [1] ؛ قال طرفة :

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي

وقوله : { فيا ليتها تدري } ؛ فـ [تدري] : من الدراية ، وهي : العِلم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ [3] ؛ قيل : ما كان في القرآن ؛ وما أدراك فقد أدراه ؛ وإن كان من يدريك فإنه لا يدريه ؛ قال الشاعر :

إلى الله أشكو إن قلبي مُعذب بحب الذي لم يدر أني أحبه
بلى قد درى لكن أعرض باسمه فتنكر عيناه ويعرف قلبه

وقال :

إذا لم تكن تدري ولم تك بالذي تسائل من يدري فكيف إذا تدري
ومن أعظم البلوى فإنك جاهل وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وقد مر تفسير بقية المصراع .

وأما قوله : { وفي مُهجتي بعد التحكم تحكم } ؛ فقد مر تفسيره

(١) سورة النساء : ٧٣ .
(٢) سورة الشورى : ١٧ .
(٣) سورة القارعة : ١٠ .

أيضاً ؛ وأما المُهجة ، فقد قيل : أنها دم القلب ؛ وقال ابن الأستاري : المُهجة ، هي : النفس ؛ قال أحمد بن عُبيد : المُهجة ، هي : خالص الشيء ، من قولهم : لبن ماهج ، أو مهجان ، إذا كان خالصاً ؛ قال الشامي :

ولم تبق إلاَّ مُهجة شفها الجوى الطويل وعيناً فرحتها المدامع

وقال غيره :

وقد ضمنت ألحاظها مُهجتي لها بأني لا أنفك فيها رهينها

وأما قوله : { بعد التحكم تحكم } ؛ فـ [التحكم] : التفعل : من الحكم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ [2] ؛ قيل : والحكم ، هو : المقسط العالم النبيه ؛ قال الشاعر :

تناهيت عن ذِكر الصبابة فاحكم وما ضرني ذِكر الترسم سمسم

معناه : تنبه وتيقظ ؛ وقيل : الحكيم المُتقن للعِلم ، الحافظ له ، أخذ من قولهم : أحكمت الرجل ، إذا منعته ورددته ؛ ومنه سُميت حكمة البدانة ، وقيل للقاضي : حكم ، وحاكم لفعله ، وكمال أمره ، ويحتمل أن يكون سُميَّ : حاكماً ، وحكماً ، لمنعه الناس من الظلم ؛ والله أعلم ؛ قال الشاعر :

أبني فزارة أحكموا سُفهاءكم إني أخاف عليكم أغضبا

---

(١) سورة النساء : ٦٥ .
(٢) سورة المائدة : ٤٢ .

معناه : امنعوا ؛ وفي الحديث : " الحكمة يمانية " ؛ فالحكمة : اسم الفعل ، لعله : العقل ، وجمعها ؛ قال الشاعر :

أطوف في الأباطح كل يوم مخافة أن يشرد بي حكيم

قوله : (يشرد بي) ، أي : يسمع بي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾ [1] ، أي : فسمع بهم ؛ وقيل : معناه فزع بهم من خلفهم .

وأما قوله : { وتقضي وإن كانت تجور وتظلم } ؛ فتقضي : من القضاء : وهو الحكم ؛ والقضاء في اللغة : على وجوه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه ﴾ [2] ، يعني : أمر ، وهذا أمر حتم ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكِتاب ﴾ [3] ، أي : أعلمناهم ، وهو : ما علمهم أنهم يفسدون في الأرض ، حتم عليهم بوقوع الخير ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ فقضاهن سبع سماوات ﴾ [4] ، أي : خلقهن وصنعهن ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ [5] ، أي : فاصنع ما أنت صانع ؛ ومعنى قضى : أحكم ، وفرغ من عمله ، وحكمه ، وقطعه ؛ قال ابن ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما داوود أو صنع السوابغ تبع

يعني : صنعهما داوود (عليه السلام) ؛ وقيل للحاكم : قاض ، لأنه يقطع الأمور ، ويمضي الحُكم على الناس ، وفيه أكثر من هذا ، تركته اختصاراً وإيجازاً .

---

(١) سورة الأنفال : ٥٧ .
(٢) سورة الإسراء : ٢٣ .
(٣) سورة الإسراء : ٤ .
(٤) سورة فصلت : ١٢ .
(٥) سورة طـه : ٧٢ .

وقولـه : { وإن كانـت تجـور وتظلـم } ؛ فـ [كانـت] : فعل مـاضٍ مُتصل بها ضمير التأنيث ، وهي : إذ ترفع الاسم وتنصب الخبر ؛ وتـأتي تارة بمعنى الحال ، وتارة بمعنى الإستقبال ؛ فلكونها تعني الحال ، قـال الله (ﷻ) : ﴿ وكـان الله عزيـزاً حكيمـاً ﴾ [(١)] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ وكـان الله غفوراً رحيماً ﴾ [(٢)] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وكان الله عليماً حليماً ﴾ [(٣)] ؛ فيكون المعنى : الله غفور رحيم ؛ والمعني : كان ؛ وقال بعض : يكون الماضي ؛ وجدت ساعته : وقد تجيء بمعنى : يكون ؛ قال الشاعر :

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا ... والمبكرين وللمجد الرائح
أن السماحة والشجاعة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبايح

فقال : يكون ، وقد كان ؛ ولفظها لفظ الاستقبال ، ومعناها : المُضي .

وقوله : { وإن كانت تجور وتظلم } ؛ فالجور : معروف ، وهو : الظلم ، ومعناه : الميل عن الحق ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومنها جائر ﴾ [(٤)] ، أي : مائل عن القصد ؛ وكل من زاغ عن الحق ، فقد حاد ، أي : مال عنه ؛ قال المعري :

وقبل يد الجاني التي لست قادراً ... على قطعها وانظر سقوط جداره
رأتك المنايا ظالما يا ابن آدم ... وبئس الفتى من جار عند اقتداره

---

(١) سورة النساء : ١٥٨ ، ١٦٥ ؛ سورة الفتح : ٧ ، ١٩ .
(٢) سورة النساء : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٢ ؛ سورة الفرقان : ٧٠ ؛ سورة الأحزاب : ٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ ؛ سورة الفتح : ١٤ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥١ .
(٤) سورة النحل : ٩

وقال الشاعر :

عجبت من أمة بالظلم قد نهجوا   وما لسُلطانهم في ذاك إنكار
جور الرعية من والي أمورهم   لو كان واليهم عدلاً لما جاروا

وقال غيره :

رأيت الناس ظلمهم كثير   ويقمعهم عن الظلم الأمير
وما يُرجى من السُلطان عدل   إذا كانت رعيته تجور

وقوله : { تجور وتظلم } ؛ الظلم - أيضاً - : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فقد جاءوا ظلماً وزوراً ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولم تظلم منه شيئا ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [4] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [5] ؛ قال الشاعر :

لا تقرب الظلم واجتنبه   فالظلم للعالمين مردي
لعن الله كل نفس   شيمتها الظلم والتعدي

والظلم : البخس والنقصان ؛ ظلمت فلاناً حقه ، أي : بخسته ونقصته ؛ والظالم : الفاعل ؛ ويُقال : قد ظلم المطر أرض بني فلان ، إذا أصابها في غير وقته ؛ وسُميَّ الظلم ظلماً ، لأنه وضع الشيء في غير

---

(١) سورة الفرقان : ٤ .
(٢) سورة الكهف : ٣٣ .
(٣) سورة الكهف : ٨٧ .
(٤) سورة لقمان : ١٣ .
(٥) سورة المائدة : ٤٥ .

موضعه ؛ وفي الحديث : " من أشبه أباه فما ظلم " ، أي : ما وضع الشبه في غير موضعه ؛ والمظلومة : حفرة في غير موضعها ؛ ويُقال : ظلم فلان فاظلم ، بطيب نفسه ؛ والسجي يظلم ، إذا كُلف ما لا يجده فيتكلف ؛ قيل : هو مظلوم ؛ قال زهير :

هو الجواد الذي يعطيك نائله   عفواً ويظلم أحيانا فينظلم

أي : احتمل الظلم كرماً لا قهراً ؛ وفي الحديث : " الظلم ظلمان على أهله يوم القيامة " ؛ والظلم ، يُقال له : الثلج ؛ ويُقال : هو الماء الذي يظهر على الأسنان ، من البريق لا من الريق ؛ والظلامة : اسم مظلمتك تطلبها عند الظالم ، تقول : أخذها مني ظلامة ؛ ورجل ظالم ، فظلوم ، والمفعول : مظلوم ؛ قال النابغة في المظلومة :

إلاّ الأواري لأياماً أبينها   والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

وأما قوله : { فقلبي بأيدي حُبها مُتقسم } ؛ فقد مر تفسير : القلب ، والأيدي ، والحُب .

وقوله : { مُتقسم } ، أي : مُتفرق ، لأنك تقول : قسمت المتاع بينهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى ﴾ [١] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ [٢] ؛ قال المُتنبي :

فلا موت إلاّ من سنانك يتقى   ولا رزق إلاّ من يمينك يقسم

وقال غيره :

---

(١) سورة النساء : ٨ .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

ونحن قسمنا الخير نصفين بيننا فقلت لها هالي وهالك هاليه

وأما قوله : { فأي عزاء } ؛ فـ [أي] : حرف استفهام ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأي الفريقين أحق بالأمن ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ أي منقلب ينقلبون ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ أيما الأجلين قضيت ﴾ (٣) .

والأي عند النحويين : أربعة مواضع ؛ تكون استفهاما ، كقولهم : أيهم أخوك ؛ وتكون جزاء : أيهم يكرمني أكرمه ؛ وقال الله (ﷻ) : ﴿ أياً ما تدعوا ﴾ (٤) ؛ وتكون خبراً ، كقولك : مررت برجل ، أي رجل ، ورأيت رجلاً ، أي رجل ، وتركت الإطالة فيها ؛ قال المُتنبي :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا ولم أدر أي الظاعنين أشيع

وأما قوله : { عزاء لي وصبر وسلوان } ؛ فالعزاء ، والصبر ، والسلوان : كله سواء بمعنى واحد ؛ ولكنهم قالوا : إذا اختلفت الألفاظ ، جاز تكرير المعاني ؛ والصبر : معروف ؛ قال الله (ﷻ) ، لنبيه (ﷺ) : ﴿ واصبر وما صبرك إلاَّ بالله ﴾ (٥) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (٦) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ (٧) ؛ قال الستالي :

أضاع لدي الوجد ما حفظ الصبر وهون فعل البين ما فعل الهجر

وقال :

---

(١) سورة الأنعام : ٨١ .
(٢) سورة الشعراء : ٢٢٧ .
(٣) سورة القصص : ٢٨ .
(٤) سورة الإسراء : ١١٠ .
(٥) سورة النحل : ١٢٧ .
(٦) سورة الأحقاف : ٣٥ .
(٧) سورة البلد : ١٧ ؛ سورة العصر : ٣ .

والصبر أبلغ ما ينال به الذي يرجى ولا نيل بمن لا يصبر

قال الله (ﷻ) : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [1] .

وقال مجاهد : هو الصوم ؛ وسُميَّ الصوم : صبراً ، لأن الصائم يصبر ، يحبس نفسه ويصبرها عن أكل الطعام والشراب .

تقول : صبرت نفسي على الأمور ، أي : حبستها .

وسُميَّ رجب شهر الصبر ، أي : شهر الصوم ، وشهر التلبية ، مأخوذ في حدا ؛ وللتلبية حديث يطول ، تركته للإختصار والإيجاز .

وعزيت فلاناً : واسيته ؛ قال الشاعر :

يعزي المُعزي ثم يمضي لشأنه ويبقى المُعزى في أشد من الجمر

والسلوان : فعلان : من السلو ؛ والسلو ، هو : الصبر عن الشيء ؛ وقال :

أتسلى بأخرى غيرها فإذا التي تسلى بها تعرى بليلى ولا تسلي
فلما أبى إلاَّ جماحا فؤاده ولا يسل عن ليلى بمال ولا أهل

بيت القصيدة :

أحن إذا ما البرق لاح وأومضا وقهقه صوت الرعد في الدجن معرضا
وروى الحيا مغنى الوصال وروضا وفض الهوى عقد السلو ونقضا
وهب الكرى في كل جفن فأغمضا حنين الثكالى أو ترابيع فصلان

---

(1) سورة البقرة : ٤٥ .

الشرح :

فقوله : { أحن إذا ما البرق لاح وأومضا } ؛ أحن : من الحنين ؛ قال عمرو بن كلثوم :

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته ورجعت الحنينا

السقب : ولد الناقة ؛ وحنين الناقة : نزاعها ، وصوتها ، إذا اشتاقت إلى ولدها ؛ وقال المُتنبي :

أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم وأين عن المُشتاق عنقاء مغرب

وقد مر تفسير بقية المصراع ، ومن تفسير البرق والرعد أيضاً .

وقوله : { وقهقه صوت الرعد في الدجن معرضا } ؛ والقهقهة : حكاية صوت الضاحك ؛ قال الشاعر :

وإذا ضحكت فكن به مُتبسماً لا خير في القهقاه والفرفار

والدجن : إدامة المطر ؛ قال طرفة :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد

وقوله : { في الدجن معرضا } ؛ فالمعرض : هو العارض ؛ والعارض غير المستقبل : وهو الذي يأتيك من أحد جانبيك ؛ قال امرؤ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقال حادي رسول الله (ﷺ) ودليله ، يُخاطب ناقته :

تعرضي مدارجا وسومي تعرض الجوزاء للنجوم
هذا أبو القاسم فاستقيمي ....

وأما قوله : { وروى الحيا مغنى الوصال وروضا } ؛ فروى : من الري ، وقد مر تفسيره ؛ والحيا : المطر (مقصور ممدود) ؛ قال الشاعر :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلاّ الحياء

والمغنى ، قد مر تفسيره : وهو المنزل ؛ وأما الوصال : فهو الوصل ؛ قال الشامي :

ليت شعري والدهر ذو حدثان هل تعود لنا ليالي الوصال

والوصال : صوم النهار مع الليل ، وذلك منهي عنه ؛ والوصال ـ أيضا ـ : أن تصل المرأة شعرها بشعر غيرها ، وقد جاء النهي عن ذلك أيضاً ؛ وهذه زيادة في الدجن ، كنت أغفلتها ؛ قال لبيد :

من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب إرزامها

سارية : سحابة سرت ليلاً ؛ ولا يكون السرى إلاّ بالليل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فأسر بعبادي ليلاً ﴾ [2] ؛ والغادي : السحاب الذي يجيء بالغداة ؛ والمدجن : المُظلم : وهو السحاب الأسود الذي يسود منه الأفق ؛ ويوم الدجن : يوم المطر ؛ تقول : يوم داج ، ويوم دجن ، كله بمعنى : الظلمة والمطر ؛ والدجن : المطر الدائم الذي لا يقلع .

(١) سورة الإسراء : ١ .
(٢) سورة الدخان : ٢٣ .

وأما قوله : { وروضا } ؛ فروض : أصاب الروض ، والرياض : جمع روضة ، يعني : أن الحيا أصاب الرياض ، فأنبت شجرها ، وفتق زهرها ؛ قال الستالي :

في روضة نسج السحاب لأرضها   وشيين بين مفوف ومدبج

وقال الشاعر :

إذا الروض لاح البوض فيه ورقرقت   عليه مع الأشجار أنفاسها الصبا

وقال الشاعر :

وإذ نحن يلهينا غدير وروضة   وشرب وقينات وأصفر جربال

وأما قوله : { وفض الهوى عقد السلو ونقضا } ؛ نقضا : فرق ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى ينفضوا ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٢) ؛ وقال الأفوه الأودي :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم   ولا سراة إذا جهالهم سادوا

قوله : (فوضى) ، أي : مُتفرقين ؛ وفوضى : على وزن فعلى ؛ والهوى ، قد مر تفسيره ؛ والعِقد : هو القلادة الذي في الحُلي ، وهو بكسر العين ؛ وأما بفتح العين : فعَقد الحبل ، وعَقد العهد والميثاق ، وهو مصدر عَقدت عَقداً ؛ قال الشاعر :

قوم إذا عَقدوا عَقداً لجارهم   شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

---

(١) سورة المنافقون : ٧ .
(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

وقال التهامي في القطع : العِقد (بكسر العين) ، الذي هو القلادة :

قطع التنفس عقده من عضة ضلت تردد في سواد وريده
وبكى لفرقتنا فراقا فالتقى دران در دموعه وعقوده

والسلو : هو العزاء ، والتصبر على المحبوب ، وقد تقدم ذِكر هذا .

وقوله : { ونقضا } ، أي : فض ونقض عقد السلو ، فرقه وبدده بعد أن كان مُجتمعاً ، ومنصوباً بعضه إلى بعض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فوجدا فيها جداراً يُريد أن ينقض ﴾ [1] ، أي : يسقط ؛ وهذا على الاستعارة ومجاز اللغة ، لأن الجدار ليس له إرادة ؛ والسلو ليس له عقد حتى ينقضه الهوى ويفضه ؛ قال المُتنبي :

نسيت ولا أنسى عِتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حُمرة الخد
ولا ليلة قصرتها بقصورة أطالت يدي في جيدها صحبة العقد

وأما قوله : { وهب الكرى في كل جفن فأغمضا } ؛ فهب ، أي : انتبه ؛ تقول : هب الرجل من نومه ، أي : استيقظ ؛ قال الشاعر :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا نسائلكم هل يقتل الرجل الحب

وقوله : أن تكون هب من الهبوب ، لأنه يقول : { وهب الكرى في كل جفن فأغمضا } ؛ والكَرى : النوم (بفتح الكاف) ؛ قال الشاعر :

مات الكرام وبادوا وانقضوا ومضوا ومات في أثرهم تلك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي سفه لو أبصروا طيف طيف في الكرى ماتوا

---

(١) سورة الكهف : ٧٧ .

وقوله : { في كل جفن } ؛ قد مر تفسير [كل] ، والجفن : جفن العين ؛ والجمع : جفون وأجفان ؛ قال الشامي :

جفا النوم أجفاني فلست براقد وعاودني ذِكر الحسان الخرائد

قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، يرثي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

أجدك ما لعينك لا تنام كأن جفونها فيها كلام

كِلام (بكسر الكاف) : الجراحات ؛ ورجل كليم : جريح ؛ قال ابن دريد :

واتخذ التسهيد عيني مألفاً لما جفا أجفانها طيف الكرى

وأما قوله : { فأغمضا } ؛ فأغمض : فعل ماضٍ ، معناه : نام ؛ والغمض : النوم ؛ قال المُتنبي :

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ورُؤياك أحلى في العيون من الغمض

تقول : أغمض الرجل على القذا ، إذا صبر على ما يكره ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه ﴾ (١) ، أي : يتجاوزون يحتملون ، ولهذه الآية تفسير ، تركته خوف الإطالة .

وقوله : { حنين الثكالى أو ترابيع فصلان } ؛ حنين : منصوب على المصدر ، لأنه قال في أول البيت : { أحن إذا ما البرق لاح وأومضا } ؛ وقال هنا : { حنين } ، فكأنه قال : أحن حنيناً ؛ والحنين : قد مر تفسيره .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٧ .

وقوله : { ترابيع فصلان } ، لعله : يكون ترافض ؛ ومن روى : ترايع ، فلعله : يكون من الروع ، أو من الريعان ؛ والفصلان : جمع فصيل ؛ قال الشاعر :

أحن كما حن الفصيل صبابة   وأبكي كما يبكي الطريد المشرد

بيت القصيدة :

وإن أوقدت بالمندل الرطب نارها   وأذكت لمرتاد الديار أوارها
وهبت صباً هاجت إلينا انتشارها   تذكرت أيام الصبا واخضرارها
وروضات أكناف الحمى وازدهارها   فظلت كأني شارب كأس نشوان

الشرح :

وقوله : { وإن أوقدت بالمندل الرطب نارها } ؛ أوقدت النار : أشعلتها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأوقد لي يا هامان على الطين ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ النار ذات الوقود ﴾ (٢) ؛ قال المُتنبي :

عدوية بدوية من دونها   تكف النفوس ونار حرب توقد

وقال الشامي :

وليس بها إلاّ بقايا رجاله   وإلاّ بقايا رمد دفي المواقد

المواقِد (بكسر القاف) : الذي يُوقِد النار ؛ وقال أيضاً :

(١) سورة القصص : ٣٨ .
(٢) سورة البُرُوج : ٥ .

متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد

وقوله : { المندل الرطب } ؛ فالمندل الرطب : من العود ، ومن أجوده ، وأطيبه ، وأعلاه ؛ قال الشاعر :

عرج ركابك عن أرض تهان بها   ولا يكن لك في أرجائها أرب
وارحل إذا كانت الأوطان منقصة   فالمندل الرطب في أوطانه حطب

والرطب : ضد اليابس ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا رطب ولا يابس ﴾ [1] ؛ والنار : معروفة ، نعوذ بالله منها ؛ وقال الله (ﷻ) : ﴿ قل نار جهنم أشد حرا ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ النار ذات الوقود ﴾ [3] ؛ وهي في القرآن الكريم كثير ؛ قال الشاعر :

إن خوفتني بنار الحُب قلت لها   النار ترحم من في حرقة النار

وأما قوله : { وأذكت لمُرتاد الديار أوارها } ؛ فأذكت : أوقدت ؛ وأذكت النار : أوقدتها ؛ وذكا النار : إلتهابها (مقصور يُكتب بالألف) ، لأنه من ذوات الواو ؛ ومنه تقول : ذكت النار تذكو ؛ قال الشاعر :

وتضرم في قلبي اضطراماً كأنه   ذكا النار تُر فِيهِ الرياح اللواقح

وقال ابن دريد :

من ضيع الحزم جنى لنفسه   ندامة ألذع من سفع الذكا

والذكا (الممدود) : اشتعال النار ؛ وذُكا (مضموم الذال) : اسم من

---

(١) سورة الأنعام : ٥٩ .
(٢) سورة التوبة : ٨١ .
(٣) سورة البروج : ٥ .

أسماء الشمس ؛ وابن ذكا : الصبح .

وقوله : { لمُرتاد الديار } ؛ فالمُرتاد : هو الزائر ، وازدرت على وزن : افتعلت ، وهو من الريادة ، وقد مر تفسيره ، وقد مر تفسير : الدار ، والديار .

وأما قوله : { أوارها } ؛ الأوار : وهو شدة الحر ؛ قال :

يتعاورون من الرياح صراير   يشوي الوجوه بليلها وأوارها

وأما قوله : { وهبت صباً هاجت إلينا انتشارها } ؛ هبت : فهو من الهبوب ؛ قال الشاعر :

إذا هبت الأرياح من نحو أرضكم   بكى جزعاً حتى يُفارقه العقل

وقد مر شيء من هذا ، وقد مر - أيضاً - تفسير : الصبا ؛ وتفسير : هاجت .

وأما : { انتشارها } ، يعني : هبوبها ، وذهابها في كل وجه وناحية ؛ والنشر : الريح الطيبة ، وقد مر تفسيره ؛ والنشر ، والنشور : يوم القيامة ؛ والنشر : نشرك الثوب من الطي ؛ وانتشر الناس : تفرقوا ؛ قال الشاعر في النشور :

ففي البخل قبل الموت موت لأهله   وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءاً لم يحيى بالعلم ميت   وليس له حتى النشور نشور

وقال الشامي ، في النشر والطي :

يروض كأن النور فيه مطارف   من الوشي تطويها الرياح وتنشر

وأمـا قولـه : { تـذكرت أيـام الصبا واخضـرارها } ؛ فقد تقدم تفسـير : تـذكرت ، والـذكرى ؛ وأمـا الأيـام : فهـي جمـع يـوم ؛ واليـوم : مُـذكر ؛ والليلـة : مُؤنثـة ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ سـخرها علـيهم سـبع ليـال وثمانيـة أيـام حسـوما ﴾ [١] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ يـوم لا ينفـع مـال ولا بنون ﴾ [٢] ؛ قال امرؤ القيس :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي

وقد مر تفسير : الصبا ؛ وأما : { اخضرارها } ؛ فالاخضرار : من الخضرة ؛ تقول : اخضر ، يخضر ، اخضراراً ؛ وقيل : سُمي الخضر : لأنه كان إذا جلس في موضع ، أو صلى فيه ، اخضر ما حوله ؛ وقيل : سُميَّ خضراً : لحُسنه ، وجماله ، واشراق وجهه ، لأن العرب تسمي الحُسن المُشرق : خضراً ، تشبيهاً بالنبات الأخضر الغض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأخرجنا منه خضرا ﴾ [٣] ؛ وفي الحديث : " إياكم وخضراء الدمن " ، يعني : المرأة الحسناء الفاسدة الحسب ، تشبيهاً بالشجرة الخضراء النابتة في دمنة البعر ؛ قال خالد بن صفوان :

فما المرء إلاّ الأصغران لسانه ومعقوله والجسم خلقٌ مصور
وإن صورة راقتك فاختر فربما أمر مذاق العود والعود أخضر

وخضارة (لا ينصرف ، ولا يدخله ألف ولا لام) : اسم البحر .

وأما قوله : : { وروضات أكناف الحمى وازدهارها } ؛ فقد مر تفسير الروضات ، والأكناف ، والحمى ؛ وأما : ازدهارها : فمأخوذ من الزهرة ، وهي الحسن ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ زهرة الحياة الدنيا ﴾ [٤] ؛ فالزهرة :

---

(١) سورة الحاقة : ٧ .
(٢) سورة الشعراء : ٨٨ .
(٣) سورة الأنعام : ٩٩ .
(٤) سورة طـــه : ١٣١ .

الحسن ، وبلوغ الغاية ، والنهاية في الجمال والكمال ؛ والحسن ، والدلال ، والأزهر عند العرب : الأبيض ؛ وكذلك الزاهر ، والزهراء : الأنثى ؛ وروضة زهراء ؛ قال الستالي :

الحمد لله ما أبهاه من زمن   أيامه ببني نبهان زهراء

وأما قوله : { فظلت كأني شارب كأس نشوان } ، أي : فظلت من النهار ، وبينه في الليل ، وقد مر تفسير هذا وذِكره .

وأما قوله : { كأني } ؛ وكأني (المُشددة) : للتشبيه ، والضمير المُتصل به موضعه النصب بكأن ، لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ والشارب : معروف ؛ والشارب : اسم الفاعل ، والمفعول : شرب ، يشرب شرباً ، فهو شارب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم ﴾ (1) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ (2) ؛ قال امرؤ القيس :

فاليوم أشرب غير مُستحقب   إثماً من الله ولا واغل

وقال الشامي :

سقتني بعينيها على أثر الصبا   كؤوس الهوى صرفاً فلج بي السكر

وقال :

وصهباء صرف لا مزاج لكأسها   سوى أن يطيش الدل فيه فينقضا

والنشوان : السكران ؛ قال امرؤ القيس :

---

(1) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(2) سورة الواقعة : ٥٤ .

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة   فقاموا جميعا بين عاث ونشوان

والنشوان ، والسكران ، والثمل : كله بمعنى واحد ؛ والمنزوف : الذي ذهب عقله من الشراب .

بيت القصيدة :

ومهضومة الكشحين ريا الروادف   خدلجة الساقين لمياء المراشف
تثني بأعطاف وحُسن سوالف   وجيد كأجياد الظباء العواطف
إذا نشرت ذعراً بروعة خائف   وترنوا بعيني أحور الطرف وسنان

الشرح :

فقوله : { ومهضومة الكشحين } ؛ فالمهضومة ، والخمصانة ، والهيفاء : كله بمعنى واحد : وهي ذات الخصر ؛ قال الستالي :

ومهزوزة الأعطاف مهضومة الحشا   من البيض فيها عن زيارتنا ذعر

والكشحان : الجانبان ؛ واحده : كشح ؛ قال طرفة :

فآليت لا ينفك كشحي بطانة   لعضب رقيق الشفرتين مهند

والريا : قد مر تفسيرها ، وهي : من الري ؛ والرطوبة ، والضخامة ، والروادف ، والأكفال ، والأعجاز : بمعنى واحد ؛ فواحد الأرداف : ردف ؛ والجمع : الأرداف ، والروادف ؛ قال الشاعر :

وإذا نهضن خفقن عند نهوضها   لقدودها وثقلن للأرداف

وأما قوله : { خدلجة الساقين لمياء المراشف } ؛ فخدلجة

الساقين ، يعني : مُمتلئة ؛ تقول : ساق خدلج ، وساق خذل : إذا كان مُمتلياً ريانا ؛ وقال أحمد بن النظر (برد الله ضريحه ، ورحمه ، وعفا عنه) :

خدلجة خبرنجة قطوف   خلال خمائل يمشين غيد

خدلجة الساقين ، وهي : الخدلجة ؛ وقيل : الخدلجة : المُمتلئة الساقين والساعدين ؛ والخبرنجة : غليظة الساقين ؛ وقيل : الخبرنجة : حسنة الخُلق ؛ والساقان : واحدهما ساق ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ [1] ؛ وقيل في التفسير : ساق الدُنيا بساق الآخرة ؛ وقيل : الشدة بالشدة ؛ وقيل : غير هذا ، تركته للإختصار ؛ قال امرؤ القيس :

فللساق ألهوب وللسوط درة   وللزجر منه وقع أهوج منعب

وقوله : { لمياء المراشف } ؛ فاللمياء : التي في شفتيها سواد ؛ قال ذو الرمة :

بيضاء في دعج صفراء في نعج   كأنها فضة قد مسها ذهب
لمياء في شفتيها حوة لعس   وفي اللثات وفي أنيابها شنب

فاللماء ، واللعس ، والحوة : كل هذا بمعنى واحد : سواد في الشفة ، ولكنه إذا اختلف اللفظ ، جاز تكرير المعنى ، وقد تقدم ذِكر هذا ؛ قال الشاعر :

وعذلي فيه لو أنهم نظروا   وكيف زان اللمى فاه لما فاهوا

---

(١) سورة القيامة : ٢٩ .

والمراشف : جمع مرشف : وهو موضع الترشف ، وموضع ذاك الأنف والفم ، وموضع التقبيل منها ؛ قال الشاعر :

بردت مراشفها عَليَّ فصدني عنها وعن ترشافها البرد

فالمراشف : موضع التقبيل ؛ والبرد - في هذا البيت - : هو النوم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ﴾ [1] ؛ قيل : أن البرد في هذه الآية ، هو : النوم ؛ ومعنى صاحب البيت : أن النوم منعه عن تقبيلها ، وصده عن نفسها ؛ قال المُتنبي :

وتفتر منه عن خصال كأنها ثنايا حبيب لا يمل لها رشف

وأما قوله : { تثني بأعطاف وحسن سوالف } ؛ فقد مر ذِكر التثني ؛ والأعطاف : واحدها عطف ؛ والأعطاف : الأطراف والجوانب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثاني عطفه ﴾ [2] ، أي : أنه مُتكبر ، مُعرض عن الذِكر ، واستماع الموعظة ؛ قال الستالي :

ومهتزة الأعطاف من غرة الصبا أو أن كساها حسنها وشبابها

وقال :

ومهزوزة الأعطاف مهضومة الحشا مُنعمة الأطراف معسولة اللمى

وقد مر تفسير : الحُسن والحشا ؛ وأما السوالف : فجمع سالفة : وهي صفحة العُنق ؛ قال المُتنبي :

نفور عرتها نفرة فتجاذبت سوالفها والحلي والخصر والردف

---

(١) سورة النبا : ٢٤ .
(٢) سورة الحج : ٩ .

وأمـا قولـه : { وجيـد كأجيـاد الظبـاء العواطـف } ؛ والجيـد ، والأجياد : هو الجمع : وهو العُنق ؛ قال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش   إذا هي نصته ولا بمعطل

والظبا : جمع ظبي : وهو معروف ، وقد مر تفسيره ؛ والعواطف : نعت الظباء : إنهن يعطفن على أولادهن ؛ الواحدة : عاطف وعطوف ؛ قال الحريري :

ولقد نزلت بهم فلم   أرهم يراعون الضيوف
وبلـوتهم فوجـدتهم   سـبكتهم زيـوف
مـا فـيهم إلاّ مخيـف   إن تمكـن أو نخـوف
لا بالصفي ولا الوفي   ولا الخفي ولا العطوف

وأمـا قولـه : { إذا نشرت ذعراً بروعة خائف } ؛ إذا : حرف ، وقد مر تفسيره ؛ ونشرت : نفرت ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضا ﴾ [1] ؛ فالنشوز : النفور : مأخوذ من نشز الأرض : وهو ما ارتفع منها ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ [2] ؛ وقيل : ذلك ، أي : وقوموا إلى الصلاة ؛ وقيل : ارتفعوا من مواضعكم ، ووسعوا لمن يجلس معكم ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ﴾ [3] ؛ نرفع بعضها إلى بعض ، عند إحيائها بعد الموت ، وبعد أن كانت رميماً ؛ قال الشماخ :

عفا بطن قو من سليمى فعاله   فذات الصفا فالمُشرفات النواشر

---

(1) سورة النساء : ١٢٨ .
(2) سورة المجادلة : ١١ .
(3) سورة البقرة : ٢٥٩ .

النواشر ، يعني : المُرتفعات .

وقولـه : { إذا نشـرت ذعـراً بروعـة خـائف } ؛ فقـد مـر تفسـير المصراع .

وأما قوله : { وترنـوا بعينـي أحور الطرف وسنـان } ؛ فقد مر تفسير المصـراع ، إلاّ قولـه : { وسنـان } ؛ فالوسنـان : هـو النعـاس ، وهو من الوسن والسِّنة ، وقد مر تفسيره أيضاً .

بيت القصيدة :

كأن على فيها إذا الليل جنحاً — أريج فتيت المسك لما تنفحا
حكى ثغرها نور الأقاحي تفتحاً — ولم أر منها قط أحسن ملمحا
ولا جوذراً يزجي أغن مرشحاً — وكالبدر في وحف الذوائب فينان

الشرح :

فقوله : { كأن على فيها } ، قد مر تفسيره ؛ وعلى فيهـا : فمهـا ؛ وفي الفم وجوه كثيرة ، فمنهم من يقول : أعجبني فمهـا ؛ ورشفت فمها ؛ ونظرت إلى فيها ؛ قال زهير بن أبي سلمى :

بكرت بكوراً واستحرت بسحرة — فهن ووادي الرس كاليد للفم

ويقول في اللغة الأخرى : أعجبني فوها ؛ ولثمت فاهـا ؛ ونظرت إلـى فيهـا ؛ لأن عندهم أصل فم : فوه ؛ والدليل قولهم في التصغير : فويـه ؛ وفي الجمع : أفواه ، غير أنهم أبدلوا مكان (الواو) ، (ميمـاً) ، وحذفوا (الهاء) ، فقالوا : فم ، فصار مثل : يد ، ودم ؛ قال الشاعر :

قالت الضفدع قولاً — فسرته العُلماء

في فمي ماء وليس ينطق من في فيه ماء

فجاء باللغتين جميعاً ؛ وقال الخليل : أصل الفم : فوه ؛ والجمع : أفواه ؛ والفعل : فاه ؛ يقول ؛ إذا فتح فاه للكلام ؛ وقد مر تفسير الليل .

وأما قوله : { إذا الليل جنحا } ؛ فجنح : مال ، يعني : أنه دنا إلى السحر والصبح ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ (1) ، أي : إن مالوا للصلح ، فمل إليها ؛ والسلم (مُؤنثة) ، وهي : الصلح ؛ قال الشاعر :

صفوح عن الجاني صفوح عن العلا صبور على ما يكره النفس أروع

وأما قوله : { أريج فتيت المسك } ؛ نصب أريج بـ [كأن] ، التي في التشبيه ؛ وفي المصراع الأول ، من قوله : { كأن على فيها } ؛ والأريج ، والأرج : طيب الرائحة ؛ قال الشاعر :

ماذا تقول عَليَّ في مدحي أبا عبد الإله وشكره المرتاج

وفتيت المسك : ما تفتيت فيه ؛ قال امرؤ القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وقد مر تفسير : المسك .

وأما قوله : { لما تنفحا } ؛ فـ [لما] : حرف جزم ، يجزم الفعل المُستقبل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولما يعلم الله ﴾ (2) ؛ وتنفحا : أوعية المِسك ، فتنفحت عن المِسك ؛ وتنفحت ، نوافح : كان أشد الطيب

(1) سورة الأنفال : ٦١ .

(2) سورة آل عمران : ١٤٢ ؛ سورة التوبة : ١٦ .

رائحتها ، وأذكى بعرفها ، إلاّ أن يكون مكتوباً ، فيكون ينكشف عنه الختام ، فتضوع رائحته ؛ قال التهامي :

ويعبق رياها وأنفاسها معاً   كنافجة قد فض عنها ختامها

فض ، وفتح : بمعنى واحد ؛ والنفح أكثر من الفتح ، مثل : فتحت (بالتشديد) ، وفتحت (بالتخفيف) ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وفتحت السماء فكانت أبوابا ﴾ [1] ؛ (بالتشديد) ، يعني : أبواب الجنة ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ [2] ؛ (بالتخفيف) ، يعني : أبواب النار ـ نعوذ بالله منها ـ فبالتشديد ، يعني : فتحت مراراً ، يعني : الجنة ؛ وبالتخفيف ، يعني : فتحت مرة واحدة ، يعني : لدخول أهلها فيها ، ثم لا تفتح أبداً ، مُطبقة عليهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ [3] .

وأما قوله : { حكى ثغرها نور الأقاحي تفتحاً } ؛ فحكى ، يعني : شابه ؛ قال التهامي :

أتت موهناً والليل أسود فاحم   طويل حكاه فرعها وقوامها

ثغرها : مبسمها ؛ قال :

وقد بسمت عن ثغرها فكأنه   قلائد در في العقيق انتظامها

وقال الحريري :

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه   وزانه شنب ناهيك من شنب

---

(١) سورة النبأ : ١٩ .
(٢) سورة الزمر : ٧٣ .
(٣) سورة الرعد : ٢٣ .

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

والثغر : مرفوع بفعله ؛ والنوم : منصوب بوقوع الفعل عليه ، لقوله : { حكى ثغرها نور الأقاحي تفتحا } ، لأن { حكى } : فعل ماض ، بمعنى : شابه ، أي : شابه هو النور ؛ والنور : هو زهر الأشجار (بفتح النون) ؛ والنور : والزهر كله ، وهو الذي تسميه العامة : الفراخ ؛ قال الستالي :

ويظل يزهر في الخلائق زهرة وينور في أغصانه نواره

وقال :

وارث الكاسات دوراً تارة يسقي وطوراً
نجتني زهراً ونوراً عن يمين وشمال

والأقاحي : شجر له نور أبيض شبه الأسنان ؛ والأقاحي : الأقحوان ؛ واحده : أقحوانة ؛ قال التهامي :

فالأقحوانة ثم تلقى أختها كفم يحاول من فم تقبيلا

وقال في الأقاحي :

وضاحكها نوحي الأقاحي فراقني تبسمه راد الضحاء ابتسامها

وقال الشاعر :

كأنما تبسم عن لؤلؤ مُنضد أو برد أو أقاح

وتفتحا : منصوب على الحال ، ويجوز أن يكون منصوب على

المصدر ، كأنه : يتفتح تفتيحاً ، وهو : انشاق كم الطلع عن الزهر ، لأنه إذا انشق ، فقد تفتح ، فأظهر ما كان استتر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ (1) .

وتقول : انشقت ، وانفطرت ، وانصدعت ، وانفتحت ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع ﴾ (2) .

قيل : إن الرجع : المطر ؛ والصدع : النبات ؛ سُمي المطر رجعاً ، لرجوعه مرة بعد أخرى ؛ وسُمي النبات صدعاً ، لانصداع الأرض عنه .

وأما قوله : { ولم أر منها قط أحسن ملمحا } ؛ فـ [لم] : حرف جزم ، يجزم به الفعل المُستقبل ، فقد جزم [أرى] ، وعلامة جزمه : حذف الياء منه ؛ وقط (مُشدد) ، بمعنى : الزمان ، بقوله : ما رأيته قط ؛ قال الشاعر :

فما زاد شيء قط إلاّ لنقصه ولا اجتمعا الإلفان إلاّ تفرقا

وقط (مُخففة) ، بمعنى : حسب وكفى ؛ قال الشاعر :

املأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وأما أحسب ، فقد مر ذِكره .

وقوله : { أحسن ملمحا } ؛ فملمحا : مأخوذ من لمح البصر ، واللمح : البصر بسرعة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ (3) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو

---

(1) سورة الإنشقاق : .

(2) سورة الطارق : 11 – 12 .

(3) سورة القمر : 50 .

أقرب ﴾ (1) ؛ واللمح : البصر بسرعة ، قال صاحب الدعائم :

ولا تنكحن فرجاً لمست تعمداً أو الدبر أو لامحته حين تلمح

وأما قوله : { ولا جوذراً يزجي أغن مرشحاً } ؛ نصب : [جوذراً] ، عطفاً على [أحسن] ، كأنه قال : ولم أر منها أحسن ملمحا ، ولا جوذراً ؛ أو أضمر لها فعلاً تقديره : ولم أر جوذراً ؛ والجوذر : ولد البقر الوحشية ؛ والجمع : الجاذر ؛ قال المُتنبي :

من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحلي والمطايا والجلابيب

وقال الشاعر :

هي الجآذر إلاّ أنها حور كأنها صور لكنها صِوَرُ

وتزجي : تسوق ؛ والأغن : رخيم الكلام ، وهو الذي في صوته غنة ؛ والمرشح : الذي يعطف عليه ؛ قال الشاعر :

واحكي بشكل الدل من أم جوذر ومن معزل يزجي أغن مرشحا

فهذا البيت ، حجة على : الجوذر ، والأغن ، والمرشح ؛ وقال الحريري في الأغن :

ولا تعجبن بشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح

أغن ، أي : أحسن ؛ ويزجي : السوق ؛ وأما قول الله (ﷻ) : ﴿ وجئنا ببضاعة مُزجاة ﴾ (2) ؛ وقيل : المُزجاة : الدراهم الرديئة الزيوف

---

(1) سورة النحل : ٧٧ .

(2) سورة يوسف : ٨٨ .

التي لا تؤخذ بسعر الدراهم الجيدة .

وقال أبو عُبيدة : المُزجى : أخذت من الإزجاء ، وهو : السوق ؛ وأنشد حاتم الطائي :

لتبكي على ملحاز ضيف مدفع وأرملة تزجي مع الليل أرملا

أي : تسوق أرمل الضعفة ؛ قال عُدي بن حاتم الطائي :

وحُبي بعد الهدوء وبهاديه شمائل كما يزجي الكسير

أي : تسوقه شمائل ، كما تسوق الكسير ؛ وقيل : البضاعة ، وكانت : أقطاً ، وسمناً ، وصوفاً ، وغير ذلك من أمتعة الأعراب .

قال الكلبي : جاءوا بصنوبر ، وحبة الخضراء ؛ وقال مُجاهد : المُزجاة : القليلة ؛ وبذلك قال أبو عُبيدة ، والخليل ؛ قال الشاعر :

ومُرسل ورسول غير مُتهم وحاجة غير مُزجاة من الحاج

أي : مُنتقصة من الحوائج ؛ والبضاعة : كل ما اتضعت للبيع ، كائناً ما كان ؛ وفيها غير هذا ؛ إلاّ أن الكِتاب وُضع بغير هذا .

وأما الأغن : فهو الصوت الحسن ، الذي في صوته غنة ؛ قال الشاعر :

تغني بالشعر أما كُنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

ويُقال للرجل الضعيف الصوت : أغن ـ أيضاً ـ ؛ والغنى (مقصور يُكتب بالياء): من المال ؛ والغنا (ممدود ويُكتب بالألف) : من الصوت .

وأما قوله : { وكالبدر في وحف الذوائب فينان } ؛ كالبدر :

الكاف هنا ، كاف التشبيه ؛ والبدر : القمر ، شبهها به ، وسمي البدر : بدراً ، لمُبادرته بالغروب قبل طلوع الشمس ، لأنهما يتراقبان في الأفق صبحاً ، فهو يُبادرها ؛ وقيل : سُميَّ بدراً : لتمامه وكماله ، أخذاً من البدرة ، وهي : عشرة آلاف درهم تامة ؛ وكل شيء قد تم ، فهو : بدر ؛ قال التهامي :

هي البدر لو لا كلفة في أديمه   هي الظبي لولا دقة في عظامه
هي البدر لكن يستسر زمانها   وهل يستسر البدر عند تمامه

والوجف : الشعر الكثير ؛ قال المُتنبي :

ومن كلما جردتها من ثيابها   كساها ثياباً غيرها الشعر الوجف

وأما : الذوائب ، فقد مر تفسيرها ؛ والفينان : الشجر الطويل ، الكثير ، المُلتف ، وهو نعت له : مأخوذ من فنن الشجرة ، وهو : غُصن من أغصانها ؛ وجمعه : أفنان ، وأفانين ، قال الله (ﷻ) : ﴿ ذواتا أفنان ﴾ (1) ؛ قال امرؤ القيس :

كأن ثبيراً في أفانين ودقه   كبير أناس في بجاد مزمل

ويروى : في عرانين وبله ؛ قال الشاعر :

لقد هتفت في جنح ليل حمامة   على فنن تبكي وأني لهائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً   لما سبقتني بالبُكاء الحمائم

وتركت الإطالة للإختصار ، لئلا يطول الشرح .

---

(1) سورة الرحمن : ٤٨ .

بيت القصيدة :

تريك جبيناً زاهراً مُتهللاً وخداً أسيلاً واضحاً ومُقبلا
وطرفاً بسحر البابلي مُكحلاً وليلاً دجوجياً من الشعر أليلا
وثديين مثل العاج لم يتقلقلا كأنهما في صدرها الرحب حقان

الشرح :

وقوله : { تريك جبيناً } ؛ فتريك : فعل مُستقبل بضمير وهو (الكاف) ، وموضعه نصب بوقوع الفعل عليه ؛ والجبين : معروف : وهو منصوب بوقوع الفعل عليه أيضاً ؛ قال التهامي :

وأبدى لنا من دله وجبينه ومنطقه ملهى ومرأى ومسمعا

وقال :

وحلا جبينا واضحاً كالبدر في تدويره

وقوله : { تريك جبيناً زاهراً مُتهللاً } ؛ فالزاهر : الأبيض ؛ قال التهامي :

وما أنا إلاَّ روضة إن مطرتها تفتح هذا الزهر إذ هو زاهر

والمُتهلل : المُضيء المُشرق ؛ قال الشاعر :

تراه إذا ما جئته مُتهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وأما قوله : { وخداً أسيلاً واضحاً ومُقبلا } ؛ فالخد : معروف ؛ قال التهامي :

وفي الهوادج رئم لو عصرت ضحى ... مـاء النـضارة مـن خـديـه لانعصرا

وقال طرفة :

وخد كقرطـاس الشآمي ومشفر ... كسبت اليماني قده لـم يجرد

والأسيل : الطويل ، الذي فيه ملاسة ؛ قال امرؤ القيس :

تصد وتبدي عن أسيل وتـتـقـي ... بناظرة في وحش وجـرة مطفل

والواضـح : قـد مـر تفسـيره ؛ والمُقبـل : موضـع التقبيـل مـن الفـم ، والأنف ، والخد ، والوجنتين ؛ قال عنترة :

إذ تستبيك بـذي غروب واضح ... عذب مقبلـه لـذيـذ المطـعـم

وأمـا قولـه : { وطرفـاً بسـحـر البـابلـي مُكحـلاً } ؛ فـالطرف : هـو العين ، وهو : فعلها ؛ قال التهامي :

إني لأطرف طرفي عن محاسنها ... تـكـرمـاً وأكف الكـف عن أمـم

وقد مر تفسير : السحر ـ أيضاً ـ .

وقوله : { بـابلـي } : منسوب إلـى بابل ، وهـو مدينـة بـالعِراق ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ [(١)] ؛ قال :

وتعقد بسحر البابليين طرفها ... مراراً وتسقينا سلافاً من الخمر

وبابل : لا ينصرف .

---

(١) سورة البقرة : ١٠٢ .

وأمـا قولـه : { مُكحـلاً } ؛ المُكحل : غير الأكحل ، وكـذلك الكُحل ؛ والكُحل : الذي يتكحل به : من الأثمد وغيره ؛ والكُحل : سواد فـي العين ، يكون فيها حلقة ؛ قال المُتنبي :

لأن حـلـمك حـلـم لا يـكـلـفـه   ليس التكحل في العينين كالكحل

وقال غيره :

....   في عينها كُحل يغني عن الكُحل

وأما قوله : { وليلاً دجوجياً من الشِعر أليلا } ؛ كل مـا جـاء فـي هذا البيت منصوب ، فهو : (بواو) القسم ، العطف على قولـه : { تريك جبينـاً } ، والجبين منصوب بوقـوع الفعل عليـه ، وبقيـة البيـت منصوب بالعطف على الجبين .

وأمـا قولــه : { ولـيلاً دجوجيـاً } ؛ فإنــه استعارة مكـان الشـعر ، وسُميً الشعر ليلاً : لسواده ؛ والدجوجي : نعت الليل ، لأنـه ينعت بـه ؛ يُقـال : أسود حالك ، وحانـك ، وغربيـب ، وحلكوك ، وسـحلوك : كل هذا يُريد به شديد السواد من الشَعر ؛ والشَعر : معروف ، وفيـه لغتـان : شعر (بتحريك العين) ؛ وشعر (بتسكين العين) ؛ قال المعري في التحريك :

الحسن يظهر في شيئـيـن رونـقـه   بـيت من الشعر أو بـيت من الشعر

وقال في التسكين :

الوجـه مثـل الصُبح مبـيض   والشـعر مثـل الليـل مسـود
ضـدان لـمـا استجمعا حُسـنـاً   والضـد يـظـهـر حُسـنه الضد

والليل الأليل : هو الشديد ، الصعب على صاحبه ، لمرض يلحقه فيه ، أو مُصيبة ؛ وكذلك ليلة ليلاء ؛ قال الشامي :

كأن سنا كأساتها ضوء بارق تألق في داج من الليل أليل

وقال الحريري :

ما عندكم لابن سبيل [1] مرمل بضو سرى من حانط الليل أليل

وأما قوله : { وثديين مثل العاج لم يتقلقلا } ؛ الثديان : واحده : ثدي ، وهو : ثدي ، وهو : الثاني في صدر المرأة ، دون الرجل ؛ قال الشاعر :

تعلقت ليلى وهي ذات موصد ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

وقال المجنون :

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم يكبر البهم

وقوله : { لم يتقلقلا } ؛ بحسب أنه يعني به الإنكسار ، أخذه من سوء قولهم : مفلول الحد ، أي : مُنكسر الحد ؛ قال الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وعندي : أنه أراد أن يتقلل ، فقال : يتقلقلا ، فقلب ؛ قال امرؤ القيس :

رأى أرنباً فانقض يهوي أمامه سريعاً وجلاها بطرف ملقلق

---

(١) في نسخة أخرى : السبيل .

أراد : مُقلقل ، فقلب ؛ ومثل هذا كثير في كلام الشعراء .

وقوله : { يتقلقلا } ، ولم يقل : يتقلل ، لأنه مُضاعف ، وكل حرف مُضاعف على حرفين ، ثم زاد فيها ، لأن [الفاء] من الحروف التي تزاد في الكلام ، وأقامه مثل مقام غيره ، مثلِ قوله : حذف ، وحذف ، وفناء الدار ، وبناء الدار ، والمعافير ، والمغابير ، وهو : دود يخرج من العرفط ؛ والعرفط : شجر ؛ مع حروف غير هذه ، لم يدع إلى ذكرها .

والدليل على أنه مُضاعف : أنك إذا قلت في ماضيه : أنفل السيف ، وجدت [اللام] مشدُودة ؛ وتشديد الحرف دليل على تضعيفه ، لقولك : علّ ، وقلّ ، وكلّ ، وكرّ ، ومرّ ، وضرّ ، وذرّ ، وما كان مثله .

وإن كانت الرواية فيه [بالقاف] ، أي : { لم يتقلقلا } ؛ فالقلقلة : الحركة ، لأن الثدي لا يتحرك ولا يضطرب ، إلاّ إذا كان من اللمس ، بعد الولادة والرضاع ، لأنه إذ كثر عليه اللمس والرضاع ، لان ، واضطرب ، وانكسر ، وتحرك ، وينفي عنه ذلك قوله : { لم يتقلقلا } ، لأن [لم] : حرف من حروف النفي ، وهو من حروف الجزم أيضاً ، لأن الفعل مُستقبل ، فلولا يُقال : (يتقلقلان) ، وإنما حذف [النون] ، لوقوع الجزم عليه ؛ قال المُتنبي :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل

فقلقلت : حركت ؛ وقلقل الحشا ، أي : تحرك ما كان مسكنك في الحشا ؛ وقلاقل : عيش ، سماهن : قلاقل بفعلهن ، وحركتهن ، وسرعتهن في السير ؛ والله أعلم .

وأما قوله : { كأنهما في صدرها الرحب حقان } ؛ تقدم تفسير [كأن] ، وهما ضمير .

وقولـه : { فـي صـدرها } ؛ فالصـدر : معـروف ، وهـو واحـد ، وجمعه : صدور ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [1] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [2] ؛ قال أبو فراس :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دُون العَالَمِين أو القبر

وقال الستالي :

هو المثل المضروب في الناس والندى وحيث احتبى في مجلس وهو الصدر

وقولـه : { الرحـب } ؛ والرحـب : الواسـع فـي كـل شـيء ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ [3] ؛ قال المُتنبي :

وأسود أما القلب منه فضيق نجيب وأما بطنه فرحيب

وقال الحريري :

فيفرج الضيق بكراته حتى ترى ما كان ضنكاً رحيب

وقولـه : { حقـان } ؛ فحقـان : تثنيـة حق ؛ وتثنيـة حقـة : حقتـان ؛ والجمع : حقاق ، وهي : تكون من عاج وخشب ـ أيضاً ـ وهـي : أوعيـة الطيب ؛ يُشبه بها ثدي النساء ؛ قال الستالي :

أثيث فرعها داج غضيض طرفها ساج
لها في الصدر من عاج صقيل اللون حقان

---

(١) سورة الشرح : ١ .
(٢) سورة الحج : ٤٦ .
(٣) سورة التوبة : ١١٨ .

قال امرؤ القيس :

وريح سني في حقه حميرية   تشاب بمفروك من المسك أذفرا

وهي أوعية تشبه بها أوعية النساء .

بيت القصيدة :

مُدانية طوعاً لمن يستفزها   مُواتية من في الوصال يبزها
مُعاطية كأس الهوى من يوزها   فيا حبذا التخميش منها وغمزها
إذا حسرت عنها من القمص قزها   وجال لها فوق النطاق وشاحان

الشرح :

قوله : { مُدانية طوعاً } ؛ فمدانية ، أي : دانية قريبة ، وهو من الريق ؛ والداني : قد مر تفسيره ؛ والطوع : من الطاعة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

فكل قوم أطاعوا أمر سيدهم   إلاّ نميراً أطاعت أمر غاويها

وقوله { لمن يستفزها } ، أي : يستخفها ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ واستفزز من استطعت ﴾ (٢) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ ليستفزونك من الأرض ﴾ (٣) ؛ قال المُتنبي :

غني عن الأوطان لا يستفزني   إلى بلد سافرت عنه إياب

---

(١) سورة محمد : ٢١ .
(٢) سورة الإسراء : ٦٤ .
(٣) سورة الإسراء : ٧٦ .

وقولـه : { مُواتيـة } ، أي : مُوافقـة ، تقـول : وأتيـت الرجـل علـى الأمر ، أي : وافقته عليه ؛ ويحتمل أن يكون { مُواتيـة } ، أي : مُعاطيـة ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ آتيتمـوهن أجـورهن ﴾ [1] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ والـذين يؤتـون مـا آتـوا وقلـوبهم وجلـة ﴾ [2] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ وآتيـتم إحـداهن قنطـارا ﴾ [3] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ وآتينـا مُوسَـى الكِتَـاب ﴾ [4] ؛ هـذا كلـه بمعنى : العطيـة والإعطـاء ؛ وكـذلك قولـه (ﷻ) : ﴿ ولـم يُـؤت سـعة مـن المال ﴾ [5] ، أي : لـم يعط ؛ والـدليل علـى أن معناهـا : مُعاطيـة ، قولـه فـي المصراع الثاني : { مُعاطية } .

وقوله : { مُواتية من في الوصال يبزها } ؛ فـ [من] : في موضع نصب ، لأن مُواتيـة بمعنـى الإسـتقبال ؛ والوصـل والوصـال : فقـد مـر تفسيره .

وقولـه : { يبزهـا } ، أي : يسـلبها ، ويجردهـا مـن ثيابهـا ؛ قالـت الخنساء :

من عزَّ بزَّ ولـم تُؤمن بوائقه   ومـن تضعضع مأكول ومشروب

ويُقال في المثل : (من عزَّ بزَّ) ، معنـاه : من غلب سلب ؛ والبـزة : الثياب ؛ وكذلك : التي .

وقولـه : { مُعاطيـة } ، أي : مُناولـة ، لأنـك تقـول : عاطيتـه ، أي : ناولته ؛ قال امرؤ القيس :

وتعطوا برخص غير شثن كأنه   أساريع ظبي أو مساويك أسحل

---

(1) سورة المائدة : ٥ ؛ سورة المُمتحنة : ١٠ .
(2) سورة المؤمنون : ٦٠ .
(3) سورة النساء : ٢٠ .
(4) سورة الإسراء : ٢ .
(5) سورة البقرة : ٢٤٧ .

وقوله : يعطوا ، أي : يتناول .

وقوله : { مُعاطية كأس الهوى } ، أي : تناوله ؛ والكأس : إنما جاء به على الاستعارة ، لأنه ليس للهوى كأس ؛ وهذا جائز في كلام العرب ، والأشعار ، وخُطبها ، ومنه كثير في القرآن الكريم ؛ وقد مر تفسير : الكأس ، والهوى أيضاً .

وقوله : { فيا حبذا التخميش منها وغمزها } ؛ فـ [يا] : حرف نداء ، تقول فيه : يا زيد ، ويا عمرو ، وهو فعل ماض ، أضيف إلى [ذا] ، فصارت كلمة واحدة ، تستعمل للمدح ، وهي تعمل عمل : نعم ، وبئس ، وتنصب النكرة ، وترفع المعرفة ، فتقول : حبذا زيد رجلاً ؛ فزيد : معرفة ؛ ورجل : نكرة ؛ قال الشاعر :

أيا حبذا حبذا حبذا حبيبا تحمل مني الأذى
ويا حبذا برد أنيابه إذا أظلم الليل واحلوذا

احلوذا ، أي : أسرع .

وقوله : { التخميش } ؛ والتخميش : المُغازلة والمُلاعبة ؛ قال المُتنبي :

نانيته فدنا أدنيته فنأى جمشته فنبا قبلته فأبى

والغمز : معروف ، تقول : غمزت الشيء ، لتعرف لينه من خُشونته ؛ قال الشاعر :

كانت قناتي لا تلين لغامز فلانها الإصباح والإمساء

وقيل : الغمز باليدين ، والرمز بالشفتين ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ألا تكلم

الناس ثلاثة أيام إلاَّ رمزاً ﴾ (١) .

وأما قوله : { إذا حسرت عنها من القمص قزها } ؛ فحسرت : أخرجت ؛ وحسرت المرأة عن وجهها : إذا كشفته ؛ والقمص : جمع قميص ؛ والقمص - أيضاً - : الدابة الكثيرة القماص ؛ قال طرفة :

تلاقي وأحياناً تبين كأنها   بنائق غر في قميص مُقدد

وأما القز ، فأحسب : أنه ثوب حرير ؛ أو فيه حرير ؛ قالت الخنساء :

ويلبس في الحرب نسج الحديد   ويلبس في السلم خزاً وقزا

وقيل : أن القز هو خام الإبريسم ، وهو الذي يلحم به المقانع وللحمه خلاف السداة ، وقيل أن حاكة المقانع يسمون القزازين .

وأما قوله : { وجال لها فوق النطاق وشاحان } ؛ جال ، يعني : اضطرب الوشاح على خصرها لدقته ، لم يجد شيئاً يقف عليه ؛ وجالت الخيل في الميدان ؛ وفرس جوال ؛ قال امرؤ القيس :

ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحى   على هيكل نهد الجزارة جوال

والنطاق : ثوب تلبسه المرأة المهنة ؛ قال امرؤ القيس :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها   نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

يعني : أنها لم تلبس النطاق للمهنة ، وتترك المُفضل ، وهو ثوب تلبسه المرأة للزينة .

وقوله : { وشاحان } : فهي تثنية وشاح ؛ وجمعه : وشح ،

---

(١) سورة آل عمران : ٤١ .

وأوشحة ؛ وواحده : وشاح ، وإشاح ؛ كما يُقال : وكاف ، وإكاف ؛ وللملك امرئ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفضل

وقال غيره :

مُتبلة هيفاء أما وشاحها فيجري وأما الحجل منها فلا يجري

بيت القصيدة :

غضيضة لحظ الطرف ريا المخلخل مؤشرة الأنياب ظميا المقبل
ترانبها مصقولة كالسجنجل طرقت بليل كالبرندج أليل
ولم أخش من واشٍ رقيب وعُذل وقد أنزفت كأس الكرى كل يقظان

الشرح :

أما قوله : {غضيضة لحظ الطرف ريا المخلخل} ؛ فالغضيضة : التي تغض طرفها ، ولا تديم النظر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ (٢) ؛ وغض البصر : كفه ، وحبسه ، ومنعه ، عما لا يحل النظر إليه ؛ ومثله في المعنى كثير ؛ قوله (ﷻ) : ﴿ قاصرات الطرف ﴾ (٣) ؛ حابسات النظر إلاّ على أزواجهن ؛ قال امرؤ القيس :

---

(١) سورة النور : ٣٠ .
(٢) سورة النور : ٣١ .
(٣) سورة الصافات : ٤٨ ؛ سورة ص : ٥٢ ؛ سورة الرحمن : ٥٦ .

من القاصرات الطرف لو ذب محول   من الذر فوق الأتب منها لأثرا

الأتب ، والقرقر ، والقرقل ، والبقير ، والبقرة ، والصدار ، والمحول ، والشوذر : قميص مُتقاربة ، قصيرة الأكمام ، تلبسها النساء في أوقات الخلوة ؛ والله أعلم ؛ قال في الغض :

أغضى على مضض الأمور غمضا   وأمضى إلى حيث القضاء به مضى

الإغضاء : دُون الجفون ، وإطباق بعضها على بعض ، وقد مر تفسير بقية المصراع ، إلاّ المخلخل ؛ والمخلخل : موضع الخلخال من الساق ؛ وللملك امرئ القيس :

إذا قلت هاتي ناوليني تمايلت   على هضيم الكشح ريا المخلخل

يعني : موضع الخلخال منها ؛ ريان : مُمتلئ غير دقيق ولا خمش .

وأما قوله : { مُوَشرة الأنياب ظميا المقبل } ؛ الوشر على الأنياب : سواد يكون في اللثة ؛ فالوشر على الأسنان ، والوشم على ظاهر اليد ؛ قال طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقيل : الوشر : تحديد الأسنان ، لا يكون ذلك إلاّ في الأحداث ، دُون الكهول ؛ والوشر : غرز بالإبر في الجلد ، ثم يذر عليه النورة ، فيبقى سواده ظاهراً ، بضروب من النقش ، كانت تفعل نساء الجاهلية بابرتين به ، ثم نُهي عنه في الإسلام .

وفي الحديث عن رسول الله (ﷺ) ، قال : " لعن الله الواشمة والمتوشمة " ؛ الواشمة : التي طلبت أن يُفعل بها ؛ ودخل في الحديث :

" الواشرة والمتوشرة ، والواصلة والمتوصلة ، والنائحة والمُستمعة " ، ولهذا الحديث شرح وتفسير ، تركته خوف الإطالة .

والأنياب : معروفة : وهي في كل إنسان ، أربعة أنياب ، وأربع ثنايا ، وأربع رباعيات ، وأربعة نواجذ ، وإثنا عشر رحى ، فصار الجُملة ثمانية وعشرون سناً ؛ وقد تكون تسعة وعشرون سناً ؛ وإن كثرت ، كانت إثنتان وثلاثون سناً ؛ قال صاحب كِتاب : " الدعائم " :

فإن قلت الأسنان كان عدادها ثلاثين سناً غير سنين تعزل
وإن كثرت كانت ثلاثين ناجذاً وسنان من بعد الثلاثين يوصل

وواحد الأنياب : ناب ؛ قال عليّ بن أبي طالب :

وتنجو الطريدة مِن بعد ما تنال الطريدة طرف وناب

وقال :

عَضَّنا الدهر بنابه ليت ما حل بنابه

وقال جميل :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من أنيابها بالقوادح

قيل : أن هذا دُعاء لا يُراد به الوقوع ؛ كما تدعو الوالدة على ولدها ، وهي لا تريد لذلك به ؛ وقيل : هذا على التعجب الممدوح ، كما يقول القائل : قاتله الله ما أفصحه ؛ وقلع الله عينيه ما أشعره ؛ وقطع الله يمينه ما أرماه ؛ وللملك امرئ القيس :

فهو ما ينمي رميته ما له لا عد من نفره

وقيل : أنيابها : سادات قومها ؛ وعيناها : رقيباها ؛ والقادح : شيء يأكل الأسنان ؛ والقوادح : جمعه ؛ والظميا : من الظما (وهو غير مهموز) ، وهو : قلة دم اللثة ، وهو يعتري الحُسن والملاحة ؛ والنعت منه ، تقول : رجل أظما ؛ وامرأة ظميا ؛ والجمع : الظمي ؛ والفعل : ظمي ظما ؛ والظمأ (مهموز مُخالف الأول) : من العطش ؛ فهذا عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، في كِتابه : " العين " ، يقول في الظمأ (من العطش) : رجل ظمآن ، وامرأة ظمأى ، كما تقول : عطشان وعطشى ؛ والمقبل : موضع التقبيل ، وقد مر تفسيره .

وأما قوله : { ترائبها مصقولة كالسجنجل } ؛ وهذا المصراع أخذ من قول امرئ القيس ، وهو قوله :

مُهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وهذا جائز عند الشُعراء ؛ والترائب : جمع ؛ واحده : تريبة ؛ والترائب : عِظام الصدر التي تسقط عليها القلادة والحُلي ؛ قال المُتنبي :

حاولن تفديتي وخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائبا

ومصقولة ، أي : ملساء درم ، ليس لها حجم باد ، ولا هواء ؛ والسجنجل : المرآة بالرومية ، فأعربتها : المرآة ؛ فيُقال للمرآة : السجنجل ، والماوية ، والمرآة : التي تسميها الناس : المنظرة .

وأما قوله : { طرقت بليل كالبرندج أليل } ؛ طرقت ، أي : جئت ليلاً ، ولا يكون الطرق إلاّ ليلاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والسماء والطارق ﴾ (١) ؛ أقسم الله (ﷻ) : بالسماء والطارق ؛ والطارق : نجم يسقط ليلاً ؛ وقيل : أنه رجل ؛ والله أعلم ؛ قال امرؤ القيس :

---

(١) سورة الطارق : ١ .

ألم تر أني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

أي : جئت ليلاً ، ولا يكون الطارق إلاَّ ليلاً ؛ قالت هند بنت عُتبة ، يوم أحد :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
كالدر في المخانق كالمسك في المفارق
إن تحملوا نعانق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق ....

فقولها : (نحن بنات طارق) ، أي : نحن بنات نجم وشرف .

وقوله : { بليل كالبرندج أليل } ؛ البرندج : الجلد الأسود ؛ قال الشماخ :

ودوية قفر تمشي نعامها كمشي النصارى في خفاف البرندج

ويُقال فيه : الأرندج أيضاً ؛ وقيل : بالفارسية : رنده ، وقد مر تفسير : ليل ، أليل .

وأما قوله : { ولم أخش من واشٍ رقيب وعُذل } ؛ لم أخش : من الخشية والخوف ، وقد مر تفسيره ؛ والواشي : أخذ من الوشي ؛ وكأن الواشي يُزين كلامه ، وينقله عن غير جهته ؛ تقول : وشي ، يشي ، وشياً ، ووشاية ، فهو : واشٍ ؛ قال علقمة :

إذا ألجم الواشون بالشر بيننا تبلغ رأس الحب غير المكذب

وقال :

أطعت الوشاة والمشاة بصرمها فقد أبهجت أجيالها للتقصب

وقوله : { رقيب وعُذل } ؛ والرقيب : قد تقدم ذِكره ؛ وعُذل : جمع عذول وعاذل ، وهو الذي يلومك ، ويؤنبك ، ويقرعك عن الأمر الذي ترومه وتريد تفعله ؛ قال الشاعر :

فلما عصيت العاذلين ولم أطع　　مقالتهم ألقوا على غاربي حبلي

وقال المُتنبي :

عواذل ذات الخال في حواسد　　وإن ضجيع الخود مني لماجد

وأما قوله : { وقد أنزفت كأس الكرى كل يقظان } ؛ أنزفت : أذهبت عقولهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ [1] ، أي : يصدعون ، تصدع رؤوسهم ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ عنها ﴾ ، يعني : منها ؛ لأن حروف الصفات ، يقوم بعضها مقام بعض ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ ولا ينزفون ﴾ ، أي : لا تذهب عقولهم ، كما يذهب عقل شارب الخمر في الدُنيا ؛ وقد تقدم ذِكر الكأس وتفسيره ؛ والكَرى (بفتح الكاف) : هو النوم ؛ وللسيد ابن دريد :

واتخذ التسهيد عيني مألفا　　لما جفا أجفانها طيف الكرى

وأما الكِرى (بكسر الكاف) : فهو من كِرى الدواب والدور ، وغير ذلك ؛ وأما الكُرى (بضم الكاف) : فهي جمع كروه ، وهي التي تسميها الصبيان الجاية ؛ وتسمى : القلة ؛ وجمعها : قلينا ؛ قال عمرو بن كلثوم :

وما صنع الضعاين مثل ضرب　　ترى منه السواعد كالقلينا

وأما اليقظان : فهو الذي تنبه من نومه ، ويستيقظ منه ؛ واليقظان : ضد الوسنان ؛ قال الستالي :

---

(١) سورة الواقعة : ١٩ .

أفيق من ذِكر ضلات الشباب كما أفيق من روعة الأحلام يقظانا

وقوله : { كأس الكرى } ؛ فليس للكرى كأس ، وإنما هذا على الاستعارة ومجاز اللغة وسعتها ؛ وقد مر شيء من هذا فيما تقدم من الكِتاب .

بيت القصيدة :

فلما اطمأنت بي لديها المضاجع ولذت حديثاً بالأصيل المسامع
وأخلص سراً للهوى وودائع ولم يبق من دون الرغائب مانع
ولا ذائد عما نُحب ودافع وغفل عنا كل واشٍ وغيران

الشرح :

فأما قوله : { فلما اطمأنت بي لديها المضاجع } ، أي : سكنت ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [١] ؛ أي : يسكن ؛ وللملك امرئ القيس :

عظيم طويل مُطمئن كأنه بأسفل ذي ماء بسرحة مرقب

والمُطمئن - أيضاً - : ما خفض من الأرض .

وقوله : { لديها } ، أي : عندها ؛ ولدي ، بمعنى : عند ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وألفيا سيدها لدا الباب ﴾ [٢] ، أي : عند الباب ؛ وقال (تعالى) : ﴿ قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ [٣] ، أي : عندنا ؛ والمضاجع : جمع مضجع : وهو المكان الذي ينضجع فيه الإنسان للنوم ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [٤] ؛ قال أبو ذؤيب :

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٢) سورة يوسف : ٢٥ .
(٣) سورة يوسف : ٥٤ .
(٤) سورة آل عمران : ١٥٤ .

أو لا لجنبك لا يلائم مضجعاً　　إلاّ أقض عليك ذاك المضجع

وقال الشامي :

يعل حُباً أفواههن به إذا ما　　هوى النجم واقلولب بهن المضاجع

والمضاجع : مرفوعة ، لأنها فاعلة ، وفعلها : اطمأنت .

وأما قوله : { ولذت حديثاً بالأصيل المسامع } ؛ فلذت : من اللذة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ بيضاء لذة للشاربين ﴾ (١) ؛ قال المُتنبي :

ضني في الهوى كالسم في الشهد كامنا　　لذذت به جهلاً وفي اللذة الحتف

وقوله : { ولذت حديثاً } ؛ نصب { حديثاً } على التمييز ، ويحتمل أن يكون منصوباً على المصدر ؛ ويجوز نصبه على اسقاط الخافض ، كأنه قال : لذت بالحديث ؛ والله أعلم .

وجمع الحديث : أحاديث ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ (٢) ؛ وللملك امرئ القيس :

ألا أنعم صباحاً أيها الربع وانطق　　وحدث حديث الحي إن شئت وأصدق

والأصيل : وقت العشي ، وقد مر تفسيره ؛ والمسامع : جمع مسمع ، وهو : موضع السمع ؛ ولم يأت في القرآن إلاّ السمع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ (٣) ؛ يعني : أن ابن آدم يُسأل عن هذه الجوارح ، إن استمع ما لا يحل له ؛ واعتقد بقلبه

---

(١) سورة الصافات : ٤٦ .
(٢) سورة يوسف : ١١١ .
(٣) سورة الإسراء : ٣٦ .

نية فاسدة ، لا يحل له ، فهو يُسأل عن جميع هذه ؛ قال عمرو بن معدي كرب :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

وقال سويد :

ساجد المنحر لا يرفعه خاشع الطرف أصم المسمع

وقد قال المفسرون : أن الله (عَزَّوَجَلَّ) ، وحد السمع في جميع القرآن الكريم ، وجمع غيره ، في القلوب ، والأبصار ، والأفئدة ، والجلود ، من أجل أن السمع يكون بمعنى المصدر .

في قول الفراء ، نحو قولك : سمعت سمعاً ؛ وفي قول سيبويه : لإحاطته بالأماكن الأربعة ؛ ولأنه لا يحتاج إلى تكلف ولا تحرك ، وذلك أن الإنسان أن يسمع ما بين يديه ، وما خلفه ، وما عن يمينه ، وما عن شماله ، من غير تكلف ولا تحرك بتحول ؛ وأما البصر فيحتاج إلى أن يتحرك يميناً ، وشمالاً ، ووراء ؛ لأنه لا يُبصر إلاّ ما بين يديه ؛ قال الله (تَعَالَىٰ) : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ [1] ؛ قال الزجاج : فيه ثلاثة أوجه ، أحدها : أن السمع في معنى البصر ، فوحد ، كما تقول : يعجبني حديثك ، فوجه لأنه في معنى المصدر ، ويجوز أن يكون ذلك المعنى على موضع سمعهم ، فحذف المواضع ، ودل السمع عليها ، كما تقول : أصحابك عدل ، أي : عدل ؛ ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم ، دل على معنى أسماعهم ؛ والله أعلم ؛ قال ذو الرمة :

إذا قال حادينا لتشبيه نبأة صه لم يكن إلاّ دوى المسامع

(١) سورة البقرة : ٧ .

فإنه أراد الآلة التي يسمع بها ، ولم يرد المصدر ؛ والمسامع في البيت : مرفوعة ، لأنها فاعلة ، وفعلها ، قوله : (ولذت المسامع) .

وأما قوله : { وأخلص سراً للهوى وودائع } ؛ أخلص : لم يُمزج ، ولم يُخلط بغيره ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ (1) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ (2) ؛ قال الشاعر :

وإني على الود القديم مُحافظ لأن ودادي للأخلاء خالص

والسر : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ (3) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ (4) ؛ وقيل : أن السر : ما أسررت به ، واستكتمت عليه صديقك ؛ وأخفى : ما أخفيته عن صديقك ، ولم تبده إلى أحد غيرك ؛ قال الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال غيره :

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

والهوى : قد مر تفسيره ؛ والودائع ؛ قال الشاعر :

ترى الناس إما جاعلوه وقاية لأموالهم أو تاركوه فضايع

وأما قوله : { ولم يبق من دون الرغائب مانع} ؛ لم يبق : أصله أصله من البقاء ؛ وضده : الفناء : وهو فعل مُستقبل مجزوم بـ [لم] ،

---

(1) سورة النساء : ١٤٦ .
(2) سورة الزمر : ٣ .
(3) سورة طـه : ٧ .
(4) سورة الأنعام : ٣ .

وكـان أصـله يبقـى ، فحـذف [اليـاء] ، لـدخول حـرف الجـزم عليـه ؛ والرغائـب : جمـع رغبـة : وهـي كل مـا ترغب فيـه ؛ والرغبـة : المحبـة ؛ وأصل الرغبة : الرهبة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ [1] ؛ قال امرؤ القيس :

وأركب في اللهام المجر حتى   أنال مآكل القحم الرغاب

تقول : رغب ، يرغب ، فهو : راغب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ﴾ [2] ؛ والمانع : الذي يمنعك ، ويصدك عن مُرادك ومطلوبك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلاّ أن كذب بها الأولون ﴾ [3] ؛ قال الشامي :

فتى منع الأعداء علمهم بـه   إذا رام فتكاً فيهم لم يمانع

وقال غيره :

فوفرك معروف وعرضك وافـر   ومـالـك مبذول وجارك مانع

وأما قوله : { ولا ذائد عما نُحب ودافع } ؛ فذائد ، ودافع : قريب المعنى بعضه من بعض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ووجد من دونهم امرأتين تذودان ﴾ [4] ، أي : يكفان عنهما ، ويمنعان ، ويحبسان ؛ قال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ونُحب : فعل مُستقبل : وهو من المحبة ، وقد مر تفسيره .

---

(١) سورة الأنبياء : ٩٠ .
(٢) سورة مريم : ٤٦ .
(٣) سورة الإسراء : ٥٩ .
(٤) سورة القصص : ٢٣ .

وأما قوله : { عما نُحب ودافع } ؛ فالدافع : هو المانع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ (١) ؛ قال الشامي :

فما للسحاب الخير إلاَّ كحالب   وما لكشوف السر إلاَّ كدافع

وقوله : { وغفل عنا كل واشٍ وغيران } ؛ غفل : من الغفلة : وهو ما لم يُسم فاعله ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ﴾ (٢) ؛ قال المُتنبي :

الراميات لنا وهن نوافر   والخاتلات لنا وهن غوافل

وقد مر تفسير بقية المصراع ، إلاَّ : { وغيران } ؛ والغيران : هو الذي يغار على أهله ، وقد مر تفسيره أيضاً .

بيت القصيدة :

بثثت لها وجدي بها وصبابتي   وما ينطوي منها عليه حشاشتي
وأبدت كما أبديته من كآبتي   فبحت بأسراري لها وأمانتي
وباحت بأسرار لها كإباحتي   ولم ينكتم ما بيننا ثم سران

الشرح :

وأما قوله : { بثثت لها } ، أي : شرحت وفسرت ؛ وقيل : بثثت : شكوت بثي ؛ فالبث : شِدة الحُزن ، ولا يصبر صاحبه ، إلاَّ أن يبثه

(١) سورة النساء : ٦ .
(٢) سورة النساء : ١٠٢ .

ويشكوه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إنما أشكوا بثي وحُزني إلى الله ﴾ [1] ؛ والبث : هو الحُزن أيضاً ، لكنه إذا اختلف اللفظ ، جاز تكرير المعنى ؛ قال :

بين الرجال تفاوت وتفاضل ليس البياض كحالك غربيب

وهما بمعنى واحد ؛ وقد مر تفسير مثل هذا ، فيما تقدم من الكِتاب ؛ قال المُتنبي :

تذكر هنداً بعد ما بعدت هند فؤاد حليفاه الصبابة والوجد

وبثثت الشيء ، أي : فرقته أيضاً ؛ وخلق الله (عز وجل) الخلق ، وبثهم في الأرض ، وتفرقوا لمعايشهم ؛ قال : فبثهن ؛ وبثثت الشيء : بسطته ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ [2] ؛ أي : المبسوط ؛ وقد مر تفسير الصبابة .

وأما قوله : { وما ينطوي منها عليه حشاشتي } ؛ ينطوي عليه : يشتمل عليه ويُعطيه ؛ قال الشاعر :

وكان طوى كشحاً على مستكنه فلا هو أبداها ولم يتقدم

تقول : انطوى فلان على حقده وسخيمته ، إذا انطوى على عداوة ، أي : كتمها وأسرها ؛ ورجل طاوي البطن ، أي : خميص البطن ؛ والطوى : الجوع ؛ قال عنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المطعم

---

(١) سورة اليوسف : ٨٦ .
(٢) سورة القارعة : ٤ .

وللسيد ابن دريد :

بَرٌّ بَرَى طول الطوى جثمانه   فهو كقدح النبع محني القرى

وأما الحشاشة : فهو بقية النفس ؛ قال المُتنبي :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا   فلم أدر أي الظاعنين أشيع

وقوله : { وأبدت كما أبديته من كآبتي } ؛ أبدت ، أي : أظهرت وبينت ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ﴾ (١) .

وقيل : بدأ الله (ﷻ) ، خلق السماوات والأرض يوم الأحد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ (٢) .

وفي الحديث : " البادي أظلم " ، أي : المُبتدي بالشر أظلم ؛ قال الشاعر :

بدا لي أني لست مُدرك ما مضى   ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

والكآبة : الحُزن ؛ والكئيب : الحزين ؛ وقيل : الكآبة : سوء الهيئة ، والإنكسار من الحُزن ، في الوجه خاصة ؛ قال المُتنبي :

فرب كئيب ليس تندى جفونه   ورب كثير الدمع غير كئيب

وأما قوله : { فبُحت بأسراري لها وأمانتي } ؛ فبُحت ، معناه : كشفت ؛ قال الحريري :

فبُح بهواك وبرد حشاك   فزيد أساك به قد قدح

---

(١) سورة يُوسف : ٣٥ .
(٢) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

وابن نوخذ وابن صُلبك ....

والباحة : ناحية ساحة الدار ؛ وبحبُوحة الجنة : وسطها ؛ والأسرار : جمع سر ، وقد مر تفسيره .

والأمانة : معروفة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ﴾ [2] .

قيل : أن الأمانة هي الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والغُسل من الجنابة ؛ لأن هذا يمكن أن يقول الإنسان قد صمت ولم يصم ، وصليت ولم يصل ، واغتسلت ولم يغتسل ، فصار ذلك كالأمانة عند العبد ، والله أعلم .

وضد الأمانة : الخيانة ؛ قال عليّ بن أبي طالب :

وخانوا الأمانة ما بينهم وهل في الأمانة نوفى الديات

وقوله : { وباحت بأسرارٍ لها كباحتي } ؛ فقد مر تفسيره كله .

وأما قوله : { ولم ينكتم ما بيننا ثم سران } ؛ فينكتم : من الكتمان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ [3] ؛ وقال النبي (ﷺ) : " استعينوا على أموركم بالكتمان " ؛ قال زهير بن أبي سلمى :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

وقوله : { ما بيننا ثم سران } ؛ فسران : تثنية سر ؛ وجمعه : أسرار ، وقد مر تفسير السر ، والإستشهاد عليه .

---

(١) سورة النساء : ٥٨ .
(٢) سورة الأحزاب : ٧٢ .
(٣) سورة البقرة : ٢٨٣ .

بيت القصيدة :

فقلت لها والليل وحف ذوائبه　　وقد سترت عنا الرقيب غياهبه
وطاب لنا مجني الهوى ومشاربه　　وجادت فلم تبخل بما أنا طالبه
أيا خلتي ممن أبوك مناسبه　　فغصت وقالت من مُعد بن عدنان

الشرح :

أما قوله : { فقلت لها } : فعل ماضٍ مُستقبله : أقول ؛ والقول : مصدر : قلت ، قولاً ؛ والقول : حكاية الكلام ؛ وأما قولهم : قد كثر القيل والقال ؛ والقيل : اسم مُشتق من القول ؛ قال الشاعر :

ملوا البُكاء فما يُبكيك من أحد　　واستحكم القيل في الميراث والقال

قال الله (ﷻ) : ﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ﴾ (١) .

وتقول : قال الرجل ، يقول ، قولاً ، وقيلا ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ (٢) .

وتقول : قال ، يقيل : من القيلولة : وهي نوم نصف النهار .

قال الرسول (ﷺ) : " قيلوا ، فإن الشياطين لا تُقيل " ؛ والمقيل : الموضع الذي يقيل فيه القايل ؛ والمقيل أيضاً : الدعة ، والنعمة ، وقلة التعب ؛ وقالت قريش للنبي (ﷺ) ، إذ هم في الحاجة والتعب : نحن أكرم

---

(١) سورة المائدة : ١١٦ .
(٢) سورة النساء : ١٢٢ .

مقاماً وأحسن مقيلاً ؛ فأنزل الله (ﷻ) : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ﴾ [1] ؛ وفيه أكثر من هذا اختصرته ، وقد مر تفسير بقية المصراع .

وأما قوله : { وقد سترت عنا الرقيب غياهبه } ؛ فسترت : من الستر ؛ قال امرؤ القيس :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلاّ لبسة المُتفضل

وقال التهامي :

فما ضرها رفع الستور وإنما يردك عنها نورها لا ستورها

وقال عنترة :

أقبل معاذير من يأتيك مُعتذراً إن بر عندك فيما قال أو فجرا

وقد مر تفسير بقية المصراع ، إلاّ قوله : { غياهبه } ؛ فالغياهب : جمع غيهب : وهو الظلام ؛ قال المُتنبي :

فإن نهاري ليلة مُدلهمة على مُقلتي من فقدكم في غياهب

وأما قوله : { وطاب لنا مجني الهوى ومشاربه } ؛ فالمشارب : جمع مشرب : وهو المورد الذي يشرب منه ؛ والشرب : المصدر ؛ تقول : شربت شرباً (بفتح الشين) ، هم : القوم الذين يشربون ؛ والشِراب (بكسر الشين) ، هو : الماء نفسه ؛ تقول له : كم شرب أرضك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) :

---

(١) سورة الفرقان : ٢٤ .
(٢) سورة الشعراء : ١٥٥ .

﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ (١) ؛ (بالكسر والضم) ؛ والهيم ، قيل : هي الإبل العطاش ؛ قال المتنبي :

فلم يبق خلق لم يردن فناءه　　　وهن له شرب ورود المشارب

وقوله : { وجادت فلم تبخل بما أنا طالبه } ؛ جادت : من الجود ؛ والبُخل : ضد السخاء والسماح ؛ وفيه لغتان : بُخل ، وبَخل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ (٢) ؛ قال طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بماله　　　كقبر غوي في البطالة مُفسد

وقال غيره :

سكنت فلم تبخل ولم تعط سائلاً　　　فسيان لا ذم عليك ولا حمد

وقوله : { بما أنا طالبه } ؛ فالطلب : هو الذي يجد في حاجته ، ويسعى فيها ، ويحرص عليها ؛ تقول : طلب ، يطلب ، طلباً ، فهو : طالب ؛ وفي الحديث : " اتقوا الله ، وأجملوا في الطلب " ؛ وقال : " الجنة لا ينام طالبها ، والنار لا ينام هاربها " ؛ قال الشاعر :

لا يُوجد الرزق بالإمعان في الطلب　　　ولا بكد ولا حرص ولا تعب

وأما قوله : { أيا خلتي ممن أبوك مناسبه } ؛ فـ [يا] : حرف نداء ؛ ويا خلتي ، أي : أهل مودتي ؛ وقال بعض أهل اللغة : الخليل : المُحب الذي ليس في محبته بُغض ، ولا خلل ؛ والخُلة (بضم الخاء) :

---

(١) سورة الواقعة : ٥٥ .
(٢) سورة محمد : ٣٨ .

المودة ؛ والخلة أيضاً : الصديق والصاحب ؛ يُقال : فلان خلتي ، أي : صديقي ؛ قال الشاعر :

ألا بلغا خلتي عامراً بأن خليلك لم يُقتل

ويُقال : خلتي ، وخلي ، وخليلي ؛ وفلانة خلتي (للمُذكر والمُؤنث) ؛ قال :

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

أي : كخلالة أبي مرحب ؛ والخلة : من الإخاء والمُصادقة ؛ والخلة : الجماعة ؛ والخَلة (بفتح الخاء) : الخلصة والحاجة ، وفيها أكثر من هذا ، تركته إختصاراً وإيجازاً .

وقوله : { ممن أبوك مناسبه } ؛ ممن ، المعنى فيه : من من ، فأدغم (النون) في (الميم) ، فقال : ممن ، وهي : ها هنا للإستفهام من أبوك ؛ والأب : معروف ؛ وجمعه : آباء ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

وأما قوله : { ممن أبوك مناسبه } ؛ فالمناسب : القريب الذي يُناسبك وتناسبه ، تقول : فلان نسيبي ، وأنا نسيبه ، وانتسب فلان إلى فلان ، أي : ادعى إليه القرابة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (٢) ؛ قيل : لما نزلت هذه الآية ، جاء عن عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، أنه قال : أين من يشتري قريشتي

---

(١) سورة النساء : ١١ .
(٢) سورة المؤمنون : ١٠١ .

بأربعة دوانيق ؟ وفي الرواية عن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : " الحسب : المال ؛ والكرم : التقوى " ؛ قال المُتنبي :

فاستضحكت ثم قالت كالمُغيث يرى ليث الشرى وهو في عجل إذا إنتسبا

وأما قوله : { فغصت وقالت من معد بن عدنان } ؛ فغصت : هو من الغصص : من الطعام ، وشجي بالماء ، وحرض بالريق ؛ قال أبو تمام :

ذل السؤال شجى في الحلق مُعترض من دُونه شرق في حلقه حرض

وقيل : (من لم ينتهز الفرصة تجرع الغصة) ؛ وقد وجدتها في نُسخة أخرى : { فغضت } ، (بالضاد) ؛ فإن كانت النُسخة صحيحة ، فهو من غض البصر ، ولعله : يكون من الحياء ، وقد مر تفسير غض البصر ؛ وإن كان بالعين (الغير مُعجمة) : عضت : بالعض من الأسنان ؛ وكأنها عضت على يديها من الغيظ ، ومن الندم ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ (1) ؛ والله أعلم بصحة الرواية ، وفي هذه اللفظة .

وأما قوله : { وقالت من معد بن عدنان } ؛ وجدت في كِتاب الأنساب ، قال : ما بدأت بنسب معد بن عدنان ، على يعرب بن قحطان ، كما فعل بعض النُساب ، وقد نسب يعرب بن قحطان على معد بن عدنان ، وقال : إنما قدمته لأن يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية ؛ وأنا عندي الحقيقة ، أن الرسول (ﷺ) ، لا يُقاس بأحد من الخليقة ، فإذا جعلنا الرسول (ﷺ) بمعزل عن الفريقين ، لم يكن لمعد بن عدنان ، فضل على يعرب بن قحطان ، لتقدم النُساب له في الأنساب ، لأن من شأن العرب أن تُقدم الصغير على الكبير ، والقليل على الخطير ، وذلك موجود في كِتاب

---

(1) سورة الفرقان : ٢٧ .

الله (ﷻ) ، قال الله (ﷻ) : ﴿ من الجنة والناس ﴾ [1] ؛ فقدم الجنة ، وهم : الجن ، على الناس ؛ فالناس أفضل ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً ﴾ [2] ؛ فقدم الليل على النهار ، والنهار أفضل ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ [3] ؛ فقدم الظلمات ، والنور أفضل ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ [4] ؛ والطيب خير وأفضل ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العُلى ﴾ [5] ؛ فقدم الأرض ، والسماوات أفضل ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قالوا آمنا برب هارون ومُوسَى ﴾ [6] ؛ فقدم هارون ، ومُوسَى أفضل ، (صلوات الله عليهما ، وعلى جميع الأنبياء والمُرسلين) ؛ وقيل : لأبي بكر (رضي الله عنه) وعُمر (رضي الله عنه) : العُمران ؛ وقيل لعُثمان يوم الدار ؛ تسلك سيرة العُمرين ؛ قال الفرزدق ، يمدح هاشم بن عبد الله :

يجل سيرة العُمرين فينا شفاء للقلوب من السقام

فسُميِّ أبو بكر بعُمر ، وأبو بكر أعلا درجة في الفضل ؛ والقمران : الشمس والقمر : فسُميت باسم : القمر ؛ والشمس أكثر نوراً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ﴾ [7] ؛ ويقولون في العدد : واحد وعشرون ، وخمسة وثلاثون ، وستة وثلاثون ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ تسع وتسعون نعجة ﴾ [8] ؛ فقدم القليل على الكثير ؛ وهذا مما لا يأتي عليه تفسير ، وليس في التقديم والتأخير حجة على الفضل والسبق ؛ لأنا قد رأينا العبد يمشي قدام مولاه ، وليس ذلك

---

(١) سورة هود : ١١٩ ؛ سورة السجدة : ١٣ ؛ سورة الناس : ٦ .
(٢) سورة النبأ : ١٠ ـ ١١ .
(٣) سورة الأحزاب : ٤٣ ؛ سورة الحديد : ٩ .
(٤) سورة المائدة : ١٠٠
(٥) سورة طـه : ٤
(٦) سورة طـه : ٧٠ .
(٧) سورة الأنعام : ٧٨ .
(٨) سورة ص : ٢٣ .

بشرف العبد على المولى ، وإنما ذلك ليدفع عن مولاه ما استقبله من الشر ، ويقيه بنفسه .

روي عن رسول الله (ﷺ) ، أنه كان إذا انتسب إلى معد بن عدنان ، أمسك ، ثم قال : " كذب النسابون ، وقرأ (ﷺ) ، قوله (تعالى) : ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ (1) ؛ وقال عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : وإني لأنتسب إلى معد ، وأنا بعده لا أدري ما هو ؛

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : أنه كان رسول الله (ﷺ) ، إذا بلغ إلى معد بن عدنان ، ويعرب بن قحطان ، كف عما فوق ذلك ، ولم ينتسب .

وروي عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المُسيب ، مثله عن سُليمان بن خيثمة ، قال : ما وجدنا في عِلم عَالِم ، ولا شِعر شَاعر ، أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان ، ويعرب بن قحطان ؛ وعن عائشة (رضي الله عنها) ، قالت : كذب النسابون ، ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان ، ويعرب بن قحطان ، إلاّ بتخرص .

وكان ابن مسعود (رضي الله عنه) ، إذا قرأ قوله (تعالى) : ﴿ وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاّ الله ﴾ (2) ؛ قال : كذب النسابون ؛ قال : ولقي الحسن ، دغفل النسابة ، فقال : أنت الذي تنسب الناس إلى آدم ، فكيف تصنع بقوله (تعالى) : ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ (3) .

واختلف النسابون في النسب بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ، وأما نسب إبراهيم (عليه السلام) ، فمذكور نسبهما ومبلغ أعمارهما ، والإنتهاء في النسب إلى عدنان وقحطان .

وقال بعض العُلماء بالماء بالأنساب ، النسب إلى ما فوق قحطان وعدنان ، فهو طلب غاية قصوى ، واختلف الناس في نسب عدنان ، فقال

---

(1) سورة الفرقان : ٣٨ .
(2) سورة إبراهيم : ٩ .
(3) سورة الفرقان : ٣٨ .

بعضهم : هو من ولد نبت بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ وقال بعضهم : هو من ولد قيذار بن إبراهيم ؛ وكان نبت بن إسماعيل ، أكبر من قيذار ، وهو بكر إسماعيل ، وولي نبت من بعده .

واشتقاق معد ، وأما المعد : فهو اللحمة في كتف الفرس ، وأصله معروفاً ، أدغمت الدال في الدال ، ويكون اشتقاقه من المعدن ؛ والمعدان : وهو موضع فتى السرج من الفرس ؛ وعدنان : فعلان : من قولهم : عدن بالمكان ، إذا أقام به ؛ يعدن ، عدوناً ، فهو : عادن ، أي : مُقيم ؛ ومنه اشتقاق المعدن ، لعدون الذهب والفضة ؛ وسُميت جنة عدن ، لأنها دار الإقامة والخلود ؛ وكان رسول الله (ﷺ) ، ينتسب إلى معد بن عدنان ، فهو : محمد (ﷺ) بن عبد الله بن عبد المُطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (صلوات الله عليه) بن رياح بن ناحور - وقيل : ابن شاروع بن أرغوي بن فالغ بن عابر - أخو هود النبي (عليه السلام) ؛ وعابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نُوح النبي (عليه السلام) ، وكان إفتراق اليمن ونزار من ها هنا - على ما وجدت - لأن هوداً وفالغ أبناء عابر ، فهود جد يعرب بن قحطان ، وفالغ جد معد بن عدنان ، ولم أعن أن جده أبو أبيه ، وإنما أردت أن أصله منه ونسبه إليه ؛ وإن قيل : أن رسول الله (ﷺ) ، لابُد له أن يكون من أحد الفريقين ؟ قلنا : أي أولى بالرسول ، من آمن به ، وصدقه ، واتبعه ، ووافقه ، وآواه ، ونصره ، وجاهد معه ، وعزره ؛ لا من جحد به ، وكفره ، وحاربه ، وحصره ، وطرده ، وهجره ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [1] ؛ وقال

(١) سورة الزمر : ٩ .

(ﷻ) : ﴿ أفنجعل المسلمين كالمُجرمين ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم ﴾ [2] ؛ ومثل هذا في القرآن الكريم كثير ، وإنما مُرادنا الإختصار ، لئلا يطول الكِتاب .

بيت القصيدة :

فقلت لها ما أنت من ذي المفاخر ولا أنت من أهل العلى والمآثر
ولا أنت من نسل الكرام الأخاير ولا أنت من ذي الفضل بين العشائر
فقومك قوم أهل شاء وباعر ومرعى بشام من بقول وحوذان [3]

الشرح :

فأما قوله : { فقلت لها } ؛ فالقول : قد تقدم ذكره .

وقوله : { ما أنت من ذي المفاخر } ؛ فـ [ما] في هذا المكان : نافية ؛ وما أنت : يُخاطب امرأة ، [والتاء] للتأنيث ، إذا خاطبها حاضرة ؛ وإذا خاطبها غائبة ، كان [ياؤها] ساكنة ؛ والمفاخر : جمع مفخر : وهو ما يكسبه الرجل من أفعال الشرف والكرم ؛ تقول : فخر الرجل ، يفخر ، فخراً ، فهو : فاخر ، ومفخور ؛ قال الله تعالى (ﷻ) : ﴿ كل مُختال فخور ﴾ [4] ؛ والفخر في الباطل : مكروه ومنهي عنه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ [5] ؛ وقال رسول الله (ﷺ) : " أنا أفخر العرب ولا فخر " ؛ قال المُتنبي :

---

(١) سورة القلم : ٣٥ .
(٢) سورة هود : ٢٤ .
(٣) في نُسخة أخرى ، شطر البيت هكذا : [ومرعى بقول من بشام وخوذان] .
(٤) سورة لقمان : ١٨ ؛ سورة الحديد : ٢٣ .
(٥) سورة الحديد : ٢٠ .

أبـا أحمد مـا الفـخـر إلاّ لأهلـه ... ومـا لامرئ لم يمس من بحتر فخر

وقال الحريري :

ومـا الفخر بالعظم الرميم وإنما ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وأما قوله : { ولا أنت من أهل العُلى والمـآثر } ؛ فأهل الرجل : عشيرته ، وأهل بيتـه ، وقرابتـه ، وابـن عمـه ؛ وأهـل الرجـل : زوجتـه أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ (١) .

وسُئل رسول الله (ﷺ) ، قيل له : يا رسول الله ، إنا نغيب عن الماء ـ أو قال : نغرب عن المـاء ـ وعندنا الأهلون ؛ فقـال (ﷺ) : " الصعيد كـاف ولـو إلـى سنين " ؛ هذا الكلام معنـاه ، ولـيس اللفظ بعينـه ، يعنـي : النساء ؛ قال الشاعر :

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت ... على عزب حتى يكون لـه أهل

فـإنـا سنجزيها بمـا فـعلت بنـا ... إذا مـا تـزوجنا وليس لها بـعل

قولـه : (حتـى يكـون لـه أهـل) ، أي : لـيس لـه زوجـة ؛ وفـي بعض القول : أن الرجل وأهله ، كله بمعنى : واحد ؛ وقيل : غير ذلك .

وآل محمد(ﷺ) ؛ قيل : أنـه أهل بيتـه ؛ وقيـل : آلـه : الـذين هم على دينه وملته ؛ وقال الله (ﷻ) : ﴿ يا أهل يثرب ﴾ (٢) ؛ وفي الأهل أكثر من هذا ، تركته إختصاراً وإيجازاً .

وقوله : { ولا أنت من أهل العُلى والمـآثر } ؛ فـالعُلا : هو العلو والـرفـعة ، (إذا ضممت العين) : قـصـرت ؛ (وإذا فتحت العين) : مـددت ؛

(١) سورة هود : ٨١ ؛ سورة الحجر : ٦٥ .
(٢) سورة الأحـزاب : ١٣ .

وللسيد ابن دريد :

فالا أسلم كل يوم عليهم فإن العُلا تنتابهم فأسلم

جمع العُلا : المعالي ؛ والمآثر : المفاخر ؛ والمعاني : كله قريب المعنى بعضه من بعض ؛ والمآثر : ما يُؤثره الإنسان ويتركه أثراً يُذكر به في حياته ، وبعد وفاته ، لأنه يتركه أثراً باقياً يعمل به من بعده ؛ وللسيد ابن دريد :

محل كل مقرم سمت به مآثر الآباء في فرع العلا

وقال المُتنبي :

حلو خلائقه شوس حقائقه تحصى الحصى قبل أن تحصى مآثره

وأما قوله : { فقومك قومٌ أهل شاءٍ وباعر } ؛ فالقوم في كلام العرب : رجال ، لا امرأة فيهم ؛ وكذلك الملأ ، والنفر ، والرهط ، تقول : فلان من قومي ، أي : من رجالي الذين أثق بهم ، وأعول عليهم ؛ قال زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فإن احتج مُحتج ، بقوله (ﷻ) : ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ [1] ؛ فقال : أوأرسل إلى الرجال دُون النساء ؟ قيل له : بل إرسال الله (ﷻ) ، إلى الرجال والنساء ، ولكنه اكتفى بذِكر الرجال عن النساء ، لأن الغالب على النساء إتباع الأزواج ، فكان ذِكرهم كافياً .

وقال الخليل : القوم : الرجال خاصة دون النساء في وجه ؛ وفي

(١) سورة نوح : ١ .

القرآن الكريم ، قوله (ﷻ) : ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ﴾ [1] ؛ وقال قوم : سُميَّ الرجل قوماً ، لأنهم يقومون معه في النوائب والمصائب ؛ والله أعلم ؛ وقد مر تفسير الأهل ؛ والشاء : جمع شاة ؛ قال الشاعر :

إذا غرد المكاء في غير روضة فوَيل لأهل الشاء والحمرات

والباعر : جمع بعير ؛ وكذلك الجامل : جمع جمل ؛ وقيل : الجامل : جمع الجمال في رعاتها ؛ وهي جمع الجمع ؛ قال امرؤ القيس :

لم تغذ بالبؤس سلمى ولا تصحب أهل الشاء والجامل

وكذلك الباقر : جمع بقر مع رعاتها ؛ وقد قرئ : [إن الباقر تشابه علينا] ؛ قال الشاعر :

وما ذنبه أن عافت الماء باقر وما أن يعاف الماء إلاَّ ليضرما

وقال :

كما ضرت اليعسوب إن عاف باقر وما ذنبه إن عافت الماء باقر

سُميَّ الثور : يعسوباً ، تشبيهاً بذكر النحل ؛ والعرب تسمي الناقة : بعيراً ؛ قال الشاعر :

لا تشتهي لبن البعير وعندنا لبن الزجاجة وأكف المعصار

وهم يقولون : اسقني لبن بعيرك ؛ يُريدُون لبن ناقتك ؛ قال الأصمعي : البعير يكون مُذكراً ومُؤنثاً ، وهو بمنزلة الإنسان ؛ يُقال

(١) سورة الحجرات : ١١ .

للجمل : هذا بعير ؛ وللناقة : هذه بعير ؛ ويُقال في الجمع : أباعر ، وجمع الجمع : بعران ؛ قال بعض لصوص العرب :

وإني لأستحيي من الله أن أرى أطوف بخيل ليس فيه بعير
وأن أسأل المرء اليتيم بعيره وبعران ربي في البلاد كثير

شرحت هذا المصراع الذي شرحته ، وأغفلت قبله مصراعين ، جرى مني فيهما سهو ونسيان ، وهما قوله :

ولا أنت من نسل الكرام الأخاير ولا أنت من ذي الفضل بين العشائر

وأما قوله : { ولا أنت من نسل الكرام الأخاير } ؛ فالنسل : معروف ؛ ونسل الرجل : أولاده وذريته ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم جعل نسله من سُلالة ﴾ [1] ؛ والسليل - أيضاً - الولد ، سُميَّ بذلك : لأنه استل من أبيه ؛ وكل من سل شيئاً من شيء : فهو سليل ؛ وفي الرواية : " كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ، إلاّ سببي ونسبي " ؛ قال الشاعر :

في النسل هَمٌّ وفي التزويج منقصة والله فرد يُحب الفرد فانفرد
لو كان في كثرة الأولاد مكرمة ما قال ما اتخذ الرحمن من ولد

والكرام : جمع كريم ؛ قال طرفة بن العبد :

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غداً أينا الصدي

وقيل : الكريم : الشريف الفاضل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [2] ، أي : أفضلكم ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولقد كرمنا بني

---

(١) سورة السجدة : ٨ .
(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

آدم ﴾ [1] ، أي : فضلناهم وشرفناهم ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليَّ ﴾ [2] ، أي : فضلت ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه ﴾ [3] ، أي : فضله ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ذو العرش المجيد ﴾ [4] ، أي : العظيم الشريف الفاضل ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وندخلكم مُدخلاً كريماً ﴾ [5] ، أي : شريفاً ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إني ألقي إليَّ كِتاب كريم ﴾ [6] ، أي : شريف ، لشرف صاحبه ؛ ويُقال : كريم : مختوم من شرف بالختم ؛ والكريم : الصفوح ؛ لأن الصفح من الكرم ، والفضل ، والشرف ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فإن ربي غني كريم ﴾ [7] ، أي : صفوح ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ [8] ، أي : الصفوح ؛ والكريم : الكبير ؛ قال (ﷻ) : ﴿ ورزق كريم ﴾ [9] ، أي : حسن يبتهج به ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وقل لهما قولاً كريماً ﴾ [10] ، أي : حسناً ؛ وأصل هذا كله : الشرف ؛ قال زهير :

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يُكرم

والأخاير : جمع خير ؛ يقول : رجل خير ؛ وامرأة خيرة ؛ وفي القرآن الكريم ، قوله (ﷻ) : ﴿ خيرات حسان ﴾ [11] ؛ قرئت (بالتخفيف والتثقيل) : خيرات ، وخيرات ؛ وقوم خيار ؛ قال طرفة :

ولقد شهدت الخيل وهي مغيرة ... ولقد طعنت مجامع الربلات
ربلات جود تحت قدٍّ بارع ... حلو الشمائل خيرة الهلكات

---

(1) سورة الإسراء : ٧٠ .
(2) سورة الإسراء : ٦٢ .
(3) سورة الفجر : ١٥ .
(4) سورة البُرُوج : ١٥ .
(5) سورة النساء : ٣١ .
(6) سورة النمل : ٢٩ .
(7) سورة النمل : ٤٠ .
(8) سورة الإنفطار : ٦ .
(9) سورة الأنفال : ٤ ، ٧٤ ؛ سورة الحج : ٥٠ ؛ سورة النور : ٢٦ ؛ سورة سبأ : ٤ .
(10) سورة الإسراء : ٢٣ .
(11) سورة الرَّحمَن : ٧٠ .

الربلات : ما بين الفخذين ، وهي متاع المرأة ، لأنه بين الفخذين ؛ والربلات : السمينة الضخمة الفخذين ؛ قيل : جاء رجل فسعي به ، ووشي عند الملك النعمان ، فقال له طرفة : بلغت بالمُتجردة ، فأنشدت البيتين ، فلما جاء طرفة ، قال له الملك : يا طرفة ، كيف قلت : (ولقد شهدت الخيل وهي مُغيرة) ؛ قال طرفة :

ولقد شهدت الخيل وهي ُمغيرة ولقد طعنت مجامع الربلات
ربلات خيل لاتزال مُغيرة يقطرن من علق على الثنات

ويروى على الثقبات ؛ فالثقبات : الركب ؛ والثنات : الشعيرات المُجتمعات على رسغ الدابة ؛ ولطرفة حديث طويل تركته إختصاراً .

وأما قوله : { ولا أنت من ذي الفضل بين العشائر} ؛ والفضل : معروف ؛ تقول : رجل فاضل ، ومُفضل ، ومِفضال ، أي : إذا كان كثير الأفعال والمعروف ؛ والفضل : الدرجة الرفيعة في الفضل ؛ والتفضل : التطول منك على غيرك ؛ تقول : أفضل فلان على فلان ، أي : أناله من فضله ، وهو أحسن إليه ؛ قال الشاعر :

قنعت بالقوت من زماني وصنت وجهي عن الهوان
مخافة أن يقول قوم فضل فلان على فلان
إذا كُنت عن ماله غنياً فلا أبالي ولو جفاني
وإن رآني بعين زهدٍ رأيته مثل ما يراني
فاستغن بالله عن فلانٍ وعن فلان وعن فلان

قال الله (ﷻ) : ﴿ وأن الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء ﴾ [1] ؛ وقال

(١) سورة الحديد : ٢٩ .

(ﷻ) : ﴿ ويُؤت كل ذي فضل فضله ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ذلك من فضل الله ﴾ (٢) ؛ ويُقال : لا يعرف لذوي الفضل إلاَّ أهل الفضل ؛ والفضائل : من الفضل ؛ والفواضل : من الأفضال ؛ قال الفزاري :

وذو الحيلتين في عصائب طيءٍ   فتى الفضل والنعما عدي بن حاتم

والعشائر : جمع عشيرة ؛ والعشيرة : بنو العم ؛ والواحد : عشير ؛ وقد جاء في القرآن الكريم ، قوله (ﷻ) : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٣) ؛ قال المُتنبي :

تحمى السيوف على أعدائه معه   كأنهن بنوه أو عشائره

وأما قوله : { ومرعى بقول من بشام وحوذان } ؛ فالمرعى : قد مر تفسيره ؛ والبقول : جمع بقل ؛ والبقل : الحشيش الأخضر ؛ وكل ما اخضر من النبت : فهو بقل ؛ قال الشاعر :

ولا مُزنة أودقت ودقها   ولا أرض أبقل أبقالها

وقال غيره :

لعمر أبيك ما نسب المعلا   إلى كرم وفي الدُنيا كريم
ولكن البلاد إذا اضمحلت   وضوح نبتها رعي الهشيم

قال الله (ﷻ) : ﴿ فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ﴾ (٤) .

وأما قوله : { من بشام وحوذان} ؛ فالبشام : اسم شجر يُقال له :

---

(١) سورة هود : ٣ .
(٢) سورة يوسف : ٣٨ .
(٣) سورة الشعراء : ٢١٤ .
(٤) سورة البقرة : ٦١ .

بشام ؛ وبشم أيضاً ؛ قال الشاعر :

أعيـــوا بـــأمرهم كمـــا أعيــت مصـيبتها الحمامــه
جعلت لـهـا عـودين مـن بشم وآخر مـن ثـمـامـه

والثمامة - أيضاً - : شجر ؛ والحوذان : شجر ؛ ولم أحفظ له شاهد .

بيت القصيدة :

قد اتخذوا من أكدر العهن ملبسا ومن شعر المعزاء مأوى ومكنسا
وفي الأرض من حر الهواجر مرمسا تراهم إذا ما الليل جن وعسعسا
وهب نسيم فيه صرد تنفسا يلوذون بالشجراء لوذة عريان

الشرح :

أما قوله : { قد اتخذوا } ، على وزن : افعلوا ؛ واتخذت الشيء : جعلته لنفسي خالصاً دُون غيري ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وما كنت مُتخذ المُضلين عضداً ﴾ (٣) ؛ والأخذ : ضد العطاء ؛ وقيل غير هذا ، تركته .

وأما قوله : من أكدر العهن } ؛ فالأكدر : الذي فيه كدرة ؛ والكدرة : سواد ليس بالناصع ؛ قال الشاعر :

والخل كالماء يبدو لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(١) سورة النساء : ١٢٥ .
(٢) سورة الأعراف : ١٤٨ .
(٣) سورة الكهف : ٥١ .

وقال غيره :

لم يصف عيشك إلاّ مسه كدر كأن كل نعيم جالب كدر

والكدر : ضد الصفو ؛ والأكدر : من الألوان ، ليس بالخالص ؛ قال عمرو بن كلثوم :

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

والعهن : قد جاء عن أهل التفسير : أنه الصوف المصبوغ ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كالعهن المنفوش ﴾ [1] ؛ قال زهير بن أبي سلمى :

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

قيل : العهن : الصوف المصبوغ بالحُمرة ، والصُفرة ، والخُضرة ؛ والفنا : شجرة صغيرة لها حب أحمر ، تتخذ منه القراريط ؛ وقال أبو عمرو : الفنا : عنب الثعلب ؛ والفَناء (بفتح الفاء) : الهلاك ؛ وفِناء الدار (بكسر الفاء) : ساحتها وناحيتها ؛ والملبس : ما لبسه من لباس ، أي لباس كان ؛ ويكون الملبس مصدراً ؛ تقول : لبست لباساً ، وملبساً ، ولبساً ؛ واللباس : الاسم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ [3] ؛ قال الشاعر :

إذا دخلت على الملوك فالبس من التقوى أجل ملبس
وادخل ما دخلت أعمى واخرج ما خرجت أخرس

---

(١) سورة القارعة : ٥ .
(٢) سورة البقرة : ١٨٧ .
(٣) سورة النحل : ١١٢ .

وقال الشاعر :

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى تقلب عرياناً ولو كان كاسيا

وقال الشافعي :

وخير خصال المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وله أيضاً :

فلا يغرنك اللباس فليس في الأثواب باس
هم وإن نالوا الثريا بخلاء وخساس
كم يد تستوجب القطع تُفدى وتُباس

وله أيضاً :

أجد الثياب إذا لبست فإنها زين الرجال بها يجل ويكرم
ونقاء ثوبك لا يزيدك زلفة عند الإله وأنت عبد مجرم
ورثاث ثوبك لا يضرك بعدما تخشى الإله وتتقي ما يحرم

وأما قوله : { ومن شَعر المعزاء مأوى ومكنسا } ؛ فالشعر : معروف ، وقد مر ذكره فيما تقدم ؛ والمعزاء ، والمعز : من الغنم : معروفة ؛ وهي خلاف الضأن ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ﴾ [1] ؛ والأماعز : من الأرض ، المكان الذي فيه حجارة وحصى ؛ قال عمرو بن كلثوم :

كأن جماجم الأبطال فيها وسوق بالأماعز يرتمينا

(1) سورة الأنعام : ١٤٣ .

والأماعز : مثل الأمعز ؛ قال طرفة :

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت   وقد خب آل الأمعز المتوقد

فالأمعز : الموضع الصلب الكثير الحصى ؛ والمتوقد : الذي يتوقد من شدة الحر ؛ لأن الحصى أشد توقداً ؛ قال الشماخ :

طوى طمرها في بيضة القيظ بعدما   جرت في عنان الشعر بين الأماعز

والواحد من الأماعز : معز ؛ والمأوى : الذي يأوي إليه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإن الجنة هي المأوى ﴾ (1) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾ (2) ؛ يأوي إلى الجنة أهلها المُستحقون لها ؛ ويأوي إلى الجحيم المُستحقون لها ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فأووا إلى الكهف ﴾ (3) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فلهم جنات المأوى ﴾ (4) ؛ الذي يأوي إليها ، الذين خلقهم الله لها ، ورزقهم إياها ، وجعلهم من أهلها ، رحمة منه ، وفضلاً عليهم : ﴿ طوبى لهم وحُسن مآب ﴾ (5) ؛ وأما المكنس والكناس : المكان : وهو مخصوص بالظبي ، أو غيره من الوحش تحت شجرة ، ليدخل فيها ؛ قال لبيد بن ربيعة :

شاقتك ظعن الحي يوم تحملوا   فتكنسوا قطناً تصر خيامها

جعل الهوادج لهن : مثل الكناس للظبي ، على الاستعارة .

وأما قوله : {وفي الأرض من حر الهواجر مرمساً} ؛ الأرض :

---

(1) سورة النازعات : ٤١ .
(2) سورة النازعات : ٣٩ .
(3) سورة الكهف : ١٦ .
(4) سورة السجدة : ١٩ .
(5) سورة الرعد : ٢٩ .

معروفة : وهي خلاف السماء ؛ وهي التي عليها الناس ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فورب السماء والأرض ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ [2] ، أي : بسطها ، وهي كثيرة في القرآن الكريم ؛ والأرض - أيضاً - : قوائم الدابة ؛ يُقال : بعير شديد الأرض ، أي : شديد القوائم ؛ قال الشاعر :

إذا ما استحمت أرضه من سمائه   جرى وهو مودوع وواعد مصدق

يعني : أرضه من قوائمه ؛ وسماؤه : أعلاه ؛ والأرض : الرعدة ؛ قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : زلزلت الأرض أم بي الأرض ، يعني : أم بي رعدة ؛ والأرض : الزكام ؛ قال ذو الرمة :

إذا توحش ركزاً من سنابكها   أو كان صاحب أرض أو به الموم

فالموم : الوشام ؛ والأرض : الزكام ؛ والحر : معروف ؛ وهو ضد البرد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قل نار جهنم أشد حراً ﴾ [3] ؛ قال المُتنبي :

وبسمن عن برد خشيت أذيبه   من حر أنفاسي فكنت الذائبا

وقال عليّ بن أبي طالب ، في خُطبته : إن كنتم في الحر تفرون ، وفي البرد تقرون ، فأنتم والله من السيف أقر وأفر ؛ والهواجر : جمع هاجرة ؛ وهجر الرجل : في وقت الهاجرة ؛ وللملك امرئ القيس بن حجر :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة   ذمول إذا صام النهار وهجرا

---

(١) سورة الذاريات : ٢٣ .
(٢) سورة النازعات : ٣٠ .
(٣) سورة التوبة : ٨١ .

وقال غيره :

فـي ظلمة كالظـلم أحـرس كلبها وهجيـره كالهـجر صار هجيرها

والمرمس : المكان الذي يقومون فيه ، وهو المكـان العـافي الـدارس ؛ قال النابغة :

كـأن مجـر الرامسات ذيـولـها عليه حصـير نـمقـته الأصابع

فالرامسـات : الريـاح ، لأنـهـا تعفـي الـديار ، وتمحـو الآثـار ، ومـن هذا اشتقاق المرمس ؛ وليس هو من الرمس ، لأن الـرمس هـو القبـر ؛ ولـيس هو مـن السمر ، إلاّ أن يكون مقلوباً ، كمـا قـالوا فـي السبسـب : بسبس ؛ وفي السباسب : بسابس ؛ والله أعلم .

وأما قولـه : { تراهم إذا ما الليل جن وعسعسا } ؛ تـراهم : فعل مُستقبل ، مُتصل بضمير ، وموضع الضمير من الإعراب النصـب ، بوقـوع الفعل عليه ، وهو في رؤية العين ؛ وجن الليل : أظلم ، وستر كل مـا فيـه ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ فلمـا جـن عليـه الليـل ﴾ [1] ؛ وجنـان الليـل : مصـدر ؛ وللسيد دريد بن الصمة :

ولـولا جنـان الليل أدرك ركضنا نرى الرمث والأرطا عياض بن ناسب

ويُـروى : (ولـولا جنـون الليـل) ؛ تقـول : جـن الليـل ، فهـو يجـن ، جنوناً ، وجناناً ؛ وجنونـه : عطاؤه وسواده ؛ ومـا جنـك مـن شـيء : فهو جنان ، وجنون ؛ وجنك ، أي : سترك ؛ وسُميَّ الجن جنـاً : لاستتارهم عن أعين النـاس ؛ وسُميت الملائكـة جنـاً وجنـة : لاستتارهم أيضـاً ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾ [2] ، يـعني : الملائكة (عليهم

---

(١) سورة الأنعام : ٧٦ . (٢) سورة الصافات : ١٥٨ .

السلام) ؛ وسُميَّ الولد في بطن أمه جنيناً : لاستتاره أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ (١) ؛ قال عمرو بن كلثوم :

ولا شمطاء لم يترك شقاها   لها من تسعة إلاَّ جنينا

والجُنة (بضم الجيم) : الترس ، سُميت بذلك : لأنها تستر صاحبها ؛ والجِنة (بكسر الجيم) : هي الجن ، لاستتارهم ؛ والجَنة (بفتح الجيم) : هي البُستان ، لأنه يستر من هو فيه ويُواريه شجره ؛ وتركت الإطالة فيه .

وعسعس الليل ؛ قيل : إذا أدبر ؛ وقيل : أقبل : وهو في الأضداد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس ﴾ (٢) : إذا أضاء ، جعل ضوءه ونوره تنفساً ؛ وعسعس : اسم موضع ؛ وللملك امرئ القيس :

ألم تسأل الربع الجواد بعسعسا   كأني أنادي أو أكلم أخرسا

وأما قوله : { وهب نسيمٌ } ؛ فهو من هبوب الريح ، وقد مر تفسيره ؛ والنسيم : ما تنسم من هبوب الريح ؛ وللملك امرئ القيس :

إذا التفتت نحوي تضوع ريحها   نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وقوله : { نسيم فيه صرد تنفسا } ؛ فالصر : هو البرد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾ (٣) ؛ فالصر : هو البرد ؛ وكذلك قوله (ﷻ) : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً

---

(١) سورة النجم : ٣٢ .
(٢) سورة التكوير : ١٧ – ١٨ .
(٣) سورة آل عمران : ١١٧ .

صرصراً ﴾ (١) ، أي : باردة ؛ والبرد إذا اشتد كان عذاباً ؛ وكذلك الحر ؛ والصرصر : كله واحد ، وهو مُضاعف البناء .

وقوله : { فيه صرد تنفسا } ، أي : تنفس النسيم الباردة ؛ وتنفسه : تنسمه وهبوبه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ (٢) ؛ وكل هذا على الاستعارة ، ومعناه : الحركة ؛ والله أعلم .

وقوله : { يلوذون بالشجراء لوذة عريان } ؛ يلوذون ، أي : يدورون بها ، ويطوفون حولها ، ويلجئون إليها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يتسللون منكم لواذا ﴾ (٣) ؛ ولذت بفلان ، أي : عُذت به ، إذا التجأت إليه ؛ والملاذ ، والمعاذ ، والملجأ : كله بمعنى واحد ؛ قال المُتنبي :

من يلق قبلك من إذا اختلف القنا ... جعل الطعان من الطعان ملاذا

والشجراء : أرض كثيرة الشجر ؛ وللملك امرئ القيس :

وترى الشجراء من ريقها ... كرؤوس قطعت فيها الحمر

وقوله : { لوذة عريان } ؛ فلوذة : مصدر لاذ ، يلوذ ، لوذة ، ولياذاً ، وملاذاً ، ولوذاً ، وملاذة ، ولواذاً ، وكل هذه مصادر ؛ والعريان : الذي ليس عليه لباس ، وهو عار وعريان ؛ قال المُتنبي :

أما الثياب فتعرى من محاسنه ... إذا نضاها ويكسى الحسن عريانا

وقال الشامي :

يا ابن الذي وردوا في كل مكرمة ... وكلهم من ثياب الذم عريان

---

(١) سورة فصلت : ١٦ .
(٢) سورة التكوير : ١٨ .
(٣) سورة النور : ٦٣ .

وقال التهامي :

ثوب الرياء يشف عما تحته فإذا التحفت به فإنك عاري

وقال الشامي :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً ولو كان كاسيا
وخير خصال المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

بيت القصيدة :

فهم في بقيع الأرض حول المرابض جثوم كأمثال الدجاج البوايض
ويسعون في المعزاء بين المواخض لشرب ضياح أو لحسوة قابض
وفي البيد أمثال النعام الرواكض لخرط أراك أو لسدر وسعدان

الشرح :

أما قوله : { فهم في بقيع الأرض حول المرابض } ؛ فالبقيع : المكان الواسع من البرية ؛ والبقيع : مُذكر ؛ والبقعة : مُؤنثة ؛ والجمع : البقاع ؛ والقيعان ، والقيعة : مُؤنثة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ﴾ (١) ؛ قال ابن دريد :

فطبق الأرض فكل بُقعة منها تقول المزن في هاتا ثوى

وفي المدينة المنورة ، موضع يُقال له : البقيع ؛ ويُقال له : بقيع الغرقد أيضاً ؛ ويُقبر فيه الموتى ؛ والغرقد : شجر ، وقد ذهب الشجر ،

(١) سورة النور : ٣٩ .

وبقي الاسم لازماً ؛ وقد مر تفسير الأرض .

وقوله : { حول المرابض } ؛ وحول الشيء : ما دار به ، وأحاط به ؛ وللملك امرئ القيس :

وأضحى يسح الماء حول كتيفة　　　يكب على الأذقان دوح الكنهبل

وقال غيره :

كأن عيون الوحش حول خبائنا　　　وأرجلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، والمعنى : لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، يجعلونها اسم [ليس] ، في جواب [كان] ، يرفع الاسم ، وينصب الخبر ؛ ومنهم من يقول : لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، فينصب [حول] على النفي ، ويرفع [قوة] على أنها اسم [ليس] ؛ قال عنترة :

هذا العمر كم الصغار بعينه　　　لا أم لي إن كان ذاك ولا أب

فنصب [أم] على النفي ، ورفع [الأب] ، كأنه قال : ليس لي أب ؛ ومنهم من يقول : لا حول ولا قوة إلاّ بالله ؛ فيرفع [حول] باسم [ليس] ، كأنه قال : ليس حول ولا قوة ، نصب على النفي ؛ وهذه الوجوه جائزة في قوله (ﷻ) : ﴿ ولا خلة ولا شفاعة ﴾ (1) ؛ ولم أر أن أشغل الكِتاب بأكثر من هذا .

وقوله : { حول المرابض } ؛ فالمرابض : جمع مربض : وهو المكان الذي تربض فيه الغنم ؛ والربيض : الغنم نفسها ؛ وكل ما يربض ، فهو : ربيض ؛ قال الحارث بن حلزة :

---

(1) سورة البقرة : ٢٥٤ .

عنتا باطلا وظلما كما يعتر في حجرة الربيض الظباء

والعنت : الإعتراض بالباطل ؛ والعتيرة : الذبيحة ؛ والعتر : الذبح ؛ وكانت العرب تنذر نذراً على الشاء ، إذا بلغت شاء الرجل مائة ، أن يذبح عن كل عشرة منها شاة ، وكانت هذه الذبيحة تذبح في رجب ، وكانت تسمى : الرجبية ، وأن هذا عليهم في دينهم واجباً ؛ وكان قوم من الأعراب ، إذا وجب عليهم النذر ، اصطادوا الظباء وذبحوه عنها ، بُخلاً بها ؛ فقال : أتريدون أن تحملوا علينا ذنب غيرنا ، كما تذبح هذه الظباء عن غنمهم ؛ هذا معنا : (غير مستقضى) .

وأما قوله : { جثومٌ كأمثال الدجاج البوايض } ؛ فجثوم : من قوله : جثم بمكانه ؛ وجثم البعير : إذا برك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ [1] ؛ قالت الزباء ، لما جاءها قصير بالرجال ، بجرأة على الجمال ، فقالت :

ما للجمال سيرها وئيداً أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفانا بارداً شديداً أم الرجال جثماً قعودا

والدجاج : جمع دجاجة : وهو هذا الطير الأنيس ، الذي عند الناس في بيوتهم ودورهم : وهو معروف ؛ قال الشاعر :

زماننا فيه مسكرات يكسر الجندل الزجاج
وعقعق صاده عسال وثعلب صاده الدجاج
وابن عرس علا حماراً من فوقه ما له شجاج

والدجاج (بفتح الدال وضمه) ، والفتح أجود ؛ والدجاجة ـ أيضاً ـ :

---

(١) سورة هود : ٦٧ ، ٩٤ .

الكبة من الغزل ؛ وقيل : الدجاج : خنازير العرب ؛ والبوانض : جمع بانضة ؛ تقول : باضت الدجاجة ، تبيض ، بيضاً ، وهي : بائضة ، وبائض ؛ والجمع : البوائض ؛ والبيض : اسم ما يلقيه ، ويخرج منه البيض ؛ ومن البيض يخرج الفروخ ؛ وواحد البيض : بَيضة (بفتح الباء) ؛ وللملك امرئ القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهوبها غير معجل

شبه المرأة : ببيضة النعامة ؛ والعرب تشبه المرأة بالبيضة ، من أجل أن البيضة فيها البياض والصُفرة ، وهذا أحسن لون يكون في المرأة ؛ قال ذو الرمة :

بيضاء في دعج كحلاء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

جعل فيها لون الفضة : وهو أبيض ؛ ولون الذهب : وهو أصفر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ (١) .

وقولهم : بيضة العقر ، معناه : أن ذلك الأمر لم يكن إلاّ مرة واحدة ، لا ثانية لها ؛ لأن العقر استعقام الرحم ، وهو ألا تحمل المرأة ؛ وامرأة عاقر ؛ ورجل عاقر أيضاً : إذا كان لا يُولد له ؛ ويُقال : بيضة العقر ، بيضة الديك ، لأنه يبيض واحدة لا ثانية لها ، فيُضرب مثلاً بمن يفعل فعلة واحدة ، ولم يضف لها مثلها .

وقولهم : فلان بيضة البلد ، فهذا يكون للمدح ، ويكون للذم ، وهو من الأضداد ، وإذا كان بمعنى المدح ، كان معناه : أنه واحد البلد الذي يجتمع إليه ، ويُقبل قوله ؛ قالت امرأة ترثي عمرو بن عبد ود ، وتذكر قتل عليٍّ إياه :

---

(١) سورة الصافات : ٤٩ .

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يُعاب به وكان يُدعى قديماً بيضة البلد

وفي الذم : يُراد به أنه لا ناصر له ، كالبيضة التي تركتها النعامة ، فتبقى مُنفردة ، لا خير فيها ولا منفعة ؛ وقال امرأة ترثي بنيها :

لهفي عليهم لقد أصبحت بعدهم كثيرة الهم والأحزان والكمد
قد كنت قبل مناياهم بمغبطة فصرت مُفردة كبيضة البلد

البلد في هذا البيت : المفازة ، لأنهم يقولون لكل موضع مستو من الأرض : بلداً ، عامراً كان أو خالياً ، مسكوناً أو غير مسكون ؛ والبلد : المقبرة أيضاً ؛ وقيل : هو القبر ؛ قال الشاعر :

كل امرئ تارك أحبته مسلم وجهه إلى البلد

قال الله (تعالى) : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ [1] ؛ يعنى : مكة نفسها ؛ والبلدة : بلدة النحر وما حواليها ، وهي : الثغرة أيضاً ؛ قال الشاعر :

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلاّ بغامها

فالبلدة الأولى ، يعني : كلكلها ، وموضع نحرها ؛ والبلدة الثانية ، يعني : المفازة ؛ والبلدة : البلجة ما بين الحاجبين ؛ والبلادة ضد النفاذ ، والمضاء في الأمور ؛ والفرس البليد ، إذا لم يكن سابقاً ؛ قال الشاعر :

جرى طلقاً حتى إذا قيل سابقاً تداركه أعراق سوء تبلدا

والتبلد : ضد التجلد ، وهو : استكانة وخضوع ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة البلد : ١ .

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

وقال الله (ﷻ) : ﴿ الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

كأن بلاد الله وهي عريضة علَى الخائف المطلوب كفة حامل

وفيها أكثر من هذا ، تركته اختصاراً وإيجازاً ، وإن كُنا قد أطلنا وأكثرنا في هذه الفنون ؛ فقد قالوا : " الحديث ذو شجون " ، وشجونه : ما تشعب منه .

وأما قوله : : { ويسعون في المعزاء بين المواخض } ؛ فيسعى : من السعي : وهو الإسراع في المشي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ (٣) ؛ فقيل : السعي : الإسراع ؛ وقيل : الذهاب إليها ؛ والمضي : الإسراع ، أسرع أو لم يُسرع ؛ والسعي : العمل أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى ﴾ (٤) ؛ وللملك امرئ القيس :

ولو أنني أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلاً من المال
ولكنني أسعى لمجد مُؤثل وقد يُدرك المجد المُؤثل أمثالي

وأما قوله : { ويسعون في المعزاء } ؛ فالمعزاء : الأرض التي فيها حجارة وحصى صغار ؛ والمعزاء : مُؤنثة ؛ وجمعها : الأماعز ،

---

(١) سورة الفجر : ١١ ـ ١٢ .
(٢) سورة القصص : ٢٠ .
(٣) سورة الجمعة : ٩ .
(٤) سورة النجم : ٣٩ ـ ٤٠ .

والأمعز ؛ قال طرفة :

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خب آل الأمعز المتوقد

وقد تقدم مثل هذا فيما مضى .

وأما قوله : { بين المواخض } ؛ فـ [بين] : كلمة تستعمل للإثنين والجمع ، وهي ظرف من ظروف المكان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجعل بين البحرين حاجزا ﴾ (1) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وجعلنا بينهم موبقا ﴾ (2) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ (3) ؛ هذا في التثنية ؛ وفي الجمع ، قال (ﷻ) : ﴿ فزيلنا بينهم ﴾ (4) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فأغرينا بينهم ﴾ (5) ؛ والبين : الفراق والوصل أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ (6) ، أي : وصلكم ؛ والبين (بكسر الباء) : القطعة من الأرض مد البصر ؛ ويُقال : بينهما بون بعيد ؛ وبين أيضاً ؛ وبون أبلغ من الصفة ، وتفاوت الحال .

وأما : { المواخض } : فجمع ما خضة ؛ تقول : مخضت المرأة اللبن ، تمخضه ، مخضاً ، فهي : ما خض ؛ والجمع : المواخض ؛ قال معين بن معين :

يلين لنا اصطفاق الموج حيناً وحيناً مثل مخض الماخضينا

والمخيض : اللبن الممخوض ؛ فعيل في وزن مفعول ؛ مثل : قتيل

(1) سورة النمل : ٦١ .
(2) سورة الكهف : ٥٢ .
(3) سورة الكهف : ٩٦ .
(4) سورة يونس : ٢٨ .
(5) سورة المائدة : ١٤ .
(6) سورة الأنعام : ٩٤ .

ومقتول ؛ قال الحريري :

أتــح لنــا اللهــم مــن عرضــه   مــن دنــس الــذم نقــي رحــيض
يطفــئ نــار الجــوع عنــا ولــو   بمــذقة مــن حــاذر أو مخــيض

والمــاخض : مــن النــوق ؛ ومــن النســاء التــي قــد دنــت ولادتهــا ؛ والمخاض : وجع الولادة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأجاها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ [1] ؛ وذلك أخبر بها : الطلق ؛ والله (ﷻ) أعلم .

وأما قوله : { لشرب ضياح أو لحسوة قابض } ؛ الشرب : وهو مصدر : شرب ، يشرب ، شرباً ، وقد مر تفسيره .

والضياح : اللبن الخاثر ، يُصب عليه الماء ، ثم يجدح بالمجدح ؛ تقول : ضيحته فتضيح ؛ والضياح : اللبن الممزوج بالماء ؛ ولا يُسمى اللبن ضياحاً ، إلاّ إذا كان ممزوجاً بالماء مخلوطاً ؛ والحسوة : ما يحسوه الإنسان في الجرعة الواحدة ، التي تملأ الفم ؛ وللسيد ابن دريد الأزدي :

وقلــداني منــة لــو قــرنت   بشكر أهل الأرض طراً ما وفى

ويُروى عنه : (ما وفى) ؛ وقال :

بالعشــر مــن معشــارها وكــان   كالحســوة فــي آذي بحــر قــد طمــا

وقولــه : { أو لحســوة قــابض } ؛ فالقــابض ؛ قــال الله (ﷻ) : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ [3] ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة مريم : ٢٣ .
(٢) سورة الزمر : ٦٧ .
(٣) سورة الفرقان : ٤٦ .

ومن يصحب الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

وقد قرئ : [فقبصت قبصة من أثر الرسول] ، (بالصاد المُهملة) ؛ والبيد : جمع بيداء ؛ والبيداء : المفازة الملساء .

والبيداء أيضاً : مفازة ملساء معروفة بين مكة والمدينة ؛ وفي الحديث : " أن قوماً كانوا يغزون البيت ، فإذا كانوا بالبيداء ، بعث الله (ﷻ) ، جبريل (ﷺ) ، فيقول : يا بيداء أبيديهم ، فتخسف بهم " ؛ وباد الشيء : هلك ؛ قال الشاعر في البيداء :

وإن امرأ أسرى إليك ودونه من الأرض موماة وبيداء سملق

وأما قوله : { وفي البيد أمثال النعام الرواكض } ؛ فأمثال : جمع مثل ؛ والنعام : طير لا يستطيع الطيران في جو السماء ، بل هو يشف على الأرض ، وفيه جناحان ؛ قال : بل مثل النعامة لا طير ولا جمل ؛ قال الشاعر :

كأن الذباب دوين السحاب نعام تعلق بالأرجل

وقال لبيد :

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

والنعامة : باطن القدم ؛ وأبو نعامة : كُنية : قطري بن الفجاءة : من الأزارقة ، وهم : الخوارج .

والركض : جمع ركضة ؛ وصفهن بفعلهن ، تقول : ركضت النعامة ؛ وركضت الناقة ؛ وركضت الفرس ؛ تركض ، ركضاً ، إذا أسرع ؛ وركضت تركض ، وهي : راكضة : فاعلة ، بمعنى : مفعولة ؛ قال الله

(ﷻ) : ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ [1] ، أي : مرضية ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ خُلق من ماء دافق ﴾ [2] ، أي : مدفوق ؛ والركض : السير ، وهو العدو الشديد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إذا هم منها يركضون * لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ﴾ [3] ؛ وأصله : من ركض بالرجل ؛ لأن الراكب يركض الدابة برجلة ، إذا أراد سُرعة السير ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ اركض برجلك هذا مُغتسل بارد وشراب ﴾ [4] ؛ قال الشاعر :

وجدنا في كِتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المغار

رفع : (أحق) ، على الغاية .

وأما قوله : { لخرط أراك أو لسدر وسعدان } ؛ والخرط : خرطك ورق الشجر ؛ وانخرط الرجل في السير ، إذا أسرع ؛ والخرط : ضرب من النكاح ؛ والأراك : هذا الشجر المعروف ، الذي تأكله الإبل لثمره المرد ، ويُسمى : البرير أيضاً ، ويُسمى : الكباث ؛ قال طرفة :

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادان مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربرباً بخميلة تناول أطراف البرير وترتدي

ويُسمى الأراك : الغريف ؛ والأراكات : راك ؛ قال الشاعر :

لعل ترى برق الحمى وعساكا تجني أراكات الغضى سحباكا
وما كُنت لولا جئت حلوة حاملاً بذلك أن يسقى غضاً وأراكا

وقال الشاعر :

---

(١) سورة الحاقة : ٢١ ؛ سورة القارعة : ٧ .
(٢) سورة الطارق : ٦ .
(٣) سورة الأنبياء : ١٢ – ١٣ .
(٤) سورة ص : ٤٢ .

إذا هي لم تستك بأعواد راكة تنحل فاستاكت بأعواد إسحل

الإسحل ، الأراك : كله من شجر السواك ؛ والسدر : معروف : وهو الذي يأكل ثمره الناس ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وشيء من سدر قليل ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ في سدر مخضود ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ (٣) ؛ قيل : هي سدرة في السماء السابعة ، لا يجاوزها نبي ولا ملك ، وقد أظلت السماء والجنة ؛ والسدر : شجر النبق ، ورقه يُغسل به ؛ وللملك امرئ القيس :

نفى البين عنها النوم حتى كأنما بها حسك السعدان بالعمر الريح

الحسك : هو الشوك ؛ والسعدان أيضاً : مرعى معروف .

ويُقال في المثل : مرعى ولا كالسعدان ؛ وماء ولا كصداء ؛ وفتى ولا كمالك .

بيت القصيدة :

وقالت وقد نضت قناعاً وبرقعاً وأبدت جبيناً كالوذيلة أنصعا
ومدت إلى شجري بناناً مُقمعاً لقد قلت ما إن لم أجد عنه مدفعا
فمن أنت أمن ذا عشيرك لا لعا فقلت لها ها ها ولي نفس جذلان

الشرح :

قوله : { وقالت وقد نضت } ؛ قد نضت ، أي : ألقت ؛ كما تقول : أنضى زيد سيفه ، إذا أخرجه من غمده ؛ وللملك امرئ القيس بن حجر :

---

(١) سورة سبأ : ١٦ .
(٢) سورة الواقعة : ٢٨ .
(٣) سورة النجم : ١٤ .

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلاَّ لبسة المتفضل

والقناع : ما تتقنع به المرأة من الثياب ؛ وسُميت : المقنعة ، لأنها يتقنع بها ؛ والبُرقع : ما ترخيه على وجهها وتستره ؛ وكل لابس القناع : مُقنع ؛ والمرأة مُقنعة ؛ قال المُتنبي :

فلو كان ما بي من حبيب مُقنع عذرت ولكن من حبيب مُعمم

وجمع بُرقع : براقع ؛ قال الشامي :

عرضن لنا شرقي عرض فراعنا ظباء عليهن الملا والمقانع

والبرقع : اسم السماء السابعة .

وأما قوله : { وأبدت جبيناً كالوذيلة أنصعا } ؛ أبدت : أظهرت ، فبدا لك عن الأمر ، إذا تركته وعملت بغيره ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ﴾ [1] ؛ وسُميت البادية : لظهورها وبروزها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ [2] ، أي : من البادية ؛ قال المُتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

والجبين : معروف ؛ وقيل : في الوجه جبينان ، وبين الجبينين الجبهة ؛ قال التهامي :

وجلا جبيناً واضحاً كالبدر في تدويره وبعاده وضيائه

---

(١) سورة يوسف : ٣٥ .
(٢) سورة يوسف : ١٠٠ .

وقد تقدم ذِكر : الجبين ؛ والوذيلة : وجدت أنها السبيكة من الفضة ؛ قال زهير :

ولقد غدوت إلى القنيص بسابح مثل الوذيلة جرشع لانم

القنيص : الصيد ؛ وقيل : الصائد : وهو من الأضداد ؛ والوذيلة : الفضة ؛ وشبه بريق فرسه وصفائه : بالفضة ؛ والجرشع : الضخم ؛ واللانم : المُلتئم الشديد ؛ والوذيلة : المرآة (بلغة هذيل) ؛ والوذيلة : الشمس ؛ والوذيلة : القطعة من السنام ؛ والله أعلم ؛ واللغة واسعة .

وقوله : { كالوذيلة أنصعا } ؛ فأنصعا : نعت الجبين ؛ والأنصع : الخالص ؛ وكل لون تقول : من نعت الألوان : أبيض يقق ، ولهق ، وأسود حالك ، وحانك ، وغربيب ، وأصفر فاقع ، وأحمر قاني ، وأخضر ناصع ، وناضر ؛ ويُنعت الأبيض : بالناصع أيضاً ؛ فيُقال : أبيض ناصع ؛ قال الشامي :

يصل بمولى ضاحك نوره بأسود غربيب وأصفر فاقع
بأحسن منها إذ يقول ودمعها على خدها ضربين قان وناصع

وأما قوله : { ومدت إلى شجري بناناً مُقمعاً } ؛ مدت : فالمد : ضد القبض ، تقول : مددت يدي وقبضتها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ (٢) ؛ هذا من المد ، لا من الإمداد ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين ﴾ (٣) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قال أتمدونن بمال ﴾ (٤) ؛ والمد :

(١) سورة طـه : ١٣١ .
(٢) سورة الحج : ١٥ .
(٣) سورة الإسراء : ٦ .
(٤) سورة النمل : ٣٦ .

خلاف الجزر ؛ تقول : مد لـه البحر وجزر ؛ والمد : الإمتلاء والزيادة ؛ والجزر : النقصان .

وأما قوله : { ومدت إلى شجري } ؛ والشجر : مفرج الفم ، وقال الخليل : الجيم ، والشين ، والضاد : شجريات ، لأن مخرجهن من شجر الفم ، وهو : داخله ؛ وقد جعله كل حرفين أو ثلاثة ، من خبر واحد ، وليس ها هنا موضعها ؛ والجيم : من شجرة ساكنة ؛ والشجر (بفتح الشين والجيم) : معروف ؛ وجمعه : شجر ؛ واحده : شجرة ؛ والأشجار أيضاً : جمع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ [(١)] ؛ قيل : النبت : النجم ، ما لم يكن له ساق ؛ والشجر : الأمر المُختلف فيه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ [(٢)] .

قوله : { إلى شجري بناناً } ؛ فالبنان : معروف : وهي الأصابع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ [(٣)] ؛ قال المُتنبي :

ثنى يده الإحسان حتى كأنها وقد قبضت كانت بغير بنان

قوله : { بناناً مُقمعاً } ؛ فالمقمع : نعت البنان ؛ والمُقمع : المخضوب الأطراف الأصابع ، شبه الحنا الذي في أطراف الأصابع بالأقماع ؛ والأقماع : هي ما على الرطب ، الذي تسميه الناس : التفروق .

وقوله : { لقد قلت ما إن لم أجد عنه مدفعا } ؛ لم أجد : من الوجود ؛ تقول : وجدت الشيء ، إذا أصبته ؛ والوجد (بضم الواو) : الطاقة والوسع ؛ والوجد (بفتح الواو) : الحُزن ؛ قال الله (ﷻ) ، في

---

(١) سورة الرحمن : ٦ .

(٢) سورة النساء : ٦٥ .

(٣) سورة الأنفال : ١٢ .

المعنى الأول : ﴿ فوجدا فيها جداراً يُريدُ أن ينقض فأقامه ﴾ (١) ؛ وقال في الثاني : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ (٢) .

وقوله : { ما إن لم أجد عنه مدفعا } ؛ والمدفع : كل ما يدفع عنك ، من حصن ، أو جبل ، أو رجل ، وغير ذلك .

وقوله : { فمن أنت أمن ذا عشيرك لا لعا } ؛ أمن : هذه [من] دخلت عليها [أ'ف] استفهام ؛ و [ذا] : الإشارة إلى المُخاطب ؛ والعشير : ابن العم ؛ والد شيرة : الجماعة منهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٣) ؛ قال الشاعر :

تحمي السيوف على أعدائه معه   كأنهن بنوه أو عشائره

وقوله : { لا لعا } ؛ فـ [لعا] : كلمة تقال للعاثر ، إذا سقط ؛ يُقال له : لعا ، أي : انتعش من صرعتك ، وقم منها ؛ قال غير القائل :

بذات لوث عقرناه إذا عثرت   فالنفس أولى لها من أقول لعا

وأما قوله : { فقلت لها ها ها ولي نفس جذلان } ؛ فـ [ها] : للتنبيه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ (٤) ؛ وتكون للنداء : ها زيد ؛ وهيا زيد ؛ ويا زيد ؛ وحروف النداء أكثر من هذا ، لكن هذا ليس موضع ذِكرها ؛ وتكون [ها] ، بمعنى : خُذ ، كقولك : هاك هذا الشيء ، أي : خُذه ؛ قال الشاعر :

ونحن قسمنا الخير نصفين بيننا   فقلت لها هالي وهالك هاليه

وعندي : أنها بمعنى واحد ؛ والله أعلم .

---

(١) سورة الكهف : ٧٧ .
(٢) سورة الطلاق : ٦ .
(٣) سورة آل عمران : ٦٦ ؛ سورة النساء : ١٠٩ .
(٤) سورة محمد : ٣٨ .

قولـه : { ولـيَ نفـس جـذلان } ؛ فالجـذلان : هـو الفرحـان ؛ قـال الشاعر الأديب :

تلقى الوغا والقنا والنازلات بـه والسيف والضيف رحب الباع جذلانا

والجـذل : الفـرح ، والسـرور ، والحبـور ، والإبتهـاج ؛ والجـذل (بالتحريك) : هو السرور ؛ والجذل (بتسكين الذال وكسر الجيم) : هو الخشبة المنصوبة في العطن ، لتحتك بها الإبل الجرباء ؛ وفي الحديث : " أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب " ؛ ولهذا الحديث شرح وتفسير يطول ، تركته إختصاراً :

بيت القصيدة :

ألا فـاتقني عنـي المـآثر واسـمعي ألا فاحفظي عنـي المفـاخر وارفعي
وبالحق من صدق الأحاديث فاقنعي أنـا ابـن المعـالي واللـواء المشرع
أنـا ابـن الألى أهـل الحجاب الممنع أنا ابـن الملوك الغُر من آل قحطان

الشرح :

قوله : { ألا فاتقني عنـي المـآثر واسمعي } ؛ فـ [ألا] : تنبيه ، وقد مر تفسيره ؛ { فـاتقنـي } ؛ فالإتقـان : هو الإحكـام ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ (١) ؛ فالإتقـان : غيـر الإيقـان ؛ تقول : أتقنت الشـيء ، إذا أحكمتـه ؛ وتيقنتـه : تبينتـه : وهـو مـن اليقـين ؛ والأول من الإتقان ، وبينهما فرق .

وقوله : { واسمعي } ؛ فاسمعي : من السمع ، وقد مر تفسيره .

---

(١) سورة النمل : ٨٨ .

وأما قوله : { ألا فاحفظي } : فهو من الحفظ ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فالله خير حافظا ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ في لوح محفوظ ﴾ (٢) ؛ قال الشاعر :

عليك بخل ذي حياء وعفة　　أمين كتوم للسرائر حافظ

وقد مر تفسير : المآثر ، والمفاخر .

قوله : { وارفعي } ، أي : انقلي عني هذا الخبر ، وهذا العِلم ؛ وأصله : من رفع الشيء ، وهو من الإرتفاع والعلو ؛ قال الشامي :

فلا ترفع الأيام ما أنت خافض　　ولا تخفض الأيام ما أنت رافع

وأما قوله : { وبالحق من صدق الأحاديث فاقنعي } ؛ فالحق : معروف : وهو ضد الباطل ؛ قال الله تعالى (ﷻ) : ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ (٣) ؛ قال لبيد :

أنكرت باطلها وبؤت بحقها　　عندي ولم يفخر عليَّ كرامها

والصدق : خِلاف الكذب ؛ قال الحريري :

عليك بالصدق ولو أنه　　أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فأبغى الورى　　من اسخط الله وأرضى العبيد

والأحاديث : جمع حديث ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ما كان حديثاً يُفترى ﴾ (٤) ؛ قال امرؤ القيس :

(١) سورة يوسف : ٦٤ .
(٢) سورة البروج : ٢٢ .
(٣) سورة الأنفال : ٨ .
(٤) سورة يوسف : ١١١ .

ألا انعم صباحاً أيها الربع وانطق وحدث حديث الحي إن شئت واصدق

وقولـه : { فـاقنعي } ، هـي : مـن القناعـة والرضـا ، ممـا يعطى الإنسان ؛ قال الشاعر :

هي القنـاعة لا تبغي بها بـدلاً لـو لـم تـفيدك إلاَّ راحـة البـدن

فأمـا قـول الله (ﷻ) : ﴿ واطعمـوا القـانع والمعتـر ﴾ [1] ؛ قيـل فـي تفسيره : أن القانع : هو السائل ؛ والمعتر : الذي يتعرض لمعروفك ، ولا يسأل ؛ تقول : قنع ، يقنـع ، قنوعاً ، إذا سأل ؛ وقنـع ، يقنـع ، قناعـة ، إذا رضي بما يعطى ؛ قال الشامي :

وإن يـك غيـري بـالدنـية قـانـع فلست بمـا دون الغنى منك قـانـع

وأما قولـه : { أنـا ابن المعـالي واللـواء المشـرع } ؛ لأن العرب تقول لمن نسب إليه شيء : هو ابن كذا وكذا ؛ فيقولون : هو ابـن المعالي والمكارم ؛ وابن الندى ؛ وأخو النـدى ؛ وحليـف النـدى ـ علـى مجاز اللغة وسعتها ـ قال المُتنبي :

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنـا ابـن الضـراب أنـا ابـن الطعان
أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

والمعـالي : جمـع عـلا ؛ وهـي الرفعـة ؛ والعُـلا (إذا ضـممت عينـه) : قصرت ؛ والعَلا (إذا فتحت العين) : مددت ؛ قال الحارث بن حلزة :

إذا منـعتـم مـا تـسألـون فـمـن حـدثـتـمـوه عـلـيـنـا الـعـلاء

(١) سورة الحـج : ٣٦ .

وقال ابن دريد :

فلا تسلم كل يوم عليهم فإن العلا يأتيهم فيسلم

وله أيضاً :

محل كل مقرم سمت به مآثر الآباء في فرع العلا

وقال الشاعر :

فررت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

واللواء : هو الراية ؛ وهو العَلم الذي يُعلق في رماح الفرسان ؛ ولعل بعضهم يقول : اللواء : ما صغر من الأعلام ، وما كبر فهي الراية ؛ وتسمى العقاب أيضاً ؛ وقيل : كانت راية رسول الله (ﷺ) ، تسمى : العقاب ؛ قال عمرو بن كلثوم :

بأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حُمراً قد روينا

وجمع اللواء : ألوية ؛ والمشرع : المرفوع ؛ ومشارع الماء : هي التي تشرع عليها الدواب ؛ والشرائع : الدين ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ﴾ (١) ؛ قيل : رافعة رؤوسها ؛ وقيل : خافضة رؤوسها للشرب ؛ وقال (تعالى) : ﴿ شرع لكم من الدين ﴾ (٢) ؛ قال الشامي :

هو البحر لكن ماؤه ماء مزنة وسائره للواردين شرائع

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٣ .

(٢) سورة الشورى : ١٣ .

وأما قوله : { أنا ابن الأولى } ؛ فالأولى ، يعني : الأوائل المُتقدمين من آبائه وأسلافه ؛ وللسيد ابن دريد :

هم الأولى أجروا ينابيع الندى   هامية لمن عرى أو اعتفى

وقوله : { أهل الحجاب } ، يعني : الحجاب ؛ فالحجاب : الستر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ [1] ، يعني : المواضع التي تغيب فيها الشمس ، سماه : حجاباً ، لاستتارها به ؛ وكل ما سترك ، أو سترت به ، فهو : حجاب ؛ قال الشامي :

وظلت نسور الجو في الجو حوما   وشمس الضحى تبدو مراراً وتحجب

وقال المُتنبي :

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا   ودون الذي أملت منك حجاب

المحجوب : هو الممنوع ، الذي لا يستطيع أحد على هتكه ، وكشفه ، واستباحة أمره ؛ وقد مر تفسيره أيضاً .

وقوله : { أنا ابن الملوك الغر من آل قحطان } ؛ فالملوك : جمع مليك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) ، في الواحد : ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ [3] .

وقوله : { الملوك الغر } ، أي : البيض ؛ وكل أغر : فهو أبيض ؛ وللملك امرئ القيس :

ثياب بني عوف طهارى نقية   وأوجههم بيض لمشاهد غران

---

(١) سورة ص : ٣٢ .
(٢) سورة النمل : ٣٤ .
(٣) سورة البقرة : ٢٤٧ .

وغرة الشهر : أوله ؛ وثلاث بيض : وهي ثلاث أيام في مُنتصف الشهر ؛ لأن العرب تسمي كل ثلاث ليال منه باسم ، فتقول : ثلاث من أوله : غر وغرر ؛ وثلاث نفل ؛ وثلاث تسع ؛ وثلاث عشر ؛ وثلاثة بيض ؛ وثلاث ذرع ؛ وثلاث حنس ونحس جميعاً ؛ وثلاث حنادس ؛ وثلاث دراري ؛ وثلاث سرار ؛ ويُقال : ثلاث مُحاق ؛ وقيل : ثلاث غر ، لأن صورة الهلال كصورة الغُرة في جبهة الفرس ؛ والغرة عند اللعرب : خيار المال ؛ وتركت الإطالة فيه .

وقوله : { من آل قحطان } ، فـ [آل] الرجل : قرابته ، وعشيرته ، وأهل بيته ؛ وقد مر شيء من هذا ؛ وقحطان : على وزن فعلان ؛ من قولهم : شيء قحيط ، أي : شديد ؛ قال الأريب الراجز :

طعن قحيط وضراب هترة ....

والقحط : معروف ؛ وقحطان بن هود النبي (عليه السلام) ، وهو : هود بن عابر بن شالخ بن أبي أفرخشذ بن سام بن نوح النبي (عليه السلام) ؛ وهو : نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ؛ وقيل : ابن أفخشذ ، وهو : إدريس النبي (عليه السلام) بنَ الياردا بن مهاليل ؛ وفي نُسخة : مهليل بن فينان بن أنوش ؛ وشيث بن آدم (عليه السلام) .

وقيل : اسم آدم في التوراة ، هو : أذام (بالذال المُعجمة وزيادة ألف) ، واسمه بالسريانية والعبرانية : آدم (بالدال غير المُعجمة) ، وابنه شيث اسمه عبراني ؛ وأنوش بن شيث اسمه عبراني ، وتفسيره بالعربية : إنسان .

وقيل : تفسير أنوش بالعربية : صادق ، وقينان بن أنوش اسمه في الإنجيل فينان ، وتفسيره بالعربي : عيسى ؛ وابنه مهليل عبراني ، وتفسيره بالعربي : ممدوح ؛ وقيل اسمه بالسريانية ، وتفسيره بالعربي :

مسيح الله ؛ وأخنوخ عبراني ، وتفسيره بالعربية : إدريس (عليه السلام) ، أنزل الله (عز وجل) ، عليه الكِتاب بالسرياني ، أول ما أتاه جبريل (عليه السلام) ، وأول ما أنزل الله عليه : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (1) ؛ وابنه متوشلخ - وفي نُسخة : مشتليخ - وهو عبراني ؛ وتفسيره بالعربية : مطلوق ، وهو بالسرياني : متشالخ ؛ وابنه لاقح ، وهو عبراني ؛ واسمه بالعربي : لامك - وفي نُسخة : لمك - وابنه نوح (عليه السلام) ؛ وفي نُسخة : قحطان بن هود بن عابر بن شايخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام) بن لاقح بن متشلخ بن أخنوخ الشرف ، وهو : إدريس (عليه السلام) بن زياد بن مهليل بن فينان بن أنوش بن شيث بن آدم (عليه السلام) .

بيت القصيدة :

تبوأت بالشماء من دوحة الأزد	أولي الشرف السامي المُؤيد والمجد
وأهل المساعي السابقين إلى الحمد	هم ملكوا الدنيا على القر والبعد
وجاسوا خلال الأرض بالخيل والجند	بنوا سد يأجوج من القطران

الشرح :

قوله : { تبوأت بالشماء من دوحة الأزد } : إذا أقمت وحللت ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ﴾ (2) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ﴾ (3) ؛ وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من فسر القرآن من تلقاء نفسه ، فليتبوأ مقعده من النار " ؛ وقال الله (تعالى) : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان ﴾ (4) ؛ وقال (تعالى) :

(1) سورة النمل : ٣٠ .
(2) سورة الحج : ٢٦ .
(3) سورة آل عمران : ١٢١ .
(4) سورة الحشر : ٩ .

﴿لنبوئنهم من الجنة غرفا﴾ [1] ، أي : لننزلنهم .

ويُقال : بوأ له منزلاً ، أي : هيأه ومكنه له ؛ قال الشاعر :

تبوأ غيلة وأقر عنه كماة القوم قسراً واغتصابا

والشماء : العالية الرفيعة ؛ تقول : جبل أشم ، إذا كان عالياً رفيعاً ؛ والشم : السادة ؛ وللسيد ابن دريد في المقصورة :

بل قسما بالشم من يعرب هل لمقسم من بعد هذا منتهى

والشم في الأنف : إرتفاعه وإشرافه ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

والشماء : نعت للدوحة ، والساحة ، والبحبوحة ، والعرصة : كل هذا قريب بعضه من بعض في المعنى ؛ قال الشاعر :

ويا دوحة الزيتون بالله فرجي عن الكبد الحراء كنف مضاض

والدوح : من الحلي غير الدملج ، يُجعل في المعصم غير السوار والقلب ؛ قال :

بمعصمها قلب ودوح ودملج ....

والدوح : الشجر العظام ؛ والواحدة : دوحة ؛ قال الملك امرئ القيس :

يكب على الأذقان دوح الكنهل ....

(١) سورة العنكبوت : ٥٨ .

والأزد : اسم رجل ؛ ويُقال : الأسد (بالسين والزاي) : لغتان ، وهو : الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود (عليه السلام) نبي الله ؛ ثم صار الأزد اسماً للقبيلة .

وفي الرواية ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، إنه قال : " الأزد جمجمة العرب " ؛ وفي رواية ، عنه (صلى الله عليه وآله) ، أنه قال : " لا يجبنون ، ولا يغلون ، وهم مني ، وأنا منهم ، ومن لم يكن له أصل من العرب ، فليلجأ بالأزد ، فإنهم الأصل " .

وفي رواية أخرى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : " الأزد : أسد الله في أرضه ، يريد الناس أن يعصوهم ، ويأبى الله إلاّ أن يرفعهم ، ولا تذهب الدنيا حتى يقول : ليت أبي كان أزدياً ، وليت أمي أزدية " ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

ومن يك عنا معشر الأزد سائلاً	فأنا بنو الغوث بن نبت بن مالك
لزيد بن كهلان إذا ما نسبتنا	إلى يشجب فوق النجوم الشوابك
ويعرب ننميه لقحطان ينتمي	لهود نبي الله فوق الحبائك
ثمانون عاديون لم يلتبس بهم	مناسب تشيث من أولي وأولئك

وأما قوله : { أولي الشرف السامي المؤثل والمجد } ؛ فأولي : اسم مُبهم ، وهو مُبدل من الأزد ؛ قال الله (تبارك وتعالى) : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ (١) ؛ فأولي في هذه الآية : موضعه النصب ؛ وأولي في البيت : موضعه الخفض ؛ قال الله (تبارك وتعالى) : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ (٢) ؛ فأولي في هذه الآية : موضعه الرفع ، والشرف ، الرفعة ، وعلو الذكر ؛ والأشراف : أفاضل الناس ، وكبارهم ؛

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٧٥ ؛ سورة الأحزاب : ٦ .

وشرف الرجل : مفاخره ، ومآثره ؛ والشرف هو الذِكر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كِتاباً فيه ذِكركم ﴾ (١) ؛ قيل : شرفكم ؛ قال الشاعر :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه   خلق وجيب قميصه مرقوع

وقال :

بلغت بهم قحطان أشرف منزلاً   تنحط عنه منازل الأشراف

وسُميَّ الجبل أيضاً : شرفاً ، إذا كان عالياً منيعاً مشرفاً .

وقوله : { أولي الشرف السامي } ؛ فالسامي : هو العالي : مأخوذ من السمو : وهو الأرتفاع ؛ تقول : سما ، يسمو ، سمواً ، فهو سامي ؛ قال امرؤ القيس :

سما لك شوقاً بعدما كان أقصرا   وحلت سليمى بطن قو فعرعرا

وللسيد ابن دريد :

سامي التليل في دسيع مفعم   رحب اللبان في أمينات العجى

وقال طرفة :

وإن شئت سامى واسط الكوز راسها   وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد

وقال غيره :

وابن مخلوق أبر   وخير من سامى بسام

(١) سورة الأنبياء : ١٠ .

فسامى : عالى وفاخر : على وزن فاعل ؛ وسام : ولد نوح (عليه السلام) ، وهو أبو العرب ، أعني : سام ، دون أخوته : حام ، ويافث ؛ وقيل : كلما علاك وأظلك : فهو سماء ؛ وقيل لسقف البيت : سماء ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ [1] ؛ قيل ، معناه : يجعل حبلاً في سقف البيت ، ويختنق به ؛ وقيل : السحاب أيضاً سماء ؛ وقيل أيضاً : للمطر سماء ، لأنه ينزل منها الغيث ؛ وقيل : الغيث سماء ، لأنه من المطر : من السماء ؛ قال الشاعر :

وإني وإن عولت فيما ينوبني   عليك لأستسقي السماء من السما

فالسماء الأول : المطر ؛ قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم   رعيناها وإن كانوا غضابا

السماء الثانية : التي ينزل منها المطر .

وأما قوله : { أولي الشرف السامي المُؤيد والمجد} ؛ والمُؤيد : المُعان ؛ تقول : أعنت الرجل ، إذا أيدته وقويته ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ [2] ؛ قيل : أن الآية نزلت في حسان بن ثابت الأنصاري ؛ قال طرفة بن العبد :

كأن كناسي ضالة يكنفانها   وأطر قسي تحت صُلب مُؤيد

مُؤيد : موثق ؛ والأيد : القوة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ واذكر عبدنا داوود ذا الأيد ﴾ [3] ؛ قيل : ﴿ ذا الأيد ﴾ : القوة في العبادة ، وكانت قوته على

---

(١) سورة الحج : ١٥ .
(٢) سورة البقرة : ٨٧ ، ٢٥٣ .
(٣) سورة ص : ١٧ .

العبادة أتم قوة ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وذلك أشد الصوم ؛ وكان يُصلي إلى نصف الليل ، وذلك قوله (ﷻ) : ﴿ ذا الأيد ﴾ [1] ، أي : القوة ؛ والمجد : الشرف ؛ تقول : مجد الرجل يمجد مجداً ؛ والماجد : السيد الشريف ، وللسيد ابن دريد :

قسم الإله المجد بين عباده   وحباك منه بأجزل الأقسام

وقال المُتنبي :

عواذل ذات الخال فيَّ حواسد   وإن ضجيع الخود مني لماجد

وقال غيره :

وأي مقاما للعلى لم يقم به   وأية مجد فيه لم يتلوح

وقوله : { وأهل المساعي السابقين إلى الحمد } ؛ فأهل ، بمعنى : صاحب المساعي ؛ لأنك تقول : فلان أهل للخير ؛ وأهل للمعروف ، أي : صاحب المعروف ؛ وأهل الرجل : قومه وعشيرته ؛ وأهله : زوجته أيضاً ؛ قال الشاعر :

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت   على عزب حتى يكون له أهل
فإنا سنجزيها بما فعلت بنا   إذا ما تزوجنا وليس لها بعل

قال الله (ﷻ) : ﴿ فأسر بأهلك ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ [3] ، يعني : زوجته وأهل بيته ؛ والمساعي : من السعي ؛ وسعي

---

(1) سورة ص ١٧ .
(2) سورة هود : ٨١ ؛ سورة الحجر : ٦٥ .
(3) سورة طـه : ١٠ .

الرجل : عمله ؛ قال (ﷻ) : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ (١) ، أي : عمل لها عملها ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى * وأن سعيه سوف يرى ﴾ (٢) ؛ والسعي أيضاً : السرع ، والإمضاء ، والإسراع في المشي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإذا هي حية تسعى ﴾ (٣) ، أي : تمشي مُسرعة ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذِكر الله ﴾ (٤) ، أي : امضوا .

وقيل : اقصدوا إلى ذِكر الله ، يعني : إلى الصلاة المفروضة ؛ والسعي : الذهاب ؛ والسعي : الإسراع ؛ والسعي : العمل ؛ والسعاية : الوشاة ؛ والساعي : الواشي ؛ والسعادة : الوشاة .

وقيل : مقت السعاة زينة الرعاة ؛ قال الشاعر حجة على السعي : إنه المشي :

سعيت إليه والرماح شوارع وطرفي يخوض الموت والقلب ثابت

والمساعي : هي المفاخر ، والمعالي ، ومكارم الأخلاق ؛ قال الشيخ أحمد بن النضر العُماني السموْلي (رحمه الله وعفا عنه) :

وتفاضل الأقوام أكثر في الطبائع والمساعي

وقوله : { السابقين إلى الحمد } : المتقدمون ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون ﴾ (٥) ، يعني : السابقين إلى الإيمان ، والهجرة في الدنيا ، هو السابقون في الآخرة إلى الجنة ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لولا كِتاب من الله سبق ﴾ (٦) ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة الإسراء : ١٩ .
(٢) سورة النجم : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٣) سورة طـه : ٢٠ .
(٤) سورة الجمعة : ٩ .
(٥) سورة الواقعة : ١٠ ـ ١١ .
(٦) سورة الأنفال : ٦٨ .

جرى طلقاً حتى إذا قيل سابق تداركه أعراق نوم (١) فبلدا

ويُروى : (أعراق سوء) .

وقيل : السوابق من الخيل عشرة ، فأولها : المجلي ؛ والثاني : المصلي ؛ والثالث : المسلي ؛ والرابع : التالي ؛ والخامس : المرتاح ؛ والسادس : العاطف ؛ والسابع : الحظي ؛ والثامن : المؤمل ؛ والتاسع : اللطيم ؛ والعاشر : السكيت ، وهو آخرها ؛ قال الشاعر :

جري جرى جري الملوك فصلوا وجاء مجليا عند السباق

وقوله : { السابقين إلى الحمد } ؛ فالحمد ، والثناء ، والشكر : كله قريب المعنى بعضه من بعض .

وقال بعضهم : بين الحمد والشكر فرق ، والعامة تخطيء في التأويل ، فتظن أنهما بمعنى واحد ، وليس كذلك ؛ إن الحمد عند العرب ، الثناء على الرجل أفعاله الكريمة ، فمن قال : حمدت فلاناً ، فمعناه : أثنيت عليه ، ووصفته بكرم ، أو شجاعة ، أو حسب ؛ قال الشاعر :

يزور أمرأ أعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمد

يعنى : أعطى على الثناء ماله ؛ قال زهير :

فلو كان حمداً يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد

معناه : فلو كان ثناء يخلد الناس ؛ أو الشكر ، معناه في كلامهم : أن يصف الرجل بنعمة سبقت منه إليك ؛ قال النبي (ﷺ) : " من أزلت إليه نعمة فليشكرها ، فليصف صاحبها بإنعامه عليه " ؛ وقوله (ﷺ) :

(١) في نسخة أخرى : { تداركه أعراق سوء فبلدا } .

" أزلت " ، يعني : أسديت إليه ؛ قال كثير :

وإني وإن صدت لمثن وصادق   عليها بما كانت إلينا أزلت

وقد يقع الحمد على من يقع عليه الشكر ؛ ولا يقع الشكر على من يقع عليه الحمد ؛ الدليل على ذلك : أن العرب تقول : حمدت فلاناً على حُسن أخلاقه ، وعقله ، وشجاعته ؛ ولا تقول : شكرت فلاناً على حُسن أخلاقه ، وعقله ، وشجاعته ؛ فالحمد أعم من الشكر ؛ فلذلك ، فتح الله فاتحة الكِتاب به ، فقال الله (تعالى) : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (١) .

ومن الفرق بين الحمد والشكر ، أنك تقول : جاورت بني فلان فحمدتهم ؛ ولا تقول : شكرتهم ؛ وتقول : فلان محمود السيرة ؛ ولا تقول : مشكور السيرة ؛ ومن الحمد : اشتقاق اسم محمد (ﷺ) ، ومحمد على وزن مفعل ، لأنه حمد مرة بعد مرة ، وقد سمت العرب في الجاهلية محمداً ، منهم : محمد بن مران ، ومحمد بن بلال ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، ومحمد بن سلمة الأنصاري ؛ وقد سموا أحمداً ، وحامداً ، ومحموداً ، وحميداً ، ومحمداً ؛ وبطن العرب من الأزد .

وقوله : { هم ملكوا الدنيا على القُرب والبُعد } ؛ ملكوا : فيهم اسم مضمر ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ﴾ (٢) ؛ وملكوا : فعل ماض ، ملك ، يملك ، ملكاً ؛ والملك ، والمالك للأشياء كلها على الحقيقة : هو الله (عز وجل) ؛ ويجوز أن يُسمى بني آدم بهذا الاسم ، على المجاز لا على الحقيقة ؛ تقول : مالك الدار ؛ ومالك المال والمتاع ؛ قال الله (تعالى) :

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ ؛ سورة يونس : ١٠ ؛ سورة الزمر : ٧٥ ؛ سورة غافر : ٦٥ .
(٢) سورة النور : ٤٥ .

﴿ مالك يوم الدين ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان ﴾ [3] ؛ والملوك : جمع ملك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ [4] ؛ قال الشاعر :

إن الملوك بلاء حيث ما حلوا ....

وقال غيره :

كان ملوك الجاهلية أحرزوا ملك الذي يجبى لهم أقطارها

وقال التهامي :

تصادم تيجان الملوك ببابه ويكثر في يوم السلام إزدحامها

قوله : { ملكوا الدنيا } ؛ والدنيا : معروفة ، لا يجهل أحد تفسيرها ومعرفتها ؛ وسميت الدنيا : لدنوها ؛ وسميت الآخرة : لتأخرها وبُعدها ، وإن كانت غير بعيد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ من كان يُريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يُريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ [5] ؛ قال الشاعر :

ألا إنما الدنيا الشباب وإنما سرور الفتى هاتيكم السكرات

وقال الحريري :

---

(١) سورة الفاتحة : ٤ .
(٢) سورة آل عمران : ٢٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٠٢ .
(٤) سورة النمل : ٣٤ .
(٥) سورة الشورى : ٢٠ .

يا خاطب الدنيا الدنية إنها   شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها   أبكت غداً بُعداً لها من دار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها   لا يفتدى بجلائل الأخطار

وقال أبو العتاهية :

ألا إنما الدنيا عليك حصار   ينالك فيها ذلة وصغار
وما لك في الدنيا من الكد راحة   ولا لك فيها إن عقلت قرار
وما عيشها إلاّ ليال قلائل   سراع وأيام تمر قصار
ومازلت مزموماً تقاد إلى البلى   يسوقك ليل مرة ونهار
وعارية ما في يديك وإنما   يعار لرد ما طلبت يعار

وقال غيره :

دنيا دنت من جاهل وتباعدت   عن قرب ذا أدب وعن حجر

وفيها أكثر من هذا ، تركته ، إذ ليس هذا موضعه .

وأما قوله : { على القُرب والبُعد } ؛ فالقرب : كل ما قرب منك وإليك ؛ والبُعد : كل ما بعد منك وعنك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (١) ؛ لأن العرب تصف المُونث بصفة المُذكر ، ويُريدُون به جنسها ، والجنس مُذكر ؛ ويجوز أن تقول : امرأة جالس ، وقاعد ، إذا أردت جنس المرأة ، لا المرأة ؛ قال الشاعر :

ليالي لا أسماء منك بعيدة   فتسلو ولا أسماء منك قريب

فقال : (قريب) ، ولم يقل : (قريبة) ، على ما تقدم من الجواب .

---

(١) سورة الأعراف : ٥٦ .

وقوله : { وجاسوا خلال الأرض بالخيل والجُند } ؛ فجاسوا ، أي : داروا ؛ والجوس : الدوران والطلب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ [1] ، أي : طلبوا ما فيها ، كما يجوس الرجل الأخبار ، أي : طافوا ينظرون ، هل بقي أحد يقتلونه ؛ وجاسوا (بالسين والشين المُعجمة وغير معجمة) ؛ وقد قرئ بهما جميعاً ، ومعناهما واحد ؛ وداسوا مثله : وهو ذهابهم ومجيئهم ؛ والجوس : الطلب باستقصاء ؛ ومن ذلك قولهم : رجل جاسوس ؛ والمتجسس : الباحث ، الطالب معايبهم ؛ يُقال : تجسس وتحسس (بالحاء والجيم) : ومعناهما واحد ، وهو إجماع أهل اللغة ؛ وفرق بينهما يحيى بن كثير ، قال : التجسس (بالجيم) : البحث عن عورات الناس ؛ والتحسس (بالحاء) : الإستماع لحديث الناس ؛ وقد قرئ : [ولا تحسسوا] : (بالحاء) ؛ : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ [2] ؛ (بالجيم) ؛ والجيم أكثر ؛ قيل : سُئل عليّ بن أبي طالب ، عن الجاسوس : هل هو في القرآن ؟ قال نعم ، قوله (ﷻ) : ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ [3] .

وقوله : { خلال الأرض } ؛ فخلال الأرض : نواحيها ، وأقطارها ، وطرفها ؛ خلل كل شيء : فروجه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ [4] ؛ فالخلل : فروج السحاب ، لأن المطر من السماء ينزل ، ثم يقطع في السحاب ؛ والسحاب ، قيل : أنه مثل الغربال ؛ والغربال : المنخل ، ويخرج منه إلى الأرض ؛ وخلل السيف : جفنه المغشى بالأديم ؛ والخلال : العود الذي يستخرج منه الطعام من بين الأسنان ؛ وفيه أكثر من هذا ، تركته لطوله ، لأنا لم نقطع الكِتاب إلاّ بشرح القصيدة .

---

(1) سورة الإسراء : ٥ .
(2) سورة الحجرات : ١٢ .
(3) سورة التوبة : ٤٧ .
(4) سورة النور : ٤٣ .

وقوله : { خلال الأرض } ؛ الأرض : معروفة ، وقد تقدم شرحها فيما مضى .

وقوله : { بالخيل والجُند } ؛ فالخيل : معروفة ، وقد تم شرحها فيما مضى ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (١) ؛ والخيل : جمع ؛ ولا واحد لها من لفظها ؛ وقالوا في جمعها : خيول ؛ وللملك امرئ القيس :

وخيول مرجآت كلما صرخ الصارخ جاءت تنتقل

وقال أبو تمام :

بخيل لزيد الخيل فيها فوارس إذا نطقوا في محفل خرس الدهر

واسم الخيل : مُشتق من الخيلاء ، لأن الفرس يختال في عدوه ومشيته ؛ والمُختال إذا مشى : تمايل في مشيه وتبختر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كل مختال فخور ﴾ (٢) .

قوله : { والجند } ؛ الجند : واحده جندي ؛ والأجناد أيضاً : جمع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ (٣) ؛

وقيل : أن في التورية عن النبي (ﷺ) ، أنه قال : " القلوب أجناد مُجندة ، فما تعارف منها إئتلف ، وما تناكر منها إختلف " ؛ قال الشاعر ، ونظم الرواية :

إن القلوب لأجناد مُجندة لله في الأرض والأهواء تختلف
فما تناكر منها فهو مُختلف وما تعارف منها فهو مُؤتلف

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .
(٢) سورة لقمان : ١٨ ؛ سورة الحديد : ٢٣ .
(٣) سورة ص : ١١ .

وأما قوله : { بنوا سد يأجوج من القطران } ؛ فبنوا : من البناء : وهو فعل ماض ؛ والبُنيان : الدور التي قد بُنيت ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾ [2] ؛ والقواعد : الأساس ؛ قال الشاعر :

متى يبلغ البُنيان يوماً تمامه   إذا كُنت تبنيه وغيرك يهدم

وأما : { سد } : فهو السد الذي بناه ذو القرنين (عليه السلام) ، على يأجوج ومأجوج ، وهو السد (بفتح السين وضمها) ، وقد قرئ بهما جميعاً ؛ وقيل : السَد (بالفتح) : من عمل المخلوقين ؛ والسُد (بالضم) : من عمل الخالق ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾ [3] ، يعني : جداراً حاجزاً بيننا وبينهم ، حتى لا يصلوا إلينا ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

ونحن بنينا سد يأجوج فاستوى   بأسيافنا لم يهدم السد هادم

ويأجوج ومأجوج : أخوان من ولد يافث بن نوح (عليه السلام) ؛ وقيل : أن يأجوج ومأجوج ، إثنان وعشرون قبيلة ، فسد ذو القرنين على أحد وعشرين قبيلة ، وكانت قبيلة منهم خارجة ، وهم الترك ؛ وقيل : سموا تركاً لذلك ، لأنه قيل له : بقيت منهم بقية ؛ فقال : اتركوهم ، فسموا : تركاً بذلك ؛ وقيل : أن يأجوج ومأجوج ، مائة ألف أمة ، ليس فيها أمة تشبه الأخرى ؛ وعن حُذيفة بن اليمان ، قال : سألت رسول الله (ﷺ) ، عن يأجوج ومأجوج ، فقال (ﷺ) : " يأجوج أمة ، ومأجوج أمة ، كل

---

(١) سورة الصف : ٤ .
(٢) سورة النحل : ٢٦ .
(٣) سورة الكهف : ٩٤ .

أمة أربعمائة ألف أمة ، لا يموت رجل منهم ، حتى ينظر إلى ألف ولد ذكر بين يديه من صُلبه ، كلهم يحمل السلاح " ؛ فقلت : يا رسول الله (صلى الله عليك) ، صفهم لنا ؛ فقال (ﷺ) : " هم ثلاثة أصناف ، منهم : آل الأزر " ؛ فقلت : وما الأزر يا رسول الله ؟ فقال (ﷺ) : " شجرة بالشام طولها مائة ذراع وعشرون ذراعاً في السماء ؛ وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء ؛ وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى ، لا يمرون بفيل ، ولا خنزير ، ولا وحش ، إلاّ أكلوه ؛ ومن مات منهم ؛ مُقدمتهم بالشام ، وساقتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق ، وبُحيرة طبرية " .

وعن عبد الله بن عُمر (رضي الله عنهما) : أن الله جزأ الخلق عشرة أجزاء ، فجعل الملائكة تسعة أجزاء ، وسائر الخلق جُزءاً ؛ ثم جزأ سائر الخلق عشرة أجزاء ، فجعل الجن تسعة أجزاء ، وجعل بني آدم جُزءاً ؛ وجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء ، وسائر الخلق جُزءاً ؛ وقيل : إنما سُميَّ يأجوج ومأجوج ، لأن بعضهم يموج في بعض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ (١) .

وعن وهب بن منبه ، قال : عشر آيات قبل قيام الساعة ، أولها : خروج الرُوم على المُسلمين ؛ ثم الدجال ؛ ثم خروج عيسى بن مريم ؛ ثم الدابة التي تكلم الناس ؛ ثم خروج يأجوج ومأجوج ؛ ثم الدجال ؛ ثم الملائكة تطير بين السماء والأرض ، فيعون بني آدم قيام الساعة ؛ وآخرها طلوع الشمس من المغرب ، وهو آخر أيام الدنيا ؛ وقال حُذيفة بن اليمان : أطلع علينا رسول الله (ﷺ) ، ونحن نتذاكر قيام الساعة ، فقال (ﷺ) : " إن الساعة لا تقوم حتى تكون عشر آيات ، طلوع الشمس من مغربها ، والدابة ، وخسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف

(١) سورة الكهف : ٩٩ .

بجزيرة العرب ، ونزول عيسى (عليه السلام) ، وفتح يأجوج ومأجوج ، ونار تخرج من قعر عدن ، تسوق الناس إلى المحشر " ؛ ويُروى : من قصر عدن .

وقال عليّ بن أبي طالب : إن يأجوج ومأجوج خلف السد ، وهم يلحسونه في كل يوم إلى أن يمسوا ، وقد بقي مثل قشر البيض ، فيقولون نرجع إليه غداً ، فيصبحون وقد عاد مثل ما كان ، ولايزالون كذلك ، حتى يُولد فيهم ولد مُسلم ، فإذا جاءوا إليه ، قال لهم : قولوا : نسلم لله ، فيقولون ؛ فإذا أرادوا أن يخرجوا عند المشي [1] ، فقالوا : نحن غداً نفتحه ، فيقول لهم المُسلم : قولوا : إن شاء الله ، فيقولون ، ويصبحون وهو مثل قشر البيض ، فينقبونه ، ويخرجون على الناس .

وقيل : يمرون على بُحيرة طبرية ، وهي مملوؤة ماءً ، فيشربها أولهم ، ويجيء آخرهم ، فيقول : قد كان هاهنا ماء ؟ وقيل : يمرون بالبحار كلها ، فتيبس لهم البحار ، فيأكلون ما فيها من الدواب والحيتان ، ثم يأكلون ورق الأشجار ، وتهرب الناس منهم ، فيقتلون من قدروا عليه ، إلاّ أنهم لا يدخلون المساجد الأربعة : مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجد طور سيناء ، فإذا لم يبق على وجه الأرض غيرهم ، قالوا : قتلنا أهل الأرض ، وبقي أهل السماء ، فيرمون بسهامهم نحو السماء ، فتصيب الطير في جو السماء ، فترجع مُخضبة بالدماء ، فيقولون : قد قتلنا أهل الأرض وأهل السماء ، ولم يبق غيرنا ، فيبعث الله (عز وجل) ، عليهم دُوداً يمشي ، يُسمى : النغف ، فيدخل آذانهم فيقتلهم ، فتمتلئ الأرض من جيفهم ، فيرسل عليهم السماء أربعين يوماً ، حتى يحتمل السيل جيفهم ، فيلقيهم في البحر .

---

(١) لعله : عند المساء .

وفي الأخبار والروايات فيهم ، أكثر من هذا ، تركته إختصاراً ، لأنا أخذنا من كل شيء أحسنه ، وما دعت الحاجة إليه .

وأما قوله : { من القطران } ؛ قيل : القِطر (بكسر القاف) : هو النحاس ؛ والقطر (بفتح القاف) : هو المطر ؛ والقُطر (بضم القاف) : هو الناحية ؛ والجمع : أقطار ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴾ [1] ، يعني : الحديد ؛ لأنه قال : ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ [2] ، أي : قطع الحديد ؛ ثم قال: ﴿ قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴾ [3] ، أي : أصب عليه قطراً ، أي : نحاساً ملاطاً للحديد .

ويُقال : كان عرض ما بين الجبلين مائة وخمسون ذراعاً ، وكانت الصناع مائة وأربعون ألف رجل ، فأمرهم ، فحفروا الأرض حتى بلغوا الماء ، فجعل عرض السد مِثلاً ، ثم وضع أساسه : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾ [4] .

وقوله : { من القطران } ؛ لأن ما لان هو الشديد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ [5] ، أي : شديد الحر ؛ والله أعلم بتأويل كِتابه .

وأما قوله في أول البيت : { بنوا سد يأجوج } ؛ فإنه يعني به : ذا القرنين الإسكندر ، يعني : أنه من قومهم الذي يفتخر بهم ، إلى هذا اشار ، وهذا جائز في لغة العرب ، وفي أشعارها ؛ وقد جاء مثله في القرآن الكريم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وقتلهم الأنبياء ﴾ [6] ؛ ولم يقتل الأنبياء إلاّ بعضهم ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فعقروا الناقة ﴾ [7] ؛ ولم يعقرها إلاّ الشقي :

---

(١) سورة الكهف : ٩٦ .
(٢) سورة الكهف : ٩٦ .
(٣) سورة الكهف : ٩٦ .
(٤) سورة الكهف : ٩٧ .
(٥) سورة الرحمن : ٤٤ .
(٦) سورة آل عمران : ١٨١ ؛ سورة النساء : ١٥٥ .
(٧) سورة الأعراف : ٧٧ .

قدار بن سالف ؛ لأن العرب تقول للواحد منهم : نحن صنعنا ، ولم يفعله منهم إلاَّ واحد ؛ وربما فعل ذلك الفعل إلاَّ واحد من آبائه وأجداده ؛ ويقول هو : نحن فعلنا ؛ قال عمرو بن كلثوم :

وإنا التاركون إذا سخطنا ... وإنا الآخذون إذا رضينا

أخبر عن نفسه ، وعن قومه ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

أبلغا عني قريشاً كلها ... ما خلا أحمد مصباح الظلم
إننا في أول الدهر وفي ... آخر الدهر لأرباب القدم
ملك الضحاك منا حُقبة ... عرب الأرض جميعاً والعجم

فقال : (نحن في أول الدهر ، وهو آخر الدهر لأرباب القدم) ، وهو لم يكن في أول الدهر وآخره ، وإنما يعني : قومه ، لأنه قال : (ملك الضحاك منا حُقبة) ؛ ومثل هذا كثير في لغة العرب ، تعرفه العُلماء باللغة ، ولا ينكره إلاَّ الجاهل ؛ رجعت إلى القصيدة ، قال الناظم :

بيت القصيدة :

فمن كمزيقيا [1] الذي مزق الحلل ... قفا في الندى آثار آبائه الأول
وجاد فأغنى جوده كل من يسل ... له آل عدنان على رغمهم خول
به في الندى بين الورى يضرب المثل ... كأن يديه بالمواهب عينان

الشرح :

أما قوله : { فمن كمزيقيا } ؛ فمن : دخلت ها هنا للإستفهام ؛ والكاف التي في مُزيقيا : كاف التشبيه ، وهي بمعنى : مثل أيضاً ؛ كأنه

---

(١) في نسخة أخرى : { فمنا مزيقيا الذي مزق الحلل } .

قال : فمن مثل مزيقيا ، وهو : عمرو بن عامر (ماء السماء) بن حارث بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود (عليه السلام) نبي الله ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدي أبوه عامر ماء السماء
أنا ابن ملوك حمير أهل مجد وبلقيس التي ملكت سباء
ملكنا كل مكرمة وعز بجرد الخيل والأسل الظباء

وسُميَّ مُزيقيا : لأن الأزد محلت في بلادهم ، فأمرهم أن يوافوه في يوم سماه ، ثم جمع ماله من الإبل والخيل والشاء ، ثم صنع طعاماً ، وأقبل الناس حتى أطعموا ، فلما طعموا ، قال : من أخذ شيئاً فهو له ، فإذا كل إنسان ما لحق ، حتى وهب الحلة التي كانت عليه ، وكانت عليه حلة منسوجة بالذهب ، فمزقها بين الناس .

وقيل : أنه كان يلبس كل يوم حلة ، فإذا أمسى ، مزقها وقسمها بين الناس ، إذا لم يجد أحداً مُستحقاً لها ، فيُلبسه إياها ، فسُميَّ مُزيقيا : لتمزقه ماله على الناس ؛ وقيل : أنه عاش أربعمائة سنة سوقة ، ثم ملك بعد ذلك ، ثم عاش ملكاً أربعمائة سنة أخرى ؛ وفي بعض أخباره ، أكثر من هذا ، تركناه إختصاراً .

وأما قوله : { الذي مزق الحلل } ؛ فمزق ، بمعنى : خرق ومزق ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ [1] ، أي : فرقناهم في كل وجه ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ كل ممزق ﴾ ، أي : كل التفريق ؛ فألقى الله الأزد بعُمان ؛ والأوس والخزرج بيثرب ؛ وخُزاعة بمكة ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ [2] ، أي : مزقناهم ، حتى صار يُضرب بهم المثل

---

(١) سورة سبأ : ١٩ .
(٢) سورة المؤمنون : ٤٤ .

في العرب ؛ يُقال : تفرقوا أيدي سبأ ؛ وأيادي سبأ ؛ قال الشاعر وهو الممزق :

فإن كُنت مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلاَّ فأدركني ولما أمزق

والحلل : جمع حلة ؛ قيل : ولا تكون الحلة إلاَّ ثوبين ، إزار ورداء ، من جنس واحد ، وسُميت حلة : لأنها تحل على لابسها ، كما يحل الرجل على الأرض ؛ قال :

نحل بلاداً كلها حل قبلنا ونرجوا فلاحاً بعد عاد وحمير

وقوله : { قفا في الندى } ؛ معناه : تبع آباءه ، وعمل بما كانوا يعملون به ، لأنك تقول : قفوت أثره : إذا تبعته وأتبعته ؛ تقول : قفوته ، أقفوه ، قفواً : إذا تبعته ، وذلك أن يتبع شيئاً من بعيد ؛ ومنه قافية الشِعر ، سُميت قافية : لأنها تقفوا البيت ، وهي خلف البيت كله ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ (1) ؛ قال مجاهد : لا ترم ما ليس لك به عِلم ؛ وقال غيره : لا تشهد بالزور ؛ وقال أبو عُبيدة : لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك ؛ وقفوت الرجل : إذا قلت فيه كلاماً قبيحاً ؛ وقفوته ، بمعنى : قذفته ؛ ومن الحديث : " من قفا مُؤمناً " ، أي : قذفه بالريبة .

وقوله : { قفا في الندى } ؛ فالندى : معروف ، وهو على وجوه ، تقول : أصابه ندى من طل ؛ ويوم ندي ؛ وأرض ندية ؛ وندى المطر ؛ وندى البلد ؛ وندى الخير ؛ وندى المعروف ؛ وندى الشرف والكرم ؛ قال الشاعر :

فأنت الندى وأبو الندى وأخو الندى حليف الندى ما للندى عنك مصرف

---

(1) سورة الإسراء : ٣٦ .

وقال غيره :

سألت الندى هل أنت حرٌّ فقال لا ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد
فقلت شراءً قال لا بل وراثة تارثني عن والدٍ بعد والد

وأما قوله : { آثار آبائه الأول } ؛ فالآثار : هي المآثر ، والمفاخر ، وما يُؤثر عنهم ، ويذكرون به في المحيا والممات ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ﴾ [1] .

وقرئت : | أو أثرة من علم | ، (محركة الثاء) ، وقرئت بتسكين (الثاء) ؛ قال الفراء : والمعنى : فيهن بقية من علم ؛ أو شيء مما يُؤثر ، من ثناء الأولين ؛ وقد مر تفسير المآثر .

وقوله : { آبائه الأول } ؛ فالآباء : جمع أب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ﴾ [2] ؛ قال الستالي :

آل العتيك اليمانين الذين لهم من سادة الأزد أجداد وآباء

والأول ، يعني : الأوائل ، المُتقدمين من آبائه ، وأسلافه ، وأجداده ، الذين يفتخر بهم ، وهم : الأولون المتقدمون الذين سبقوه إلى مكارم الأخلاق .

وقوله : { وجاد فأغنى جوده كل من يسل } ؛ فجاد : من الجود : وهو فعل ماض : وهو من كرم الرجل ؛ تقول : جاد ، يجود ، جودا ، وجودة ؛ قال المُتنبي :

---

(١) سورة الأحقاف : ٤ .
(٢) سورة النساء : ١١ .

جود الرجال من الأيدي وجودهم   من اللسان فلا كانوا ولا الجود

وقال غيره :

وأنت الذي أهلكت نفسك عامداً   بجودك حتى ضر نفسك جودها

وقال غيره :

أجود بالنفس إن ضن البخيل بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقوله : { فأغنى } ؛ أغنى : من الغنى ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ (1) ، أي : أعطى ، وأما ما غنوا به .

ويقال : معناه : أرجي بما أعطى ، وأقنى ، أي : رزق ما يقتني ، أي : ما يحبس ويمسك ويتخذ قيننة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى ﴾ (2) ، يعني : أن رأى نفسه استغنى ، والهاء في : ﴿ رآه ﴾ ، عائدة إلى الإنسان ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ ليطغى ﴾ ، أي : جاوز حده ومقداره ؛ والطغيان : مجاوزة المقدار ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إنما لما طغا الماء ﴾ (3) ، أي : جاوز المقدار ، فلم يقدر عليه الحر .

ويقال : الطغيان : الكذب ؛ والله أعلم .

وأما قوله : { كل من يسل} ؛ فيسل : من السؤال : وهو معروف ؛ والعرب مجتمعة على حرف يسل ، فإذا وصلت بالواو والفاء همزت ، كقولك : فاسأل ويسأل ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فاسأل به خبيرا ﴾ (4) .

---

(1) سورة النجم : 48 .
(2) سورة العلق : 6 – 7 .
(3) سورة الحاقة : 11 .
(4) سورة الفرقان : 59 .

ويُقال : ساولته مساولة ، في لغة هذيل ؛ ومن قال : مسايلة ، فقد أخطأ ؛ قال الشاعر :

سالت هذيل رسول الله فاحشة　　ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

قيل : إنما سألوه (ﷺ) ، أن يُحلل لهم حُرمة الزنا ؛ وتقول : سألته سؤالاً ، ومسألة ؛ وسألت ، سألة ؛ قال المجنون :

وناديت يا ذا العرش أول سالتي　　لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها

وقال الله (ﷻ) : ﴿ فإن لكم ما سألتم ﴾ (١) ؛ (بالهمز) ؛ وبعضهم يقول : سالتم ، فيجمع بين ساكنين ؛ وبعضهم يقول : سلتم ، وأنتم تسالون ، مثل : خفتم ، وتخافون ؛ قال الشاعر :

سالتاني الطلاق إذ رأتاني　　قل ما لي قد جئتماني بهجر

وللملك امرئ القيس :

صم صداها وعفا رسمها　　واستعجمت عن منطق السايل

وقوله : { كل من يسل } ؛ يسكن اللام من : يسل ؛ وهو فعل مُستقبل ، من أجل أن القافية ساكنة ، وهذا يُسمى : المُقيد ، فسكن على القافية ، وهذا جائز في أشعار العرب ، كثير لا يُحصى .

وأما قوله : { له آل عدنان على رغمهم خول } ؛ فآل الرجل : عشيرته ، وقرابته ، وأهل بيته ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وبقية مما ترك آل مُوسَى وآل هارون ﴾ (٢) ؛ قال الضبي : معناه : مما ترك مُوسَى وَهَارُون ؛

---

(١) سورة البقرة : ٦١ .
(٢) سورة البقرة : ٢٤٨ .

قال الشاعر :

بثينة من ال النساء وإنما　　تكن لأدنى لا وصال لغائب

قوله : (من ال النساء) ، أي : من النساء ؛ والآل : البعير الواحد ؛ وال : القبة عمدها ؛ قال النابغة :

فلم يبق إلاّ ال خيم منضد　　وسفع على أس ونوء مثعلب

والال : السراب ؛ وأوال : قرية بالبحرين ؛ وعدنان : على وزن فعلان ، من قولهم : عدن بالمكان ، إذا أقام به ، يعدن ، عدونا ، فهو عادن ، أي : مقيم ؛ وعدنان : هو ابن أد بن أدد ، وقد تقدم ذِكره ، وذِكر نسبه ، وهو غير مجهول .

قوله : { على رغمهم } ؛ فعلى : حرف صفة ، يخفض ما بعده ، يكتب بالياء ، ويكون فعلا ماضيا ؛ تقول : علا ، يعلو ، علوا ، قال الله (ﷻ) : ﴿ ولعلا بعضهم على بعض ﴾ (1) ؛ وفيه أكثر من هذا ، تركته خوف الإطالة ، وليس هذا موضعه .

وقوله : { على رغمهم خول } ، يعني : بالرغم منهم ؛ والرغم : المذلة والصغر ؛ لأن الرغم : المذلة ، والمساءة ، والغضب ؛ يقولون : فعلت هذا على رغم فلان ، أي : على غضبه ومساءته .

قال ابن الأعرابي : رغم الله أنفه ، أي : عفره بالرغام ، وهو التراب ؛ ويقولون : رغم فلان ، إذا لم يقدر على الإنصاف ؛ وأرغمته : إذا حملته على ما لا يقدر عليه ، المُتبع منه ورغمته ؛ قلت له : رغماً لك .

وفي الحديث : " أنه إذا صلى أحدكم ، فليلزم جبهته وأنفه الأرض ، حتى يخرج منه الرغم " ، أي : حتى يذل ويخضع ؛ والمراغمة : الهجران ؛

(1) سورة المؤمنون : 91 .

وقوله (ﷻ) : ﴿ مراغماً كثيراً وسعة ﴾ (١) ، يعني : متسعاً ؛ قال الشاعر :

تحمل عظيم الذنب ممن توده وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تحمل الذنب كله تفارق من تهوى وأنفك راغم

والخول : هم العبيد ؛ وقال الفراء : الخول : هم الرعاة .

وقال غيره : خول الرجل : الذين يملك أمرهم ، وهو من قولهم : خولك الله مال فلان ، أي : ملكك إياه ؛ وخولت الرجل نعمة : إذا أنعمت عليه بها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه ﴾ (٢) ، يعني : أنعمنا عليه ؛ ويحتمل أن يكون بمعنى : ملكناه .

وقوله : { به في الندى بين الورى } ؛ فقد تقدم تفسير ذلك ؛ والورى (مقصور يُكتب بالياء) : الخلق ؛ وللسيد ابن دريد:

ولا اطبى عيني مُذ فارقتهم شيء يروق الطرف من هذا الورى

ووراء ، بمعنى : خلف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي ﴾ (٣) .

قال بعض المُفسرين : الخلف ها هنا ، بمعنى : قدام ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ﴾ (٤) .

قيل : قدامهم ؛ لو كان وراءهم لم يأخذهم ؛ والوراء (ممدود) : ولد الولد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ (٥) ؛ ولد ولد إبراهيم (عليه السلام) .

وقوله : { يضرب المثل } ؛ فيضرب : فعل ما لم يُسم فاعله ، وهو

---

(١) سورة النساء : ١٠٠ .
(٢) سورة الزمر : ٨ .
(٣) سورة مريم : ٥ .
(٤) سورة الكهف : ٧٩ .
(٥) سورة هـود : ٧١ .

فعل مستقبل ؛ والضرب : معروف ؛ تقول : ضرب زيد عمراً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فضرب الرقاب ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ واهجروهن في المضاجع واضربوهن ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ضرب الله مثلاً ﴾ (٣) ؛ وهو كثير معروف ، لا يحتاج إلى شرح .

والمثل : واحد ؛ والأمثال : جمع ؛ ومثل الشيء : شبهه ؛ تقول : هذا مثل هذا ؛ ومَثَل هذا (بالتسكين والتحريك) ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ (٤) ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ﴾ (٥) ، أي : كشبه الحمار .

والمثل : العبرة ؛ قال (ﷻ) : ﴿ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ (٦) ، أي : لمن بعدهم ؛ قال غيره :

هو المثل المضروب في الناس والندى وحيث اجتبى في مجلس فهو الصدر

وقال الله (ﷻ) : ﴿ وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ﴾ (٧) ؛ وللملك امرئ القيس :

فلي ولها في الناس ذِكر وسمعة ولي ولها في كل قافية مثل

ومن أمثالهم : أسير من المثل .

وقوله : { كأن يديه بالمواهب عينان } ؛ فكأن : حرف تشبيه ،

---

(١) سورة محمد : ٤ .
(٢) سورة النساء : ٣٤ .
(٣) سورة إبراهيم : ٢٤ ؛ سورة النحل : ٧٥ ؛ سورة الزمر : ٢٩ ؛ سورة التحريم : ١٠ .
(٤) سورة العنكبوت : ٤١ .
(٥) سورة الجمعة : ٥ .
(٦) سورة الزخرف : ٥٦ .
(٧) سورة الزخرف : ٥٩ .

ينصب الاسم ، ويرفع الخبر ؛ تقول : كأن زيداً الظريف خارج ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كأنهم حُمرٌ مُستنفرة ﴾ [1] ؛ فالضمير المُتصل لكأن موضعه النصب ؛ والحُمر المُستنفرة : مرفوعة بالخبر ؛ وللملك امرئ القيس :

كأن ثبيراً في عرانين وبله　　كبير أناس في بجاد مزمل

فكأن : نصبت ثبيراً ، والخبر : كبير ؛ وخفض مزملا على الجوار ، لأنه ليس من نعت كبير ؛ قال عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا منا ومنهم　　مخاريق بأيدي لاعبينا

وقوله : { كأنَّ يديه بالمواهب } ؛ فيديه : شبه اليد ، وموضعها النصب بكأن ؛ واليد : هي الجارحة المُركبة في الإنسان ؛ وقد تقدم تفسير اليد فيما مضى ؛ والمواهب : جمع موهبة ؛ قال التهامي :

فإن كُنت مُرتاباً بقولي فهذه　　مواهب كفيه فأين نظيرها

وقال غيره :

مفرق الجود مقسوم مواهبه　　في عيلة الناس والأوساط والحشم

وقال الله (ﷻ) : ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ [4] ؛ ومثل هذا كثير تركته لطوله .

وقوله : { بالمواهب عينان } ؛ فعينان : نفسه ؛ والعين : معروفة ، وهي المُركبة في الإنسان : أداة البصر ؛ والعين في اللغة على وجوه

---

(1) سورة المدثر : ٥٠ .
(2) سورة ص : ٣٥ .
(3) سورة آل عمران : ٣٨ .
(4) سورة مريم : ١٩ .

كثيرة ، وقد تقدم تفسيره فيما مضى .

بيت القصيدة :

وعامر ماء المزن من مثل عامر ... إذا أخلفت أيدي السحاب المواطر
يقوم مقام الصيب المتواتر ... ومدخر للمجد أسنى الذخائر
فيغني بما يحويه أهل المفاقر ... وذي سغب بادي المجاعة ظمآن

الشرح :

قوله : { وعامر ماء المزن } ؛ فعامر ماء المزن ، سُميَّ : ماء السماء ، لأن الأزد كانت أمحلت في بلادها ، وأقام لها مقام المطر ، وأقام ما تحتاج إليه الأزد في جميع أمورها ، فسُميَّ : ماء السماء ؛ وما سمعنا بأحد سُميَّ بهذا الاسم غيره ، وهو : عامر (ماء السماء) بن حارثة بن الغطريف بن امرئ القيس البطريق [بطرقه : سُليمان بن داوود (عليهما السلام) على اليمن ، حين أسلمت بلقيس] (1) ، ابن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

ورثنا عن البهلول عمرو بن عامر ... وحارثة الغطريف مجداً مؤثلا

وقال أيضاً :

أنا ابن مُزيقيا عمرو وجدي ... أبوه عامر ماء السماء

وقد تقدم هذا فيما مضى ؛ والمزن : المطر ؛ وهو أراد أن يقول : عامر ماء السماء ، لأنه كان إذا أصاب القحط الناس ، اجتبى وأقام ماله مقام المطر ؛ وسُميَّ ماء السماء : إذا أقام مقامه ؛ قال الحارث بن حلزة :

---

(1) هكذا في الأصل .

فملكنا بذاك الناس حتى ملك المُنذر بن ماء السماء

وقال الأنباري : سُميَّ ماء السماء : لأنه شبه عموم نفعه وفضله ، بعموم نفع القطر ؛ قيل : سُميَّ ابنه مُزيقيا : لأنه يُمزق كل يوم حلتين يلبسهما ، ويكره أن يعود فيهما ، ويأنف أن يلبسهما غيره ؛ قال الشاعر :

وهم على ابن مُزيقياء تنازلوا والخيل بين عجاجتيها القسطل

وقوله : { إذا أخلفت أيدي السحاب المواطر } ؛ فأخلفت : من الخلف والإختلاف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ بما أخلفوا الله ما وعدوه ﴾ [1] ؛ والخلف والإخلاف : المصدر ؛ قال الشاعر :

وإني وإن أوعدته ووعدته لمخلف إيعادي ومُوْخر موعدي

قيل : وعدته بالخير ؛ وأوعدته بالشر ؛ ففي الخير : وعدته (بلا ألف) ؛ وفي الشر : أوعدته (بالألف) ؛ وقال بعض : وعدته في الخير والشر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

أين الأحبة والشباب كأنما كانوا على نية من الأخلاف

والسحاب : معروف ؛ وسُميَّ سحاباً : لإنسحابه في الهواء ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يُؤلف بينه ﴾ [3] ، أي : يسوق سحاباً ؛ قال الستالي :

---

(١) سورة التوبة : ٧٧ .
(٢) سورة الأعراف : ٤٤ .
(٣) سورة النور : ٤٣ .

هوى وسطها برد الهوى وأظله　　　وقد سحبت ذيل النسيم السحائب

والمواطر : نعت للسحاب الذي فيه المطر ؛ قال أيضاً :

في روضة نسج السحاب لأرضها　　　وشيبن بين مفوف ومدبج

قال الله (ﷻ) : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مَرَّ السحاب ﴾ (١) ؛ والمطر : الغيث الذي ينزل من السماء ، لأنهم قالوا : إنما الغيث رحمة ، والمطر عذاب ؛ ما ذكر الله مطراً في القرآن الكريم إلاَّ ذمه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المُنذرين ﴾ (٢) ؛ والغيث محمود ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وهو الذي يُنزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ (٣) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ (٤) .

قيل يُعصر العنب : خمراً ، والزيتون : زيتاً ، والسمسم : سليطاً ودُهناً ؛ قال الشاعر :

فاستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت　　　ورداً وعضت على العناب بالبرد

وأما قوله : { يقوم مقام الصيب المتواتر} ؛ فيقوم : من المقام ، وضده القعود ؛ وقام زيد مقام عمرو ، إذا اعتنى عنه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فآخران يقومان مقامهما ﴾ (٥) ؛ والقيام : معروف ؛ وقمت على الرجل في أخذ حقي منه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلاَّ ما دمت عليه قائما ﴾ (٦) ؛ والمقام : موضع القدمين ؛ وفي ذلك

---

(١) سورة النمل : ٨٨ .
(٢) سورة الشعراء : ١٧٣ ؛ سورة النمل : ٥٨ .
(٣) سورة الشورى : ٢٨ .
(٤) سورة يوسف : ٤٩ .
(٥) سورة المائدة : ١٠٧ .
(٦) سورة آل عمران : ٧٥ .

قوله (ﷻ) : ﴿ مقام إبراهيم ﴾ [1] ؛ والمقام (بضم الميم) : يكون مصدراً : ويكون موضع الإقامة ؛ قال لبيد :

على أنه نسج الجنوب من الصبا   وأسحم دان مزنه متصوب

فالصيب : الاسم ؛ والمتصوب : النعت ؛ والمتواتر : الذي يتلو بعضه بعضاً ؛ فتقول : إذا رفعت الخبر عن رسول الله (ﷺ) ، وبذلك تواترت الأخبار ، وصح النقل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترا ﴾ [2] ، أي : متواترة ، يتلو بعضها بعضاً ؛ قال الشاعر :

تواترت الأخبار والنقل عنهم   بأنهم خير الأنام فواضلا

قوله : { ومدخر للمجد أسنى الذخائر } ؛ فالدخر : ما يدخره الإنسان للعاقبة ؛ ومنه قوله (ﷻ) : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ [3] .

قال السجستاني : تفتعلونه من الذخيرة ؛ ومن ذلك قول الناس : ليأتي العبد يوم الذخر ، يسمونه بذلك ، لما يدخرون فيه من الطعام ؛ والله أعلم ؛ قال الشاعر :

ومازلت ذخراً للأنام وعدة   لكل إمام عدة وذخائر

ومُدخر : مُفتعل من الذِكر [4] ؛ والذخائر : جمع ذخر وذخيرة ؛ ومُدخر ـ عندي ـ أصله : مدتخر ، فادغم (الدال في التاء) ؛ ومن رواه بالذال : جعله من الذخيرة ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥ ؛ سورة آل عمران : ٩٧ .
(٢) سورة المؤمنون : ٤٤ .
(٣) سورة آل عمران : ٤٩ .
(٤) هكذا في الأصل .

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ولكن إخوان الثقات الذخائر

وقد مر تفسير الحمد ؛ وأسنى : أعلا وأرفع ؛ والسناء (ممدود) : من الرفعة ؛ وسنى البرق (مقصور) ؛ وللسيد ابن دريد :

زال السنا عن ناظريه وزال عن شرف السناء

أتى باللغتين في بيت واحد ؛ وله - أيضاً - في سنى البرق :

إذا اجتهدت نظرا في أثره قلت سنا أومض أو برق خفا

وله - أيضاً - قال :

شعثاً تعادى كسراً حين الغضا قبل الحماليق يُبارين الشبا

وقوله : { فيغني بما يحويه أهل المفاقر } ؛ فيُغني : من الغنى ؛ ويُغني (مقصور يُكتب بالياء) : من المال ، ؛ والغناء (ممدود يُكتب بالألف) : من الصوت ؛ وله ؛ أيضاً ابن دريد :

أرى الغنى يدعو الفتى إلى الملاهي والغناء

جمع اللغتين في بيت واحد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى ﴾ (١) ؛ قوله (ﷻ) : ﴿ أن رآه استغنى ﴾ (٢) ، أي : رأى نفسه استغنى ؛ وفي الكلام تقديم وتأخير ؛ قال الإمام عليّ بن أبي طالب :

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غنى في العيون جليل

---

(١) سورة العلق : ٦ – ٧ .
(٢) سورة العلق : ٧ .

وليس الغنى إلاّ غنى زين الفتى عشية يقري أو غداة ينيل

وقوله : { بما يحويه أهل المفاقر } ؛ فما : اسم ناقص ، بمعنى : الذي ، وهو ها هنا موضعها الخفض بالباء الزائدة ؛ ويحوي : فعل مُستقبل مُتصل بضمير ، والضمير موضعه النصب ، بوقوع الفعل عليه ، وهو : الهاء ؛ ومع الجمع ، تقول : حويت الشيء ، إذا جمعته ؛ وللسيد ابن دريد :

وخامرت نفس أبي الخير الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

وله أيضاً :

وهم لمن أملق أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى

وقد مر تفسير هذا ؛ والمفاقر : هم أهل الفقر ؛ ورجل فقير : لا مال له ؛ والفقر : الحاجة ؛ وافتقر الرجل : إذا احتاج ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾ [1] ؛ والفقر : ضد الغنى ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير

قيل : وسُميَّ الفقير فقيراً : لأن الفقر قد كسر فقار الظهر .

وقد إختلف العُلماء في الفقير والمسكين ؛ فقال بعضهم : أن الفقراء أحسن حالاً من المساكين ؛ حجته قول الشاعر :

---

(١) سورة فاطر : ١٥ .

(٢) سورة القصص : ٢٤ .

إن الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

فجعل حلوبته : عياله .

وقال بعض : المسكين أحسن حالاً من الفقير ؛ وحجته قول الله (ﷻ) : ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين ﴾ [1] ؛ فجعل لهم سفينة .

وأما قوله : { وذي سغب بأدي المجاعة ظمآن } ؛ فذي : اسم ناقص مُعتدل ، بقوله (في رفعه) : ذو ؛ (وفي خفضه) : ذي ؛ (وفي نصبه) : ذا ، وهو مجرور بدلاً من المفاقر ؛ ويحتمل أن يكون نعتاً للمفاقر ؛ والسغب : الجوع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ في يوم ذي مسغبة ﴾ [2] ، أي : مجاعة ؛ قال الشاعر :

أعرى وكل الناس كان بأرضكم واسبغ في الأيام والكلب يسبغ

وبادي : من البدو : وهو الظهور والإنكشاف ؛ من قولك : بدا لك الشيء ، إذا ظهر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ﴾ [3] ، أي : ظهر لهم وتبين ، أو أحدث عندهم رأي ، لم يكن عندهم قبل ؛ قال الشاعر :

فاقسم حقا لو رأى الناس ما أرى من الأمر أو أبدوا لهم ما بدا ليا
بدا لي أني لست مُدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

والبادي : خلاف الحضري ؛ وسُميَّ بادياً : لظهوره البرية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ [4] ، أي : من البادية ؛ قال المُتنبي :

---

(١) سورة الكهف : ٧٩ .
(٢) سورة البلد : ١٤ .
(٣) سورة يوسف : ٣٥ .
(٤) سورة يوسف : ١٠٠ .

ما أوجه الحضر المُستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وأما قوله : { بادي المجاعة } ؛ فالمجاعة : هو الجوع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

ألج علينا الجوع حتى كأنما بأنا فناريح الطعام كباء

فإن قال قائل : كيف قال : { وذي سغب بادي المجاعة } ، فكرر ؟ قيل له : أن العرب قد قالت : إذا اختلف اللفظ ، جاز تكرير المعنى ؛ قال الشاعر :

ألا حبذا هند ومن دونها هند وهند أتى من دونها النأي والبعد

فقال : (النأي) ، ثم قال : (البعد) ؛ والنأي : هو البُعد ؛ فكرر لما إختلف اللفظ ؛ وهذا كثير جائز في أشعار العرب ولغتها ؛ وفي القرآن الكريم ، قال الله (ﷻ) : ﴿ يعلم سرهم ونجواهم ﴾ (٢) ؛ والسر : هو النجوى ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (٣) ؛ والعث : هو الفساد ؛ قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثاث وفي أنيابها شنب

قال : (حوة لعس) ؛ واللعس أيضاً : حوة وسمرة في اللثاث ؛ وفي مثله كثير ؛ والظمآن : العطشان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يحسبه الظمآن

(١) سورة قريش : ٤ .
(٢) سورة التوبة : ٧٨ .
(٣) سورة البقرة : ٦٠ ؛ سورة الأعراف : ٧٤ ؛ سورة هود : ٨٥ ؛ سورة الشعراء : ١٨٣ ؛ سورة العنكبوت : ٣٦ .

ماء ﴾[1] ؛ قال الشاعر :

أرى ماء وبي ظمأ إليه ... ولكن لا سبيل إلى الورود

وله أيضاً :

كالحوت لا يرويه شيء يلهمه ... يصبح ظمآن وفي البحر فمه

بيت القصيدة :

وحارثة الغطريف ليث المواكب ... غياث البرايا في السنين اللوازب
وبدر الدجى في الدست غيث المواهب ... ترى كرماً عند إزدحام المطالب
على راحتيه لاختيار الرغائب ... له بسجال العرف ترشح كفان

الشرح :

فقوله : { وحارثة الغطريف } ؛ فحارثة : ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ؛ واسمه : حارثة الغطريف ؛ والغطريف ، هو : حارثة ؛ واشتقاق اسم حارثة : من الحرث ؛ والغطريف : السيد الشريف ؛ والغطرفة : التكبر .

وقوله : { ليث المواكب } ؛ فالليث : هو الأسد ، ومن أسمائه : الضرغام ، والهزبر ، والضابث ، والضيار ، والضيغم ، والقسورة ، والهصور ، والهرماس ، وأسامة ؛ وفيه أكثر من هذا ، تركته إختصاراً ؛ والليث أيضاً : عنكبوت يصيد الذباب ؛ قال :

وليث حروف ذي سنان ومنصل ... إذا مد ليث الغاب ناباً ومخلبا

(١) سورة النور : ٣٩ .

والجمع : ليوث ؛ وأحدها : ليث ؛ قال :

غيوث إذا جادوا ليوث إذا صالوا ....

والمواكب : جمع موكب ؛ والمواكب : الجماعة من الخيل ؛ قال الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله) :

ولقمان الذي خلدت لديه ترف على مواكبه النسور

وأما قوله : { غياث البرايا في السنين اللوازب} ؛ فالغياث : من الغيث ، ويكون من الإستغاثة بالألف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ (١) ، أي : تدعونه بالنصر على عدوكم ؛ وقال (تعالى) : ﴿ فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ (٢) .

قيل : أن النبي (ﷺ) ، لما رأى كثرة المُشركين ، عَلِمَ أنه لا قوة إلاّ بالله العظيم ، دعا ربه ، فقال (ﷺ) : " اللهم أمرتني بالقتال ، ووعدتني بالنصر ، وأنت لا تخلف الميعاد " ؛ فاستجاب له ربه ، فأنزل (تعالى) : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ (٣) ؛ في النصر : ﴿ فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ (٤) ، أي : مُتتابعين .

ويُقال : فوج بعد فوج ؛ والمُردف : الذي يجيء من بعده .

ويُقال : أن جبريل (عليه السلام) ، نزل في ألف من الملائكة ، فقام جبريل (عليه السلام) بخمسمائة ملك عن يمين الناس معهم أبو بكر (رضي الله عنه) ؛ ونزل ميكائيل (عليه السلام) في خمسمائة ملك عن ميسرة الناس ، ومعهم عُمر (رضي الله عنه) ؛ وذلك في صورة الرجال ، وعليهم البياض ، وعمائم البيض ،

---

(١) سورة الأنفال : ٩ .
(٢) سورة الأنفال : ٩ .
(٣) سورة الأنفال : ٩ .
(٤) سورة الأنفال : ٩ .

وند أرخوا أطرافها بين أكتافهم ، فقاتلت الملائكة يوم بدر ، ولم تقاتل يوم الأحزاب ، ولا يوم حنين ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ أني ممدكم ﴾ [1] ، أي : مُعينكم : ﴿ بألف من الملائكة ﴾ [2] ؛ هذا من الإعانة والنصر .

وأما من الغيث ، فقال (تعالى) : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ﴾ [3] ؛ وقال (تعالى) : ﴿ وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾ [4] .

وقوله : { غياث البرايا في السنين اللوازب } ؛ البرايا : جمع برية : وهي الخلق ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ أولئك هم خير البرية ﴾ [5] ، يعني : خير الخليقة ؛ والبارئ : الخالق ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ [6] .

وقيل : جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) ، فقال : يا خير البرية ، فقال (ﷺ) : ذلك إبراهيم (عليه السلام) خليل الرَّحمَن ؛ وإنما قال ذلك تواضعاً منه (ﷺ) .

والبرية : مأخوذ من برأ الله الخلق (يُهمز ولا يُهمز) ؛ والبرايا : جمع برية ؛ قال المعري :

رأتك البرايا ظالما يا ابن آدم   وبئس الفتى من جار عند اقتداره

وأما قوله : { في السنين اللوازب } ؛ فالسنين : جمع سنة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا ﴾ [7] ؛ وقال (تعالى) : ﴿ فلبث في السجن بضع سنين ﴾ [8] ؛ واحد السنين : سنة ؛ قال الشاعر :

---

(1) سورة الأنفال : ٩ .
(2) سورة الأنفال : ٩ .
(3) سورة الشورى : ٢٨ .
(4) سورة لقمان : ٣٤ .
(5) سورة البينة : ٧ .
(6) سورة الحشر : ٢٤ .
(7) سورة يوسف : ٤٧ .
(8) سورة يوسف : ٤٢ .

إذا المرء لم يرض ما أمكنه   ولم يأت من أمره أزينه
وتاه به التيه فاقتاده   وأعجبه الوجب فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره   سيضحك يوماً ويبكي سنه

وقال غيره في الجمع : قيل : كتبت امرأة إلى زوجها ، وكان غائباً عنها ؛ فقالت :

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا   وارحم بناتك أنهن صغار

فقال لها :

عدي السنين لغيبتي وتصبري   وذر الشهور فإنهن قصار

وأما قوله : { السنين اللوازب } ؛ الشدائد : الممحلات ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ [1] ؛ ولاتب : كله بمعنى واحد ؛ يجعلون (الباء) ميماً ، لقرب مخرجها منها ؛ قال الشاعر :

ولا تحسبون الخير لا شر عنده   ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وقال غيره :

وما العيش إلا بلغة حيث نلتها   كفتك وما المحجور ضربة لازم

والعرب تقول : اللزمة ، واللزبة ، واللازمة : كله بمعنى : الشديدة ؛ واللزوب : القحط والضيق ؛ قال الشاعر :

وتناولوا عند اللزوب طعامنا   ورأوه حقاً واجباً موقوتا

(١) سورة الصافات : ١١ .

ولوازب الدهر : شدائده ؛ واللزوبة : الشدة والصلابة ؛ والفعل : لزب ، يلزب ، لزوبا ؛ واللازب : الطين اللين ، وهو : اللازق ، وقد تقدم ذِكره .

وقوله : { وبدر الدُجى في الدست غيث المواهب } ؛ فالبدر : معروف : وهو القمر ؛ ولا يُقال له بدراً ، إلاّ لثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة ، لمُبادرته للغروب قبل طلوع الشمس ، لأنهما يتراقبان في الأفق صبحاً ؛ والبدر يُوصف به الرجل والمرأة ، ويُراد به الجمال والصباحة ؛ وقد سمت العرب بدراً وبديراً ؛ والدُجى : الظلام ، وقد مر تفسيره .

والدست : المجلس ؛ قال الستالي :

أقول وقد عاينت في الدست يعربا ... مُضيئاً وعم الناس وابله الغمر

وقال غيره :

قوم لهم صدر الدسوت إذا هم ... نزلوا وإن ركبوا فصدر المركب (١)

والمواهب : جمع موهبة ، وقد تقدم تفسيرها .

وقوله : { ترى كرماً عند إزدحام المطالب } ؛ فترى : فعل مُستقبل : وهو من رُؤية العين ، ونصب كرماً بوقوع الفعل ، كأنه قال : ترى كرماً منه عند إزدحام المطالب ؛ والكرم : معروف : وهو جود الرجل بماله لسائله ؛ ككرم حاتم الطائي وغيره ؛ والكرم : التقوى ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (٢) .

وفي الرواية : " الحسب : المال ؛ والكّرم : التقوى ؛ والكريم : الرجل الجواد " ؛ قال جرير :

---

(١) في نسخة أخرى : { نزلوا وإن ركبوا فصدر الموكب } ، ولعلها أصح .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

كريم حوته نعمة السيف أن يرى يمن عليه بالصنيعة منعم
أزح باليقين الشك واعلم بأن من تهون عليه نفسه لا يكرم

والكرم : معروف : وهو العنب ؛ والكرم : مُشتقة المعنى من الكرم .

قوله : { عند إزدحام المطالب } ؛ فعند : قد تقدم شرحها ؛ وازدحام الناس : مواظبتهم على الشيء ، ومُتابعتهم إليه ، وركوب بعضهم بعضاً ؛ قال الشاعر :

لا تطلب العِلم ولا أهله فإن أهل العِلم قد بادوا
والتمس الجهل وأشياعه فإن أهل الجهل قد سادوا

وقال غيره :

طلبت بك التكثير فازددت قلة ولا يجبر الإنسان في طلب الربح

فالطلب : فعل ماض ؛ والطلب ، والمطالب : مصدران ؛ وقد يكون اسم الشيء المطلوب .

وقوله : { على راحتيه لإختيار الرغائب } ؛ فراحتيه : تثنية راحة ؛ والراحة : باطن الكف ؛ وقد تقدم العرب في راح بحذف الهاء ؛ قال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وقال غيره :

وإن مشف [1] فريق الأرض هندته يكاد يدفعه من قام بالراح

---

(١) هكذا في الأصل .

وقال الحرير :

نهاني الشيب عما فيه أفراحي فكيف أجمع بين الراح والراح

فأما الراح الأول : الخمر ؛ والثاني : الراحة التي في الكف ؛ ويحتمل أن يكون الراح : جمع راحة ؛ والراحة في غير هذا : الإستراحة ؛ وقالوا : من استوطأ الراحة ، لم يمل الراحة .

وقوله : { لاختيار الرغائب } ؛ فإختيار : من الإختيار : وهو من قولك : اخترت الشيء ، أي : أخذت خياره ؛ وخيرة الشيء : خياره ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [1] ؛ وقال الأعشى :

إذ سامه خطتي خسف فقال له مهما تقله فإني سامع حار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما فاختر وما فيهما حظ لمُختار

وقال غيره :

فلو رضيت بداي [2] بها وظنت لكان لها على القدر الخيار

والرغائب : جمع رغيبة ، لأنه مرغوب فيها ، وهي مطلوبة ؛ تقول : رغب فلان إلى فلان في كذا وكذا ، إذا طلب إليه ؛ ورغب فلان في الشيء رغبة ، ورغبى ؛ ويقول : اللهم إليك الرغبى ، ومنك النعمى ؛ وقال الأعشى :

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

النوفل : الكثير ؛ النوافل والزفر : المُتحمل ؛ ورجل رغيب البطن :

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .
(٢) هكذا في الأصل .

كثير الأكل ، واسع الجوف ؛ ووادٍ رغيب ؛ وحوض رغيب ، أي : واسع ؛ وفي الحديث : " الرغب شؤم " ؛ ورغب فلان عن كذا وكذا ، إذا تركه وزهد فيه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاَّ من سفه نفسه ﴾ (١) ، أي : يرفع نفسه عنها ؛ وأصل الرغبة : رفع الهمة عن الشيء وإليه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ (٢) ، أي : تسموا هممهم إلى ما عندنا ، وخوفاً منا ؛ قال الشاعر :

شر الخلائق من كانت مودته   مع الزمان إذا ما خاف أو رغبا

وأما قوله : { له بسجال العرف ترشح كفان } ؛ فله : جار ومجرور ، فالجار : اللام ؛ والمجرور : الضمير المُتصل (باللام) وهو (الهاء) ، وهو عائد على الممدوح في أول البيت ، من قوله : { وحارثة الغطريف } .

وقوله : { بسجال العرف } ؛ والسجال : أصله الكِتاب ، وهو : السجال ، والسجل ؛ تقول : أسجلت الرجل ، إذا كتبت له بشيء ؛ وأسجلت : أعطيت أيضاً ؛ فلما كثر استعمالهم ، قالوا للعطاء : إسجال ؛ والسجل : الكتاب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ (٣) ؛ وقد جاء في التفسير : أن السجل هو الكِتاب ؛ وقيل : كان كتاب النبي (ﷺ) يُسمى : السجل ؛ قال الستالي :

لعلى بني عُمر بن نبهان الأولى   غلبوا بسجل الفضل كل مساجل

وقيل : أن أصل السجل : الدلو ؛ لأن السجلان : الدلاء ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة : ١٣٠ .
(٢) سورة الأنبياء : ٩٠ .
(٣) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

إنا إذا ساجلنا شريب ... لنا ذنوب وله ذنوب

فالذنوب (بفتح الذال) : الحظ والنصيب ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم ﴾ [1] ؛ والذنوب (بضم الذال) : الإثم والوزر ؛ والمُساجلة أيضاً : المُفاخرة ؛ قال الشاعر :

تفضل بالعلياء والفضل يعرب ... فمن ذا يُساميه ومن ذا يُساجله

أي : يُفاخره ؛ والعرف : هو المعروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [2] .

قيل : لما نزل جبريل (عليه السلام) ، إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال: " يا محمد ، أتيتك بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ [3] ؛ يا محمد ، وهو : أن تصل من قطعك ؛ وتعفو عمن ظلمك ؛ وتعطي من حرمك " ؛ وإنما سُميَّ العرف عرفاً : لأن النفس تعرفه وتطمئن إليه ؛ والفعل يدل عليه ؛ وسُميَّ المُنكر مُنكراً : لأن القلوب تنكره ؛ قال غيره :

من يصنع العرف لم يعدم جوائزه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

وقوله : { ترشح كفان } ؛ الرشح : العطاء ؛ وفي الحديث : " وكل إناء بالذي فيه يرشح " ، أي : يُخرجه ويُظهره ؛ قال الشاعر :

ليجلب الرشح إلى الكف الصدي ... وينفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ... إن لم يفاجي اليوم فاجى في غد

والكفان : تثنية كف ؛ والكف من الإنسان : التي فيها أنامله ؛ والكف

(1) سورة الذاريات : ٥٩ .
(2) سورة الأعراف : ١٩٩ .
(3) سورة الأعراف : ١٩٩ .

أيضاً : ترك الشيء والإمتناع منه ، وهو مصدر ؛ تقول : كف ، يكف ، كفاً ؛ قال الشاعر :

والكف إن سرقت فالقطع يلزمها والقطع في سرق العينين لم يجب

والكف : مُؤنثة ، وحجته هذا البيت ؛ قوله :

والكف إن سرقت فالقطع يلزمها ....

وقال الشاعر :

فلو مد يوماً كفه نحو جاره لما واتته كف عن كف كفه

فالأول : فعل ماض ؛ والثاني : من الوقوف عن الشيء ، والإمساك عنه والإمتناع ؛ والثالثة : الجارحة المُركبة في اليد ، التي فيها الأصابع ؛ وكف الرجل عن الشيء : إذا تركه وامتنع منه ؛ وكففته أنا : إذا منعته ؛ وكِفة (بالكسر) الميزان ، وتفتح أيضاً ؛ وكفة : السحاب ؛ وكُفة (بالضم) : الصائد .

وقيل : كل شيء مُستطيل ، فهو كُفة (بالضم) ؛ وكل شيء مُستدير ، فهو كِفة (بالكسر) ؛ قال الشاعر :

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

وكفة الثوب : وهي حاشيته وطرته (بالضم) ، وكُف بصر الرجل ، وكفيته ، كفة ؛ الكف ، أي : مفاجأة ؛ والكفاف من الرزق : ما أغنى عن الناس ؛ والكافة : ضد العامة ، إلاّ أن الكافة من الناس : جميعهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾ [1] ، أي : جميعكم ؛ وقوله (ﷻ) :

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٨ .

﴿ وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس ﴾ [1] ، أي : تردعهم وتكفهم ؛ وفيه أكثر من هذا ، تركته إختصاراً وإيجازاً .

بيت القصيدة :

ومن كامرئ القيس الذي شيد الفخرا ... وبارى بجدوى جود راحته القطرا
وأغنى وأقنى كل من لصق العفرا ... وسامى محلاً في العُلا الشمس والبدر
إذا مد بالجدوى أنامله العشرا ... تهب له في الخلق بالفضل ريحان

الشرح :

قوله : { ومن كامرئ القيس } ؛ فـ [من] : حرف استفهام ، تدخل على الواحد ، والإثنين ، والجماعة ؛ تقول : من هو ؟ ومن هما ؟ ومن هم ؟ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ [2] ؛ فأخبر عن الواحد بـ [من] ، وقال (ﷻ) : ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ومنهم من عاهد الله ﴾ [4] ؛ وهي : حرف من حروف الشرط والجزاء ، وهي : من أسماء النواقص ؛ وليس هذا موضع استيفاء شرحها .

وأما قوله : { كامرئ القيس الذي شيد الفخرا } ؛ فـ [الكاف] زائدة ؛ وامرؤ القيس ، هو : امرؤ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ؛ و [الذي] : اسم ناقص ؛ قال الشاعر :

ألا أن أسماء النواقص سبعة ... وهن الذي ثم التي ثم ما ومن
ومنهم أي ثم لام مُضافة ... إلى ألف من بعد ذلك ثم أن

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ .
(٢) سورة الأنعام : ٢٥ ؛ سورة يونس : ٤٢ ؛ سورة محمد : ١٦ .
(٣) سورة الأنعام : ٢٥ ؛ سورة يونس : ٤٢ ؛ سورة محمد : ١٦ .
(٤) سورة التوبة : ٧٥ .

قال المفضل : [الذي] : اسم ناقص يحتاج إلى صلة فعل ، كقولك : الذي قام زيد ؛ أو تصله بصفة ، كقولك : الذي في الكف ؛ وليس هذا موضعها ، حتى نستوجب شرحها ؛ قال الشاعر :

وشيدتم دون الأعادي حصونها وقلدتم عز الأيادي رقابها

والفخر : الشرف ، وقد تقدم تفسيرها فيما مضى .

وأما قوله : { وبارى بجدوى جود راحته القطرا } ؛ فبارى : فاخر ؛ تقول : باريت الرجل ، إذا فاخرته ، وفعلت مثل فعلته ؛ قال طرفة :

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور مُعبد

وبارأت المرأة : إذا وافقتها على البرآن والمُفارقة ؛ وبرأ الله الخلق ، أي : خلقهم ؛ قال ابن هرمة :

وكل نفس وإن طالت سلامتها يميتها الله يوماً ثم يُبريها

وبريت القلم ؛ وبريت القوس ؛ قال الشاعر :

يا باري القوس بريأ ليس تحسنه لا تظلم القوس وأعط القوس باريها

والبور : التجربة ؛ برت فلاناً ؛ وبرت ما معه ؛ قال الشاعر :

ويدعي العِلم ولو برته لم يدر يا شيخ ما عناه

وقد تقدم شيء من هذا ؛ والجدا : العطية والإفضال على المُجتدي ؛ والمُجتدي : هو الطالب للجدوى ؛ قال الحريري :

يا أيها القاضي الذي عِلمه وحلمه أثقل من رضوى

قد ادعى هذا على جهله أن ليس في الدنيا أخو جدوى

والراحة ، قد تقدم ذكرها ؛ والقطر : هو المطر ؛ والقطر (بفتح القاف وبكسرها) : النحاس المُذاب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأسلنا له عين القطر ﴾ [1] ؛ قيل : إن الله أعطى داوود (عليه السلام) عيناً من صفر ، تسيل كما يسيل الماء ؛ وقطر الماء يقطر ، قطراً ، وقطراناً ؛ قال الشاعر :

وما قلت إلاّ ما دعوتك ضامن له كضمانات السحايب بالقطر

وأما قوله : { وأغنى وأقنى } ؛ فأغنى : جعله غنياً عن الناس ؛ قال طرفه :

ما تأتني أصبحك كأساً روية وإن كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

قال الله (ﷻ) : ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ [2] ؛ قال صاحب التفسير : أغنى : أعطى قوماً ما غنوا به ؛ ويُقال ، معناه : أرضى بما أعطاه ؛ وأقنى : رزق ، وأعطى ما يتخذ قنية ؛ وللسيد ابن دريد :

وللفتى من ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما اقتنى

وقد تقدم تفسير : الغنى ، والإحتجاج عليه .

وأما قوله : { كل من لصق العفرا } ؛ قد مضى تفسير : كل ، ومن ؛ وأما [لصق] غير [من] والمُلازمة للشيء ، تقول : لازمت الشيء ولاصقته وطابقته : بمعنى واحد : من لصق ؛ ولصق : ثلاث لغات : لصق ، ولزق ، ولسق ؛ فلسق (بالسين) : لغة قيس ؛ ولصق (بالصاد) : لغة تميم ؛ ولزق (بالزاي) : لغة ربيعة ، وهي أقبحها ؛ وأحسنها لغة

---

(١) سورة سبأ : ١٢ .

(٢) سورة النجم : ٤٨ .

قيس ؛ الملصق : الدعي ؛ قال :

فلست بقتات ولست بملصق ....

والعفر : التراب ؛ قال : وظهر ؛ يُقال : ما على ظهر الأرض مثله ؛ وقال الخليل : العفر في اللون : أن يضرب إلى الغبرة في حُمرة ، كلون الظبي الأحمر عفر ؛ قال الفرزدق :

أقول له لما أتاني نعيه به لا بظبي في الصريمة أعفرا

وكذلك الرمل الأعفر .

وقوله : { وسامى محلاً في العُلا الشمس والبدرا } ؛ فسامى : على وزن فعالى : وهو مأخوذ من السمو ، ومن العلو ؛ وقد تقدم تفسيره .

وأما المحل : فهو المكان الذي يحل فيه ؛ والمحل : المنزل ، سُميَ محلاً : لحلول الناس فيه ؛ وقيل للمرأة : حليلة الرجل ، وهو حليلها ، لأنها تحل معه ، ويحل معها ؛ وقيل : لأنه تحل له ، ويحل لها ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وحلائل أبنائكم ﴾ (١) ؛ ويُقال : حل الرجل بالمكان ، يحل ، حلولاً ؛ وحل من إحرامه ، يحل ، إحلالاً ؛ أيضاً والحل : إحلال نفسه ؛ طال فتركته ؛ قال الشاعر :

فأول خبث الأرض خبث ترابها وأول لوم القوم لوم الحلائل

وقد تقدم تفسير العُلا ؛ والشمس : معروفة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ (٢) ؛ أقسم الله (ﷻ) بها ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إذا

---

(١) سورة النساء : ٢٣ .

(٢) سورة الشمس : ١ .

الشمس كورت ﴾ (١) ؛ قيل : كورت : ذهب ضوءها ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ (٢) ؛ قيل : أن الشمس في فلك ، والقمر في فلك ؛ ويُقال : الفلك : الطريق ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وكل في فلك يسبحون ﴾ (٣) ، أي : يجرون في فلك ، يدور بهما ، يعني : الشمس والقمر ، يدخلان تحت الأرض من قِبل المغرب ، فيجريان من تحت الأرض ، حتى يخرجان من قِبل المشرق ، وهذا دأبهما في الدوران ؛ وأما قوله (ﷻ) : ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ (٤) ، أي : في حمأة وطين : ﴿ ووجد عندها قوما ﴾ (٥) ، كُفاراً .

ويُقال : مدينة لها إثنا عشر ألف باب ، لولا أصوات أهلها ، لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب ؛ وقيل : أنها إذا وقعت في العين ، رفعتها العين إلى المشرق ؛ وقيل : أن الشمس طولها مسيرة خمسمائة عام ؛ وكذلك غلظها وعرضها ؛ والعرب تشبه الناس بالشمس والقمر ؛ قال الشاعر :

هي الشمس إشراقاً إذا ما تزينت وشبه النقا معبرة في المبادع

وفيها أكثر من هذا تركته .

وأما قوله : { إذا مد بالجدوى أنامله العشرا } ؛ فهذا بمعنى بسيط ، تقول : مد الرجل يده ، إذا بسطها ؛ وضده قبضها ؛ ومنه قولهم : أمد الله في عُمره ، أي : جعل لعُمره مُدة طويلة ؛ ومددت المداد : إذا أردت فيه مداً وماء ؛ ومددت القوم : أعنتهم بالسلاح ، والكراع ، والرجال ، والطعام ، ونحو ذلك ؛ والمداد : معروف ؛ والمَد (بالفتح) :

(١) سورة التكوير : ١ .
(٢) سورة يس : ٤٠ .
(٣) سورة يس : ٤٠ .
(٤) سورة الكهف : ٨٦ .
(٥) سورة الكهف : ٨٦ .

خلاف الجزر ؛ والمُدة (بالضم) : الغاية من الزمان ؛ والمِدة (بالكسر) : من الجرح ؛ والمد : المكيال ؛ والإمداد : الذي هو الإعانة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قال أتمدونني بمال ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ [2] ؛ وللسيد ابن دريد في المد ، الذي هو خلاف القبض :

ومد ضبعي أبو العباس من   بعد إنقباض الذرع والباع الوزى

فذكر المد والقبض في بيت واحد ؛ لأن القبض : ضد المد ؛ والجدوى : قد تقدم شرحها ؛ والأنامل : هي الأصابع .

وقيل : الأنامل بين المفصلين ، وفي كل أصبع ثلاث أنامل : والأنمل ، والأصابع ، والبنان : كله قريب المعنى بعضه من بعض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ [3] ؛ قال أبو تمام ، في الأنامل :

تعود بذل الكف حتى لو أنه   ثناها لبخل لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه   لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله : { أنامله العشرا } ؛ فالعشر : عدد أصابع اليدين ، لأن في كل يد خمس أنامل ؛ والعشر : منصوب ، لأنها نعت ؛ ويجوز أن تكون منصوبة على البدل من الأنامل ؛ ويحتمل أن تكون منصوبة على العدد والتفسير .

وأما قوله : { تهب له في الخلق بالفضل ريحان } ؛ تقدم تفسير أول المصراع ؛ والخلق : بنو آدم ، ولم يعن كل مخلوق ؛ والخلق أيضاً :

---

(١) سورة النمل : ٣٦ .
(٢) سورة الطور : ٢٢ ..
(٣) سورة الأنفال : ١٢ .

الكذب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن هذا إلاّ خلق الأولين ﴾ [1] ، أي : كذبهم ؛ والخلق : تقديرك الشيء الذي تصنعه من أدم وغيره ؛ والخلق : الطبيعة ؛ قال الله (ﷻ) لنبيه (ﷺ) : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [2] ؛ قيل : على دين عظيم ؛ وقيل : على طبيعة ؛ والخلائق : جمع الخلق ، وجميع الخلق أيضاً ؛ قال وأحسن الشاعر :

ألا قاتل الله الضرورات إنها تكلف أعلا الخلق أدنى الخلائق

وقال غيره :

وعاشر الناس بخلق حسن لا تكن كلبا على الناس يهر

وقال غيره :

بئس الخلائق من كانت مودته مع الزمان إذا ما جار أو رغبا

وفلان خليق بكذا وكذا ، بمعنى : حقيق وجدير ؛ وقد تقدم تفسير الفضل .

وقوله : { بالفضل ريحان } ؛ فريحان : تثنية ريح ؛ وجمعها : رياح ، وأرواح ؛ والنون : نون الإثنين ؛ كما تقول : رجلان ، وغلامان ، وارتفعتا بفعلهما ، لأن الفعل إذ تقدم وحد ، وإذا تأخر ثني وجمع .

وقال بعض أهل اللغة : لأن الريح تهب بالمطر ، والرياح تهب بالخير ؛ لقوله (ﷻ) : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) في الشر : ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ [4] ؛ والريح : تأتي بالخير والشر ؛ واحتج بقوله (ﷻ) : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة

---

(١) سورة الشعراء : ١٣٧ .
(٢) سورة القلم : ٤ .
(٣) سورة الحجر : ٢٢ .
(٤) سورة فصلت : ١٦ .

وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [2] ؛ وقد جاء في التفسير : أنه أراد بالريح في هذه الآية : النصر ، لأنه قد قيل : لم يكن نصر قط إلاّ بريح .

وقيل : أن رسول الله (ﷺ) ، أخذ يوم بدر كفاً من حصى ، أو من تراب ، فحثاه في وجوه الكفار ، فحملته الريح ، فألقته في أعين الكفار القوم .

وقيل : إنه لم يبق أحد منهم ، إلاّ وقد وقع في عينيه من ذلك التراب ، وكان ذلك سبب هزيمة القوم ، ونصر المُسلمين ، فأنزل الله (ﷻ) : ﴿ وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى ﴾ [3].

ويُقال : أمهات الرياح أربع : الشمال ، والجنوب ، والدبور ، والقبول ؛ فالشمال : تأتي من ناحية القطب الأعلا ؛ والجنوب : تأتي من ناحية القطب الأسفل ؛ والدبور : من بين المغربين ؛ والقبول : من بين المشرقين ؛ وكل ريح عدلت عن أمهات هذه الأربع : فهي نكباء وصبا .

وقيل : أن الصبا هي القبول ؛ وقيل : سميت القبول ، لأنها تأتي من المشرق إلى قِبل الكعبة ، وقبالة الباب عن يمين الكعبة ؛ والشمال : عن شمال الكعبة ، وهي تضرب الركن الشامي ؛ والدبور : تأتي من المغرب ، فتضرب دبر الكعبة ؛ والجنوب : تضرب جنب الكعبة ، من مغرب سهيل .

وفي الحديث ، عن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور " ؛ قال المجنون :

أيا خلتي نعمان بالله خليا سبيل الصبا نخلص إلى نسيمها

---

(١) سورة يونس : ٢٢ .
(٢) سورة الأنفال : ٤٦ .
(٣) سورة الأنفال : ١٧ .

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت	على نفس معموم تجلت غمومها

ويُقال : أن الجنوب تلقح ؛ والشمال تنتج ؛ والصبا رحمة ؛ والدبور عذاب ؛ وجمع الريح : أرياح ، وأرواح ؛ والجنوب أحب الأرواح إلى العرب ؛ وأبغض الأرواح إليهم الدبور .

وقيل : أنه لم يصب قوماً العذاب إلاّ والريح دبور ؛ وإنه لم يمطر بها مطر قط فيه منفعة ؛ والجنوب يبرد عليها الماء بنجد ، ولا تبرد بالعراق ؛ والشمال تجف عليها الأبدان بالعراق ، ويُبرد عليها الماء بنجد ، وبها يشتد البرد في الشتاء ، وتسمى الجنوب الأريب .

وقيل : من خاصية الجنوب ، أنها تثير البحر ، وتظهر كل ندى كامن في الأرض ، وتطيل الثوب القصير ، ويضيق بها الخاتم بالأصبع ، ويسلس بالشمال .

وقيل : أن الجنوب تسري بالليل ، والشمال لا تسري ؛ والعرب تقول : أن الجنوب قالت للشمال : لي عليك فضلاً ، أنا أسري ، وأنت لا تسري ؛ فقالت الشمال : أن الحرة لا تسري ؛ والنعامى : ريح الجنوب اللينة ؛ قال الشاعر :

مرته النعامى فلم يعترف	خلاف النعامى من الشام ريحا

وكل ريح لا تحرك شجراً ، ولا تعفي أثراً ، فهو نسيم ؛ قال الشاعر :

إذا هبت رياحك فاغتنمها	فإن لكل عاصفة سكونا

وفي الرياح أكثر من هذا ، تركته إختصاراً ، لأنه ليس هذا موضعه ، وإنما نذكر من كل شيء طرفاً ، ولا نستوفي شرحه .

بيت القصيدة :

وثعلبة البهلول فاذكر خلاله ... وعدد إذا ما شئت عداً خصاله
فليس له في الخلق شبه ولا له ... شبيه يباري جوده وجماله
أبى الله يوماً أن ينال مناله ... عوائف من إبنا نزار كذبان

الشرح :

قوله : { وثعلبة البهلول } ؛ ثعلبة : مأخوذ من أسماء الثعالب ؛ والثعلبة : الأنثى ؛ والثعلب : الذكر : وهو معروف ؛ والثعلبان : ذكر الثعالب ؛ قال الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والثعلب : ما دخل في الرمح في جبة السنان ، وهو الأجوف ؛ وللسيد دريد بن الصمة :

أطعن النجلاء يعوي كلبها ... ثعلب العامل فيها مرجحن

والثعلب : الجحر الذي يسيل منه ماء المطر ؛ فإن قال قائل : ما بال هذا الممدوح سُميً ثعلبة ، وهو من كبار قومه ، وأمرانهم ، وساداتهم ؟

قيل له : قال السختياني : العرب تسمي أبناءها بالأسماء المُستبشعة ، وتسمي عبيدها بالأسماء المُستحسنة ، لأنها سمت أبناءها لآرانها ، وسمت عبيدها لأنفسها ، لأنهم يسمون أولادهم على التفاؤل ، فيسمون : غالباً ، وغلاباً ، وظالماً ، ومُنازلاً ، ومُقاتلاً ، وثابتاً ، ووثاباً .

ومنهم من يُسمي أيضاً : وائلاً ، وناجياً ، ومُدركاً ، وسالماً ، وسُليماً ، ومالكاً ، وغانماً ، وعامراً ، وسعداً ، وسعيداً ، ومسعدة ، ومُساعداً ،

وما أشبه ذلك ، وهذا على سبيل التفاؤل أيضاً .

ومنهم من يُسمي بالسباع ، ترهيباً لأعدائهم ، نحو : أسد ، وليث ، وفراس ، وذئب ، ونمر ، وفهد .

ومنهم من يُسمي بالشجر ، نحو : طلحة ، وسمرة ، وقتادة ؛ ومنهم من يُسمي : حجراً ، وصخراً ، وفهراً ، وجندلاً ، وجرواً .

قيل : وكان الرجل يخرج من منزله ، وامرأته حامل ، قد ضربها الطلق ، فيُسمي ولده ، بأول من يلقاه من التفاؤل ، نحو : ثعلبة ، وثعلب ، وضبة ، وضب ، وضبعة ، وكلب ، وكُليب ، وثور ، وحمار .

وقيل : صور عبيد الله في قياد دهره : كلباً ، وكبشاً ، وأسداً ؛ وقال : كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح ؛ ومثل هذا كثير ، تركته لئلا يطول الشرح .

وقوله : { ثعلبة البهلول } : فالبهلول : السيد الحسن البشر ؛ والبهلول : صفة لثعلبة ، ونعت له ؛ والبهلول : هو ثعلبة ، وثعلبة بن مازن بن الأزد .

وفي الأزد لغة أخرى (بالسين) ؛ يقول : الأسد ، ويعنون : الأزد ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري ، يفتخر قائلاً :

ورثنا عن البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجداً مؤثلا

وقوله : { فاذكر خلاله } ؛ فاذكر : من الذكر ، وقد تقدم شرح الذكرى ؛ والخلال : جمع خلة ؛ كالخصال : جمع خصلة .

ويُقال : فلان فيه خِصال الخير ؛ والخلال في هذا المكان : ما يتخلل به الإنسان ما بين الأسنان ؛ وخِل الرجل وخليله : صاحبه وصديقه ؛ قال المُتنبي :

على المدفون قبل الموت[1] صوناً وقبل اللحد في كرم الخلال

وقوله : { وعدد إذا ما شئت عداً خصاله } ؛ فعدد : فعل الأمر ، لأنك إذا أمرت قلته ؛ وإن شئت قلت : عدد ، لأن الحرف المُشدد عن حرفين ؛ وعدد : من العدد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فاسأل العادين ﴾ [3] ؛ قال الشاعر :

إذا ما عد أربعة فاسأل فزوجك خامس وأبوك سادي

أراد : سادس ؛ ومثل هذا كثير في أشعار العرب ؛ قال عليّ بن أبي طالب :

أرى المكارم أخلاقا مطهرة والعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والصدق ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها والدين عاشيها

يُريد : (والصدق سادسها) ؛ (والدين عاشرها) ؛ وقال غيره :

مضت ثلاث سنين مُنذ حل بها وعام مرت وهذا الرابع الخامي

يعني : الخامس ؛ وقال غيره في العدد :

كريم الأيادي والمساعي مقدم إذا ما عددنا فضل أهل المكارم

وقوله : { إذا ما شئت } : معناه : التخيير ؛ وشئت : من الشيئة ؛ ولفظه ماض ، وفيه معنى : الإستقبال ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وكان الله

---

(١) في نسخة أخرى : الترب .
(٢) سورة يونس : ٥ .
(٣) سورة المؤمنون : ١١٣ .

غفوراً رحيماً ﴾ (١) .

وجدت : أن المعنى فيه يكون بمعنى : الإستقبال ؛ قال الشاعر :

إن السماحة والشجاعة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخادم وذبائح

فقال : ولـ ـد يكون ، بمعنى : لقد كان ؛ يجعلون المُستقبل بمعنى الماضي ؛ والماضي بمعنى المُستقبل ، لسعة لغتهم ، وحُسن عبارتهم ؛ والتاء المُتصل بالفعل - أعني قوله : { شئت } - موضعه رفعٌ بفعله ، وفعله شئت ، لأنك تقول : لو أظهرت الاسم لقلت : إذا ما شاء زيد ؛ والمشيئة : هي الإرادة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ (٣) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قال لو شئت لتخذت عليه أجراً ﴾ (٤) ؛ قال عمرو بن كلثوم :

وإنا المانعون لما حمينا ... وإنا النازلون بحيث شينا

وقال الشاعر :

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً ... وإن شئت أن تزداد حُباً فزر غبا

وقوله : { وعدد إذا ما شئت عداً خِصاله } ؛ فعداً : منصوب على المصدر : من عدد ؛ والخصال والخلال : كلها بمعنى واحد ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة النساء : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٥٢ ؛ سورة الفرقان : ٧٠ ؛ سورة الأحزاب : ٥ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ٧٣ ؛ سورة الفتح : ١٤ .
(٢) سورة النساء : ٩٠ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٠ .
(٤) سورة الكهف : ٧٧ .

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً ولو كان كاسيا

وقال الشافعي :

وخير خصال المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(والهاء) المُتصلة بالخلال والخصال : ضمير عائدة على (ثعلبة) الممدُوح في أول البيت ؛ موضع (الهاء) من الإعراب : الخفض ؛ بالإضافة إلى الخلال ؛ ومثل هذا لا يخفى على ذي بصيرة ؛ إلاَّ أنا أردنا نوضح المعنى للمُتعلم .

وأما قوله : { فليس له في الخلق شبه ولا له } ؛ فليس : كلمة جحود ، ومعناها ، أي ، لا أيس ، أي : لا وجد ؛ فطرح الهمزة ، وألزق اللام بالياء .

الدليل على هذا ، قول العرب : ائتني به من أيس ؛ وليس ، أي : من حيث هو ، ولا هو ؛ وليس : فعل ماض ، وهو من أخوات كان ، ترفع الاسم والنعت ، وتنصب الخبر ؛ تقول : لسنا.ولِيسوا ، وقمنا وقمت وقاموا ؛ ولست مثل قمت ؛ وتقول : ليس لا ينصرف ؛ ولا يجوز : ليس زيد قام ؛ لأن ليس تطلب الحال ، والماضي لا يكون حالاً ، يجوز : ليس قائم زيد ، تقدم قائماً على زيد ، ولا تقدم قائماً على ليس ، فافهم ذلك .

وقوله : { فليس له في الخلق شبه } ؛ فقد تقدم تفسير أول المصراع فيما مضى ؛ وشبه الشيء : مثله ؛ وشبهه ، وشبيهه : بمعنى واحد ؛ وفي الرواية : " فمن أشبه أباه فما ظلم " ؛ قال الشاعر :

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحه
فكلهم أروغ من ثعلب وما أشبه الليلة بالبارحه

وقوله : { فليس له في الخلق شبه ولا له } ؛ فـ [لا] : حرف نفي ، وضده : نعم ؛ أفلو ، لعله : أقلوا : من قول : لا ، فإن ليس له في الجنة ؛ قال الشاعر :

صرفت ألسنتهم عن قول لا   فهي لا تعرف إلاّ هو لك

و [لا] : للنفي ، وهي تعطف بها أيضاً ؛ تقول : مررت بزيد لا عمرو .

قال الخليل : [لا] : حرف نفي وجحد ؛ وقد تجيء زائدة ، أي : غير الضالين ؛ وتكون بمعنى : لم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ [1] ؛ بمعنى : لم يُصدق ، ولم يُصل ؛ قال الشاعر :

إن تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك لا ألما

أي : لا يذنب ؛ وفيه أكثر من هذا تركته .

وأما قوله : { شبيةٌ يُباري جُوده وجماله } ؛ ويروى : يوازي ؛ فشبيه ، وشبه : معناهما واحد ؛ وقد تقدم ذِكرهما ؛ ويُباري : يُفاخر ؛ وقد تقدم ذِكره أيضاً .

ومن رواه : يوازي ؛ فيوازي : قريب المعنى من الأول ؛ والعرب تقول : فلان بإزاء بني فلان ، إذا كانوا لهم أقراناً ؛ وتقول : فلان لا يوازي فلان ، في عقله وحلمه .

وقوله : { يُباري جُوده وجماله } ؛ فالجود : قد تقدم شرحه ، والقول فيه ؛ والجمال : الحُسن والملاحة .

وقيل : جمال الرجل في لسانه ؛ وجمال المرأة في وجهها .

---

(1) سورة القيامة : ٣١ .

وقيل : أن النبي (ﷺ) ، قال : " يا عم يعجبني جمالك " ؛ قال : وما جمال الرجل ؟ قال (ﷺ) : " فصاحته " ؛ قال :

جمع الجمال بوجهه   بين الغزالة والغزال

(والهاء) المُتصلة بالجمال ، عائدة على الممدوح ، وموضعها الخفض ، بالإضافة إلى الجمال .

وأما قوله : { أبى الله يوماً أن ينال مناله } ؛ فـ [أبى] ، أي : إمتنع ؛ قال الشاعر :

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم   ولم يبتغوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فروا لكانوا أعزة   ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وقال غيره :

فلما أبى إلاَّ جماحاً فؤاده   ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهل
تسلى بأخرى غيرها فإذا التي   تسلى بها يفري بليلى ولا يسلي

قال الله (تعالى) : ﴿ ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ﴾ (١) .

وأما قوله : { أبى الله } ؛ فالله (عز وجل) ، أعرف المعارف لا يُنكر ، (جل جلاله) ، يعرفونه جميع المخلوقين ، وإن أنكره بلسانه ، فهو يعرفه بقلبه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ (٢) ، أي : ليس أحداً اسمه الله ؛ قال بعض المُفسرين : هل تعلم له ولداً ؟ لأن الولد يُسمىً سمياً .

وقوله : { أبى الله يوماً } ؛ فيوم : واحد الأيام : وهو منصوب على الظرف ، من ظروف الزمان ؛ واليوم : مُذكر ؛ والليلة : مُؤنثة ؛ قال الله

---

(١) سورة التوبة : ٣٢ .
(٢) سورة مريم : ٦٥ .

(ﷻ) : ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ (١) ؛ لأن المُؤنث في العدد ، من : الثلاث ، إلى : العشر ، بغير (هاء) ؛ والمُذكر (بالهاء) ، تقول : عندي ثلاث نسوة ، وثلاثة رجال ؛ وفي العدد ما يطول به الشرح ، لأني تركته إختصاراً وإيجازاً ، وليس هذا موضعه .

وقوله : { أن ينال مناله } ؛ فـ [أن] : حرف تنصب به الأفعال المُستقبلة ، وهي - أيضاً - من الأسماء النواقص ؛ والأسماء النواقص سبعة ؛ قال الشاعر :

ألا أن أسماء النواقص سبعة　　فهن الذي ثم التي ثم ما ومن
ومنهن أي ثم لام مُضافة　　إلى ألف من بعد ذلك ثم أن

وهي نصف اسم ، وتمامه فيما بعده ؛ يقول : أحب أن ألقاك ؛ فصار [أن ، وألقاك] ، في الوزن : اسماً واحداً ؛ فإن دخلت في الفعل المُستقبل ، [السين] رفعت ، فقلت : ظننت أن سيقوم زيد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ (٢) ؛ فإذا نزعت [السين] ، قلت : ظننت أن يقوم زيد ، وحسبت أن يقوم عمرو ؛ وليس هذا موضع هذا ، حتى نطيل فيه .

وقوله : { أن ينال مناله } ؛ فينال : من التناول ، والأخذ للشيء ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا ينالون من عدو نيلا ﴾ (٣) ؛ والتناول ، والتطاول ، والتناوش : كله بمعنى واحد ؛ قال : تناوش بعضهم بعضاً في القتال ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ (٤) ، أي : تناول التوبة ؛ قال الشاعر :

فما ظبية ترعى البرير براكة　　تنوش وتعطوا باليدين غصونها

---

(١) سورة الحاقة : ٧ .
(٢) سورة المزمل : ٢٠ .
(٣) سورة التوبة : ١٢٠ .
(٤) سورة سبا : ٥٢ .

يعني : تناول ؛ ونلت الشيء : إذا طلبته ، ووصلت إليه ؛ قال الشاعر :

وأين الثريا من يد المتناول ....

وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

نسموا إذا الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا

وقوله : {أن ينال مثاله} ؛ والمثال ، والمثل ، والنظير ، والشبيه : كله بمعنى واحد ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (١) ؛ وللملك امرئ القيس :

ولا مثل يوم في قذار ظللته كأني وأصحابي على قرن أعفرا

وله أيضا :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

يعني : شبهك ؛ والمثل ، والمثال : بمعنى واحد ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ كمثل العنكبوت ﴾ (٢) ؛ وكلما أردنا الإختصار والإقتصار ، دعتنا النفس إلى الإكتثار ، لأن فيه بلوغ الأوطار .

وأما قوله : { عوانف من إبنا نزار كذبان } ؛ ويروى : من إبنا معد ؛ والعوانف : ما يعوف من الطير ، والجراد ؛ واليعاسيب : جمع يعسوب : وهو ذكر النحل والذباب ؛ قال الشاعر :

فلولا حذار من عقابك أرجفوا فعافوا وعاف الناس طير الأشائم

---

(١) سورة محمد : ٣٨ .
(٢) سورة العنكبوت : ٤١ .

وعوانف (مرفوعة) : لأنها فاعلة ؛ وفي الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى : أن ينال عوانف من أبناء نزار ؛ مثاله والمثال : منصوب بوقوع الفعل .

وقوله : { إبنا } ؛ فقصر أبناء ، وكان حقها المد ، لضرورة الشعر ، وقد أجازوا للشاعر قصر ألف الوصل ، ووصل ألف القطع ، وترك المهموز ، وقصر الممدود ؛ ولا يجوز له مد المقصور في أشياء كثيرة ، يطول شرحها الكِتاب .

والأبناء : جمع ابن ، وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ونزار : من معد بن عدنان ؛ ونزار : مُشتق اسمه من النزر : وهو الشيء القليل ؛ وامرأة نزر : قليلة الولد ؛ قال :

بغاث الطير أكثرها فراخاً　　وأم الصقر مقلاة نزور

وتنزر الرجل : إذا انتمى إلى نزار ، وتعصب لهم .

وقوله : { كذبان } : جمع ذباب ؛ والذباب : اسم واحد الذكر والأنثى ؛ والغالب على الذباب التذكير ؛ كما أن الغالب على العقاب العقبان التأنيث ؛ وواحد الذباب : ذبابة ؛ قال غيره في الجمع :

وخلا الذباب به فليس ببارح　　غرداً كفعل الشارب المُترنم
هز جايحك ذراعه بذراعه　　قدح المكب على الزناد الأجذم

ويروى : مسن ذراعه بذراعه ؛ والذباب - أيضاً - : ذباب السيف : وهو رأسه ، الذي فيه ظبته ؛ وحد كل شيء : ذبابه ؛ قال المقدام :

وذباب رأيته مع ذباب　　وذباب يقطع الأوصالا

فالذباب الأول : هو الذباب بعينه ؛ والذباب الثاني : هو ذباب العين ، وهو إنسانها ؛ والذباب الثالث : طرف السهم ؛ قال أبو النجم :

مُستأسداً ذبابه في عيطل يقلن للرائد أعسب أنزل

بيت القصيدة :

ومازن زاد الركب في زمن المحل مفيد الندى مولى الجدى قاتل البخل
مضى مثلا في الناس منقطع المثل تناشده الركبان في الوعر والسهل
وعم بني الأيام بالفضل والبذل تبوأ مجداً دونه بُرج كيوان

الشرح :

قوله : { ومازن زاد الركب } ؛ فمازن : ابن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ؛ ومازن زاد الركب ، وهو : غسان أبو الملوك بن الأزد ، ومن بني مازن بن جفنة بن عمرو بن عامر : ملوك الشام ، الذي يُقال لهم : غسان .

وقوله : { زاد الركب } ؛ فالزاد : معروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

والركب ، والركبان ، والراكبون على الإبل ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً ﴾ (٢) ؛ يُقال لهم : ركب ، إذا كانوا نحو عشرة ؛ والركب : جمع راكب ، مثل : صحب وصاحب ؛ وسفر وسافر ؛ قال أبو صخر :

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧ . (٢) سورة البقرة : ٢٣٩ .

ألا أيها الركب المحثون هل لكم   بساكن من حل الحمى بعدنا خبر

والركبة : أقل من الركب ؛ واحدهم : راكبْ ، مثل : كافر وكفرة ؛ والركائب : الدواب المركوبة ؛ قال الشاعر :

ولما قضينا من منى كل حاجة   ولم يبق إلاّ أن تسير الركائب
وقفنا فسلمنا سلام مُودع   فردت علينا أعين وحواجب

والركوب والركوبة : كل دابة تركب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فمنها ركوبهم ﴾ [1] ؛ والركَب (مفتوح الراء والكاف) : معروف : وهو متاع المرأة خاصة إلى فرجها ، وسُميَّ ركباً : لأنه يركب .

وفي الحديث : أن أعرابياً دخل شِعب امرأة ، ونظر إلى ركبها ، وقال : إن من باع جنة عرضها السماوات والأرض ، يُقبر فيما بين رجليك كعيني ، ونزل ؛ قال أحمد بن النضر :

ومساسه لا عقر فيه   ولو تعمد للركب

والركاب : الإبل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ [2] .

وقوله : { في زمن المحل } ؛ فالزمن ، والزمان : واحد ؛ وزامن الشيء : إذا طال عليه الزمانْ ؛ وجمع الزمن : أزمان ؛ وجمع الزمان : أزمنة ؛ قال الأعشى :

لعمرك ما طول هذا الزمن   على المرء إلاّ عناء معن

تقول : زمان ، وأزمان ، وأزمن ؛ ومُؤنثه : زمانة ؛ قال :

---

(١) سورة يــس : ٧٢ .
(٢) سورة الحشر : ٦ .

يـا زمانـاً أورث الأحـرار ذلاً ومهانـة لست عندي بزمان
إنـــمـــا أنـــت زمــــانــــه ....

وقوله : { في زمن المحل } ؛ أضاف المحل إلى الزمن ؛ والمحل : هو الجدب والقحط ؛ وهو إرتفاع المطر وإنقطاعه ؛ قال المُتنبي :

فـلا عدمت أهـل العراقين فتنـة دعتك إليها كاشف الخوف والمحل

وقولـه : { مُفيـد النـدى } ؛ والمُفيـد : مـأخوذ مـن الفائـدة ، وهـي الزيادة ؛ تقول : أفاد الرجل مالاً ، إذا كسبه ، أو غنمه وربحه ؛ والفائدة : مـا أفـاد الله العبـد مـن الخيـر والـرزق الحـلال ؛ تقـول : أفـاده فـلان خيـراً واستفاده ؛ وجمع الفائدة : فوائد ؛ قال المُتنبي :

بـذا قـضت الأيام ما بـين أهلها مصائـب قـوم عـند قـوم فـوائـد

وقال غيره :

لنـــا جُلســـاء لا نمـــل حـــديثهم فهُـــم مـــأمونون عينـــاً ومشـــهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى ولا نتقـي مـنهم لسـاناً ولا يـدا
فـإن قلـت أمـواتاً فلسـت بـكاذب وإن قلـت أحـياء فلسـت مُـفندا

والندى : قد تقدم ذِكره .

وقوله : { مولي الجدى } ؛ فالمولي : الذي يُوليك معروفه وخيره دون غيره ؛ قال الشاعر :

أفسدت بالمن مـا أوليت مـن نـعـم ليـس الكريـم إذا أسدى بـمنـان

والجـدى ، والجـدوى : بمعنـى واحـد ؛ واجتـدى الرجـل : إذا طلـب الجدوى ، وهي العطية والمعروف ؛ والجدى : مقصور ؛ والجدوى أيضاً ؛

وقد تقدم شيء من هذا .

وقوله : { قاتل البخل } ؛ فالقاتل للشيء : المُميت له ؛ لأنك إذا قتلت شيئاً ، فقد أمته ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومن يقتل مُومناً مُتعمداً ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾ (٢) ، أي : من فقر وحاجة ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ (٣) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فلا يُسرف في القتل ﴾ (٤) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ (٥) ؛ وفي القرآن كثير ؛ قلبٌ مقتل ، أي : قتل عشقاً ؛ وللملك امرئ القيس :

وما ذرفت عيناك إلاّ لتضر بي بسهميك في أعشار قلب مقتل

وقاتل الله فلاناً ؛ قيل : قتله ؛ وقيل : لعنه ؛ وقيل : عاداه ؛ وهذه الثلاثة الأقاويل في قوله (ﷻ) : ﴿ قاتلهم الله ﴾ (٦) ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ (٧) ؛ قال :

يتمنى المرء في القيظ الشتا فإذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ (٧)

والقاتل : الفاعل ؛ والمقتول : المفعول ؛ قال الشاعر :

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حائل
يؤدي إليه أن كل ثنية يُتممها يرمي إليه بقاتل

وقوله (ﷻ) : ﴿ وقتل داوود جالوت ﴾ (٨) ؛ وفيه أكثر من هذا تركته .

---

(١) سورة النساء : ٩٣ .
(٢) سورة الإسراء : ٣١ .
(٣) سورة النساء : ٢٩ .
(٤) سورة الإسراء : ٣٣ .
(٥) سورة النساء : ٨٩ .
(٦) سورة التوبة : ٣٠ ؛ سورة المنافقون : ٤ .
(٧) سورة عبس : ١٧ .
(٨) سورة البقرة : ٢٥١ .

والبخل معروف ، وفيه ثلاث لغات : بُخْل (بضم الباء والخاء) ؛ وبَخَل (بفتح الباء والخاء) : وهو الإمساك عن الإنفاق ، وشُح النفس بالمال ، وذلك مذموم ، إذا لم يُنفق في طاعة الله (ﷻ) ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ (١) ؛ والبخل : ضد الكرم ؛ قال طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مُفسد

فالنحام : البخيل أيضاً ، الذي ينحم عند السؤال ، أي : يُزحر ؛ والنحيم : شبه الزحيرة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ (٢) ؛ وقد قرئ أيضاً بتحريك الباء والخاء ؛ قال عُدي بن زيد :

وللبخلة الأولى الذي كان باخلاً أعف ومن يبخل يلم ويزهدي

وأما قوله : { مضى } ؛ فمضى الشيء : ذهب ؛ قال المعري :

إذا الفتى ذم عيشاً في شبيبته فما تقول إذا عصر الشباب مضى

ومضى : فعل ماض ، وموضعه الفتح ، ومُستقبله : يمضي ، ومصدره نصباً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وامضوا حيث تؤمرون ﴾ (٣) .

وقوله : { مضى مثلاً } ؛ فمثلاً : منصوب على الحال ، والمعنى : مضى مازن مثلاً ، أي : يضرب به المثل في الجود ، كما يُضرب بحاتم الطائي ، في قولهم : أكرم من حاتم .

---

(١) سورة محمد : ٣٨ .
(٢) سورة النساء : ٣٧ ؛ سورة الحديد : ٢٤ .
(٣) سورة الحجر : ٦٥ .

ويحتمل أن يكون منصوباً على التمييز ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (١) ؛ فيستحيي ، فيه لغتان : يستحي ويستحيي ؛ واستحا واستحيا : من الحيا ، ولا يُقال في الحياة : إلاّ إستحيا ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ ما بعوضة فما فوقها ﴾ (٢) ؛ فـ [ما] : زائدة ، والمعنى : لا يستحيي أن يضرب مثلاً صغيراً ولا كبيراً ؛ وقد قرنت : [ما بعوضة] ، بالرفع ، بمعنى : الذي هو بعوضة ، بدلاً منها .

وقال بعض : [ما] : صلة ، والمعنى : ضرب مثلاً بعوضة فما فوقها ؛ وقال الفراء : نصب (بعوضة) ، لوقوع الضرب عليها وصلة ؛ كما قال الله (ﷻ) : ﴿ عما قليل ليصبحن نادمين ﴾ (٣) ، يعني : عن قليل .

وقال بعضهم : [ما] اسماً كالذي ، ويجعل البعوضة صلة ؛ قال الفراء والكسائي : معنى [ما] : من بعوضة ، فلما نزع الخافض ، نصب البعوضة ؛ وقال الزجاج : [ما] زائدة ، والمعنى : يضرب مثلاً بعوضة ؛ وبعوضة مثلاً ؛ و [ما] تأكيد ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ فما فوقها ﴾ (٤) ، أصغر منها ؛ وبعض النحويين يختار هذا القول ، لأن البعوضة نهاية في الصغر ، مما يُضرب به المثل ؛ وجمع المثل : أمثال ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وضربنا لهم الأمثال ﴾ (٥) ؛ قال الشاعر :

وإنما الدهر كأمثالنا ماض وفي الحال ومُستقبل

وللملك امرئ القيس :

ولي ولها في الناس ود وسمعة ولي ولها في كل قافية مثل

---

(١) سورة البقرة : ٢٦ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦ .
(٣) سورة المؤمنون : ٤٠ .
(٤) سورة البقرة : ٢٦ .
(٥) سورة إبراهيم : ٤٥ .

وفيه أكثر من هذا تركته .

وأما قوله : { مضى مثلاً في الناس } ؛ فالناس : الخلق ؛ يُقال : ناس وأناس ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأناسي كثيراً ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ من الجنة والناس ﴾ [2] ؛ فالجنة : هم الجن ، يعني : من الجن والإنس ؛ والإنس : هم الناس ؛ والأنيس : هم الإنس ؛ قال الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

تقول : أومأت إلى الرجل : أشرت إليه ، إذا كان قدامك ؛ فإذا كان خلفك ، قلت : أونأت إليه ، بمعنى : الإيماء ؛ فالإيماء إلى قدام ؛ والأناء إلى خلف .

وقوله : { مُنقطع المثل } ، أي : ليس له مثل ولا شبه ؛ تقول : انقطع الشيء ، ينقطع ، انقطاعاً ، فهو مقطوع ؛ وتقول : انقطع الحبل ، وانبتر ، وأنبت ، وانصرم ، وانحسم ، وانجذم ، وانبتك ، وانبتل ، وانجذ : كله بمعنى واحد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يُوصل ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ [4] ، أي : وصلكم ؛ وقطعة الرحم : معروف .

وفي الحديث : " أن الرحم يتعلق بالعرش ، ويقول : صل من وصلني ، واقطع من قطعني " ؛ وانقطع الرجل : إذا انقطع رجاؤه ؛ ورجل مُنقطع به : إذا كان ابن سبيل ، فانقطع به السفر دون مطلبه ؛ ومُنقطع كل شيء : حيث انقطع ، وحيث ينتهي غايته ، نحو مُنقطع الوادي ، والرمل ،

---

(١) سورة الفرقان : ٤٩ .

(٢) سورة هود : ١١٩ ؛ سورة السجدة : ١٣ ؛ سورة الناس : ٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢٧ ؛ سورة الرعد : ٢٥ .

(٤) سورة الأنعام : ٩٤ .

والمُنقطع الشيء : نفسه ؛ والعرب تقول : أن فلاناً لمُنقطع القرين في السخاء والكرم ، أي : ليس له في ذلك قرين ولا شبه ؛ قال الشماخ :

رأيت عرابة الأوسي يسمُو إلى الخيرات مُنقطع القرين

وقطع الرجل الحبل ، أي : اختنق ؛ وجاء في التفسير : ليقطع ، أي : ليختنق ؛ وقطع وانقطع : إذا مات ؛ ورجل أقطع اليد ؛ قال :

وما كنت إلاَّ مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

والقطيع : السوط ؛ قال طرفة :

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خب آل الأمعز المتوقد

والقطيع : الطائفة من النعم والغنم ؛ والجمع : القطعان ؛ ورجل عليه مُقطعات ، أي : ثياب خلقة قصار ؛ وشعر الرجل يُسمى : المقطعات أيضاً ؛ والقطع : طائفة من الليل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ [1] ؛ قال الشاعر :

افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

طال فتركته ؛ والمثل : قد تقدم شرحه .

وأما قوله : { تناشده الركبان في الوعر والسهل } ؛ فتناشده : إن شئت جعلته فعلاً ماضياً ؛ وإن شئت جعلته فعلاً مُستقبلاً ؛ فإن كان مُستقبلاً ، كان محذوفاً منه (ياء) من أوله ، والمعنى فيه : تتناشده ؛ فإذا أدغم (التاء) في (التاء) ، قال : تناشده ؛ وقد قالوا : كل حرف مُشدد عن

---

(١) سورة هود : ٨١ ؛ سورة الحجر : ٦٥ .

حرفين ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ﴾ [1] ؛ والمعنى : تتشقق ؛ فلما أدغم التاء الأولى في الثانية ؛ ومثل هذا كثير في القرآن الكريم ، وفي الأشعار .

ومثل ذلك قوله (ﷻ) : ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يُوقد من شجرة مُباركة ﴾ [2] ؛ قرأها بعضهم : [يوقد] بالرفع على معنى : تتوقد ؛ وقد جعله فعلاً مُستقبلاً ؛ وقرأ بعضهم : [توقد] ، وجعله ماضياً ؛ وقرأ بعضهم : [يوقد] بالياء ، وحمل المعنى على المصباح ، وعلى الكوكب ؛ وقد قرأ : [توقد] ، ومعناه : تتوقد ، حمل المعنى على [الزجاجة] ؛ وتركت الإطالة فيها ، إختصارا وإيجازا .

وقوله : { تناشده الركبان } ، يعني : يخبر بعضهم بعضاً ؛ من قولك : نشدت الضالة ، إذا طلبتها ؛ وأنشدتها (بالألف) : إذا عرفتها ؛ وفي الرقاب [3] : أن المدينة لا تحل لقطتها ، إلاّ لمُناشد ، أي : مُعرف ؛ والناشد : الطالب لها ؛ والمُنشد : المُعرف ؛ قال الأصمعي بن عمرو بن العلا :

يصيخ [4] للنبأة إسماعه إصاخة الناشد للمُنشد

فالناشد : الطالب ؛ والمُنشد : اللاقط لها ؛ والإصاخة : الإستماع ؛ وقيل : الأصاخة (بالصاد) ؛ وفيه غير هذا تركته .

وأما قوله : { تناشده الركبان في الوعر والسهل } ؛ فالركبان : جمع راكب ، وقد تقدم ذِكره ؛ والوعر : ما غلظ من الأرض وصلب ؛ تقول : هذا المكان فيه وعُورة وسفل ؛ والجمع : وعورة ؛ قال الخليل :

---

(1) سورة ق : ٤٤

(2) سورة النور : ٣٥ .

(3) هكذا في الأصل .

(4) في نسخة أخرى : يسيخ (بالسين) .

النحو بحر ليس يدرك قعره وعر السبيل عيونه لا تنضب

والسهل : ما لان من الأرض ؛ وأسهل الرجل : إذا أخذ في السهل ؛ ورجل سهل الطبيعة : جواد ، كريم ، حسن الأخلاق ؛ قال المُتنبي :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

وقولهم : مرحباً ، وأهلاً وسهلاً ؛ قيل : منصوبة على المصدر ؛ وقيل : معناه : أتيت رحباً من الأرض ، أي : سعة ، وأتيت أهلاً ، لا غرباء ، فاستأنس ، ولا تستوحش ؛ وسهلاً ، أي : أتيت سهلاً من الأرض ، لا وعراً ؛ وسهيل نجم ؛ ومن أسجاعهم : إذا طلع سهيل ، برد الماء والليل ؛ وقيل : كان سهيل عشاراً (١) فمُسخ ؛ وقال الله (تعالى) : ﴿ تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ﴾ (٢) .

وقوله : {وَعمَّ بني الأيام} ؛ فعم : من العموم ؛ وضده الخصوص ؛ والعامة ضد الخاصة ؛ والعم والأب والخال ؛ الرجل يعم ، أي : كريم الأعمام ؛ والرجل يخول ، أي : كريم الأخوال ؛ وللملك امرئ القيس :

فأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول

والمعم : المسود في قومه ؛ قال المُتنبي :

فلو أن ما بي من حبيب مقنع عذرت ولكن من حبيب معمم

ونبت عميم : إذا تم وحسن .

وقوله : { بني الأيام } ؛ فـ [بني] : جمع ابن ؛ وموقع بني : نصب

(١) في نسخة أخرى : عشاراً باليمن .
(٢) سورة الأعراف : ٧٤ .

بوقوع الفعل ، والفعل : عم ؛ والفاعل : مازن ـ الممدُوح ـ في أول البيت ؛ والأيام : جمع يوم : وهي معروفة .

وقولـه : { بنـي الأيـام } ؛ لأنهـم جـاءوا فـي تلـك الأيـام ، فكـأنهم أولادها ؛ والعرب تقول : بنو الزمان ؛ وبنو الدنيا ؛ قال المُتنبي :

أتى الزمـان بنـوه في شبيبتـه   فسرهم وأتينـاه على الـهرم

وقال المعري :

نحـن بنـو الـدنيا فمـا بالنـا   نعـاف مـا لابـد مـن شـربه
تبخـــل أيـــدينا بأرواحنـــا   علـى زمـان هـن مـن كسبه
فـهـذه الأرواح مـن حـوة   وهـذه الأجسـام مـن تـربـه

وقوله : { بالفضل والبذل } ؛ فالفضل : قد تقدم شرحه ؛ والبذل : الإعطاء ، وهو ضد المنع ؛ وكل من طابت نفسه بشيء ، وهبه وجاد به ، فهو : باذل ، وبذال ؛ قال لبيد بن ربيعة :

وغـــلام أرســـلتـــه أمـــه   بـألـوك فـبـذلـنـا مـا سـأل

والبذلة من الثياب : ما لا يُلبس ولا يُصان ؛ وكذلك المُبذل أيضاً ؛ قال غيره :

إذا الشمس إشراقاً إذا ما تزينت   وشبه النـقـا معبرة في المبادع

وأما قوله : { تبوأ مجداً دونه بُرج كيوان } ؛ فتبوأت : قد تقدم شرحها ، والقول فيها ؛ والمجد أيضاً : قد تقدم ذِكره وتفسيره .

وقوله : { دُونه بُرج كيوان } ؛ فدون الشيء : ليس هو مثله ، ولا

في منزلته ، لأنك تقول : زيد دون عمرو في المنزلة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ووجد من دونهم امرأتين تذودان ﴾ (١) ، أي : يكفان عنهما (٢) ، ويحبسان أن يردان الماء ؛ والماء لمدين ؛ ومدين ابن إبراهيم أصلية ؛ وتصغير دون : دوين ؛ قال العجاج :

كأن في فيه إذا ما شججا   عوداً دوين اللهوات مُولجا

ودوين : منصوب على الظرف والضمير ؛ والمتصل به موضع الخفض .

وقوله : { بُرج كيوان } ؛ فالبُرج : واحد البُروج : من بُروج السماء ، وهي : إثنا عشر بُرجاً ، أولها : الحمل ، والثور ، الجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والسماء ذات البُروج ﴾ (٣) .

قيل : هذه البُروج ؛ وقيل : البُروج قصُور في السماء ؛ والبُروج : الحصون ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولو كُنتم في بُروج مُشيدة ﴾ (٤) ؛ وجمع البُروج : أبرُج ، وأبراج ، في أدنى العدد ؛ قال الستالي :

من نبعة الأزد الذين كأنهم   زهر الكواكب طلعاً في الأبراج

وتبرجت المرأة : إذا أظهرت زينتها ، وأبدت منها ما لا يحل لها أبداً ؛ قال الستالي :

ويعيد صبوته محاسن غادة   ريا العظام رخيمة المتبرج

---

(١) سورة القصص : ٢٣ .
(٢) لعله : عن غنمهما .
(٣) سورة البروج : ١ .
(٤) سورة النساء : ٧٨ .

قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [1] ؛ التي ولد فيها إبراهيم (ﷺ) ، قيل : كانوا أهل زينة وأموال ، وكانت المرأة تتخذ الدروع من لؤلؤ ، فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ، ليس عليها غيرة ، وكان ذلك في زمن نمرود الجبار ، وكانوا كُفاراً .

وقوله : { بُرج كيوان } ؛ وكيوان : هو زُحل ، وهو : نجم أحمر مُضيء ؛ وأهل الحِساب بالنجوم يقولون : أنه يُقيم في البُرج ثلاثين سنة [2] ؛ وقيل : أنه النجم الثاقب .

قيل في التفسير : أن النجم الثاقب هو زُحل ، وأنه في السماء السابعة ، ويُسمى : طارقاً ، لطروقه في الليل ، ولا يكون الطارق إلاَّ ليلاً ؛ والثاقب : المُضيء ، يعنى : أنه في السماء السابعة ، وثقب نوره السماوات إلى أن أضاء إلى الأرض .

ويُقال : أنه النجم الذي ترمى به الشياطين ؛ وقيل : هو زُحل ، يثقب في كل ليلة سبع سماوات ، ويجوز سبعة آلاف حجاب ، من الريح ، والبرد ، والحديد ، ثم يأتي إلى سبعمائة حجاب ، من الثلج ، والماء ، والظلمة ، والنور ، حتى يأتي إلى ما بين العرش والكُرسي ، فيخر له ساجداً ، فينزل عليه من العرش ، جميع ما قضى الله (ﷻ) أن يكون في كل يوم على الخلق في الدُنيا ، من الغرق ، والحرق ، والفقر ، والمرض ، والموت ، والحفظ ، والغيث ، والحتف ، والرجف ، والزلازل ، والعداوة بين الناس ، والغفلة ، واتباع الهوى ، وجميع ما يكون في الأرض ، من شرقها إلى غربها ، وبرها وبحرها ، وما يكون في الأنعام ، والسباع ، ودواب الأرض ، والهوام ، وما يكون في الأشجار ، والنبات ، والشر ، والآفات كلها ، يصُب الله (ﷻ) عليه ، ثم يأتيه الإذن من الله (ﷻ) : يا زُحل ، ارجع إلى مُستقرك ، فيرجع زُحل إلى الفلك الدوار ، فيدور في

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ .
(٢) لعله : سنتين ونصف .

الفلك دواراً ، فيتحرك زُحل في جوف الفلك ، فتتناثر عنه كل ما وُضع عليه ، فيسقط ما عليه في البحر ، والجبال ، والأرض ، والأشجار ، والجن ، والإنس ، والسباع ، والهوام ، والطير ، فينصب كل ما قضى الله عليه وقدر له ، طوعاً وكرهاً ، وبه أقسم الرب (عَزَّ وَجَلَّ) فقال : ﴿ النجم الثاقب * إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ (١) ؛ وهو زُحل ؛ وهو كيوان الذي ذكره صاحب القصيدة ، حيث قال : { دُونه بُرج كيوان } ، فأضاف البُرج إليه .

قال صاحب الحساب: أن بُرجه الجدي والدلو ؛ وقال بعض المُلحدين : أن زُحل هو الرب ـ ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ (٢) ـ وزعموا : أنه ينزل الأرض في كل سنة ليلة النصف من شعبان ؛ وأنه ينزل بجميع ما يكون في السنة ، في تلك الليلة ؛ والقول الأول أقرب إلى النفس ؛ والقول الثاني باطل ، لا يقول به أحد من المُسلمين ؛ وليس هذا موضع هذا ؛ ولكنهم قد قالوا : الحديث ذو شجون ، وشجونه ما يتشعب منه ، وإنما ذكرنا من كل شيء أحسنه طرفاً ؛ والله أعلم بالصواب .

بيت القصيدة :

فما في الورى ملك عظيم كمازن	غياث البرايا من مُقيم وظاعن
حكى صوب كفيه إنصباب الهواتن	وفاق بني الدنيا بفعل المحاسن
سما بعُلىً فوق المجرة قاطن	ومجدٍ له فوق الكواكب سوران

الشرح :

فقوله : { فما في الورى } ؛ فـ [ما] : حرف نفي ؛ والورى :

(١) سورة الطارق : ٣ ـ ٤ .
(٢) سورة الإسراء : ٤٣ .

الخلق ، وقد تقدم ذِكره ؛ والملك : هو الملك ؛ وفيه أربع لغات : مَلْك (بسكون اللام) ، ومَلِك (بكسر اللام) ، ومَالك (بألف) ، ومَليك (بالياء) ؛ وقد قرأ هذه الأربعة الوجوه ، في قول الله (ﷻ) : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ (١) ؛ و [ملك يوم الدين] ؛ بسكون اللام وكسرها ، و [مالك يوم الدين] ، و [مليك يوم الدين] ؛ ومن قرأ : [ملك يوم الدين] ، فحجته ، بقوله (ﷻ) : ﴿ برب الناس * ملك الناس ﴾ (٢) ؛ ومن قرأ : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، فحجته ، قوله (ﷻ) : ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ (٣) ؛ ومن قرأ : [مليك يوم الدين] ، كان حجته ، قوله (ﷻ) : ﴿ عند مليك مُقتدر ﴾ (٤) .

وقوله : { فما في الورى ملك عظيم كمازن } ؛ قيل : لما تشاجر بنو مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ في مارب ، من صاروا إلى تبع : صيفي بن شمر ، فقدم عليهم بمأرب مازن بن الأزد ، وهو أول ملك كان بمأرب ، من بني مالك بن كهلان بن سبأ ، وكان ملكاً مُتوجاً ، فوليَّ المُلك دهراً طويلاً ، يلي حكوماتهم ، يُقسم بينهم الغنائم ، فلم وليَّ أمور الأسرى الذين في أيديهم ، ويفدي أسراهم من أيدي العرب ، فلم يزل كذلك ؛ وكان يُقال له : السراج ؛ قال فيه الشاعر :

فمازن يقضي ما يشاء ويقتضي ... أموراً علينا بالحكومة مازن
سراج مُنير في ظلام دنة ... يضيء له في ظاهر الحق باطن
فجرد سيفاً ليس فيه ظلامة ... صبور غيور تتقيه المواطن
يكاد له تبدي السيوف ضمائراً ... ويعلمه عما تكن الجناجن

ويُروى : (عما تكن البواطن) ؛ والمازن : بيض النمل : ومنه إشتقاق اسم مازن ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة الفاتحة : ٤ .
(٢) سورة الناس : ١ – ٢ .
(٣) سورة آل عمران : ٢٦ .
(٤) سورة القمر : ٥٥ .

وترى الذميم على مراسنهم   غب الهياج كمازن الجثل

وقال ابن المقرب :

صم عن الحُسنى ولكن طالما   سمعوا كلام الجثل في العوراء

الجثل : كبار النمل ؛ والنمل ، قد ذكره الله (عز وجل) في كِتابه ، قال (تعالى) : ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايَحطمنكم سُليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ (١) ؛ وقرنت : [لايحطمنكم] ، بالتثقيل .

وقيل : أن النملة التي قالت هذا القول ، كان اسمها : هركس ، وأنها كانت عرجاء تتكاوس ، وأنها كانت كهينة الذنب ؛ هذا وقد تركته إيجازاً وإختصاراً ، رغم أن الحديث ذو شجون .

وأما قوله : { غياث البرايا من مُقيم وظاعن } ؛ فقد تقدم تفسير شيء من هذا المصراع ؛ والمُقيم : ضد الظاعن ؛ والمُقيم : الواقف بالمكان ، الحآل به ؛ قال المُتنبي :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا   أن لا تفارقهم فالظاعنون هم

والظعينة : المرأة ، سُميت بذلك ، لأنها تظعن ، إذا ظعن زوجها ، وتقيم إذا أقام ؛ وسُمي الجمل ظعينة ، إذا كانت عليه المرأة ؛ ويُقال : النساء ظعائن : إذا كُن في الهوادج ؛ ويُقال للمرأة أيضاً : ظعينة ؛ والظعن : الخروج ؛ والظاعن : الخارج ؛ تقول : ظعن ، يظعن ، ظعناً ، فهو ظاعن ؛ قال زهير :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   تحملن بالعلياء من فوق جرثم

---

(١) سورة النمل : ١٨ .

وقال :

ألا ليت أن القاطنين بذي الفضا أقاموا وأن القاطنين تحملوا

لعله : الظاعنين .

وأما قوله :{ حكى صوب كفيه } ؛ فحكى ، بمعنى : أشبه ؛ تقول : حكيت فلاناً في فِعله ؛ وحاكيته أيضاً ، وشابهته ، وماثلته ؛ ومثله كثير تركته .

وأما قوله : { صوب كفيه إنصباب الهواتن } ؛ فالصوب ، والصيب : بمعنى واحد ، وقد تقدم شرحه ؛ وشرح الكف أيضاً ؛ وإنصباب : مصدر إنصب ، ينصب ، إنصباباً ، وصباً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنا صببنا الماء صباً ﴾ [1] ؛ والهواتن جمع ؛ سحابة هاتنة ، أي : مُمطرة ؛ من قولك : هتن السحاب ، وهتل ، وهطل ، ووكف ، وسكب ، وسفح ، ومطر ، وما هو مثل هذا كله .

وأما قوله : { وفاق بني الدُّنيا بفعل المحاسن } ؛ فاق ، أي : زاد عليهم بكرمه ، ومعروفه ، وحُسن أفعاله ؛ وهو فعل ماض ، ومُستقبله : يفوق ؛ قال :

تفنن وخذ من كل عِلم فإنه يفوق أمرؤ في كل فن له عِلم
فأنت عدو للذي أنت جاهل به وتعلم أنت تعلمه سلم

فتقول : فاق ، يفوق ، فهو فائق ، أي : زايد على غيره بالجود ؛ وفلان يفوق قومه ، يفوقهم ، فوقاً ، أي : يعلوهم بالفضل والزيادة عليهم ؛ وجارية فائقة : إذا فاقت على النساء بالجمال ؛ وأما قوله (ﷻ) :

---

(١) سورة عبس : ٢٥ .

﴿ جـزاء وفاقـا ﴾ [1] ، أي : جـزاء الحسـاب ؛ وافـق ، يوافـق ، وفاقـاً ؛ وفوق : نقيض التحت ؛ ومن جعله صفة ، نصبه ؛ كقولك : عبد الله فوق زيد ، لأنه صفة ؛ ومن جعله اسماً ، رفعه ؛ كقولك : فوق رأسه ، فهـا هنـا اسم ، لأنـه هـو الـرأس نفسـه ، رفـع كـل واحـد بصـاحبه الـرأس بـالفوق ؛ والفوق بـالرأس ؛ وفـي القـرآن : ﴿ مـا لهـا مـن فـواق ﴾ [2] ؛ فإنـه يعنـي : فرساً في الجاهلية ، يعني : ﴿ ما لها من فواق ﴾ ، أي : من تلك الصيحة التي أصابتهم يوم بدر ، فلم يفيقوا منها إفاقة ، ولا فواقاً ؛ وكل مغشي عليه ، أي : سكران ، إذا إنجلى عنه ؛ قيل : قد أفاق ؛ والفاقـة : الحاجـة ، ولا فعل لها ؛ وفواق الناقة : قدر رجوع اللبن في الضرع ؛ وكل مـا اجتمـع في الضرع : فهو فيقة ؛ قال الأعشى :

حتى إذا فيقة في ضرعها إجتمعت جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

وهو فواق ؛ وفواق (بضم الفاء وفتحها) .

وفي الحديث : " لينقذنهم الله ، ولو بفواق ناقة " ، معناه : من النار ، ولو بقي من عُمرهم كفواق ناقـة ؛ والفُواق (بضم الفـاء) : الفـرص الـذي في السهم ، طال فتركته .

وقولـه : { بفعـل المحاسـن } ؛ والمحاسـن : جمـع إحسـان ؛ والإحسـان : مصدر أحسـن ، يُحسـن ، إحسـاناً ؛ قـال الله (تعالى) : ﴿ هـل جزاء الإحسـان إلاّ الإحسـان ﴾ [3] ؛ قيـل : أن ﴿ هل ﴾ هـا هنـا ، بمعنـى : [ما] ، يعني : ﴿ جزاء الإحسان إلاّ الإحسان ﴾ ؛ والحسنات : جمع حسنة ؛ قـال الله (تعالى) : ﴿ إن الحسـنات يُـذهبن السـيئات ﴾ [4] ؛ وقـال (تعالى) : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [5] ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة النبأ : ٢٦ .
(٢) سورة ص : ١٥ .
(٣) سورة الرحمن : ٦٠ .
(٤) سورة هـود : ١١٤ .
(٥) سورة الأنعام : ١٦٠ .

أخ لـي يعطينـي الرضـى فـي دنـوه ... ويمنعني بعض الرضى وهو بـاين
إذا مـا إلتقينـا سـرني منـه ظـاهر ... وإن غاب عنـي سـاءني منـه بـاطن
على غير ذنـب غير أن مساويا ... له علمتني كيف تؤتى المحاسن

والمحاسـن : ضـد المسـاوئ ؛ والغـائـب ، والمثـالـب : خـلاف المنـاقب ، والمراتب .

وأما قوله : { سما بعُلىً فوق المجرة قاطن} ؛ وقد تقدم تفسير : سمـا ، والعُلا ؛ وأمـا المجـرة : فإنهـا البيـاض الـذي يكـون وسط السماء ، الـذي تسـميه العامـة والجهـال : طريـق الحـج ؛ وهـي قولـه (ﷻ) : ﴿ والسماء ذات الحُبُك ﴾ [1] ؛ قيل : الطريق ؛ وقيل : هـي المجـرة ؛ وفـي كِتَاب : " العين " : المجرة : شرج السماء ؛ قال الشاعر :

لمـن طـلل بيـن المجرة والقمر ... خلاء مـن الأصوات عاف من الأثر

قـال أهل العِلم بحسـاب الفلـك : أن المجـرة تخـرق الشـمس فـي السنة مرة ؛ وتخرق القمر في الشهر مرتين ؛ وتخـرق المريخ فـي ثمانيـة عشر شـهراً مـرة ؛ وتخـرق عطـارد - ويُسـمى : الكاتـب - فـي كل عشـرة أشـهر مرة ؛ وتخرق المُشتري في إثني عشرة سنة مرة ؛ وتخـرق زُحل فـي كل ثلاثين سنة مرة ؛ وعند نيران إحتراق الكواكب ، لا يكون إلاّ من المجرة ؛ والله أعلم .

وأمـا قولـه : { فـوق المجـرة قـاطن } ؛ والقـاطن : ضـد الظـاعن ، وقد تقدم ذِكره ؛ والشاهد عليه وهو مخفوض ، لأنـه نعت للعُلا ، وموضع العُلى خفض (بالباء) الزائدة .

وأما قوله : { ومجدٍ له فوق الكواكب سُوران } ؛ بـواو العطـف

(۱) سورة الذاريات : ۷ .

على العُلا ؛ والمجد : معروف ، وقد تقدم ذِكره ؛ والكواكب : جمع كوكب ؛ قال الشاعر :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم تبد منهن كوكب

قال الله (تعالى) : ﴿ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت ﴾ (١) ؛ قيل في التفسير : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ (٢) ، أي : جمعت : مأخوذ من كور العمامة ؛ وقيل : كورت : ذهب ضوءها ؛ وقيل : طمست ؛ وقيل : إضمحلت : ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ (٣) ؛ قيل : سقطت .

وقيل : أن الكواكب مُعلقة في قناديل بين السماء والأرض ، بسلاسل من نور ، والسلاسل بأيد ملائكة من نور ، فإذا جاءت النفخة الأولى ، تناثرت تلك الكواكب ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ إذا السماء إنفطرت ﴾ (٤) ، أي : إنشقت وتصدعت ؛ لقوله (تعالى) : ﴿ هل ترى من فطور ﴾ (٥) ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ (٦) ؛ فجر بعضها إلى بعض ، المالح والعذب ، فصارت بحراً واحداً : ﴿ وإذا القبور بُعثرت ﴾ (٧) ؛ يقول : قلب ترابها وخرج ما فيها ؛ والله أعلم .

والكواكب أيضاً : مُعظم الثياب ؛ وكوكب كل شيء : مُعظمه ؛ قال الأعشى :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مُؤزر بعميم النبت مُكتهل

منها ، يعني : من الروضة ؛ وكوكبها : مُعظمها ؛ وشرق ، أي :

---

(١) سورة الإنفطار : ١ ـ ٢ .
(٢) سورة التكوير : ١ .
(٣) سورة الإنفطار : ٢ .
(٤) سورة الإنفطار : ١ .
(٥) سورة الملك : ٣ .
(٦) سورة الإنفطار : ٣ .
(٧) سورة الإنفطار : ٤ .

مُشرق ؛ والعميم والمكتهل : التام ؛ قال أبو المقدام الخزاعي :

وكوكب فيه كوكب قد رأينا ‏ ‏ ‏ كوكب زرته فقلت وقالا

قيل : الكوكب الأولى : البقرة الوحشية لبياضها ؛ والثاني ، يعني : أنها عفوف بولدها ، فهو كوكب آخر ؛ فقلت : وقالا ، أي : فصاح بها .

وقال آخرون : الكوكب الأول : كوكب الماء ؛ والكوكب الثاني : من كواكب السماء ؛ والكوكب الثالث : كوكب عين الإنسان ؛ وكبكب فلان فلاناً ، أي : ألقاه في هوة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فكبكبوا فيها ﴾ (١) ، أي : دهوروا ، ثم رمي بهم في هوة النار ـ نعوذ بالله منها ـ والأصل في كبكبوا : كببوا ، أي : ألقوا على رؤوسهم في النار ؛ مأخوذ من كببت الإناء ، إذا ألقيته على وجهه ؛ وأكب الرجل على شيء يعمله ؛ والكبكبة : جماعة من الخيل ؛ وكبكب : اسم جبل في الشام معروف ، وهو لا ينصرف ، إلاّ أن يضطر شاعر ، لأنهم قد أجازوا له أشياء كثيرة ؛ وللملك امرئ القيس :

فريقان منهم سالك بطن نخلة ‏ ‏ ‏ وآخر منهم جازع نجد كبكب

وكب الرجل لوجهه : إذا سقط على وجهه ؛ يكبوا ، كبواً ؛ قال : وكوكب الفرس ؛ كذلك يكبوا ، كبواً ، فهو كاب ؛ قال الشاعر :

إذا استجمعت للمرء فيها أموره ‏ ‏ ‏ كبا كبوة للوجه لا يستقيلها

وكبا الزند : إذا لم يور ناراً ، فهو كاب ؛ والكبا : ضرب من العود ـ شجرته ـ (ممدود مكسور الكاف) ؛ وفيه غير هذا تركته لطوله .

وقوله : { فوق الكواكب سُوران } ، فالسوران : تثنية سُور ؛

(١) سورة الشعراء : ٩٤ .

والسور : رأس جدار المدينة ، سُميّ سوراً : لعلوه وارتفاعه ؛ قال العجاج :

فرب ذي شرف محجور سرت إليه في أعالي السور

أي : إرتفعت إليه ؛ قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي : منزلة شرف ، إرتفعت إليها عن منازل الملوك ؛ والسورة : من القرآن الكريم ، منهم من يهمزها ؛ ومنهم من لا يهمزها ؛ وأسارت في الإناء : إذا أبقيت فيه بقية وفضل منه ؛ وفي الحديث : " أسأروا من طعامكم " ، أي : أبقوا منه ؛ وأسأرت في الحوض ، أي : أبقيت منه بقية ؛ وبقية كل شيء : سؤره ؛ وسورة الشراب : حمياه الشيء [1] ، ترتفع في الرأس (بفتح السين) ؛ وكذلك سورة الحرب والغضب : وهي شدته وبطشه ؛ والسوار : واحد الأسورة ؛ وجمعه : أساور ، وأسورة ؛ وفي القرآن ، قوله (ﷻ) : ﴿ فلولا ألقيَّ عليه أسورة من ذهب ﴾ [2] ؛ وقال الله (ﷻ) : ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ﴾ [3] ؛ وفيه غير هذا تركته لطوله .

بيت القصيدة :

فغسان غسان الملوك الأوائل حموا بالظبا مسلولة بالذوابل
وبالترك بيضاً والدلاص الذوابل قصور العُلى محفوفة بالصواهل
وساروا بقسط في الأنام وباطل فأنى بحي مثل أملاك غسان

(١) هكذا في الأصل . (٢) سورة الزخرف : ٥٣ .
(٣) سورة الكهف : ٣١ ؛ سورة الحج : ٢٣ ؛ سورة فاطر : ٣٣ .

الشرح :

فقولـه : { غسـان غسـان الملـوك الأوائـل } ؛ إختلـف النـاس فـي غسان ، فقالوا : ماء لبني زبيد بن واقع ورمع ، وهما موضعان من أرض بني زبيد ، نزل عليه بنو مازن بن الأزد ، حين هربوا من تحت سد مأرب ، خوفاً من سيل العرم .

وقال قوم : غسان : نهر صغير بين الجحفة وسد المشلل ؛ فقيل : أنه دواء ، وأنه حمام ؛ فنزل عليه مازن بن الأزد ، فسُمُواْ به .

وقال عامة العُلماء من العرب : أن غسان شرب لبني مـازن بن الأزد ، خاصة من سد سبأ ، وهو أقوى الأحاديث وأوفقها ، لأنه كان لجميع قبائل العرب أنهار في السد لكل قبيلة ، ولكل شرب اسم يُعرف بـه ؛ فشرب بنـي مازن يُسمى : غسان ، والله أعلم ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

يـا صـاح قـل لمعد أننـي رجـل ... من معشر لهم في المجد بُنيان
أمـا سـألت فإنـا معشـر نجـبٌ ... الأزد نسـبتنا والمـاء غسـان
شم الأنـوف لهم مجدٌ ومكرمة ... غر بها ليلٌ في الألواء مذ كانوا

وغسـان ، مـن أولاد : جفنـة بـن عمـرو (مُزيقيـاء) بـن عـامر (مـاء السماء) ؛ واشتقاق جفنـة ـ عنـدي ـ : أنـه مـن الجفنـة المعروفـة ، أو من الجفن ، وهو : الكرم ؛ وجفن السيف ؛ وجفن العين : معروف .

ومـن أمثـالهم : (وعنـد جُفينـة الخبـر اليقـين) ؛ والعامـة تقـول : (جُهينة) ، وهو خطأ .

وقال ابن دريد : وإنما سُميَّ أولاد جفنة : غسـان ، بمـاء نزلـوه ، ليس بأب ولا أم ، فمن شرب من ذلك المـاء فهو غسـان ؛ ومـن سُميَّ فـي غير هؤلاء غسان : فإنما إشتقاقـه مـن الغسـن : وهـو الخصـل مـن الشَعر ؛

والجمع : غسن ؛ ومن قولهم : غيسان الشباب : وهو أوله وطراءته .

وقوله : { غسان غسان الملوك } ، يعني : أن الماء الذي يُسمى غسان لغسان ، وهم ملوك الشام ؛ فغسان غسان : ليس فيه تكرير ، لأن الأول : اسم الماء ؛ والثاني : اسم السماء بالماء .

وقال بعض الرواة : أن عمرو بن ربيعة بن حارث بن عمرو بن عامر ، لما نزل مكة ، احتفر بئراً ، وسماه غساناً ، على اسم شربهم من السد ؛ والله أعلم .

وأما قوله : { حموا بالظبا } ؛ فحموا : منعوا ؛ والحمى : المكان الممنوع ؛ والحامي : المانع للشيء ؛ والحام : كما في قول الله (ﷻ) : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ (1) .

قال المُفسرون : البحيرة : الناقة إذ ولدت خمسة أبطن ، فإن كان الخامس سقباً ، أي : ذكراً ، حُرم على الآلهة ، وكان لحمه للرجال دون النساء ؛ وإن كان الخامس ربعة ، أي : أنثى ، شقوا أذنها ، فهي بحيرة ، وكان لبنها حراماً وظهرها حراماً ؛ وأما لبنها فيكون شراباً للنُصب ، وكذلك من البقر ، ولا يُجز لها وبر ، ولا يُذكر اسم الله عليها ؛ وفي قول : يكون لبنها للنساء دون الرجال .

وأما السائبة : فهي الأنثى من الأنعام ، كان الرجل يسيب للآلهة ما يشاء من إبله وغنمه ، ولا يسيب الأنثى ، وظهرها ، وأولادها ، وأصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها ، للآلهة ؛ وألبنها ومنافعها للرجال دون النساء .

وأما الحامي من الإبل : فهو الفحل منها ، إذا ضرب فيها ، وانقضى ضرابها ، وجعلوا عليه ريش الطاووس وسيبوه .

---

(1) سورة المائدة : ١٠٣ .

وقيل : إنما سُميَّ الحامي : إذا ولدت بنات بناته ، قالوا : حمي ظهره ، فلم يُخطم ، ولا يُجز له وبر ، ولا يُحمل على ظهره شيء .

وأما الوصيلة : فهي من الغنم ، إذا ولدت سبعة أبطن ، عمدوا إلى السابع ، فإن كان جدياً ذبحوه للآلهة ، وكان لحمه للرجال دُون النساء ؛ وإن كانت عناقاً استحيوها ، فكانت في الغنم ، فإن ولدت البطن السابع جدياً ، أو عناقاً ، قالوا : أن الأخت قد وصلت أخاها ، وحُرمت علينا ، فحُرما جميعاً ، وكان المنفعة للرجال دون النساء ؛ وإن وضعته ميتاً ، اشترك في أكله الرجال والنساء ، فذلك قول (ﷻ) : ﴿ وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ﴾ (١) .

وقيل : أول من بحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي ، ونصب الأوثان حول الكعبة ، وغير دِّين الحنيفية ، عمرو ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو (مُزيقياء) بن عامر (ماء السماء) ؛ قيل : أنه عَمر ثلاثمائة سنة ، وركب عنده من ولده ، وولد ولده ، ألف مُقاتل .

وفي الحديث ، عن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : " رأيت عمرو بن ربيعة الخزاعي ، رجلاً قصيراً ، أشعر ، له وفرة ، يجر قصبه في النار " ، يعني : أمعاءه ؛ وفيه حديث طويل ، تركته إختصاراً .

وأما قوله : { حموا بالظبا مسلولة } ؛ فالظبا : جمع ظبة : السيف ، وهو آخره موضع مضربه وبادرته ؛ قال الإمام الحضرمي :

مهلا نقاسمكم رقاق سيوفنا ... والشيء مُشترك إذا لم يُقسم
فلنا قوائمها إذا ما جردت ... ولكم بوادرها إذا لم تقصم

وقال غيره :

---

(١) سورة الأنعام : ١٣٩ .

بنفسي التي في السحر من لحظاتها سيوف ظباها من دمي أبداً حمر

وجمع الظبا : ظبات ؛ ويحتمل أن يكون الظبا : جمع الجمع ؛ قال الشاعر في وصف القلم :

له قلم تناتجه المعالي وأحكام الأئمة والصفات
تناط بحده الأقطار طراً بمحيا بعض خلق أو ممات
بمشية حية وبلون جان وحرم متيم وشبا الظبات

وأما مسلولة : فمجردة منضاة ، وقد تقدم شرح هذا ؛ ومسلولة : منصوبة على الحال ، كأنه قال : حموا بالظبا في حال سلها وتجريدها .

وقوله : { حموا بالظبا مسلولة بالذوابل } ؛ خفض الذوابل عطفاً على الظبا ؛ والذوابل : الرماح ؛ وأحدها : ذابل ؛ والذوابل : نعت الرماح ، سُميت الذوابل : ليبسها وصلابتها ؛ قال المُتنبي :

فإذا الخميس أبى السجود له سجدت له فيه القنا الذبل

وقال أيضاً :

فدى نفسه بضمان النضار وأعطى صدور القنا الذابل

وللملك امرئ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

والذبالة : الفتيلة ؛ ويذبل : اسم جبل معروف ؛ قال الشاعر :

أصبحت مثل ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وللملك امرئ القيس :

يضيء الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال

وذبال (مُخفف ومُثقل) ؛ وإنما أراد في : قنا ذبال وقناديل ، فقلب ، وهذا من المقلوب .

وأما قوله : { وبالترك } ؛ فالترك : جمع تريكة : وهي البيضة التي تحمل على الرأس في الحرب ؛ قال الشاعر :

لذي أسد تحت التريكة ضيغم ....

وقوله : { بيضاً الدلاص } ، وهي : مصقولة : وهي منصوبة على الحال ؛ ويحتمل أن تكون منصوبة على القطع ، أي : قطع (الألف واللام) ، كأنه قال : بالترك البيض ؛ فلما قطع (الألف واللام) نصب ، كقوله (ﷻ) : ﴿ وله الدين واصباً ﴾ [1] ؛ والدلاص : واحده وجمعه سواء ؛ قال عمرو بن كلثوم :

علينا كل سابغة دلاص ترى تحت النجاد لها غضونا
كأن غضونهن متون غدر تصفقها الرياح إذا جرينا

الشقاق : التركة ، لأن صاحبها يتركها على رأسه ؛ وهي فعيلة في موضع مفعولة ، مثل : قتيل ، ومقتول .

وأما قوله : { الدوايل } ؛ الدوايل : جمع دايل ، من قولك : دال المال ؛ ودال الملك من قوم إلى قوم : مأخوذ من الدولة .

ومن قولهم : الدنيا دول ؛ وقول الله (ﷻ) : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين

---

(١) سورة النحل : ٥٢ .

الناس ﴾ (1) ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (2) ؛ وهو من التداول : يتداولونه بينهم ، يعني : الفيئ ، والغنيمة ، إلى ذا مرة ، وإلى ذا مرة ؛ والدولة : إنتقال حال سارة من قوم إلى قوم ، يجعلونه سُنة جارية بينهم ، ومالكاً لهم ؛ ومن قرأ بالتاء : [كي لا تكون دولة] : أراد الغنيمة والفائدة .

وفي بعض اللغات : أن الشيء الدابل القديم ، كأنه الذي مرت عليه دول ؛ والدولة (بالضم) : في الفيء والغنيمة ؛ والدولة (بالفتح) : في الحرب ؛ وقال عيسى بن عُمر : كلتاهما سواء ، في الحرب والمال ؛ قال أبو عُبيدة : الدولة (بالضم) : إسم الشيء الذي يتداولونه بعينه ؛ والدولة (بالفتح) : الفعل ؛ وقيل : الدولة (بالضم) : هو الملك ؛ والدولة (بالفتح) : في المال .

وأما قوله : { قصور العُلى محفوفة بالصواهل } ؛ فقصور : جمع قصر ، منصوبة بوقوع الفعل ، والفعل قوله : { حموا بالظبا } ؛ والذوابل : هي الرماح ؛ والدلاص : وهي الدروع .

أما قصور العُلى : فليس للعُلى قصور على الحقيقة ، لكن على مجاز اللغة وسعتها ، وهذا كثير ، مُستفيض في لغتهم ، وقد تقدم شيء من هذا فيما مضى .

وواحد القصور : قصر ؛ ومن قرأ : كالقصر (بفتح الصاد) : فهو أصل الشجر التي قطعت أغصانه في البرية فاسود ، فصار مثل الجمال المبروكة ؛ والصفر : هي السواد ؛ وقيل : كروؤس النخل ؛ والله أعلم .

وأما قوله : { محفوفة } ، يعني : أن عليها حفاف ؛ والحفاف : شبه الجدار والحائط ؛ قال طرفة :

---

(1) سورة آل عمران : ١٤٠ .
(2) سورة الحشر : ٧ .

كأن جناحي مضرحي تكنفا حفافيه شكا في العسيب بمسرد

المضرحي : الستر ؛ وقيل : الصفر ؛ وتكنفا : أحاط به ؛ والحفافان : الجانبان ؛ والعسيب : عظم الذنب ؛ والمسرد : المحرر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العشر ﴾ [1] ، أي : على نواحيه وأرجائه ؛ كقوله (ﷻ) : ﴿ والملك على أرجائها ﴾ [2] ؛ ومحفوفة : منصوبة على الحال ، وإن جعلتها نعتاً على القصور كان أصوب ؛ والصواهل : جمع صاهل ؛ قال النابغة :

ويصهل في مثل جوف الطوي صهيلاً تبين للمعرب

المعرب : العالم بالخيل العراب ؛ قال غيره :

لقد كثر إدعاء الشعر حتى لقد جهل النهاق من الصهيل
فما كل الوقود وقود مُوسَى وما كل الفواطم بالبتول

والوقود (بالفتح) : الحطب ؛ والوقود (بالضم) : المصدر .

وأما قوله : { وساروا بقسطٍ في الأنام وباطل } ؛ فسار : يحتمل أن يكون من السير ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً أمنين ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ [4] ؛ قال الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

---

(١) سورة الزمر : ٧٥ .
(٢) سورة الحاقة : ١٧ .
(٣) سورة سبأ : ١٨ .
(٤) سورة يوسف : ١٠٩ ؛ سورة الحج : ٤٦ ؛ سورة غافر : ٨٢ ؛ سورة محمد : ١٠ .

ويحتمل أن يكون ساروا ، بمعنى : ساوا ؛ وقولك لفلان : سيرة حسنة ؛ والقسط : هو العدل ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قائماً بالقِسط ﴾ [1] ، أي : بالعدل ، وهو (بكسر القاف) ؛ والقسط (بفتح القاف) : الجور ؛ تقول : منه أقسط الرجل ، إذا عدل ؛ وهو مُقسط ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ إن الله يُحب المُقسطين ﴾ [2] ؛ وتقول : قسط ، يقسط ، فهو ، قاسط : إذا جار ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ [3] ؛ وفي العدل رُباعي ؛ وفي الجُور ثُلاثي ؛ والمقسطون : العادلون ؛ والقاسطون : الجائرون .

وقيل : قالت المرأة - امرأة الحجاج - : إنك لقاسط عادل ؛ ولم تقل : مُقسط عدل ؛ وإنما كفرته ؛ والعادل : المُشرك الذي يعدل بربه غيره ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ [4] ؛ قال القطامي :

أليسوا بالعلى قسطوا جميعاً   على النعماء وابتدروا السطاعا

والقُسطاس (بضم القاف) عندهم : أقوم الموازين .

وقوله : { وباطل } ؛ فالباطل : ضد الحق : وهو معروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ [5] ؛ قال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا مُحالة زائل

والبطل : هو الباطل أيضاً ؛ وقيل : البطل : مصدر الباطل ؛ تقول : بطل

---

(١) سورة آل عمران : ١٨ .
(٢) سورة المائدة : ٤٢ ؛ سورة الحجرات : ٩ ؛ سورة الممتحنة : ٨ .
(٣) سورة الجن : ١٥ .
(٤) سورة الأنعام : ١ .
(٥) سورة الإسراء : ٨١ .

الشيء ، يبطل ، بطلاً ؛ قال النابغة :

لعمري وما عمري عليَّ بهين لقد نطقت بطلا علي الأقارع

وأما قوله : { فأنى بحي مثل أملاك غسان } ؛ فأنى : يكون بمعنيين ، بمعنى : كيف ؛ لقول الله (ﷻ) : ﴿ قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ﴾ (١) ، أي : كيف ؟ وقوله (ﷻ) : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ (٢) ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ (٣) ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ (٤) ، أي : من أين يكون له ولد ؟ والمعنيان مُتقاربان ، يجوز أن يتلو في كل واحد منهما الآخر ؛ قال الكميت :

أنى ومن أين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا لعب

فجاء باللغتين جميعاً ؛ قال الخليل : أنى ، معناه : كيف ، ومن أين شئت ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قال يا مريم أنى لك هذا ﴾ (٥) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ قالوا أنى يكون له الملك علينا ﴾ (٦) ؛ قال :

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أنى توجه والمحروم محروم

أي : من أين توجه ؛ ومن أين ما توجه ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ (٧) ؛ على جهة التعجب ، لا على جهة الإستفهام ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ قال أنى يحيي ﴾ (٨) ، أي : من أين حيى ، أو متى يكون حيى ، مثل : أملاك غسان ؛ وقد تقدم تفسير : الحي ؛ والأملاك : جمع ملك ؛ وقد تقدم شرحه ؛ وشرح غسان ؛ والإحتجاج عليه ، وكفى عن الإعادة .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .
(٢) سورة البقرة : ٢٢٣ .
(٣) سورة التوبة : ٣٠ ؛ سورة المنافقون : ٤ .
(٤) سورة الأنعام : ١٠١ .
(٥) سورة آل عمران : ٣٧ .
(٦) سورة البقرة : ٢٤٧ .
(٧) سورة الأنعام : ١٠١ .
(٨) سورة البقرة : ٢٥٩ .

بيت القصيدة :

فمن مثل عمرو في الأنام وعامر وحارثة الغطريف تاج المفاخر
ومن كامرئ القيس الهمام المغاور وثعلبة البهلول أفضل آمر
ومازن الوهاب زاد المسافر إذا ما سرت قود تعدت بركبان

الشرح :

أما قوله : { فمن مثل عمرو في الأنام وعامر } ؛ فقد تقدم شرح : من ومثل ؛ وأما عمرو : فإنه عمرو (مُزيقياء) ؛ وعامر (ماء السماء) : أبوه ؛ وقد تقدم ذِكرهما فيما مضى .

أما قوله : { وحارثة الغطريف تاج المفاخر } ؛ فقد تقدم ذِكر حارثة الغطريف ؛ وأما التاج : فالتاج معروف : وهو ما تجعله الملوك على الرأس ؛ وملك متوج ، أي : على رأسه تاج .

وفي الحديث : " العمائم تيجان العرب " ؛ قال :

جثم سجود فوق حر وجوههم فجبين كل متوج لمتوج

وقوله : { تاج المفاخر } ؛ فليس للمفاخر تاج ، وإنما هذا ، وما هو مثله ، يُقال : على الإستعارة ومجاز اللغة وسعتها .

وقوله : { ومن كامرئ القيس الهمام المغاور } ؛ فقد تقدم أيضاً امرؤ القيس ونسبه ؛ والهمام : السيد بعيد الهمة ؛ والمغاور ، والمفاوز : بمعنى واحد : وهو كثير الغارات على أعدائه ومُحاربيه ، من قولك : أغار على القوم ، فهو مُغير ، ومُغاور ، ومغوار ؛ وغارت عين الرجل ، تغور غوراً ؛ وغار (بلا ألف) : إذا أتى الغور ؛ وأنجد : إذا أتى نجداً ؛ وأشأم : إذا أتى الشام ؛ وأعرق : إذا أتى العِراق ؛ وأتهم : إذا أتى تهامة ؛

وأعمن : إذا أتى عُمان ؛ وأيمن : إذا أتى اليمن ؛ كل هذا يُقال بلا ألف ، وهو رُباعي ؛ وغار ثلاثي ؛ وقيل أيضاً : أغار .

وقوله : { وثعلبة البهلول} ؛ فقد تقدم - أيضاً - ذِكر ثعلبة البهلول .

وأما قوله : { أفضل آمر } ؛ فآمر : ضد نهى ؛ ومن ذلك : أمر ، يأمر ، أمراً ، فهو آمر .

وتقول في ضده : نهى ، ينهى ، فهو ناه ؛ وإذا أمرت قلت : أمر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ (٢) ؛ والماضي منه : أمر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها ﴾ (٣) ؛ فمن قرأها [أمرنا] مُخففة ، كان المعنى : أمرناهم بالطاعة ، فعملوا بالمعصية ؛ ومن قرأها : [أمرنا] مُثقلة ، كان المعنى : جعلناهم أمراء ملوكاً ؛ والله أعلم .

والأمر : اسم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ (٤) ؛ والآمر : الفاعل ؛ والمأمور : المفعول .

وقوله : { ومازن الوهاب زاد المسافر } ؛ فهذا المصراع قد تقدم شرحه .

وأما قوله : { إذا ما سرت قود تعدت بركبان } ؛ فسرت : سارت ليلاً ؛ والسرى : سير الليل ؛ تقول منه : سرى ، وأسرى ؛ والحجة على أسرى ، قول الله (ﷻ) : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ﴾ (٥) ؛ والحجة على أسرى ، قول الله (ﷻ) : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ (٦) ؛ قال :

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٥ .
(٢) سورة طه : ١٣٢ .
(٣) سورة الإسراء : ١٦ .
(٤) سورة النحل : ١ .
(٥) سورة الإسراء : ١ .
(٦) سورة الفجر : ٤ .

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف ظننت بأوصاف الرماية عارف

والحجة على أسرى : قال :

وان امرأ أسرى إليك ودونه من الأرض موماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته وأن تعلمي أن المعان موفف

وقوله : { قود } ؛ القود : الركاب ، يعني : الإبل ، سُميت بذلك : لإنقيادها ، فتتبع قائدها ؛ والقيدود : الناقة الطويلة الظهر : أخذ من القود .

وقوله : { تعدت بركبان } ؛ فتعد : تسرع ؛ والإعداد : الإسراع في السير ؛ وأعد الرجل : أسرع في سيره ؛ والمعد : المسرع ؛ وتركنا الإطالة مخافة الملالة ؛ والركبان : قد تقدم ذِكرها فيما مضى .

بيت القصيدة :

فمن مثل ذي اليومين في البؤس والنعم مُفيدٌ بلا مَنٍّ وَمُعطٍ بلا سَأم
ومن كأبيه ذي الفضائل والكرم جوادٌ فلم يعرف مقالاً سوى نعم
فحاز معانيهم مدى الدهر مخترم فهل لمعد مثل هذين ملكان

الشرح :

أما قوله : { فمن مثل ذي اليومين في البُؤس والنعم } ؛ هو : المُنذر بن النُعمان الأكبر ، وهو ابن عامر (ماء السماء) .

ومما بلغ من تجبره ، أنه جعل لنفسه ، يوم نعم ويوم بُؤس ، فلا يلقى أحداً في يوم بُؤسه إلاَّ قتله ، ولا يلقى أحداً في يوم نعيمه إلاَّ حمله وكساه وأجازه ؛ وكان هذا دأبه ، حتى قتل خلقاً كثيراً ببؤسه .

وكان ممن قتل : عُبيد الأبرص الأسدي - الشاعر - لأنه لقيه يوم بؤسه ؛ فقال عُبيد حين رأى المُنذر وقرب منه : (أتتك بحائن رجلاه) ، فأرسلها مثلاً ؛ فقال المُنذر له : أنشدني :

أقفر من أهله ملحوب ....

فقال عُبيد :

أقفر من أهله عُبيد فاليوم لا يُبدي ولا يُعيد
والمرء يقظان ومن يكيد لريب دهر ما بدا يعود

فقال المُنذر : ويلك ، أنشدني ؛ فقال عُبيد : أبيت اللعن ، حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطبيين ؛ قال له المُنذر - وقد رق له - : إختر إحدى ثلاث خصال : إن شئت من الأكحل ؛ أو الوريد ؛ أو الأوسط .

فقال عُبيد : خيرتني إحدى ثلاث سحابات عاد ، لا خير فيهن لمُرتاد ، فإن كنت لابُد فاعلاً ، فاسقني من الخمر ، حتى إذا ثملت ، وماتت مفاصلي ، فشأنك ؛ وله فيه شِعر طويل تركته ؛ قال :

وخيرني ذو البُؤس في يوم بُؤسه خصالاً أرى في كلها الموت قد برق
خصالاً بما قد تفلق العرمس الصفا وتجمع ما بين الفريضة والأفق
بثالثة فيها مليك مُوكل بخسف يرد البطن ظهراً إذا إنخرق

ثم قدم عُبيد فقتل .

ووجدت ، أنه : المُنذر بن النعمان بن امرئ القيس البدن بن عمرو بن عُدي بن نظر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مالك بن نمارة بن لخم ؛ وهو من جبابرة العرب المذكورين ؛ وقد اختصرنا في حديثه .

والبُؤس : شدة الحال ؛ والبأس : الحرب ؛ والبأساء : الفقر ، وسوء الحال ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ بعذاب بئيس ﴾ (١) ، أي : شديد .

والنِعم (بكسر النون) : جمع نِعمة ؛ والنعم (بفتح النون) : جمع من الأنعام : وهي الجمال ، وغيرها من المواشي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ﴾ (٢) ؛ وقال في النعمة (ﷻ) : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ (٣) .

قيل : معناه : جميع النعم ؛ وقيل : يعني : النفس ؛ لأنه يُروى عن عبد الله بن المفرج ـ العابد ـ أنه قال : أحصيت لله (ﷻ) ، في كل يوم وليلة ، من وجه واحد ، أربع وعشرين ألف نعمة ؛ فقيل له : كيف ذلك يا أبا محمد ؟ قال : أحصيت نفسي ، فإذا هو أربعة عشر ألف نفس .

قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ (٤) ؛ قيل : هو شكر النعم ؛ وقيل لرسول الله (ﷺ) : ما شكر النعم ؟ قال (ﷺ) : " أن تقول : الحمد لله الذي أطعمنا ، وأسقانا ، وجعلنا مُسلمين " ؛ وقيل : النعم في هذه الآية : الأمن والصحة .

وعن عليّ بن أبي طالب ، أنه قال : من أكل خبز البُر ، وكان له ظل ، وشرب من ماء الفرات مُبرداً ؛ وعن النبي (ﷺ) ، أنه قال : " ثلاث لا يُسأل عنها المُسلم يوم القيامة : طعام يُقيم صُلبه ، وثوب يُواري به عورته ، وبيت يكنه عن الحر والبرد " ؛ وقيل : أن النعيم ، خُبز الشعير ، وماء العذب ؛ وقيل : العافية ؛ وعن رسول الله (ﷺ) ، أنه قال : " كل نعيم مسؤول عنه يوم القيامة ، إلاّ نعيماً في سبيل " .

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٥ .
(٢) سورة النحل : ٦٦ ؛ سورة المؤمنون : ٢١ .
(٣) سورة إبراهيم : ٣٤ ؛ سورة النحل : ١٨ .
(٤) سورة التكاثر : ٨ .

وقيل : النعيم صحة الأبدان ، والسمع ، والبصر ، يسأل الله (عز وجل) ، عنه العباد ، لقوله (تعالى) : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ [1] ؛ وقيل : أن الآية في الكفار ؛ وقيل : بل هي في المُؤمنين .

وأما قوله : { مُفيدٌ بلا مَنٌ وَمُعطٍ بلا سأم } ؛ فالمَنٌ : هو الإمتنان ، من المُعطِي على المُعطى ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم ﴾ [2] .

قال الكلبي : نزلت هذه الآية ، في نفر من بني أسد ، أصابتهم سنة ، فقدموا المدينة بذراريهم ، وأظهروا الإيمان والتصديق بالنبي (ﷺ) ، ولم يكُونُوا مُؤمنين ، وإنما أرادوا بذلك الصدقة ، فأفسدوا طريق المدينة بالغزوات ، وغلو الأسعار ، وكانوا يمنون بمجيئهم على رسول الله (ﷺ) ، قائلين : إنما أتتك العرب على ظهور رواحلها ، وجئناك بالأهل والذراري ، فأعطنا ؛ فعرف الله (جل جلاله) ذلك منهم ، فأنزل فيهم: ﴿ قالت الأعراب أمنا ﴾ [3] ، أي : صدقنا بما جئت به : ﴿ قل لم تؤمنوا ﴾ [3] ، أي : لم تصدقوا : ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [3] ؛ أنفسنا إليك ، أي : أقررنا لك ، من أجل الصدقة .

وأما قوله (تعالى) : ﴿ فلهم أجرٌ غير ممنون ﴾ [4] ؛ قيل : غير منقوص ، يعني : أنهم لا ينقصون أجورهم إذا بلغوا الهرم ، فيُكتب لهم ما كان يُكتب بشبابهم ، ولا يمن عليهم بذلك ؛ ولله (عز وجل) المنة والفضل على جميع خلقه ؛ وقيل : ﴿ ممنون ﴾ : غير ضعيف ؛ من قولهم : حبل متين ، أي : أخلق وضعف ؛ وقيل : ﴿ غير ممنون ﴾ : غير مُنقطع ؛ وأما قوله

(١) سورة الإسراء : ٣٦ .
(٢) سورة الحجرات : ١٧ .
(٣) سورة الحجرات : ١٤ .
(٤) سورة التين : ٦ .

(ﷻ) : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ [(١)] ؛ يقول : لا تعطي عطية لتعطى أكثر من عطيتك ؛ وقيل : معناه : لا تكثر من عملك في عينك ، مما أعطاك الله (ﷻ) ، وأنعم به عليك أفضل ؛ وتستكثر : رفع على الحال ، وهذا شاهد على الرفع .

وقوله : { وَمُعطٍ بلا سأم } ؛ فمُعطٍ : من الإعطاء : يُعطي إعطاء ، فهو : مُعطي : من العطية ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ [(٢)] ؛ وقرئت [إنا أنطيناك الكوثر] (بالنون) ؛ وقال المُفسرون في ﴿ الكوثر ﴾ ، أنه قال : الخير الكثير ؛ وقيل : الإسلام ، والنبوة ، والقرآن ، وإظهار الدين ، أي : أتى به على كل دين ، والنصرة على عدوه ، والشفاعة ، والنهر في الجنة ، والحوض ، ومما لا يُحصى ، مما أعطاه الله (ﷻ) إياه ، على قدر فضله على أهل الجنة ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحُسنى * فسنيسره لليُسرى ﴾ [(٣)] ، أي : لعمل الخير ؛ وقيل : لطريق الجنة ؛ ونيسره ، أي : نُسهله له ، والمعنى : يُسهل ذلك له : ﴿ وأما من بخل واستغنى ﴾ [(٤)] ، يعني : بخل بالصدقة ، واستغنى عن ثواب الله (ﷻ) : ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ [(٥)] ؛ قيل : عمل السوء ؛ وقيل : طريق النار ، ونيسره لذلك ، أي : لا نعصمه ؛ وهي في بعض التفسير ، يقول الله (ﷻ) : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ [(٦)] ، يعني : من أعطى من ماله ونفسه ، ما كلفه الله (ﷻ) : ﴿ وصدق بالحُسنى ﴾ [(٧)] ، يعني : الجنة ؛ كقوله (ﷻ) : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحُسنى ﴾ [(٨)] ، يعني : الحُسنى الجنة ؛ وقيل : بصوم شهر رمضان ، وزكاة الفطرة ؛ وقيل : الحُسنى : لا إله إلاّ الله ؛ وقيل : معناه : أن الله يعطي بالحَسنة الواحدة

---

(١) سورة المدثر : ٦ .
(٢) سورة الكوثر : ١ .
(٣) سورة الليل : ٥ – ٧ .
(٤) سورة الليل : ٨ .
(٥) سورة الليل : ١٠ .
(٦) سورة الليل : ٥ .
(٧) سورة الليل : ٦ .
(٨) سورة الأنبياء : ١٠١ .

عشراً ، إلى أكثر من ذلك ؛ وقيل : الحُسنى : التوحيد ؛ وقيل : هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ؛ وكذلك قوله (تعالى) : ﴿ وكذب بالحُسنى ﴾ [1] ، أي : بالتوحيد ؛ ومن كذب بالحُسنى : جحد بالآخرة والجنة ، وكذب بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ؛ وقيل : هذه الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب بن أميه ، بخل بماله ، واستغنى عن الله (عز وجل) ، وكذب بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ؛ ولولا إرادة الإختصار أطلنا .

وأما قوله : { وَمُعطٍ بلا سَأم } ؛ فالسأم : الملال ؛ والسآمة : الملالة ؛ قال زهير :

ومن لم يزل يسترحل الناس نفسه ولا يغنها يوماً من الدهر يَسأم

وقال الله (تعالى) : ﴿ لا يسأم الإنسان من دُعاء الخير ﴾ [2] ؛ وقال (تعالى) : ﴿ وهم يسأمون ﴾ [3] ، أي : لا يملون من التسبيح ، والتكبير ، والتقديس ، وتعظيم الله (جل جلاله) ، وتنزيهه ، وتوحيده (تعالى) ؛ والله أعلم بتأويل كِتابه ، وفصل خطابه .

وأما قوله : { ومن كأبيه ذي الفضائل والكرم } ؛ فأبوه : المُنذر بن النُعمان ، وهو الذي ثبت الملك في بهرام حوز ، وهو صاحب يوم أوانه ، الذي قتل فيه بكراً ، أو قتل أشرافها ، وقتل المُنذر بن عامر (ماء السماء) ، وهو : ابن النُعمان ؛ فكان من نعمته على بكر بن وائل ، في يوم أوانه الأول ، أن بني تغلب ، والنمر بن قاسط ، بعد يوم الكلاب ، وقتل شرحبيل بن حارث ، ورفض سلمة ، علقاً بن الحارث ، وأقبلوا ودخلوا في مُلك المُنذر بن عامر (ماء السماء) ، وأذعنت بكر بن وائل

---

(١) سورة الليل : ٩ .
(٢) سورة فصلت : ٤٩ .
(٣) سورة فصلت : ٣٨ .

لسلمة ، وحسدت عليه ، وقالوا : لا يملكنا غيرك ، فبعث إليهم المُنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المُنذر ليسيرن عليهم ، فإن ظفر بهم ، ليذبحنهم على قلة سبيل أوارة ، حتى تبلغ دماؤهم الحضيض ؛ فسار إليهم في جمع عظيم ، وساروا إليه ، والتقوا في أوارة ، فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، فانهزمت بكر بن وائل ، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي ، فأمر الملك بضرب عُنقه فضُربت ؛ وللملك امرئ القيس :

ألا إنما أبكي العيون وشقها   قتيل ابن دوس في حبال ابن فرعن

وابن دوس : هو الذي أمره المُنذر ، بقتل يزيد بن شرحبيل ؛ فقتل المُنذر فيهم بشراً ، وأسر بشراً كثيراً ، منهم : حارثة بن المُزدلف ، فأُتيَ به المُنذر ، فأمر به ، فضُرب عُنقه ؛ فقام إليه أبو سرقيس بن زهير بن عُقبة المري ، فقتله ؛ قال طرفة :

أيا مُنذر أفنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال الحارث بن وعلة ، في ذلك أيضاً :

قتلت ساداتنا بلا جُرم   إلاّ لتوهن قوة العظم
وتركتنا لحماً على وضم   لو كُنت تستبقي من اللحم

ثم أمر المُنذر ، ببكر بن وائل ، فذبحُوا على جبل أوارة ، فجعل الدم يجمد ؛ فقيل له : لو قتلت جميع أهل الأرض من بني بكر ، لم تبلغ دماؤهم الحضيض ، ولكن صُب الماء على الدم ، ففعل ذلك ، فسال الدم إلى الأرض ؛ وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار ؛ وكان رجل من بني قيس بن ثعلبة ، مُنقطعاً إلى المُنذر ، وشهد معه ذلك اليوم ، وكلمه في سبي بكر بن وائل ، فأطلقهن المُنذر ؛ قال الأعشى في ذلك :

ومنا الذي أعطاهُ بالجمع ربه ... على فاقة أمر الملوك هباتها
سبأيا بني شيبان يوم أوارة ... على النار إذ تجلى له فتياتها

والله أعلم بصحة ما حكيناه ، من سبب ذي اليومين ، وسبب أبيه .

وأما قوله : { جوادٌ } ؛ فالجواد : الكريم الذي يجود بماله على مُعتفيه وسائليه ؛ تقول : جاد ، يجود ، جُوداً ، وجودة ؛ والإسم : الجُود ؛ قال شعراً :

الجُود بالمال جُود فيه مكرمة ... والجُود بالنفس أقصى غاية الجُود

وقد تقدم شيء من مثل هذا .

وقوله : { فلم يعرف } ؛ يعرف : مثل يدري ؛ وعرف : درى وَعَلِم ؛ والمعرفة : ضد الإنكار ؛ كما أن العِلم : ضد الجهل ؛ قال الكميت :

مُنكرات بأنفس عارفاتٍ ... بعيونٍ هوامع التسجام

فجعل المعرفة : ضد الإنكار ؛ قال جرير :

عرفنا جعفراً وبني كلابٍ ... وأنكرنا زعانف آخرينا

والمعرفة ، والعِلم : شكلان ؛ قال عمران بن حطان :

الحمد لله إذا لم يأتني أجلي ... حتى عرفت لدين الله عرفانا

قال الله (ﷻ) : ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ (١) ، أي : أهداهم إلى منازلهم فيها ، فإذا دخلوا الجنة ، وحيوا بما يحيون به ، قيل لهم : تفرقوا إلى منازلكم في الجنة ، فمضى كل منهم إلى منزله ، وهو يعرفه ، ويعرف

---

(١) سورة محمد : ٦ .

أزواجه ، وخدمه فيه ، وأهله ؛ كما ينصرف الرجل إلى منزله ، وهو يعرفه ؛ ويجوز أن يكون المعنى : عرفهم إياها ، وعرفها إياهم ؛ ويكون هذا اللفظ من المقلوب ؛ وقيل : ﴿ عرفها ﴾ ، أي : طيبها ، فيشمون رائحتها ، من قبل أن يصلوا إليها ، لأن العرف : طيب الرائحة : من أنواع البخور ؛ قال عُدي بن يزيد :

أبصرت عيني عِشاءً ضوء نار   من سناها عرف هند وعار

وقيل : أن عرفات ، سُميت : عرفات ، لأن آدم (عليه السلام) ، لما هبط من الجنة ، نزل على جبل من الهند ، ونزلت حواء بجدة ، وأنهما إلتقيا بعرفات ، فتعارفا .

وقيل : سُميت بذلك ، لأن جبريل (عليه السلام) ، كان يُعلم إبراهيم (خليل الرَّحمَن) ، المناسك بعرفات ، ويقول له : عرفت ؟ فيقول : عرفت .

وقيل : أن الإنسان يعرف ويعلم ، والبهيمة تعرف ولا تعلم ؛ وقيل : سُميت بهيمة : لأنها أبهمت عن كل شيء ، إلاّ عن معرفة خالقها (عز وجل) .

وقال : المعارف ـ أيضاً ـ : الصابر ؛ ورجل عارف ، وعروف ، أي : صبور ؛ وفي مثل : النفس عروف ما حملتها حملت ؛ قال النابغة :

على عارفات للطعان عوابس   بهن كلوم بين دام وخالب

والمعرفة والنكرة ـ في قول أهل العربية ـ : معروفان ؛ فالمعرفة : الاسم المُعرف بالألف واللام ، مثل : الرجل ، والغُلام ؛ أو الاسم العَلم ، مثل : زيد ، وعمرو ؛ ثم اشتق من المعرفة : المعروف ؛ ومن النكرة : المُنكر ؛ قال النابغة :

أبى الله إلاّ عدله ووفاءه   فلا النكرُ معروف ولا العُرف ضائع

وأمـا قـول الله (ﷻ) : ﴿ والمُرسـلات عُرفـا ﴾ [1] ؛ قـال الفـراء : هـي الملائكـة ﴿ عُرفـا ﴾ ، أي : بـالمعروف ؛ ويحتمـل أن يكـون : والمُرسـلات بعُرف ، فلمـا سقط (البـاء) إنتصب ؛ وتعرف بـالعرف ، بمعنـى : واحد ؛ وقيل : المُرسلات : الرياح ؛ وعرفا ، أي : تمنع بعضها بعضا .

وقيل : هي الرُسل ، ترسل بالمعروف ؛ وإن قال قائل : إنا قد أطلنا في هذا ؛ قلنـا لـه : إن العِلم خير ، والخيـر مرغوب ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ولـو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ [2] .

وأما قوله : { مقالاً } ؛ فالمقال : مصدر القول ؛ لأنك تقول : قلت ، قولاً ، ومقالاً ؛ وقد تقدم شرحه .

وقولـه : { سـوى نعـم} ؛ فسـوى ، بمعنـى : غيـر ؛ بكسـر السين مقصور ، يُكتب بالياء ؛ فإذا فتحت السين مددت ، والمعنـى : واحد ؛ قال الأعشى :

.... وما قصدت من أهلها لسوائكا

أي : لغيرك ، ففتح ومد .

قـال ثعلب : سِوَى ، وَسُوَى ، وسَوَاء ، كلـه بمعنـى : غيـر ؛ وتقـول : إلزم سواء الطريق ، أي : قصده ؛ وسواء : الوسط : وهو العدل - أيضاً - والقصـد ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ فـي سـواء الجحـيم ﴾ [3] ، أي : فـي وسـط الجحيم ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ آذنتكم على سواء ﴾ [4] ، أي : مكاناً معلوماً ، قد علمـه القـول ؛ وقولـه (ﷻ) : ﴿ سـواء للسـائلين ﴾ [5] ؛ فـأكثر القـراء على نصبها ؛ وبعضهم يـرفـع ؛ وبعضهم يخفـض ؛ فـمـن نـصـب : أراد :

---

(١) سورة المرسلات : ١ .
(٢) سورة الأعراف : ١٨٨ .
(٣) سورة الصافات : ٥٥ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٠٩ .
(٥) سورة فصلت : ١٠ .

﴿ أقواتها ﴾ [1] ؛ ومن رفع على الإستئناف وأضمر : هي سواء ؛ ومن خفض ، جعلها نعتاً للأيام ، ومعناها : استوت ، إستواء ، وسواء ؛ وفيها غير هذا ، تركته لطوله .

وأما قوله : { سوى نعم } ؛ فنعم : ضد لا ؛ وفي نعم لغتان : بفتح العين وكسرها ؛ وفتحها أجود ، وهي لغة عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ؛ قال وقد جمع بين اللغتين :

دعاني عبد الله نفسي فداؤه   فيا لك من داع دعا يا نعِم نعَم

قال الله (تعالى) : ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم ﴾ [2] ؛ قرأها يحيى بن وثاب ، والأعمش ، والكسائي : [نعِم] (بكسر العين) .

وقيل لعبد الله بن مسعود : من شهد أنه مؤمن ، فليشد أنه في الجنة ؛ قال : نعِم (بكسر العين) .

وعن عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، أنه سألهم عن شيء ، فقالوا : نعَم (بفتح العين) ؛ فقال : لا تقولوا نعَم ، ولكن قولوا : نعِم ، إنما النعَم : الأبل .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنه سأله رجل من خثعم ، فقال : إنك تزعم أنك نبي ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : " نعِم " ، (بكسر العين) .

وكان بعض العرب ، إذا سمع قائلاً يقول : نعَم ؛ قال : نعَمٌ وشاءٌ ؛ وقرأها عاصم ، وأهل المدينة ، وحمزة : (بالفتح) ؛ قال الشاعر :

وإذا صاحبت فاصحب صاحباً   ذا حياءٍ وعفافٍ وكرم
قوله للشيء لا إن قلت لا   وإذا قلت نعم قال نعم

---

(1) سورة فصلت : ١٠ .   (2) سورة الأعراف : ٤٤ .

وأما قولـه :{ فحـاز } ؛ فحـاز الشـيء : إذا جمعـه وحـواه ، يحـوزه حـوزاً : إذا جمعهـا وسـاقها ؛ وحـوزة الإنسـان : طبيعتـه مـن خيـر وشـر ؛ وفـلان فـي حـوزة فـلان ، أي : فـي ناحيتـه ؛ ومنـع للقـوم حـوزتهم ، أي : ناحيتهم ؛ والحازي : الذي يكنهن ، فيخط في الأرض ، ويطوف بالحصى ؛ والحزاء : نبت ، والعامة تسميه: الخزاء (بالخاء المُعجمة) ؛ وهـو الحزاء (بالحاء غير المُعجمة) ؛ وحزوى : اسم موضع : وهو في شِعر ذي الرمة ؛ قال الشاعر :

أدار بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقوله : { معانيهم } ؛ فالمعاني : جمع معنى ، وقد تقدم شرحه .

وقولـه : { مـدى الـدهر } ؛ فالمـدى : الغايـة ؛ ومـدى كـل شـيء : غايته ؛ وللسيد ابن دريد :

إن امرأ القيس جرى إلى مدى فإعتـاقـه حـمـامـه دون الـمـدى

والـدهر : معـروف : وهـو مـرور الأيـام والشـهور ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ هل أتـى علـى الإنسـان حين مـن الـدهر ﴾ (١) ؛ والإنسـان - هـا هُنـا - آدم (عليه السلام) ؛ والحين : يُختلف فيه .

وقد قيل : أنه في هذه الآية ، أربعون سنة ؛ وهل أتى : لفظة إستفهام ، معناه : وجوب في هذه الآية .

وقد قيل عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن الحين في هذه الآيـة : أربعـون سـنة ، وهـي التـي كـان فيهـا آدم (عليه السلام) طينـة ، لـم يُـنفخ فيهـا الروح : ﴿ لـم يكـن شيئا مذكوراً ﴾ (٢) ؛ فيُقال : فلان ، لكنه كان شيئاً غير

---

(١) سورة الإنسان : ١ .

(٢) سورة الإنسان : ١ .

مذكور ، ولم يكن شيئاً ما أتى عليه حين ؛ ثم قال (ﷻ) : ﴿ لم يكن شيئاً مذكورا ﴾ (١) ؛ ﴿ إنا خلقنا الإنسان ﴾ (٢) ، أي : ولد آدم (عليه السلام) : ﴿ من نطفة أمشاج ﴾ (٢) ، أي : أخلاط ماء الرجل ، أي : غليظ أبيض ؛ وماء المرأة ، أي : رقيق أصفر .

وقيل : أن اللحم والجلد : من ماء المرأة ؛ والعظم والعصب : من ماء الرجل ؛ قال :

اللحم والجلد من ماء المرأة معا ونطفة الفحل منها العظم والعصب

وتسمى نطفة الرجل : القطيط والفظا ؛ وله - أيضاً - قال :

وفظاظية خوف نبظ مستكن تولد الأطفالا

الفظاظ : نطفة الرجل ؛ والنبظ : رحم المرأة - ها هُنا - وهو بالظاء ؛ وليس هذا موضع هذا .

وأما قوله (ﷻ) : ﴿ نموت ونحيا وما يُهلكنا إلاّ الدهر ﴾ (٣) ؛ فإن قال قائل : كيف : ﴿ نموت ونحيا ﴾ ، وهم مكذبُون بالبعث ؟ قيل له : إنما أرادوا - والله أعلم - نموت نحن ، ويأتي أبناؤنا بعدنا ، فيحيا ذكرنا بهم ، فجعل فعل أبنائهم كفعلهم ؛ ومثل هذا في لغة العرب .

والدهر : من السنين والشهور .

وفي الحديث : " لا تسبوا الدهر ، فإن الدهر هو الله ، الذي يحيي ويميت " ؛ لأنهم كانوا إذا أصابتهم مُصيبة ، قالوا : جار علينا الدهر ؛ وغرتنا الأيام والليالي ؛ ونبا بنا الزمان ؛ وهو مثل هذا ؛ وقد حكى الله (ﷻ) قولهم : ﴿ وما يُهلكنا إلاّ الدهر ﴾ (٣) ؛ والله أعلم بتأويل كِتابه ،

(١) سورة الإنسان : ١ .
(٢) سورة الإنسان : ٢ .
(٣) سورة الجاثية : ٢٤ .

وما قلت هذا من تلقاء نفسي ، ولكن منه ما أخذته مُشافهة من أشياخي ، الذين قرأت عليهم ، ومنه ما وجدته عنهم (رحمهم الله) ؛ والله أسأله التوفيق لمرضاته ، وهو حسبي وكفى .

وأما قوله : { مخترم } ؛ فمخترم : مُنقطع ، مُستأصل من قولهم : تخرمته المنون ، أي : قطعته واستأصلته ؛ قال غيره :

إن الحوادث يخترمن وإنما عمر الفتى في أهله مستودع

وقال غيره :

بها رمادي أروم له ظفر يخرمها وناب

ومن قرأها : مُجترم (بالجيم) : أخذها تامة من قولهم : حول مُجرم ، أي : تام ؛ ومن قرأها : مُحترم (بالحاء) : كان معناها من الحُرمة .

وأما قوله : { فهل لمعد } ؛ فهل ها هُنا : حرف إستفهام ؛ ومعد : معروف ، وقد ذكرنا نسبه فيما تقدم ؛ قال الشاعر :

وفتو حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد

وتمعدد الرجل : إذا صبر على خشونة العيش واللباس .

وفي الحديث : " تمعددوا واخشيوشنوا " ؛ والمعد : الغلظ والخشونة ؛ وعسى أن يكون إشتقاق معد من هذا ؛ والله أعلم .

وأما قوله : { مثل هذين ملكان } ؛ فهذين : تثنية هذا ؛ فـ [ذا] : للإشارة ؛ و [الهاء] : للتنبيه ؛ وملكان : تثنية ملك ؛ وجمعه : ملوك ؛ وواحده : ملك ؛ وقد تقدم تفسير ذلك والحجة عليه ، فيما مضى .

بيت القصيدة :

فنحن بنو ماءِ السماءِ الغطارف   وأهل مُزيقيا الملوك السوالف
لنا سُرُرٌ موضونة وزخارف   عليها حشايا أحشيت ومطارف
لنا في البرايا نقمة وعواطف   نُميت بإذلال ونُحيي بإحسان

الشرح :

قوله : { فنحن بنو ماءِ السماء الغطارف } ؛ فنحن : واحده أنا : وهو جمع على قياس ، وهو يقولها : الواحد ، وهو يخبر عن نفسه ، وعن جماعته ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا ﴾ [1] ؛ فهذا خطاب الملوك ، يقولها الملك من الملوك : نحن فعلنا ، وصنعنا ، وقلنا ، وأسرنا ، وصفحنا ، وعفونا ؛ يُخبر عن نفسه ، ورعيته ، وأهل مملكته ، لأنهم يعملون بأمره ؛ وهذا جائز في لغة العرب ، فخاطبهم الله (ﷻ) بما يعرفونه ؛ والله أعلم ؛ وقد مر تفسير بقية المصراع .

وأما قوله : { وأهل مُزيقيا الملوك السوالف } ؛ فقد تقدم تفسير جميع المصراع ، إلاّ السوالف ؛ والسوالف : جمع سالف : وهو ضد الخالف ؛ وسلف الرجل : آباؤه وأجداده ؛ قال الشاعر :

فكيف بأسلافي إذا ما شتمتني   وما بعد شتم الوالدين صلوح

وكل ما مضى : فقد سلف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وإن تجمعوا بين الأختين إلاّ ما قد سلف ﴾ [3] ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ

---

(١) سورة فصلت : ٣١ .
(٢) سورة المائدة : ٩٥ .
(٣) سورة النساء : ٢٣ .

ما قد سلف ﴾ [1] ، أي : مضى في الجاهلية ؛ والله أعلم ؛ والسنون السوالف : الخوالي ؛ والأمم السالفة : من الماضية والغابرة ؛ قال :

ولاقت مناياها القرون السوالف   كذلك تلقاها القرون الخوالف

والسالفة : أعلى العُنق ؛ والسلف : الرجلان متزوجان أختين ، كل واحد منهما سلفٌ لصاحبه ؛ والمرأة سلفة لصاحبتها ؛ والسلافة : من أخلصها وأفضلها ، وهو أولها .

وقيل : ما يُحلب من غير عصر ؛ والسلف : القرض ؛ تقول : أسلفته مالاً ، أي : أقرضته مالاً ؛ والسلف ـ أيضاً ـ : كل شيء قدمته ، من ذلك في الدُعاء للأموات : اللهم اجعلهم لنا سلفاً ، واجعلنا لهم خلفاً ؛ ومثله كثير تركته .

وأما قوله : { لنا سُرُرٌ موضونة وزخارف } ؛ فالسرر : جمع سرير ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ على سُرُرٍ موضونة ﴾ [2] ، أي : منسوجة بالدُر والياقوت ؛ وأشباه ذلك : درع موضونة ، أي : منسوجة ؛

ومنه أخذ : وضين الناقة ، لأنه منسوج ؛ والزخارف : جمع زخرف ؛ والزخرف عندهم : الذهب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وزخرفا ﴾ [3] ، أي : ذهباً ؛ وجعلت العرب كل مزين : مزخرف ؛ وقد قيل : زخرف الرجل كلامه ، إذا زينه ؛ قال الشاعر :

فلا تهدمن بُنيان بيت بنيته   بكفيك عندي زينته الزخارف

وأما قوله : { عليها حشايا أحشيت ومطارف } ؛ فعليها ، يعني : على السُرُر ؛ والحشايا : جمع حشية : وهي الفراش المحشي ؛

(١) سورة النساء : ٢٢ .
(٢) سورة الواقعة : ١٥ .
(٣) سورة الزخرف : ٣٥ .

قال الشاعر :

يحسب خزاً تحته وقزاً وفرشا محشوة أوزا

يعني : ريشاً أوزاً ، فأضمر الريش ؛ والأوز [1] : غير معروف ؛ والمطارف : جمع مطرف ؛ والمطرفة : الثوب المعلم الطرفين ؛ قال الشاعر :

فلو أن طرفاً صاد طرفاً بطرفه لصدت بطرفي طرف ذات المطارف

وقوله : { لنا في البرايا نقمة وعواطف } ؛ البرايا : جمع برية ؛ والبرية : الخلق ؛ والنقمة : معروفة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه ﴾ [3] ؛ والعواطف : جمع عاطفة ؛ وعطف فلان على فلان ، أي : إنحنى عليه ، ورق له ؛ وكذلك الراكب رأس دابته : إذ أحال رأسها عن جبهتها .

وقوله : { نُميت بإذلال ونُحيي بإحسان } ؛ نُميت ، يعني : من ذللناه ، فقد أمتناه ، ولو لم يمت ؛ ومن أحسنا إليه : فقد أحييناه .

والموت في اللغة على وجوه : فمنه : موت نوم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ [4] ؛ ومنه : موت فقر ؛ قال النبي (ﷺ) : " الفقر : الموت الأحمر " ؛ والعرب تقول : الفقر : الموت الأغبر ؛ وموت ، نحو ما رُويَّ عن ابن بشير ، أنه إذا ذكر الموت ، مات

---

(١) الأوز : نوع من أنواع الطيور ، منها : ما يطير (وهو غير مُستأنس) ، ويُطلق عليه الناس اسم : الأوز البري ؛ ومنها : ما لا يطير (وهو مُستأنس) ، وتقوم الناس بتربيته في المنازل ، للإستفادة من لحمه في الأكل ، والريش في حشو الوسائد ؛ وهو شبيه طائر البط ، ولكنه أكبر حجما من البط .

(٢) سورة الأعراف : ١٣٦ ؛ سورة الحجر : ٧٩ ؛ سورة الزخرف : ٢٥ .

(٣) سورة المائدة : ٩٥ .

(٤) سورة الزمر : ٤٢ .

كل عضو منه : وذلك موت الفزع ؛ قال الشاعر :

يموت مني كل يوم شيء وأنا مع ذاك صحيح حي

وقال الأخطم :

أراني مع الأحياء حي وأكتري على الدهر ميت قد تحونه الدهر
فما لم يمت مني لما مات تابع فبعضي لبعض دون قبر البلى قبر

وقال أبو العتاهية :

إن مع الدهر فاعلمن غدا وانظر بما ينقضي مجيء غده
ما إرتد طرف امرئ بلحظته إلاّ وشيء يموت من جسده

ويُقال : أن مُوسَى بن عمران (عليه السلام) ، سأل ربه : أن يميت عنه رجلاً كان يُؤذيه ، ثم لقيه مُوسَى (عليه السلام) ذات يوم ، قاعداً يسف خُوصاً ؛ فقال مُوسَى (عليه السلام) : يا رب ، سألتك إماتته ؟ فأوحى الله (عز وجل) : يا مُوسَى ، أنه قد أفقرته ، ومن أفقرته فقد أمته ، وإن كان حياً ؛ والموت : الشدة التي تجري على الإنسان ؛ دليله ، قوله (تعالى) : ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ﴾ [1] ؛ قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفاً باله قليل الرجاء

وموت عبرة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ [2] ؛ وموت جهل ، قال الله (تعالى) : ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ [3] ؛

---

(١) سورة إبراهيم : ١٧ .
(٢) سورة البقرة : ٢٥٩ .
(٣) سورة فاطر : ٢٢ .

الأموات : الجهال ؛ والأحياء : العُلماء ؛ وموت جماد ، قال الله (ﷻ) : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ﴾ [1] ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ [2] ؛ وموت سكر : وهو سقوط السكران بعد شرابه ، وقلة حركته ؛ قال الشاعر :

ويمشي بين قتلى قد أميتت   نفوسهم ولم تهرق دماء

وموت غشو : وهي الغمة التي تذهب بالعقل ؛ قال قيس (مجنون ليلي) :

إذا نادى المُنادي باسم ليلى   غشيت فما أطيق له جوابا

وموت نُطفة ، قال الله (ﷻ) : ﴿ وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ [3] ، أي : كنتم نُطفة ، فخلقكم أحياء ؛ وموت الصَّم : وهو لا يعقل ؛ قال الله (ﷻ) في مُحكم كِتابه : ﴿ أموات غير أحياء ﴾ [4] ؛ والموت : خلق من خلق الله ؛ قال الله (ﷻ) في كِتابه : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ [5] .

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : الموت في صورة كبش أملح ، لا يمر بشيء ، ولا يجد ريحه شيء ، ولا يطأ أثره شيء ، إلاّ مات .

ويُقال : أنه يُؤتى به في هذه الصورة يوم القيامة ، بعد أن يقر أهل النار في النار ، وأهل الجنة في الجنة ، فيُذبح ، ثم يُقال لأهل النار والجنة : إخلدوا [6] ، لا موت أبداً ؛ وقال عز من قائل : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأولى ﴾ [7] .

---

(١) سورة يس : ٣٣ .
(٢) سورة الحج : ٥ .
(٣) سورة البقرة : ٢٨ .
(٤) سورة النحل : ٢١ .
(٥) سورة الملك : ٢ .
(٦) لعلها : خلودا أبدا .
(٧) سورة الدخان : ٥٦ .

بيت القصيدة:

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ملوكاً أولي بأس ومجدٍ محلق
سما بهم طول النجار المعرق إلى حيث لا يسمو أخامص مُرتقي
وسادوا وقادوا كالحيا المُتدفق على كل ذي قلٍّ وكثرٍ وغرثان

الشرح:

قوله : { ولدنا بني العنقاء وابني محرق } ؛ ولدنا : من الولادة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ لم يلد ولم يُولد ﴾ [1] ؛ ففي قوله (تعالى) : ﴿ لم يلد ﴾ ؛ ثبات القدم ، ونفي الحدوث ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ ولم يُولد ﴾ ؛ إثبات الفردانية ، ونفي الأنساب ، والأزواج ، والأشياء كلها ؛ قال (تعالى) : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [2] ؛ وفي الكلام تقديم وتأخير ؛ والكفو : وهو العدل ، والمثل ، والشبه ؛ تعالى الله (جل جلاله) عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله : { ولدنا بني العنقاء } ، يعني : عمرو (مُزيقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن البهلول بن ثعلبة (الصنم) بن مازن بن الأزد ؛ وإنما قيل لثعلبة : الصنم ، لأن العرب كانت تقيمه بمأرب مقام الصنم ؛ واسم العنقاء : الجود ؛ وإنما قيل له العنقاء : لطول عُنقه ؛ وقيل : العنقاء : هو ثعلبة ، وهو أبو حارثة ؛ والحارثة : أبو الأوس والخزرج وإبنا محرق ؛ والمحرق : هو عمرو بن هند ، الذي يُقال له : مُضرط الحجر ، سُميَّ : مُحرقاً ، لإحراقه العرب ؛ قال الشاعر :

ودارم قد قذفنا منهم مائة في جاحم النار إذ ينزون بالخدد
ينزون بالشق منها ثم يوقدها عمرو ولولا لحوم القوم لم يقد

---

(١) سورة الإخلاص : ٣ (٢) سورة الإخلاص : ٤ .

وقد حرق ذو نواش ، نصارى العرب ، وهو الذي أنزل الله (ﷻ) ، فيه ، قوله (ﷻ) : ﴿ النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود ﴾ [1] ؛ لأنه لم يُسم مُحرقاً لإحراقه العرب ، إلاّ عمرو بن هند ـ مُضرط الحجارة ـ لهيبته ، وشدة بطشه ، وسطوته ؛ وهو الذي أحرق بني تميم ، وهو عمرو بن المُنذر ، إلاّ أنه غلب اسم أمه على أبيه ، فيُدعى بها .

ويُوجد : أن المُحرق ، النعمان بن امرئ القيس ؛ وكان يكثر الغزو ، فيقتل ، ويأسر ، وله حظائر مصنوعة ، قد ألقي فيها القصب ، فإذا اجتمع له فيها مائة أسير ، أضرم عليهم حظائر نار فأحرقهم ، حتى كان صرد السعدي ، في الأسارى ، وكان شاعراً ، قال :

أما من أسير من معد مصمم ... يقوم إلى النعمان عند الحظائر
يُناشده بالله فينا لعله ... يعود على أهل الجدود العواثر
فيقضي بحق الله فينا ويقتضي ... بذلك شكراً في رقاب العشائر
وما يرتجي النعمان من قتل أكلب ... طوالع في قو من الدلو ماطر
فواعر يعوي كل يوم وليلةٍ ... مُغللة الأنياب حصي الأظافر

قال : فدخل أبو خوط النمري ، على النعمان ، وكان مداحاً له ، فأنشده ماثلاً بين يديه :

أبيت اللعن أنك رب صدق ... ونحن عبيدك القن القطين
وقد ضم الحظائر من معد ... أناس جل شكرهم الأنين
جنوا جُرماً عليك وكل قوم ... وإن فخروا لحربكم طحين
وقد قامت أيامى معولات ... لها من بعد عولتها رنين
على أهل الحظائر من معد ... وليس عليك من عفو يمين

---

(1) سورة البروج : ٥ ـ ٦ .

فدع أهل الحظائر من معد ودع ما كان لولا ما يكون
فما أحد حفيت بمطئن طوال الدهر ما سمع الحنين
وصفحك فاعلمن اليوم عنهم يزينك في الأمور ولا يشين

قال : فلما سمع النعمان الشعر ، إلتفت إلى جُلسائه ، وقال : قد أقلت أهل الحظائر فأطلقوهم ، فأطلقوهم جميعاً .

قال : فقال صرد السعدي ، يشكر أبا خوط النمري ، قائلاً :

أبا خوط جزاك الله خيراً ولقاك النضارة والبشارا
تداركت القبائل من معد وقد أذكى لها النعمان نارا
ليحرقهم بها فحبوت عنهم ولو لم تجب كان عليك عارا
فأنقذت الحظائر من معد وكانت نعمة شملت نزارا

فما أدري ، أن المُحرق هذا ، هو : النعمان بن امرئ القيس ، ولا عمرو بن هند ؟

قوله : { ولدنا بني العنقاء وابني مُحرق } ، يعني : أنهم ولدوا هذه الملوك ، وإفتخر بهم .

وقوله : { أولي بأس ومجدٍ مُحلق } ؛ البأس : هو الحرب والنجدة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ (١) .

وقوله : { ومجدٍ مُحلق } ؛ فالمُحلق : العالي المُرتفع ؛ وقولهم : حلق الطير ، إذا ارتفع في الهواء ؛ قال الشاعر :

فإن يك عبد الله خلى مكانه فقد حلقت في الجو عنقاء مغرب

---

(١) سورة النحل : ٨١ .

وقيل : سُميت عنقاء : لبياض في عُنقها ؛ وقيل : أنها تصطاد الفيل ؛ وقيل : أنما تكون طيرة واحدة ، على عهد رسول الله سُليمان بن داوود (عليهما السلام) ؛ وقيل : أنها كانت على دين القدرية ؛ والله أعلم .

ويُقال فيها : عنقاء مغرب ؛ وعنقاء مغرب : لها حديث ، تركته لطوله ؛ ويُقال في المثل : طارت بالقوم عنقاء مغرب .

وأما قوله : { سما بهم طول النجار المعرق } ؛ فسما : من السمو : وهو الإرتفاع والعلو .

وقوله : { طول النجار المعرق } ؛ الطول : بخلاف العرض : وهو في هذا المكان ، لا يُريد به الطول ، الذي هو خلاف العرض ، إذا حل محل هذا ، كقوله (ﷻ) : ﴿ وجنة عرضها السماوات الأرض أعدت للمُتقين ﴾ [1] ؛ وإنما أراد تبارك وتعالى : سعتها ، وعظم قدرها ؛ والعرب تصف بالطول والعرض : كل ما عظمته ؛ والنجار : هو الأصل ؛ والأصل : ضد الفرع ؛ قال الشاعر :

إن العتيك لهم على شرف العلى   بيت رفيع فرعه ونجاره

والمعرق : الثابت ، الذي له العروق ؛ ومن قولهم : فلان حسن الأخلاق ، طيب الأعراق ، يعني بذلك : الأصول الطيبة .

وأما قوله : { حيث لا يسمو أخامص مُرتقي } ؛ فحيث : فيها أربع لغات : حوث (بضم الثاء وفتح الحاء) ؛ وحوث (بفتح الثاء) ؛ وحيث ؛ فحيث : لغة طيء ؛ قال الشاعر :

نحن إلى الفردوس والحرق دونها   وأيهاب من أوطانها حوث حلت

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ .

وتقول : قعدت حيث قعد زيد ، أي : في المكان الذي قعد فيه زيد ؛ وقيل : حيث يقعد فلان أقعد ، المعنى : في المكان الذي يقعد فيه ؛ والله أعلم .

وقوله : { إلى حيث لا يسمو أخامص مُرتقي } ؛ أخامص : جمع مخمص : وهو ما إرتفع من الأرض ؛ وتجافى عنها بطن القدم ؛ ورجل خمصان البطن ، أي : ضامر البطن ؛ والذي ليس لقدمه أخمص : مسيح ؛ وقيل : أن المسيح (عليه السلام) ، سُميَّ المسيح لذلك ؛ وقيل : لسياحته في الأرض ؛ وقيل : أنه يوم وُلِدَ كان كأنه ممسُوح بالدهن ، فسُميَّ مسيحاً .

وقوله : { مُرتقي } ؛ فالمُرتقي : الطالع في السلم ، المُرتفع فيه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك ﴾ [1] .

وقوله : { وسادوا وقادوا كالحيا المُتدفق } ، أي : صاروا كلهم سادة ؛ قال الشاعر :

أتطمع أن تسود وليس تغني وكيف يسود ذو الدعة البخيل
فإن سيادة الأقوام فاعلم لها صعداء مسلكها طويل

والسيد : الحليم ؛ وقيل : السيد : التقي ؛ وقيل : السيد : الحسن الخلق ؛ والسيد : الذي يملك أمور الناس ، وينقادون إليه ؛ والسيد : المالك ؛ قال الشاعر :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن البلاء تفردي بالسؤدد

وقال :

وإن القوم سودوك لفاقة إلى سيد لم يظفر والسيد

(١) سورة الإسراء : ٩٣ .

وقال :

نفسُ عِصَام سودت عِصَاماً وعلمته الكرَّ والإقداما
وصيرته ملكاً هُماما ....

وقيل : ساد الرجل قومه ، إذا حمل أمورهم ، وحمل عنهم ؛ قالت امرأة من أهل اليمن ، لطوق بن مالك :

إذا أنت لم تذنب عليك غواتنا ولم يبد منا جدنا وجديدنا
ولم تعف عن زلاتنا يا ابن مالك ولا ما بدا منا فكيف تسودنا

السؤدد بأربعة : العقل ، والفقه ، والأدب ، وحُسن الأخلاق .

وقوله : { وقادوا } ، أي : صاروا قادة ، يقودون الجيوش ؛ والقائدون المُلك ، وهو من تحته .

وقوله : { كالحيا المُتدفق } ؛ الحيا : المطر (مقصور) ؛ والحياء : الإستحياء (ممدود) ؛ الحياء : من الإيمان ؛ وللسيد ابن دريد :

إن الحياة مع الحيا وأرى البهاء مع الحياء

وقيل : أن الأشعث بن قيس الكندي ، كان ملكاً مُتوجاً ، أدرك الإسلام ، وأنه دخل على النبي (ﷺ) ، وقد أتي بشراب فشرب ، ثم سقي الأشعث ، فستر الأشعث وجهه ، وجعل يشرب ؛ فقال عُيينة بن حصن الفزاري : ما هذا يا رسول الله ؟ قال (ﷺ) : " هذا من آتاه الله قوماً ومنعكموه ، هذا الحياء " ؛ وهذا تفضيل من رسول الله (ﷺ) لكندة ؛ قال الشاعر :

حياؤك فاحفظه عليك وإنما يدل على وجه الكريم حياؤه

وقال غيره :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقال غيره :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلاَّ الحياء
إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الأمور كما يشاء

وأما قوله : { على كل ذي قلٍّ وكثرٍ وغرثان } ؛ القل : القليل ؛ والكثر : الكثير ؛ والمثر : هو المُستغني ، من قولك : أثرى الرجل ، إذا إستغنى ؛ والثراء : المال (ممدود يُكتب بالألف) ؛ والثرى : من الندى : وهو ثرى الأرض (مقصور) ؛ وللسيد ابن دريد :

يوماً تصير إلى الثرى ويفوز غيرك بالثراء

وأما قوله : { كل ذي قلٍّ وكثرٍ وغرثان } ؛ فالغرثان : الجائع ؛ والغرث : الجوع ؛ ورجل غرثان ؛ وامرأة غرثى الوشاح ؛ ووشاحها غرثان : إذا كانت خمصانة البطن ، فوشاحها لا يجد بطناً يسقط عليه ، إنما هو يحول في كشحها ؛ وقد يجمع غرثان : في غراثين ؛ قال الشاعر :

إذ يهبط النون أرض الضب يبصرها يهلك وتأكله قوم غراثين
أو يهبط الضب أرض النون يبصره يهلك ويعلو عليه الماء والطين

بيت القصيدة :

ومنا الذي نال المدى في المطالب وبزَّ إقتساراً كل عذراء كاعب
وألبس عاراً آل بكر وغالب وعارف إرتشاف الكأس من كل شاربْ
ونادم دون الخلق زهر الكواكب فهل مثله ملك نديماه نجماه

الشرح :

وأما قوله : { ومنا الذي نال المدى في المطالب } ؛ يفتخر هذا الممدوح ، يقول : هو منا ، ومن سادتنا ، وملوكنا ، وهو قد نال المدى ، وهو على الغاية القصوى .

وأما قوله : { وبزَّ إقتساراً} ؛ فبزَّ : غلب وسلب ؛ قالت الخنساء :

من عز بزَّ ولم تؤمن بوائقه ومن تضعضع مأكول ومشروب

والإقتسار : هو القسر ، والغلبة ؛ والقهر : كالقسر ؛ قال :

فجاد عليَّ قسرٍ لنا في ذِمامه وقد كان ممن لا يجود على قسر

يُقال : قسره ، واقتسره : إذا قهره على كرهه ؛ والقسورة ، في قول الله (تعالى) : ﴿ فرت من قسورة ﴾ [1] .

قيل : أنه الأسد ؛ وقيل : الرماة ؛ والقسورة : الصياد ؛ وليس هذا موضعه .

وقوله : { كل عذراء كاعب } ؛ فالعذراء : الجارية البكر ، التي لم تفتض ؛ والجمع : العذارى ؛ قال امرؤ القيس :

(١) سورة المدثر : ٥١ .

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

والعرب تقول لزوج الجارية البكر : هو أبو عذرتها ، أي : هو الذي إفتضها ، وأزال عذرتها ؛ والكاعب : التي قد كعب ثديها ، ومعنى كعب : إستدار .

وقيل : كعب : تباينوا ؛ وقيل : الكعب : من القصب ، والقنا ، وأنبوب ما بين العقدتين ؛ والجمع : الكعوب ؛ والكعب : عظم الساق من الإنسان ، ومن كل ذي أربع ؛ والكعبة : البيت الحرام ؛ وقيل : سُميت الكعبة : لتربيعها ، لأن العرب يسمون كل بيت مُربع : كعبة ؛ ويُسمون الغُرفة : كعبة ؛ وقد تقدم ؛ وهذه لغة العرب .

وقوله : { وبزَّ إقتساراً كل عذراء كاعب } ؛ قيل : أنه لا يتزوج أحد امرأة ، إلاَّ دخل عليها قسراً قبل زوجها .

وأما قوله : { وألبس عاراً آل بكر وغالب } ؛ وألبس : أصله من اللباس ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً ﴾ (١) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ (٢) ؛ قال الشاعر :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عرياناً ولو كان كاسيا

والعار : كل ما يستحي من كشفه وفعله ؛ قال عَليّ بن أبي طالب :

الموت أسهل من ركوب العار والعار يدخل أهله في النار
والعار في رجل يحيد عن العدى وعلى القرابة كالهزبر الضاري
والعار إن يك في الزمان مُقدماً ويكون في الهيجاء من الفرار

---

(١) سورة الكهف : ٣١ .
(٢) سورة الحج : ٢٣ ؛ سورة فاطر : ٣٣ .

والعار : معروف ؛ والعرب تقول : النار ولا العار ؛ وأنا أقول : العار ولا النار ؛ وبعضهم يقول : النار ولا العار ؛ والعار : كل شيء ألزمت به سُبة وعيب ؛ وقولهم : تعاير القوم ، إذا ذكروا العار بينهم .

وقوله : { وألبس عاراً آل بكر وغالب } ؛ فالعار الذي ألبسهم إياه : أنه كان يأخذ نساءهم غصباً .

وأما قوله : { آل بكر وغالب } ؛ فبكر بن وائل ؛ وبكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة ؛ وغالب بن حنظلة بن زيد بن مناة بن تميم بن مُرة بن أدد .

وقوله : { وعاف إرتشاف الكأس من كل شارب } ؛ فعاف ، معناه : كره وتقزز ، إذا لم يشرب ؛ قال الشاعر :

وإني لشراب المياه إذا صفت   وإن كثرت شرابها لعيوف

إرتشف ، يرتشف ، إرتشافاً : إذا شرب الماء وغيره ؛ والرشف : أن يتناوله قليلاً ؛ وفي الحديث : " الغب أروى ، والرشف أشفى " ؛ قال التهامي :

كأن بعيد النوم في رشفاتها   سلاف رحيق رق منها مدامها

وقال صاحب : " المقامات " :

يرتشف الغيد ويرشفنه   وهو لدى الكل المُفدى الحبيب

والمراشف : موضع الرشف : اللثم والتقبيل ؛ قال الشاعر :

وأراد الخيال لثمي فصيرت   لثامي دون المراشف سترا

والكأس : القدح الذي فيه الشراب ؛ فإذا لم يكن فيه شراب ، كان قدحاً ؛ قال عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وقال الله (ﷻ) : ﴿ وكأس من معين ﴾ [1] ؛ والكأس : الإناء الذي فيه خمر ؛ وقيل : الخمرة بعينها ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ [2] ، أي : لا تصدع رؤوسهم ؛ وقيل : لا يفرقون عنها ؛ ومن قول العرب : تصدع القوم ، إذا تفرقوا ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ ولا ينزفون ﴾ ، أي : لا تذهب بعقولهم فيسكروا ، ويغيب عليهم الصواب .

وقوله : { كل شارب } ؛ فالشارب : معروف : شارب ماء وغيره ؛ قال عنترة :

وإذا شربت كأنني مُستهلكٌ مالي وعرضي وافرٌ لا يكلم

وقال غيره :

إذا ما شربنا الجاشرية لم ننل أميراً ولو كان الأمير من الأزد

وأما قوله : { ونادم دون الخلق زهر الكواكب } ؛ المُنادمة : إختلاط المُنادمة في الشرب ، وإجتماعهم عليه ؛ قال الشاعر :

وشادن قلت له هل لك في المُنادمة
فقال كم من عاشق أريق في المُنادمة

والنديم : واحد الندماء ؛ قال طرفة :

---

(١) سورة الواقعة : ١٨ . (٢) سورة الواقعة : ١٩ .

ندامای بیض کالنجوم وقینة تروح إلينا بين برد ومجسد

وقال الستالي :

إذا النديم من الساقي تناولها أهدى إلى فمه من كفه قبسا

وقال غيره :

ما ينصف الكأس مرتاحاً ليشربها حتى إذا ضحكت في وجهه عبسا

وقوله : { زهر الكواكب } ؛ فالزهر : المُضيئة الشديدة البياض والنور ؛ تقول : سراج زاهر مُضيء يتلألأ ؛ والزهر : القمر ؛ والأزهر : كل شيء له لون أبيض ، كالدُرة البيضاء الزهراء ؛ قال عبد الرحمن بن حسان :

هي زهراء مثل لؤلؤة الغواص صيغت من جوهر مكنون

وأما قوله : { فهل مثله ملكٌ نديماه نجمان } ؛ فقد تقدم الكلام فيه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ (١) ؛ فسألني الكلبي : إذا أقسم بالقرآن ، إذا نزل نجوماً ، الآية والأربع الآيات ؛ وكان من نزوله وآخره عشرين سنة ؛ والله أعلم .

وقوله (ﷻ) : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ (٢) ؛ فالنجم : كل ما نجم ، مما ليس له ساق ، مثل : البقل ، والعشب ؛ ولا يُقال : النجم ، إلاّ لما لا ساق له ؛ والشجر : كل ما كان له ساق .

فالذي ذكره صاحب القصيدة : { نديماه نجمان } ، هو : جُذيمة الأبرش ، وكان أبرصاً ، فهابت العرب أن تقول : أبرص ؛ فقالت : أبرش ؛

---

(١) سورة النجم : ١ . (٢) سورة الرحمن : ٥٥ .

وسُميً الوضاح ، لأن البرص يُسمى : الوضح .

ويُقال : أن من إحتجم بالأربعاء ، وأصابه وضح ، فلا يلومن إلاّ نفسه.

وكان جُذيمة الوضاح ، من تكبره لا ينادم أحداً من الناس ، من تيهه ، وتكبره ، وعتوه ، وكان ملك العراق والشام ، وكان إصطفى عُدي بن النضر نديمه ، وآلى على نفسه لا يُنادم أحداً غيره ؛ فلم يزل على ذلك ، حتى سكر ذات يوم ، فقال لعُدي : سل حاجتك أقضها لك ؛ فقال عُدي بن النضر : زوجني أختك الرقاش ؛ قال : قد فعلت .

قال : فلما أتى عُدي ودخل على الرقاش ، فبات بها تلك الليلة ، فلما أصبح غدا إلى الملك ، فقال له الملك : ما هذه الصُفرة التي بك ؟ قال : هل للعروس بُد من هذا ؛ قال له الملك : بمن قد كنت عروساً ؟ قال : قد زوجتني الرقاش أمس ؛ قال الملك : ما فعلت ، وأكب ينكت في الأرض ، فخافه عُدي فهرب ، ولم يعلم بمكانه إلى اليوم ؛ فحملت الرقاش ، فجاءت بغُلام ، فسماه : عمرو ؛ ثم أن عمرو إستهوته الشياطين ، فلم يعرف له خبر .

قال : فجزع الملك على عمرو جزعاً شديداً ؛ قال : فلما كان بعض الأيام ، إذ أقبل تاجران ، وهما أخوان ، يُقال لأحدهما : مالك ، والآخر : عقيل ، أبناء فالج بن مالك بن كعب بن اليقين ، يُريدان جُذيمة ، قد أهديا له طرفاً ومتاعاً ، فلما كان ببعض الطريق ، نزلا ومعهما قينة لهما ، يُقال لها : أم عمرو ، فقدمت إليهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان ، إذا أقبل إليهما عمرو بن عُدي ، وهما لا يعرفانه ، فجلس إليهما ، ومد يده يُريد طعاماً ، فناولته القينة كراعاً فأكله ، ومد يده ؛ فقالت : متى يُعط العبد كراع ، فطمع في الذراع ، فذهبت مثلاً ؛ ثم قالت للرجلين : عليكما بما معكما ، وكان معهما زقاً من الخمر ، فأوكت الزق ؛ فقال عمرو بن كلثوم :

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا

فقال مالك وعقيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكرا نسبي وتعرفاني ، فإني عمرو بن عُدي .

قال : فسرا به ؛ فقالا : والله أنت خير شيء نقدم به على الملك ، وألقيا عليه ما كان معهما من الثياب ، ورحلوا حتى قدموا به على الملك جُذيمة ، وهو خاله ، فبعث جُذيمة إلى أخته الرقاش ، فبشرها بابنها .

قال : فأقبلت بطوق من ذهب مُكلل بالدُر ، كان خاله طوقه إياه في صباه ، فوضعته فيه ، فلم يدخل ؛ فقال جُذيمة : شب عمرو عن الطوق ، فذهبت مثلاً ؛ ثم قال الملك لمالك وعقيل : لكما حُكمكما ؛ فقالا : حكمنا مُنادمتك ما بقينا وبقيت ؛ فأجابهما إلى ذلك ، ولم يكن جُذيمة يُنادم أحداً ، فهما نديماه ، فضربن بهما الأمثال ؛ قال ابن أبي هراس :

لعمري لقد ملت لبيشة طلعتي وإن نواي طلعها لقليل
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا نديماً صفاءٍ مالكٌ وعقيل

وقال سمر بن نويرة :

وكنا كندماني جُذيمة حقبة من الدهر حتى قبل أن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك لطول إجتماع لم نبت ليلة معا

وكان هذا ، يعني : جُذيمة الوضاح ، قد ملك شط الفرات إلى الأنبار ، وما وراء ذلك إلى السواد ، ستين سنة ، وقتل أبا الزباء ، وكان أبوها من العماليق ؛ وقيل : يمليح [1] ، وغلب على مُلك الزباء ، وألجأها إلى

---

(١) هكذا في الأصل .

أطراف مملكتها ، وكان يُغير على ملوك الطوائف ، إلى أن غلبهم على كثير مما في أيديهم ؛ وكانت الزباء أديبة عاقلة ، فبعثت الزباء تخطبه ، ليتصل مُلكها إلى مُلكه ، فدعته نفسه إلى ذلك ، فشاور وزراءه ، كلهم أشار عليه ، إلاَّ قصير بن سعد القظاعي ، قال : أيها الملك ، لا تفعل ، إنها خديعة ومكر ، فعصاه ، وأجابها إلى ما سألت منه ؛ فقال عند ذلك قصير : لا يُقبل لقصير رأي - فذهبت مثلاً - قال : ثم كتبت إليه بعد ذلك : أن تصل إليَّ ، فجمع الملك أصحابه فشاورهم ، فكلهم أشار عليه بالخروج إليها ، غير قصير بن سعد ، فإنه قال : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنما تُهدى النساء إلى الرجال ، ولا تُهدى الرجال إلى النساء ، فعصاه الملك ، فقال قصير : أيها الملك ، إذ قد عصيتني ، فأبصر القوم عند لقائهم إياك ، فإن كان جُندها حين جاءوا إليك حيوك ثم ترجلوا وركبوا ، فذلك ظنك ؛ وإن رأيتهم إذا حيوك طافوا بك ، فذلك ظني ، فإني مُعرض لك العصا ، وهي فرس جواد لا تُدرك ، فاركبها وانج بنفسك .

قال : فلما أقبل أصحابها حيوه وطافوا به ، فقرب قصير العصا ؛ قال : فشغل الملك عنها ؛ قال : نجا قصير على العصا ؛ قال : فنظر الملك ، وقد حال دونه السراب ؛ قال : ما ضل من تجري به العصا - فأرسلها مثلاً - قال : فأُخذ جُذيمة ، وأدخل على الزباء ، وكانت قد وفرت شعر عانتها حولاً كاملاً ، فلما دخل عليها ، كشفت له ، وقالت : أذات بعل وهيئة عروس تراني يا جُذيمة ، أما أنه ليس من عوز المواسي ، ولا من قلة المواسي ، ولكن شيمة أناسي ، ثم أمرت به ، وأجلس على النطع ، وجيء بطشت من ذهب ، ثم أمرت به ، فقطعت من رواهشه ، وكان قد قيل لها : إحتفظي بدمه ، فإنه إن قطرت منه قطرة دم ، طلب بثأره ؛ فقالت عند ذلك : إحتفظا بدم الملك ؛ فقال جُذيمة : دعوه ، هذا دم ضيعه أهله ، ثم مات ؛ فلما نجا قصير على العصى ، صار إلى عمرو بن عُدي بن ربيعة بن نصر ، ابن أخت جُذيمة ، فقال له : ألا تطلب بثأر خالك ؟

فقال عمرو : كيف أقدر على الزباء ، وهي أمنع من عقاب الجو ، فقال له قصير : إجدع أنفي وأذني ، واضرب ظهري بالسياط ، حتى يُؤثر فيه ، ودعني وإياها .

قال : ففعل عمرو ذلك ، فلحق قصير بالزباء ، فلما رأت ما به ، قالت : ما لك يا قصير ؟ فقال قصير : والله ، ما لقيت هذا إلاّ من أجلك ؛ قال : فأقبلت إليه بتلك وجهها ، ثم أقبل إليها بالنصيحة وقضاء حوائجها ، حتى حسنت منزلته عندها ؛ قال : وأقبل عليها ، وزين لها التجارة ، فبعثت عنده بعير إلى العراق ، فصار قصير إلى عمرو مُستخفياً ، فأخذ منه مالاً ، فزاده إلى ماله ، واشترى لها طرفاً من طرف العراق ، فرجع إليها ، فأراها تلك الأرباح التي ربح ، فسُرت بذلك ، ثم كرَّ ثانية راجعاً ، فأضعف لها المال ، فلما كان في الثالثة ، إتخذ جواليقاً من المسوح ، وجعل ربطها من داخل ، وجعل في كل جولق رجُلاً بسلاحه ، ثم أقبل إليها ، وأخذ غير الطريق الذي كان يسلكها ، وكان يسير ليلاً ، ويكمن نهاراً ، وخرج عمرو معه ، وكانت الزباء أمرت أن يصور لها عمرو ، قائماً ، وقاعداً ، وراكباً ، فصور لها ، وعرفت صورته ، وكانت قد إتخذت نفقاً ، وأجرت عليه الفرات ، من قصرها إلى قصر أختها ، فلما قرب قصير من بلدها ، تقدم العير ، وكان قد أبطأ عليها ، فسألت عنه ، فقيل لها : أنه قد أخذ الغوير ؛ فقالت : عسى الغوير أبوساً ؛ قال : فدخل قصير على الزباء ، فقال : قفي وانظري العير مُقبلة ، والعير تحمل رجالاً في الجواليق ؛ قال : فلما رأتها مُقبلة ، قالت الزباء شِعراً :

ما للجمال مشيها وئيداً   أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديداً   أم الرجال جُثماً قعودا

قال أبو عُبيدة : لم يكن يُهدى إليها أحب من تمر الصرفان ؛ قال : فلما

أتتها العير ، قالت : أبارد من التمر ، أم هذا حديد ، أم جندل ؟ قال : وكان قصير قد وصف لعمرو باب النفق ، ووصف له الزباء ؛ قال : فلما دخلت العير المدينة ، وعلى أبوابها بوابون من النبط ، وفي يد كل واحد منهم سوط ، فطعن به جوالقاً ، فأصاب رجُلاً فيها ، فحنق ؛ فقال البواب بالنبطية : الشر ، الشر ؛ قال : فلما دخلت الجمال في الدار ، حلت الرجال عُرى الجواليق من عندهم ، ووثبوا عليهم في القصر ، ووقف عمرو على باب السرداب ، فسمعت الزباء الغمغمة ، فجاءت ، فوجدت عمرو ، فعرفته وعرفها ، فلما علمت أن لابُد لها من القتل ، مصت فص خاتم لها ، وكان مسموماً ، وقالت : بيدي لا بيد عمرو ؛ قال : فوثب عمرو ، فجللها بالسيف فقتلها ، واستباح بلدها ؛ وهذا قصة ما وجدته ؛ والله أعلم .

بيت القصيدة :

وعمرو بن هند مضرط الحجر الأصم ... سعى طالباً ثأراً فأدرك وانتقم
فألقى تميماً في جحيم من الضرم ... له أنمل أنواؤها صوبها ديم
ومالٌ مباح في ذرى منزل حرم ... ورحب فناء مُستزادٍ لضيفان

الشرح :

أما قوله : { وعمرو بن هند } ؛ فإنه معطوف على قوله : { ومنا الذي نال المدى في المطالب } ؛ وعمرو بن هند ، هو : عمرو بن المُنذر ، إلاَّ أنه غلب إسم أمه على إسم أبيه ، فدُعيَ بها ، وسُميَ مضرط الحجارة ، لهيبته وشدة بطشه ، وهو الذي أحرق بني تميم ؛ قال الشاعر :

ولقد شربت الخمر حتى خلتني ... لما خرجت أجر فضل المُئزر

قابُوس أو عمرو بن هند قاعداً تجبى لـه مـا دون دارة قيصر
تجري الفرات لـه حيال خبانه رفـهـاً تـفـجـره لـنـبـط تـقـرقـر

وقال غيره :

إنـي أظـن ابـن هنـد غيـر تـاركـكم بـالقريتين ولـمـا يقـرع الـنعم
حتـى بـرز وهـو معصـوب بذمتـه وسط القبائل في عرنينـه شمم
شهاب حرب تدين الظالمون له في كل حـي لـه البأساء والنعم

وقولـه : { مضـرط الحجـر الأصـم } ؛ فالحجـر : واحـدة الحجـارة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فقلنا أضرب بعصاك الحجر ﴾ [1] ؛ وأما الحجـر الأسـود ، الذي يُقبله الناس بمكة ، خرج به آدم (عليه السلام) ، في يده من الجنـة ، وفـي الأخرى ورق ، فنبت الـورق بالهنـد ، فمنـه هـذا الطيـب ؛ ولمـا نـزل آدم (عليه السلام) من الجنة ، نزل بالهند ، وكانت الحجر ياقوتـه بيضـاء ، يُستضـاء بها ، فلما بنى إبراهيم (عليه السلام) البيت ، وبلغ موضع الحجـر ، قـال لإبنـه إسماعيل (عليه السلام) : أئتنـي بحجـر أضعـه هـا هنـا ؛ قـال : فأتـاه بحجـر مـن الجبل ؛ فقـال : غيـر هـذا ؛ فـردده مـراراً ، لا يرضـى بحجـر ؛ قـال : فأتـاه جبريل (عليه السلام) بهذا الحجر من الهند ، وهو الذي خرج به آدم من الجنـة ، فوضعه في موضعه ؛ وقيل : أول من بني البيت آدم (عليه السلام) ، وقـد شـرف الله (عز وجل) الحجـر الأسـود علـى سـائر الحجـارة ؛ قـال الله (تعالى) فـي الحجارة : ﴿ فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ [2] .

وقولـه : { الحجـر الأصـم } ، يعنـي : الصـلب الشـديد ، جعلـه كالأصم ، الذي لا يسمع الكلام ؛ وللملك امرئ القيس :

صم صداهـا وعفـا رسمهـا واستعجمت عن منطق السائل

---

(١) سورة البقرة : ٦٠ . (٢) سورة البقرة : ٧٤ .

قـال الله (ﷻ) : ﴿ صـم بكـم عمـي فهـم لا يرجعـون ﴾ [1] ؛ والأصـم : الذي يفقد حاسة السمع ؛ ورفع أصم الكعوب ، إذا كان صلباً ؛ قال عنترة :

فشككت بالرمح الطويل ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرم

وأما قوله : { سعى طالباً ثأراً فأدرك وانتقم } ؛ فالثأر : هو أن يقتل الإنسان قتيلاً ، ويكون له ولي دمه ، فيُقتل به ، وهو مأخوذ من ثوران الدم في وجهه ؛ وثار فلان في وجه فلان ؛ وعمرو بن هند من المذكورين بالثأر ؛ وهم خمسة : عمرو بن هند ، وسيف بن ذي يزن ، وامرؤ القيس بن حجر ، وآكل المرار : عمرو بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن نور بن مرتع بن معاوية بن كندة ، وقصير بن سعد القضاعي ، ولكل هؤلاء المذكورين للثأر حديث .

وقوله : { سعى طالباً ثأراً فأدرك وانتقم } ؛ كان من حديثه : أنه كان له أخ يُقال له : مالك ، مُسترضعاً حجر زرارة بن عدس بن زيد بن عبيد الله بن دارم .

قال : فخرج الغُلام يتصيد ، فمر برجل من بني دارم ، يُقال له : سويد بن ربيعة بن دارم ، فرمى الغُلام بكراً السويد فقتله ، فاتبعه سويد فرماه فقتله ، فخرج عمرو بن هند ، وحلف ليقتلن من بني دارم مائة .

قال : فدعا عُمر بن ثعلبة بن عتاب بن ملقط الطائي ، وقال له : سر أمامي ، وقال له : لا تلقى دارمياً إلاَّ قتلته ؛ قال : فجمع منهم تسعة وتسعين رجلاً ، وأوقد لهم ناراً ، فجعل يحرقهم بها ، وطلب رجلاً من بني دارم ، ليتم به المائة ، فلم يظفروا به ، ورأى الدُخان رجل من التراخم ، فظن أنه طعام ، فأقبل ، فأتي به عمرو ليُحرق ، فقال : أنا من التراخم ، فقال : ذلك أهون لك ، فذهبت مثلاً ؛ قال :

---

(1) سورة البقرة : ١٨ .

ودارم قـد قـذفنا مـنهم مائـة   فـي جاحم النـار إذ ينـزون بالخـدد
ينـزون بالشق منـها ثـم يوقدها   عُمر ولولا لحوم الـقوم لم يقد

وقال جرير ، يهجو الفرزدق :

أين الـذين بـثأر عمرو أحرقوا   أم أيـن أسـعد فـيكم المسترضع

وقوله : { فألقى تميماً في جحيم من الضرم } ؛ فـألقى الشـيء : إذا ألقاه من يده ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ وألقـى الألـواح ﴾ [1] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين النـاس ﴾ [2] ؛ وللملك امرئ القيس :

فألقيت فـي فـيه اللجام فبدني   وقـال صحابي قد شـأوتـك فاطلبي

وبنو تميم : قبيلة معروفة ؛ قال يُخاطب حنظلة التميمي :

أحنظل لـو كنـتم كراماً صبرتم   وفـاء ولا تلفى التميمي صابـرا

وأما قوله : { في جحيم } ؛ فالجحيم : النار المُستحكمة المُتلظيـة ؛ قال :

جحيماً تـلظى لا يـفتـر سـاعـة   ....

وقال الفراء : الجحيم : الحما الذي بعضها على بعض .

قـال أحمد بـن عُبيـد : سُميت الجحيم جحيمـاً ، مـن قـول العرب : قد أجحمت النار ، إذا أكثرت وقودها ؛ قال عمران بن حطان :

تـرى طـاعة الله الهُدى وخلافه   الضلالة تصلى جـاحـم الجمر

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٠ .   (٢) سورة الأعراف : ١١٦ .

والضرم : ما توقد به النار ؛ تقول : أضرمت النار ، إذا أوقدتها ؛ قال :

كأنه ضرم بالكف مقبوس ....

وقوله : { في جحيم من الضرم } ، المعنى : في ضرم من الجحيم ؛ وهذا من المقلوب في الضرورة .

وأما قوله : { له أنمل أنواؤها صوبها ديم } ؛ والأنمل ، والأنامل : جمع أنمل : وهي معروفة ؛ والأنواء : جمع نوء ، عند العرب ، وعند أهل العِلم بحساب النجوم غيبوبة الكواكب .

والنوء : سقوط المطر ، الذي يكون مع سقوط الكوكب الساقط ؛ وأسماء النجوم التي هي أنواء فصول السنة ، أربعة أجزاء ، كل جُزء منها سبعة أنواء ، وكل نوء منها ثلاثة عشر يوماً ، وتزاد في نوئها يوم ، وهي نوء الجبهة ، لتتم السنة به ، ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً .

فأول هذه الأنواء : الشرطين ، ثم البطين ، ثم الثريا ، ثم الدبران ، ثم الهقعة ، ثم الهنعة ، ثم الذراع ، فهذا فصل الربيع ؛ ثم النثرة ، ثم الطرفة ، ثم الجبهة ، ثم الزبرة ، ثم الصرفة ، ثم العواء ، ثم السماك ، فهذا فصل الصيف ؛ ثم الغفر ، ثم الزبان ، ثم الإكليل ، ثم القلب ، ثم الشولة ، ثم النعائم ، ثم البلدة ، فهذا فصل القيظ ؛ ثم سعد الذابح ، ثم سعد بلع ، ثم سعد السعود ، ثم سعد الأخبية ، ثم فرع الدلو المُقدم ، ثم فرع الدلو المُوخر ، ثم الرشا ، فهذا فصل الشتاء ؛ وهذه هي الأنواء ؛ قال الستالي :

أقامت بنو الأنواء حتى تكافأت   بري الحيا منها الربا والمذايب

وقال غيره :

وحاكت لـه الأنـواء أنـواع وشيها وصاغت لـه ألوان حلي على الربا

والعرب تقول : أمطرنا بنوء كذا وكذا .

والذي عندنا : أن الأنواء لا تُمطر ، وإنما المطر من الله (عَزَّ وَجَلَّ) ، لكنها أوقات ينزل فيها الغيث ؛ قال الله (تَعَالَى) : ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ (١) .

وأما قوله : { لـه أنمل أنواؤها } ؛ فالأنمل : ليس بها أنواء ، وإنما هذا ومثله على الإستعارة وجواز اللغة .

وأما قوله : { صوبها ديم } ؛ فالصوب ، والصيب : واحد ؛ والديم : جمع ديمة ؛ والديمة : الدفعة من المطر ؛ وديم ، يعني : دفعة بعد دفعة ، وسُميت ديمة : إذا دامت ؛ قال زهير :

قف بالديار إذا لم يعفها قدم بلى وغيرها الأرواح والديم

وقال الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله ونور ضريحه) :

لقد زخرفوا أمنية تركتهم كتابع لج الآل يحسبه ديم

وأما قوله : { ومالٌ مُباح في ذرى منزل حرم } ؛ فالمال : معروف ؛ وقيل : إنما سُميَ مالاً ، لأنه يميل من واحد إلى واحد .

وقيل : إنما سُميَ مالاً ، لأنه يميل بصاحبه إلى الدنيا ؛ وتقول : رجل مال ، أي : ذو مال ؛ وكذلك : رجل نال به ، كثير النوال ؛ قال المعري :

فما نلت مالاً قط إلاّ ومال بي ولا درهماً إلاّ وزاد بي الهم

وجمع المال : أموال ؛ قال الله (تَعَالَى) : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم

(١) سورة النحل : ١٦ .

فتنـة ﴾ [1] ؛ وقـال الله (ﷻ) ، فـي الواحد : ﴿ المـال والبنـون زينـة الحياة الدنيا والباقيـات الصـالحات خير عنـد ربـك ثوابـاً وخيـر أمـلاً ﴾ [2] ؛ فجعل ربنا (ﷻ) : الباقيات الصالحات لنا خير ، من المال والولد .

ويُوجد : أن الباقيات الصالحات ، قول : سُبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر .

وأمـا الممـالات : فالمعاونـة ؛ تقـول : مـالأت علـى فـلان ، أي : عاونـت عليه .

وعـن عَلـيّ بـن أبـي طالـب ، أنـه قـال : والله ، مـا قتلـت عُثمـان ، ولا مالأت على قتله .

وأما قوله : { ومالٌ مُباح } ؛ فالمُباح : الذي ليس بمحجور ، ولا بمحظور ، كل من أراد أخذه .

وفـي الحـديث : " أن الأشـياء مُباحـة ، إلاّ مـا حـرم الله فـي كِتابـه ، ونطقـت بـه سُـنة نبيـه " ؛ وإسـتباح فـلان بنـي فـلان ، إذا ظفـر بهـم ، وإستولى عليهم ؛ وإستباح الجُند مدينة كذا وكذا ؛ قال الشاعر :

متـى تـأتي أبـا نبهان يـومـاً　　فـإنـك فـي ذرى مـنـه أصيل

والذروة : أعلا السنام ؛ وأعلا كل شيء : ذروتـه ؛ حتـى قيل : ذلك في الحسب .

وقوله : { منزل حرم } ، أي : مُحترم ؛ ومنه سُميّ حرم الله ، لأنـه لا يحل ، أي : يُستباح منه ما حرم الله .

وأما قوله : {ورحب فناء مُستزاد لضيفان} ؛ فالرحب : الواسع ؛

---

(١) سورة التغابن : ١٥ .　　(٢) سورة الكهف : ٤٦ .

تقول : منزل رحب ، أي : واسع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ (١) .

ومنه : إشتقاق قولهم : مرحباً وأهلاً وسهلا ؛ كأنه قال : أتيت مرحباً من الأرض ، أي : سعة ؛ قال طرفة بن العبد :

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجبس الندامى بضة المتجرد

والفناء (ممدود ومكسور) : هو ناحية الدار ؛ والفنا : حب شجر ، يُتخذ منه القراريط ؛ قال زهير :

كأن فتاة العين في كل منزل تركن به حب الفنا لم يحطم

والفناء (ممدود مفتوح الفاء) : هو الهلاك .

وقوله : { مُستزادٍ لضيفان } ؛ فمُستزاد : من الزيادة في الفضل ؛ وضد الزيادة : النُقصان ؛ فكأنه قال : أن لهذا المنزل زيادة في الفضاء ؛ والضيفان : جمع ضيف ؛ والضيف : واحد الأضياف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾ (٢) ؛ فالمُكرمين : أن الله (ﷻ) ، أكرمهم بطاعته ، حيث جبلهم عليها ، وهم الملائكة (عليهم السلام) .

وقيل : أن جبريل (عليه السلام) ، نزل معه إثنا عشر ملكاً ، ليُهلك قوم لوط (عليه السلام) ، فمروا بإبراهيم (عليه السلام) كالأضياف ، فأكرمهم ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ قوم منكرون ﴾ (٣) ، أي : أنكرهم لما سلموا ، لأن أهل ذلك الزمان ، لم يكونوا يُسلمون ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ فراغ إلى أهله ﴾ (٤) ، أي : رجع إلى أهله مخفياً لرجوعه ؛ وراوغته : إذا ختلته أو خاتلته : ﴿ فأوجس منهم

(١) سورة التوبة : ١١٨ .
(٢) سورة الذاريات : ٢٤ .
(٣) سورة الحجر : ٦٢ ؛ سورة الذاريات : ٢٥ .
(٤) سورة الذاريات : ٢٦ .

خيفة ﴾ [1] ؛ أو أوجس منهم خوفاً ، لم يأكلوا طعامه ، وظن أنهم لصوص ؛ وكان أهل ذلك الزمان ، إذا أكل أحدهم طعام صاحبه أمنه ، فعند ذلك : ﴿ قالوا لا تخف ﴾ [2] .

قال الحسن ، لما قال لهم : ﴿ ألا تأكلون ﴾ [3] ؛ قال له جبريل (عليه السلام) : إنا لا نأكل طعاماً بغير ثمن ؛ قال : فقال إبراهيم (عليه السلام) : قيمته عندي وعندكم موجود ؛ فقالوا : وما ذلك ؟ فقال : تسمون الله في أوله ، وتحمدونه في آخره ، فذلك ثمن طعامي ؛ ويُقال : أن جبريل (عليه السلام) ، ضحك إلى ميكائيل (عليه السلام) ، وقال لميكائيل : يحق لهذا ، أن يتخذه الله خليلاً ؛ قال الشاعر حجة على الضيف .

يا أيها الهارب من ضيفه وتارك الضيف على الضيف
قد جاءك الضيف بزاد له ارجع وكن ضيفاً على الضيف

والضيف : ضيف الضيف ؛ قال الشاعر :

إذا جاء ضيف جاء للضيف ضيفن فأدي بما يُقري الضيوف الضيافن

وتضيفت الشمس : إذا دنت ومالت للغروب ؛ وقد جاء النهي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " لا يُصلين أحدكم وقت ضيف الشمس للغروب " ؛ وأضفت الشيء إلى الشيء : إذا أضفته إليه ؛ وللملك امرئ القيس :

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا إلى كل حاري شديد مشطب

وقيل : الدُعاء مُضاف ؛ قيل لإبراهيم (عليه السلام) : بم إتخذك الله خليلاً ؟

---

(1) سورة الذاريات : ٢٨ .
(2) سورة هود : ٧٠ ؛ سورة الذاريات : ٢٨ .
(3) سورة الذاريات : ٢٧ .

قال (عليه السلام) : بثلاثة أشياء ، أحدها : ما خُيرت من أمرين ، إلاَّ إخترت الذي لله على الذي لغيره ؛ والثاني : ما إهتممت بالذي تكفل الله لي به ؛ والثالث : ما تغديت ، ولا تعشيت ، إلاَّ ومعي ضيف ؛ وقيل : إتخذه الله خليلاً ، لأنه أسلم نفسه للنيران ، وماله للضيفان ، وولده للقُربان ، وقلبه للرحمن .

ويُوجد : أن العجلة من الشيطان ، إلاَّ في خمس خصال : في قضاء الدَّين ، والتوبة من الذنب ، وتزويج البكر ، وتجهيز الميت ، وتقديم ما حضر للضيف .

قيل : من إمتنع في إتيان طعام الفقراء ، فقد أظهر الكبر ؛ قيل : أربعة أشياء لا ينبغي لشريف أن يأنف منهن ، وإن كان أميراً : قيامه لأبيه ، وخدمته للعَالِم ليأخذ من عِلمه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على فرسه ، ولو أن له مائة مملوك ؛ قيل : ضيف الكرام لا يكون إلاَّ مُكرماً ؛ وقال عَليّ بن أبي طالب : لأن أجمع نفراً من أصحابي ، على الصاع والصاعين ، أحب إليَّ من أن أدخل سوقكم هذه ، فعتق نسمة ؛ وقيل : أن كل بيت لا يدخله ضيف ، لا تدخله الملائكة .

بيت القصيدة :

ومنا الذي في الأرض بالخيل أوضعا وهدم أركان الملوك وزعزعا
وأغنى مُفيداً من أطاع وشيعا وكاد فأفنى من عصى وتمنعا
إذا شمته وأبنيه في دسته معا ترى أسداً حقاً جناحيه شبلان

الشرح :

فقوله : { ومنا الذي في الأرض بالخيل أوضعا } ؛ قد مضى تفسير البيت ، ما خلا أوضعا ؛ فأوضع : أسرع ؛ قال الله (تعالى) :

﴿ ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ﴾ (١) ، أي : أسرعوا .

وفي الحديث أن رسول الله (ﷺ) ، أوضع بعيره في وادي مُحسر ، أي : أحثه في السير ؛ وأوضع الرجل فرسه وبعيره : إذا حثه في السير ، وحمله على الإسراع ؛ قال أبو تمام :

يا موضع الشدنية الوجناء ومصارع الأدلاج والإسراء

وقوله : { وهدم أركان الملوك وزعزعا } ؛ فهدم : ضد بنى ؛ تقول : فلان يبني ، وآخر يهدم ؛ قال الشاعر :

أرى ألف بانٍ لا يقوم بهادمٍ فكيف ببان خلفه ألف هادم

وقال غيره :

متى يبلغ البُنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ورُكن الدار : جانبها ؛ ومنه : رُكن الكعبة ، ورُكن الحجر ، والرُكن اليماني .

وقالت العرب : شديد الرُكن ، إذا كان قوياً ، ذا عشيرة وأنصار ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قال لو أن لي بكم قوة أو أوي إلى رُكن شديد ﴾ (٢) ؛ ركن الرجل إلى شيء ، إذا مال إليه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (٣) ، أي : تميلوا إليهم وتحبوهم ؛ وزعزع ، معناه : حرك ، لأن الزعزعة : تحريك الريح الشجر ، وغيره ؛ قالت أم الحجاج ، وهي من أهل المدينة :

---

(١) سورة التوبة : ٤٧ .
(٢) سورة هود : ٨٠ .
(٣) سورة هود : ١١٣ .

تطاول هذا الليل واخضل جانبه | وغاب حبيب كنت ليلي ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره | لزعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدني | وأكرم بعلي أن ينال مراكبه
على أنني أخشى رقيباً مُوكلاً | بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
وأرقني طول التفكر أنني | عجبت لدهر لإنقضاء عجائبه
وبتُ إلهي غير بدع منعم | هضيم الحشا لا يحتويه مصاحبه

وتقول - إذا أمرت - : زع فلاناً ، أي : أردعه وأكففه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فهم يوزعون ﴾ (١) ، أي : يكفون .

وفي بعض القول : لابُد للناس من وزعة ؛ قال النابغة :

تعصي الإله وأنت تظهر حُبه | هذا لعمرك في المقال بديع
لو كُنت تصدق حُبه لأطعته | إن المُحب لمن يحب مُطيع

قال الله (تعالى) : ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٢) .

وقيل : من أحب الجنة ، فقد أحب الطاعة ، وأبغض المعصية ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ﴾ (٣) ، أي : زينت له نفسه ؛ وتشيعاً ، والتشيع : التوديع ؛ قال الشاعر :

ارجع فحسبك ما تبعت رجالنا | إن المشيع لا محالة يرجع

وإن كان أراد : شايع ؛ فشايع : مأخوذ من الإتباع .

وقولهم : شايعك ، أي : تبعك أنك ، لعله : مأخوذ من الشيعة : وهم العشيرة .

---

(١) سورة النمل : ١٧ ، ٨٣ ؛ سورة فصلت : ١٩ .
(٢) سورة النساء : ٨٠ .
(٣) سورة المائدة : ٣٠ .

وقوله : { وكاد } ؛ وكاد : من الكيد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فيكيدوا لك كيداً ﴾ (١) ، معناه : يعملون عملاً فيه الهلاك ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وكذلك كدنا ليوسف ﴾ (٢) ؛ وكاد : في غير هذا المعنى : قارب ودنا ؛ قال الشاعر :

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحكيم إذا ما جاء يستلم

وقال النابغة :

ومخصب رخص كأن بنانه غيم يكاد من اللطافة يفقد

وقال الله (ﷻ) : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ (٣) ؛ قال الفرزدق :

فإني أقمت اليوم والأمس قبله ببابك حتى كادت الشمس تغرب

كل هذا ، بمعنى : قارب ؛ ويكون بمعنى : لم يكن ؛ كقوله (ﷻ) : ﴿ إذا أخرج يداه لم يكد يراها ﴾ (٤) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ (٥) .

وقال رسول الله (ﷺ) : " كاد الفقر أن يكون كُفراً ، كاد العروس أن يكون ملكاً " ؛ قال الأصمعي :

كادت الشمس أن تفيض عليه إذا نوى حشو ربطة وبرود

وقوله : { وكاد فأفنى } ؛ فأفنى ، يعني : أهلك ؛ والفناء : الهلاك .

وقوله : { من عصى وتمنعا } ؛ قال : العصيان : ضد الطاعة ؛

---

(١) سورة يوسف : ٥ .
(٢) سورة يوسف : ٧٦ .
(٣) سورة البقرة : ٢٠ .
(٤) سورة النور : ٤٠ .
(٥) سورة البقرة : ٧١ .

قال الله (ﷻ) : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ [1] ؛ قال الشاعر :

أتضمن لي فتى ترك المعاصي فأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوماً فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي

وقوله : { تمنعا } ، أي : لم يعط القياد والطاعة للملوك ، وامتنع من كل ملك في زمانه .

وفي الحديث : عن أبي بكر الصديق (ﷺ) : لو منعوني عقال بعير ، لقاتلتهم عليه ؛ ولم يرد بالعقال ها هنا عقال الناقة ، وإنما أراد الصدقة ، لأن الإبل تسمى عقلاً ؛ وتسمى الدية أيضاً : عقلا ؛ وأعقلت عن فلان ، إذا رفعت عنه الدية ؛ قال الشاعر :

ومن منح الجهال عِلماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقوله : { إذا شمته وابنيه في دسته معاً } ؛ شمت ، يعني : أبصرت ؛ وللملك امرئ القيس :

يشيم بروق المزن أين مصابها ولا شيء يشفي منك يابنة عفررا

يشيم ، يعني : يبصر البرق ؛ وله أيضاً :

على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره أعلى الستار فيذبل

شمت ، أي : أبصرت ؛ قال الأعشى :

.... شموا وكيف يشيم الشارب الثمل

---

(١) سورة طـه : ١٢١ ـ ١٢٢ .

وقوله : { إذا شمته وابنيه في دسته معاً } ، أي : مجلسه .

وقولـه : { تـرى أسـداً حقـاً جناحيـه شـبلان } ؛ الأسـد ؛ قـال الحريري :

فاعمـل بمـا مثلتـه عمل اللبيب أخي الرشد
حتـى يـقول النـاس هـذا الشـبـل مـن ذاك الأسـد

فالأسد : معروف ؛ والتثنية : جناحاه ؛ الجناب : ناحية الشيء ؛ قال :

فطـال مـا سمـع الخـلائـق قـبـل ذلـك جـنـاب

إعلم : أن هذا الممدوح ، هو : تبع الأكبر ، وقد كان قبله وبعده ، تبابعة كثيرة ، وأخذوا الملوك كابراً عن كابر ، وهو أفضل التبابعة ، وهو : شمر بن يرعش ، وكانت جميع العرب له شاكرين ، وكان أعقل من عُرف من الملوك ، وأعلاهم همة ، وأبعدهم غوراً ، وكان عادلاً ، وإبناه ، فهما : عمرو الأقرن ، والآخر : تبع ضيفي ، وهما : إبنا شمر بن يرعش .

ويُروى : يرعش ، لأنه كانت به رعشة ، من علة أصابته ؛ وهم التبابعة ، الذين قال الله (ﷻ) عنهم ، في مُحكم كِتابه : ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ [1] ؛ وكفى بهذا التنزيل فخراً لمُفتخر في العاجلة ، فليس لمُرتاد فخر عليهم حجة ولا مفخراً ؛ فخرج شمر بن يرعش هذا ، في عساكر لم تجتمع لأحد قبله من التبابعة ، حتى نزل المشلل ، وخلف ابنه : عمرو الأقرن ، في مائة ألف بالمشلل ؛ وخلف ابنه : تبع ضيفي ، في مائة ألف بعُمان ، ثم سار هو ونزل العراق بجميع فارس ، وبني يافث ، وقصد الجزيرة ، وأخذ يُريد أرمينية ؛ فلما بلغ قياد بن شهربان ، سير تبع إلى

(١) سورة الدخان : ٣٧ .

أرمينية ، سار بمن معه إلى فارس ، وفرعان ، والصعد ، والربط ، يُريد العراق ، فلقيه عمرو الأقرن بن شمر بن يرعش بالمشلل ، في مائة ألف ، فاقتتلوا أياماً ؛ وبعث عمرو الأقرن إلى أخيه : تبع ضيفي ، فأتاه من عُمان في مائة ألف ، ونفر إليه المخفون من اليمن ، فلما دنوا من عسكر عمرو الأقرن ، فهرب قياد بن شهربان ومن معه ، حتى صار إلى القصر الأبيض ، من جبال خُراسان ، وتحصن في رؤوس الجبال ، فبعث عمرو الأقرن ، وتبع ضيفي ، إلى أبيهما ، يُعلماه بما كان من أمر قياد بن شهربان .

قال : ثم أن شمر بن يرعش نزل نهاوند ، جميع ما خزنه من الأرض [1] ، فسمتها بنو فارس : سمركند (بلسان الفارسي) ، وسمتها العرب : سمرقند (بالعربية) ، وهو إسمها إلى اليوم .

وقيل : أن تبع ضيفي هذا ، كان قريباً من سُليمان بن داوود (عليهما السلام) ؛ وسار تبع ضيفي حتى بلغ إلى شمر بن يرعش ، حتى بلغ دنيور ، ونهاوند ، واستجار .

وقيل : من أثاب من بني يافث ، وهم الربط والكر ، والعصد الجزر ، وسبى النساء ، حتى بلغ أرض فارس ، وأرض خراسان ، وبلغ الشام إلى أرض بابليون ، وإلى أرض الحبشة ، فقاتل بالحبشة قِتلاً ذريعاً ، وغلب عليها ، وهرب وسلم منهم إلى جناب الأرض ، وهربوا إلى البحر المُحيط ، وتبعهم تبع ضيفي ، يقتل ويأسر ، فأرسل الله ريحاً سوداء ، حالت بينه وبين القوم ، فرجع عند ذلك تبع قافلاً إلى المشرق ، فمر بمدينة شداد بن عاد ، وهي على البحر ، فأقام بها خمسة أعوام ، ثم رجع إلى أرض بابل ، ومر بالشام ، ثم عبر على الفرات ، ودجلة ، ثم رجع

---

(١) هكذا في الأصل .

يُريد عُمان ، فوصل ، ودخل قصرها قافلاً ، وقد دانت له ملوك الأرض جميعاً ونواحيها ، وقر بمكانه ذلك ، حتى كان في بعض أيامه ، إذ رأى رُؤيا هائلة ، فقال : حق لمثلي أن لا يُؤخذ بكظمه لاهياً ، وذلك أن الملك رأى في منامه ، كأن آتٍ أتاه ، فقال : أيها الرجل المسئول في عُنفوان شبيبته دولة قاهرة للأمة ، حتى أنار مصباحها ، وأظهر صلاحها ، واستحكم أساسها ؛ قال الشاعر :

لا تأمنن الدهر في صرفه   فعادة الدهر إغتيال الكرام
إنك من عمرو له مدة   تخت مليك مسرع الإنتقام

قال : فانتبه الملك ، فقام مُفكراً ، فلما أصبح ، قال : إنها دُنيا غدارة ، المغرور من إغتر بك ، والخاسر من ركن إليك ، موردك عند العاقل معيوف ، وعند القن معروف ، أنت أتيت بينابيع المهج ، والمهتطرايف الثج والعج ، وأنرت كراديس المنابر ، كابر عن كابر ، حتى استحكمت عساكرها ، وعرفت طرائقها ، وشهر فضل فاضلها ، فأوجعت برحلة الكرام ، التو الترحال ، وأحلت حال من حال إلى حال ، فلعذرك أصبح كل أبنائك خبط ، عشوٍ ببطن ترابك ، رفضوك رجالاً جُلد على ريب زمانهم ، صبروا وشمروا مُجدين ، وأقاموا مُجتهدين ، ولحقوا بالله موحدين ، عرفوا غدرك ، فعصوا أمرك ، وأضرجوا والله بالدماء من فرح مناسمك ، وقطعوا بالكفاف نياط مراهشك ، فألقوك كالجيفة المنبوذة لسباعها ، فطوبى لمن إستن فيك سُنتهم ، وسلك مناهجهم ؛ قال الشاعر :

الله حسبي ما بدا كوكب   وهمهم الرعد ولاح الصباح

ثم أمر الملك ، باحضار خاصته من أهل مملكته ، وقال : أحضروا إليَّ ممن يشتمل الرأي ، من ذوي الأحضار ، فأجابوا مُسرعين ، ونهضوا

مُبادرين ، حتى حضر بين يديه جميع من طلب إحضاره ، فقال لهم : اركبوا إلى جماهير العرب ، وملوك حمير ، واستحضرهم .

قال : فتحصنت أهل مملكته ، حتى جمعت جميع حمير .

قال : فأمر لهم بالجوائز السنية ، والثياب الفاخرة القطنية ، حتى عم نداه جُملة من إستدعاه ، ثم أحضرهم عند إستفراغ أعطياتهم ، فلما اجتمعوا بين يديه ، إلتفت إليهم ، وقال : أيها الناس ، إسمعوا وعوا ، إن الله جعل الدنيا محكة وإختبار العبادة ، فمن طلب غير الموجود ، ونازعته نفسه للخلود ، وصارعه القدر فصرعه ، فالحذر الحذر عباد الله ، الحذر الحذر ، ونحن أحق ممن وعظ واعتبر ، ومن جرى إلى غاية قطع مداها ، وقد رأيت رؤيا ، إذا كان لابُد مما هو كائن ، بأن ابني : تبع ضيفي ، هو الولي من بعدي ، وإن رأيتم خيراً منه فهو لكم .

قال : ثم أن شمر بن يرعش ، أقام أياماً ومات ، وكان ابنه من بعده ؛ ويُقال : أنه عمر ألف سنة وستين سنة ؛ والله أعلم .

بيت القصيدة :

لبأسهم تعنوا الملوك الجبابر ... وتنحط عن مرقى العلو الأكابر

وتفرق منهم في الديار العشائر ... لهم سير مثل الشموس زواهر

تتيه بها الدنيا وتزهو المنابر ... قد إنتشرت في كل طرس وديوان

الشرح :

قوله : { لبأسهم تعنوا الملوك الجبابر } ؛ البأس : معروف : وهو الحرب ؛ وتعنوا ، أي : تستأسر ؛ والعاني : الأسير ؛ قال الله

(ﷻ) : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ (١) ؛

قال صاحب " المقامات " : مطلع بتخليص المعاني ، ومطلع إلى تخليص عاني ؛ والملوك : جمع ملك ؛ والجبابر : جمع جبار ؛ والجبار : هو الله (ﷻ) ؛ قال الله (ﷻ) في مُحكم كِتابه : ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ (٢) ؛ وهو الله الذي قهر خلقه ، ولا يملكون له أمراً ، فله العظمة ، وكل خلقه تحت يده ، وأمره ، ونهيه ؛ والجبار من بني آدم : العاتي على ربه ، القتال لرعيته ، الجبار من الناس ، العظيم من نفسه ، الذي لا يقبل مشورة مُشير ، ولا عِظة واعظ .

يُوجد : أن امرأة وُعِظت ، فلم تقبل ، فقال النبي (ﷺ) : " دعوها فإنها جبارة " ؛ والجبار ـ أصله في كلام العرب ـ : ما طال من النخل ؛ وكان .... (٣) اليد ، وامتنع من التناول غير سحوق ، سُميت : جبارة ؛ فيُسمى الملك جباراً : إذا إحتجب ، وإمتنع ، وظلم ، ولم يصل أحد من الظلامة إليه ، ولم يقدر أحد أن يُكلمه مهابة ، ومخافة على أنفسهم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قالوا يا مُوسَى إن فيها قوماً جبارين ﴾ (٤) ؛ قيل : أنهم قوم عاد .

وفي الحديث : " أن طرس الكافر كجبل أحد في النار ، وأن كثافة جلده وغلظه أربعون ذراعاً ، بذراع الجبار " ؛ قال قتيبه بن .... (٥) : الجبار ها هُنا ، ملك من ملوك العجم ، كان تام الذراع ، نسب الذراع إليه ؛ وقيل : ويل لجبار الأرض ، من جبار السماء ؛ وسُميَّ القلب : جباراً ، إذا دخله الكِبر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب مُتكبر جبار ﴾ (٦) ؛ وقال : كل فقير عاتي ، فهو يُحشر مع الجبابرة يوم القيامة ؛

---

(١) سورة طـــه : ١١١ .
(٢) سورة الحشر : ٢٣ .
(٣) هكذا ، بياض في الأصل .
(٤) سورة المائدة : ٢٢ .
(٥) يُوجد إضطراب في العبارة بالأصل .
(٦) سورة غافـر : ٣٥ .

والتجبير : التعظيم ؛ قال النبي (ﷺ) : " ما قرب عبد من سُلطان جبار ، إلاّ تباعد من الله " ؛ وقيل : أبعد الناس من الله (ﷻ) : الجبابرة ، وأقرب الناس إلى الله يوم القيامة : المتواضعون ؛ وقال النبي (ﷺ) : " أن الناس تطأ يوم القيامة الجبابرة ذلاً لهم ، وأنهم يُحشرون في صورة الفراش " ؛ والفراش : معروف ؛ وقيل : فلان أحمق من فراشة ، لأنها تطير وتطرح نفسها في النار ؛ وكذلك الظالم يعصي الله ، فيحرق نفسه بالنار ؛ ومن ـّدر على أن يدنو من السُلطان الجائر ، فليفعل النظر إلى وجه الظالم ، خطبة مكتوبة .

قال مالك بن دينار : من تحسى مرقة السُلطان الجائر ، إحترقت شفتاه بالنار ، ولو بعد حين ؛ وقال النبي (ﷺ) : " ما من أمير على عشرة ، إلاّ ويجيء يوم القيامة ، إلاّ ويده مغلولة إلى عُنقه ، حتى يكون عمله عند الذي يُوثقه ، أو يُطلقه " ؛ وقيل : ليس للجائر جار ، ولا تُعمر له دار .

وأما قوله : { وتنحط عن مرقى العلو الأكابر} ؛ فتنحط ، يعني : تنحدر ؛ والحط : الحدر ؛ وللملك امرئ القيس :

مكرٍ مفرٍ مُقبل مُدبرٍ معاً   كجلمود صخرٍ حطهُ السيلُ من عل

والحط : وضع الأثقال والأحمال عن الدواب ؛ قيل : أن بني إسرائيل ، قيل لهم : ﴿ وقولوا حطة ﴾ (١) ؛ وإنما قيل لهم : ليستحطوا بهذه الكلمة أوزارهم ، فيحط عنهم أوزارهم ؛ وقيل : أنها كلمة غير عربية ، معناها بالعربية : لا إله إلاّ الله ، فكرهوا أن يقولوها ، فقالوا : حطا شمقايا ، أي : حنطة حمراء ؛ قال الشاعر :

أحطط إلهي بعفو منك أوزاري   ....

---

(١) سورة البقرة : ٥٨ ؛ سورة الأعراف : ١٦١ .

وقولـه : { عن مرقـى } ؛ فـالمرقى : هـو السـلم الـذي يرقـى فيـه ؛ تقـول : رقـات فـي السـلم مرقـى ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ أو ترقـى فـي السمـاء ولـن نـؤمن لرقيك ﴾ [1] ؛ والأكـابر : الملوك المُتكبرون ؛ والعرب تقـول : ورثـنـا المجـد كـابراً عن كـابر ، أي : كبيـر عن كبيـر ، فـي الشـرف ؛ قـال الشـاعر :

فـأنتم وقـوف تعملـون برأينـا ... إذا مـا دفعنـا عنكـم مـن ورائنـا
توابـع للسـادات مـن كُبرائنـا ... وخـرجكم يجبـى إلـى أمرائنـا
وقـال لكـم مـن بيعنـا وشرائنـا ... فمـا لكـم عنـد الفخـار ثوابـان

وقوله : { وتفرق منهم في الديار العشائر} ؛ تفرق : من الفرق : وهو الخوف ؛ والعشائر : جمع عشيرة ؛ وعشيرة الرجل : قومه .

قـال الله (ﷻ) : ﴿ وأنـذر عشـيرتك الأقـربين ﴾ [2] ؛ فلمـا نزلـت هذه الآيـة ؛ قـال النبـي (ﷺ) : " أرسلت إلـى النـاس كافـة ، وأرسـلت إليكم يـا بني هاشم ، وبني عبد المطلب ، خاصـة " ؛ والأقربـون : وهمـا الإخـوان ، أبنـاء عبد منـاف .

قيـل : أن النبـي (ﷺ) ، دعـاهم إلـى فخـذ شـاة ، وقعـب لـبن ، وكـانوا ثلاثـين رجُلاً ، كـل رجـل مـنهم يأكـل الجذعـة مـن الإبـل ، فـأكلوا وشـربوا ، وأنذرهم رسول الله (ﷺ) ، وحـذرهم النـار ، وهـم : الشـعوب ، والقبـائل ، والعمـائر ، والبطون ، والأفخاذ ، والفصائل ؛ الحجة .

قــال الله (ﷻ) فــي كِتابــه : ﴿ وجعلنــاكم شـعوباً وقبـائـل ﴾ [3] ؛ وقــال (ﷻ) : ﴿ وفصيلته التي تؤويه ﴾ [4] ؛ وقيل : سُموا شعوباً : حين تفرقوا

---

(1) سورة الإسراء : ٩٣ .
(2) سورة الشعراء : ٢١٤ .
(3) سورة الحجرات : ١٣ .
(4) سورة المعارج : ١٣ .

من إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) ؛ ومن قحطان بن هود ؛ وسموا قبائل : حين تقابلوا ، ونظر بعضهم إلى بعض ؛ وأما العمائر : فسموا بهذا الإسم ، حيث كانوا عُمار الأرض .

ويُقال : أن العمائر قبيلة عظيمة ؛ وسموا البطون : حيث نزلوا بطون الأودية ؛ ثم الأفخاذ ، وهم أصغر من البطون ، ثم الفصائل ، وهم أحياء إنفصلت من الأفخاذ ، ثم العشائر ، وهم كل بني أب ، ضم بعضهم إلى بعض ، وهم أدنى ما يُنسب إليه الرجل ، وليس بعد هذه العشيرة حي يُوصف .

وقوله : { لهم سيرٌ } ؛ فالسير : جمع سيرة ؛ وسيرة الرجل : فعله الذي يُنسب إليه ، من فعل حسن أو قبيح ؛ تقول : فلان محمود السيرة ؛ وفلان مذموم السيرة .

ومن ذلك : نعم سيرة العُمرين ، يعنون بذلك : أبا بكر الصديق ، وعُمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ؛ وفلان يقفو سيرة فلان ، ويعمل بها ، إذا كان يعمل مثل عمله ؛ وكذلك قولهم : سيرة فلان ، سيرة العدل مُطلق .

وأما قوله : { مثل الشموس } ؛ الشموس : جمع شمس : وهي معروفة ؛ والزواهر : المُضيئة ، وهي لغة للشموس .

وأما قوله : { تتيه بها الدنيا } ؛ تتيه : من قولك : تاه الرجل ، يتيه ، تيهاً (بكسر التاء) : وهو من الكِبر ؛ وتاه ، يتيه ، تيها (بفتح التاء) : من الحيرة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يتيهون في الأرض ﴾ (١) ؛ متيه ، وتيهاء ؛ قال الشاعر :

وقرن هم كانوا الملوك هديتهم بتيهاء لم يبدو بها ضوء كوكب

(١) سورة المائدة : ٢٦ .

وقال غيره :

أما السلو فلست أطمع فيه فعلام تعذلني العواذل فيه
قمر لو أبصره ابن مريم لادعى فيه الذي قال النصارى فيه
ولو إهتدى موسى بضوء جبينه ما كان ألقى نفسه في التيه

وقوله : { وتزهو المنابر } ؛ تزهو : تتيه ، وتتكبر ، وتتعظم ، ويفخر على غيره ؛ كما قيل : رجل مزهو ، أي : مُتكبر ، مُعجب بنفسه ؛ والزهو : من الكِبر والعظمة ؛ رُوي عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، أنها قالت : أن لنا حُلي ، فتُستعار للعرائس ، وفلانة تزهى إذا لبسته ؛ ومنه : الريح تزهي النبات ، إذا هزته ؛ والسراب تزهي القوم السفر ، أي : ترفعهم وتحثهم للسير ؛ والأمواج تزهي السفينة ، أي : ترفعها ؛ قال الشاعر :

يظل الآل يرفع جانبيها وتزهاها لهم حالاً فحالا

والزهو : السرور ؛ وزها النبت زهره ونوره ؛ وزها التمر ، إذا بدا لصلاحه صُفرة وحُمرة ؛ وأزهيت فلاناً ، إذا تهاونت به ؛ قال الشاعر :

تفجعني قتادة وأزدهاني بها والدهر متسع العياني

والمنابر : جمع منبر : وهو من خشب : يرقى عليه الخطيب ، وهو معروف ؛ وسُميَّ منبراً : لإرتفاعه ، إتخذ من النبر ؛ وفي الحديث : أن رجُلاً قال للنبي (ﷺ) : أيا نبيء ، الله (بالهمز) ؛ فقال (ﷺ) : " لا تنبر باسمي ، وإنما أنا نبي (بلا همز) " ؛ مأخوذ من النبوة : وهو الإرتفاع ؛ ويحتمل أن يكون سُميَّ نبياً : لبيان أمره ، ووضوح خبره ، أخذ من النبي ، وهو عند العرب : الطريق الواضح ؛ قال القطامي :

لما وردن نبياً واستتب بنا مسحنفر كخطوط النسج منسحل

وقال غيره :

أصبح رتماً دقيق الثرى مكان النبي من الكاثب

وقال غيره : مأخوذ من النبأ : وهو الخبر ، يُخبر عن الله (عَزَّوَجَلَّ) .

وأما قوله : { قد إنتشرت في كل طرس وديوان } ؛ إنتشرت ، أي : فشت ، وتطايرت في أسماع الناس ؛ قال الله (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) : ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

فأركب في الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

الخيفانة : الفرس الطويل ؛ والسعف المُنتشر ، يعني بذلك : ناصيتها ؛ يُشبهها بسعف النخل .

وأما قوله : { طرس وديوان } ؛ فالطرس : الكِتاب ؛ وجمعه : طروس .

وفي كِتاب : " العين " : أن الطرس : الكِتاب الممحو ؛ والديوان : الكِتاب ؛ والديوان : ما يُجعل للجُند ، فسُميَ الكِتاب : ديواناً لذلك .

وقيل : أن يوماً فيه يُوضع الدواوين ، وتنشر الدواوين ، يُعطى كل ذي قسط قسطه ، إلاّ أصحاب البلاء ، الصابرين عليه ، الشاكرين فيه ، فإن الأجر يصُب عليهم صباً ؛ قال الله (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) : ﴿ إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (٢) ؛ وفي الحديث : " كما تدين تُدان " ، أي : كما تفعل ، يُفعل معك ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة القمر : ٧ .
(٢) سورة الزمر : ١٠ .

واعلم بأنك ميت ومُحاسب واعلم بأن كما تدين تدان

والله (عز وجل) ، المُجازي ، و ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [1] ، أي : يوم الجزاء والطاعة .

بيت القصيدة :

ومنا الفتى الضحاك أكرم به ملكاً أراق دما الأعداء عن غلب فتكا
وروى بقيع الأرض إذ طلها سفكاً وأوردهم من بأسه منزلاً ضنكا
وشردهم في كل ناحيةٍ هلكاً فاضحوا وهم أيدي سبا بين غيطان

الشرح :

قوله : { منا الفتى الضحاك أكرم به ملكاً } ؛ فأصل [منا] : مننا ، فأدغمت (النون) في (النون) ، فبقيت (نون) ، فقالوا : فلاناً منا ؛ وأما الفتى : واحد الفتيان ؛ والفتى : الشاب ؛ قال الشاعر :

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب المسرة والفتاء

ومن فتأه لذِكر ذاك ، أي : مازلت أذكره ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قالوا تالله تفتؤا تذكر يُوسف ﴾ [2] ، أي : لاتزال تذكره .

وقيل : أن الضحاك بن قيس بن الأهيوب بن الأزد ، هو من الملوك ، وكان من حديثه : أنه سار من أرض اليمن إلى أرض فارس ، فملك فارس ، وأقام ثلاثمائة سنة ، واشتد مُلكه ، وعظم أمره وسُلطانه ، وعتا في مُلكه ، فأنشأ الله له حيتين بين كتفيه ، مالان من رأسه ؛ وللسيد حسان بن ثابت الأنصاري :

---

(١) سورة الفاتحة : ٤ . (٢) سورة يوسف : ٨٥ .

أبلغا عني قريشاً كلها ما خلا أحمد مصباح الظلم
أننا في أول الدهر وفي آخر الدهر لأرباب القدم
ملك الضحاك منا حُقبة عرب الأرض جميعاً والعجم

وقال الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله) :

أما في القارضين لنا إعتبار وموعظة وفي ذي الحيتين

القارضان : رجُلان ، خرجا يجنيان القرض ، فلما لم يرجعا ، ضُرب بهما المثل ، لكل من خرج ولم يرجع ؛ قال أبو ذؤيب :

وحتى يؤوب القارضان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

وهذا ما لا يكون ، لأنك إذا قلت : لا آتيك حتى يؤوب القارضان ، فكأنك قلت : لا آتيك أبداً ؛ وأما ذو الحيتين : فإنه الضحاك بن قيس ؛ وقيل : الضحاك بن مالك .

وقوله : وكان كثير المقام ببابل ، وكان له إبنان ، أحدهما : سريفور ، ويُقال : أنه ملك الأقاليم كلها ؛ وقيل : هو الضحاك بن علوان بن عُبيد بن عويج ، وأنه أول الفراعنة ، وأنه أول من سن القتل ، والصلب ، وأنواع البلاء ؛ ولقوا الناس منه كل جهد ؛ وقيل : أن بالحيتين اللتين كانتا في منكبيه ، كانتا سعلاتين طويلتين ، كل واحدة منهما رأسها كرأس الحية ، وكان يسترهما بالثياب ، ويقول للناس : أنهما حيتان يقتضيان منه الطعام من عتوه ، وكانتا تتحركان تحت ثيابه إذا جاعتا ، كما يتحرك العضو من الإنسان ، عند إلتهامه من الجوع والغضب ، ولا يسكنان إلاَّ يُطعما دماغ صبيين في كل يوم ؛ ويُقال : أن الناس لقوا منه جهداً شديداً .

قال : ثم أن وجوه الأرض كاتب بعضهم بعضاً وتراسلوا ، في الوفود

عليه ، ثم اجتمعوا ، فصارت إليه العظماء من أهل الأمصار يستعطفونه ، فابدتموا للخطاب [1] كأبي الأصفهاني ، فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فلما وصلوا إليه ، قالوا : أيها الملك ، بأي السلام نسلم عليك ، بسلام من يملك الأقاليم كلها ، أم بسلام من يملك الإقليم الواحد ؟ فقال الضحاك : بل بسلام من يملك الأقاليم كلها ، وقد علمتم أيها الوفد ، أنه لم يمتنع عليَّ إقليم ، فكيف هذا ؟

قال : فقال الأصفهاني : إذا كنت ملك الأرض كلها ، وكانت يداك تنالها أجمع ، فما لنا قد أخصصتنا بتحاملك ، ومؤونتك ، وإثباتك من بين أهل الأرض .

قال : ثم عدد لهم أشياء من جوره ، كان يخفيها عنه ؛ قال : ثم جرد له الصدق ، والقول في ذلك ، فانجزل لحجته وأمسك ، ثم إنقطع عن الكلام ، ثم أمر برفع الإساءة عنهم ، ثم تألف القوم وواعدهم الإحسان ، وأفرغ عليهم من الأموال ، وأمرهم بالإنصراف .

فيُقال : أن أمه بعد ما إنصرف القوم عنه ، دخلت عليه ، وكانت عاتية شريرة مُسلطة ، ثم قالت له : أيها الملك ، لقد كنت بالقرب منك ، وسمعت مقالة القوم ، وتقرعهم إياك ، وجراءتهم عليك ، فهلا دمرت عليهم ، وأضعفت قوتهم ، وقطعت أيديهم .

قال : وأكثرت عليه الكلام ، فقال لها مع عتوه وشره : يا هذه ، إنك لم تذكري شيئاً إلاّ وقد سبقتك إليه ، وقد هممت بشيء من ذلك ، ولكن القوم بدأوني بالحق ، وقرعوني به ، وأفلجوا حجتي ، فلما هممت بالسطوة عليهم ، تخيل لي الحق ، ومثل بيني وبينهم بمنزلة الجبل ، فلم يمكني إلاّ ما قد صنعت ، ثم سكن أمه وردها ، ثم أوفى القوم بما عاهدهم عليه ،

---

(١) هكذا في الأصل ، وهناك إضطراب ، ولعله : فابتدأوا للخطاب لأبي الأصفهاني ؛ والله أعلم .

وفعل عندهم كل خير .

وقيل : أن عُمره كان ألف سنة ، وستمائة سنة ملك فيها ، وأربعمائة شيبوبيته .

وقيل : أن عُمره ألفا سنة ، ألف في مُلكه ، وألف في شيبوبيته ، والإختلاف في الأخبار كثير ، وبالله التوفيق ؛ وقال فيه بعض الشُعراء :

يغدوا شجاعين له الأنيس أصلاً ومُعتدا
في ظهره لحم ترهبه الجن لدى صولته ويسجد الأبطال عند المُلتقا

وأما قوله : { أكرم به ملكاً } ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ [1] ؛ معناه : أكرم به من ملك : مدحاً له .

وأما قوله : { أراق دما الأعداء عن غلب فتكا } ؛ فأراق ، معناه : صب وسكب : وهو فعل ماض ؛ قال غيره :

أراق دمي عمداً بصارم طرفه وأسهر طرفي لا بصارم كفه

وقال غيره :

وشادن قلت له هل لك في المُنادمه
فقال لي كم عاشق أرقت في المُنادمه

والدم : معروف : وهو مُحرم ، أكله وشرابه ، بناطق الكِتاب ، في قوله (ﷻ) : ﴿ إلاَ أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ [3] ؛ ولم يحل

---

(١) سورة مريم : ٣٨ .
(٢) سورة الأنعام : ١٤٥ .
(٣) سورة المائدة : ٣ .

من الدم ، إلاّ ما أحلته السُنة ، لقول رسول الله (ﷺ) : " أحل لنا ميتتان ودمان " ؛ قيل : وما هما يا رسول الله ؟ قال (ﷺ) : " الميتتان : السمك والجراد ؛ والدمان : الكبد والطحال " ؛ وقيل : للرجُل دم واحد ، وهو دم نفسه ؛ وللمرأة أربعة دماء : دم نفسها ، ودم نفاسها ، ودم حيضها ، ودم إستحاضتها ؛ وقيل : الدودم وهو دواء ؛ وبعض يقول : دمدم ؛ ويُقال : أنه دم الأخوين ؛ ويُقال : والدمامة (بالدال غير مُعجمة) : في الخلق ؛ والدمامة (بالذال مُعجمة) : في الخلق ؛ تقول : رجل دميم في خلقه ؛ وفيه دمامة ؛ وذميم في خلقه وفعله ؛ والأعداء : جمع عدو ؛ والعرب تقول : هو عدوي ؛ وهما عدواي ؛ وهم عدوي : بلفظ واحد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وهم لكم عدو ﴾ [1] ؛ قال النابغة الجعدي :

إذا أنا لم أنفع عدوي بوده ... فإن عدوي لا يضرهم بُغضي

يعنى : أعداني ؛ تقول في جمع العدا : أعداء ، وعداة ؛ لأنهم يضمون (العين مع الهاء) ، ويكسرونها مع عدم (الهاء) ؛ قال الشاعر :

إذا كنت من قوم عدا لك منهم ... فكل ما علقت من خبيث وطيب

وقال الشاعر :

معاذة وجه الله أن أشمت العدا ... بليلى وإن لم تجزني ما أدينها

وجمع العدو : أعداء ؛ وجمع الأعداء : أعادي : وهو جمع الجمع ؛ والعداة : هو مُشتق من قوله : عدا فلان على فلان بالظلم والمكروه ، يعدو ، عدواً ، وعدواناً .

وقوله : { عن غلب فتكا } ؛ الغلبة : من قوله (ﷻ) : ﴿ الم *

(١) سورة الكهف : ٥٠ .

غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ (١) ؛ والغلبة : القهر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأن جُندنا لهم الغالبون ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ والله غالب على أمره ﴾ (٣) ؛ وغالب : إسم رجل ، وهو : غالب بن فهم بن مالك ؛ قال الشاعر :

وإني امرؤ في عز غسان تلتقي   عليَّ فروع من لؤي بن غالب

وقوله (ﷻ) : ﴿ وحدائق غلبا ﴾ (٤) ؛ فالغلب : المُلتفة الغلاظ ؛ ويُقال : عنق أغلب ، أي : غليظ ؛ قال الشاعر :

غلابة عُنق الليث من أجل أنه   إذا رام أمراً قام فيه بنفسه

وقوله : { عن غلب فتكا } ؛ فالفتك : في كلام العرب : أن يقتل الرجل الرجل ، غاراً له خادعاً ، فصار كل من هجم على أمر عظيم فاتكاً ؛ قال خوات بن جبير - صاحب ذات النحيين - شِعراً :

فشدت على النحيين كفاً شحيحة   على سمنها والفتك من فعلاتي

والفتك : الذي يركب أمراً ، يدعوه إليه نفسه ، من الجنايات وغيرها ؛ والفتك : أن يهم المرء بأمر فيركبه ، وإن كان قتلاً ؛ كما رُوي عن الحارث بن ظالم ، أنه سأله ابن أخيه عن الفتك ؛ فقال له : يا عم ، ما الفتك ؟ فقال : الفتك : أن تهم بأمر تفعله ، ولا تخشى فيه لومة لائم ؛ فكرر عليه ، فقال : ناولني السيف ، فناوله سيفه ، فضربه ، فقال : هذا هو الفتك ؛ وقال :

---

(١) سورة الروم : ١ – ٤ .
(٢) سورة الصافات : ١٧٣ .
(٣) سورة يوسف : ٢١ .
(٤) سورة عبس : ٣٠ .

وما الفتك إلاّ أن تهم وتفعلا ....

وقال الشاعر :

وما الفتك ما شاورت فيه ولا الذي   تحدث ما لاقيت ما أنت فاعله

ومنه : الحديث عن النبي (ﷺ) ، أنه قال : " الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك مُؤمن " .

وأما قوله : { وروى بقيع الأرض إذ طلها سفكاً } ؛ فقد تقدم تفسير بعض المصراع ؛ وأما طلها : مأخوذ من قولك : أرض مطلولة ، أي : أصابها طل : وهو المطر الخفيف ؛ والوابل : المطر الجود ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ [1] ؛ قال الشاعر :

كأن قصير البان في وكناتها   على منكبي والمنتنين قطير طل

وقوله : { سفكاً } : منصوب : من قولك : سفك ، يسفك ، سفكاً ؛ والفاعل : سافك ؛ والدم : مسفوك ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ [2] ؛ ولا يكون السفك إلاّ حراماً ؛ قال الشاعر :

أيام فيك شموساً ما إنبعثن لنا   إلاّ إنبعثن دماً باللحظ مسفوكا

وقوله : { إذ طلها سفكاً } ؛ فالدم المطلول : الذي لا يُطلب فيه ؛ قال :

إن بالشعب الذي حيث سلع [3]   لقتيلاً دمه ما يطل

---

(١) سورة البقرة : ٢٦٥ .   (٢) سورة البقرة : ٣٠ .

(٣) هكذا في الأصل .

أي : ما يذهب دمه باطلاً .

وأما قوله : { وأوردهم من بأسه منزلاً ضنكا } ؛ أوردهم ، أي : ألزمهم الورد ، وألجأهم ، وإضطرهم إليه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ (١) .

وفي هذه الآية ، رد على أن من الورود ، دخول وسقوط في الشيء ، كما زعم المُتأولون في قوله (تعالى) : ﴿ وإن منكم إلاّ واردها ﴾ (٢) ، أي : يدخل فيها كل واحد ؛ فهذا خطأ ؛ وقد قال (تعالى) : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحُسنى أولئك عنها مُبعدون * لا يسمعون حسيسها ﴾ (٣) ؛ والوارد : ضد الصادر ؛ قال الشاعر :

فأورد ماءً كان يوماً حمامه من الإحن (٤) جناً معاً وصبيب

وقوله : { من بأسه منزلاً ضنكا } ؛ فالبأس : هو الحرب ؛ ومنزلاً ضنكاً ، أي : ضيقاً ؛ قال قتادة : الضنك : جهنم ؛ وقال الضحاك : الضنك : الكسب الحرام ؛ وقال ابن مسعود : الضنك : عذاب القبر ؛ قال عنترة :

إن المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

وأما قوله : { وشردهم في كل ناحيةٍ هلكاً } ؛ شردهم ، بمعنى : فرقهم ، وبددهم ، وأبعدهم ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾ (٥) .

وقيل : نكل بهم بالقهر ؛ قال الشاعر :

وأصبح من حيث إلتقينا شريدهم طليق ومكتوف اليدين ومرعف

---

(١) سورة القصص : ٢٣ .
(٢) سورة مريم : ٧١ .
(٣) سورة الأنبياء : ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٤) هكذا في الأصل .
(٥) سورة الأنفال : ٥٧ .

تقول : تشرد القوم وتفرقوا ، وتمزقوا ، وتبددوا ، وتشتتوا ، وتزيلوا أيادي سبأ : كل هذا بمعنى واحد ؛ والناحية : جمعها نواحي ؛ والناحية : كل جانب ؛ تنحي عن القرار ؛ قال الشاعر :

ألا أيها الباخع الوجدُ نفسه لشيءٍ نحته عن يديه المقادر

والناحات - في لغة طيء - : النواحي .

وقوله : { هلكاً } ؛ قال : تركتهم هلكاً ؛ والهلاك : التدمير ؛ والهلاك : من الله (جل جلاله) : العذاب ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وجعلنا لمهلكهم موعداً ﴾ (1) ، أي : ميقاتاً ، كقوله (تعالى) : ﴿ إن موعدهم الصبح ﴾ (2) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ (3) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ (4) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ ما شهدنا مهلك أهله ﴾ (5) ، يعني : هلاكهم ؛ قال الشاعر :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وأما قوله : { فاضحوا وهم أيدي سبا بين غيطان} ؛ فاضحوا ، بمعنى : أصبحوا ؛ والضحى عندهم : إرتفاع الشمس في الأفق ؛ وهم أيدي سبا : إذا تفرقوا ؛ قال الشاعر :

أمن أجل دار طير البين أهلها أيادي سبا بعدى وطال إجتنابها

وتسابا القوم : إذا سبى بعضهم بعضاً ؛ وسبا (مقصور وممدود) .

وقولهم : سباه الله ، أي : لعنه الله ، ونجاه عن الخير ؛ وقد يُستعمل

---

(1) سورة الكهف : ٥٩ .
(2) سورة هود : ٨١ .
(3) سورة هود : ٦٥ .
(4) سورة القمر : ٤٦ .
(5) سورة النمل : ٤٩ .

في موضع المدح ، كقولهم : قاتله الله ؛ وقطع الله لسانه ؛ وللملك امرئ القيس بن حجر الكندي :

فقالت سباك الله أنك فاضحي ألست ترى السمار والناس أحوالي

وقيل : سباك الله ، أي : أبعدك الله .

وقوله : { بين غيطان } ؛ الغيطان : جمع غائط : وهو المُطمئن من الأرض .

فإن قال قائل : إن الغائط هو حدث الإنسان .

قيل له : لا ، لأن الحدث يُسمى باسم المكان ؛ والغائط : ما إنخفض من الأرض ، لأنهم كانوا إذا أراد أحدهم قضاء حاجة ، أبعد في الأرض ، ليغيب نفسه عن الناس ، أنفة وحمية ، لأن القوم بادية ، فسُميَّ الحدث بالمكان ؛ وهذا كثير في لغتهم ، يسمون الشيء باسم ما قرب منه ، وقاربه ودنا منه على المجاورة ؛ والغوطة : اسم المدينة .

وقولهم : سمعت الغطاطا ؛ الغطاطا : غطاطاً في الغطاط ؛ والغطاط : صوت ؛ والغطاط : القطا ؛ والغطاط : الشجر : وهو الحنطى (١) ؛ الغطاط : طير كالقطا أغبر ؛ قال الشاعر :

ومنزل وردته الغطاطا طام فلم ألق به فراطا
إلاّ العطاف أو يداً عطاطا
فهن يلغطن به الغطاطا كالترجمان لقي الأنباطا

يقول : لغط ، يلغط ، إلغاطاً ؛ وألغط ، يلغط ، إلغاطاً : إذا صاح ، وسمعت له صوتاً ؛ وأكثر ما يُستعمل فيما لا يُفهم ؛ والتُرجمان : المُعبر بين اللغتين المُختلفتين ؛ رجع إلى القصيدة .

(١) في نسخة أخرى : الخليل .

بيت القصيدة :

تقسمهم غول الفجاج الدوائر　　وتخضمهم فيها صروف المقادر
وتغتالهم أيدي الردى في التغاير　　بما إقترفوه من عظيم الجرائر
فأضحوا حديثاً مُعجباً للسوامر　　بهم يتغنى المُنشدون بألحان

الشرح :

قوله : { تقسمهم غول الفجاج الدوائر } ، يعني : تقاسمهم : وهو من القسمة ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وإذا حضر القسمة أولوا القربى ﴾ [1] ؛ وقال (تعالى) : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ [2] ؛ قال الشاعر :

فاقنع بما قسم المليك فإنما　　قسم المعيشة بيننا قسامها

القسام : الذي يقسم بين الناس ؛ وهو - أيضاً - القسم ؛ وأبو القاسم : كُنية رسول الله (ﷺ) ؛ وإن حادياً كان يحدو ، ويعرض برسول الله (ﷺ) لناقته ، وهو يقول :

تعرضي مدارجاً وسومي　　تعرض الجوزاء بالنجوم
هذا أبو القاسم فاستقيمي　　...............................

قال الله (تعالى) : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ [3] ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ [4] ، معناه : أقسم ؛ ويجعلون [لا] صلة للكلام .

وقوله : (وقاسمهما) ، يعني : حلف لهما ، ولم يحلفا له ، لأنه قد

---

(١) سورة النساء : ٨ .
(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٣) سورة البلد : ١ .
(٤) سورة القيامة : ١ .

يكون قال واحد ، ويُخاطب الجميع ؛ كما قال الله (ﷻ) : ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [1] ، بمعنى : قتلهم ، ولا يقاتل الله أحد ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ [2] ؛ فالأزلام : القداح ، التي كانت العرب في الجاهلية تقسم أن تضرب بها ، وتحلها عند الأصنام ، وذلك أن الرجل إذا أراد أمراً من الأمور ، كتب على وجه القدح ، أخرج ولا تخرج ، وتروح ولا تروح ، وكذلك في سائر الأمور .

قال : ثم يأتي إلى الصنم ، فيقعد معه ، فيقول : أي الأمرين كان خيراً لي ، فأذن لي فيه حتى أفعله ، ثم يحيل القداح ، فأي الوجهين خرج فعله ، راضياً به قسماً وخصماً .

وقوله : { غول الفجاج الدوائر } ؛ فالغول : بُعد المفازة وسُميت بذلك ، لإغتيالها سير القوم ؛ وغال فلاناً الموت : إذا أهلكه ؛ والغول : المنية ؛ قال الشاعر :

فما ميتة إن مِتها غير عاجز بضار إذا ما غالت النفس غولها

والغول : السعلاة ؛ والغول : أن يغول الشراب العقل ؛ وقيل : غالتهم الخمر ، تغولهم غولاً ؛ والغيلة : الإغتيال ؛ وقتل فلان غيلة ، أي : إغتيالاً ، وهو أن يخدع أن يقتل مُغتراً مخدوعاً .

ويُوجد : أن الغيل موضع الأسد ؛ والغيل : رضاع الصبي في الحبل ؛ والغول : الصداع ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لا فيها غول ﴾ [3] ، يعني : لا تصدع رؤوسهم ؛ والمُغاولة : المُبادرة ؛ وغاولته : بادرته ؛ والواغل : الذي يدخل على قوم في شراب من غير دعوة ؛ وأوغل القوم في السير ،

(١) سورة التوبة : ٣٠ ؛ سورة المنافقون : ٤ .
(٢) سورة المائدة : ٣ .
(٣) سورة الصافات : ٤٧ .

إذا جدوا فيه ، وأدخلوا في الجبال ، وبطون الأودية ، مخافة العدو ؛ فيقول : تغولوا ، وتغلغلوا ؛ والله أعلم .

وأما الفجاج : جمع فج ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ من كل فج عميق ﴾ (١) ، أي : بعيد ؛ قال أبو عُبيدة : من كل مسلك وناحية .

وقال الخليل : الفج : الطريق الواسع ؛ وكل فج بين شيئين : فهو فج ؛ قال الشاعر :

كأن فجاج الأرض حلقة خاتم ... عليَّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

والدواثر : نعت الفجاج ، ومعناه : الدوارس ، من قولهم : دثر الشيء ، إذا درس وعفى أثره ؛ والدثور : الدروس ؛ والدثور : كثرة المال ؛ يُقال : هم أهل دثر ؛ والدثار : إسم لما يتدثر به ، تدثر تدثيراً ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ يا أيها المُدثر ﴾ (٢) ؛ المُلتف بثيابه نائماً ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ يا أيها المُزمل ﴾ (٣) ؛ أيضاً ، فأدغم (التاء) في (الزاي) ؛ وللملك امرئ القيس :

كأن ثبيراً في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مُزمل

وأما قوله : { وتخضمهم فيها صروف المقادر } ؛ فالخضم : الأكل بجميع الفم ؛ والقضم : الأكل بأطراف الأسنان ؛ وصروف الدهر : أحداثه ؛ قال أبو عُبيدة : الصروف : الفريضة ؛ والعدل : التطوع .

ويُوجد عن الحسن ، غير ذلك : وهو أن الصرف ، فضلة الدراهم على الدراهم في القيمة ؛ والتصريف : إشتقاق بعض الكلام من بعض ؛ وصرف الكلمة : بالتنوين في الإعراب ؛ والصرفان : هو أجود التمر عند

(١) سورة الحج : ٢٧ .
(٢) سورة المُدثر : ١ .
(٣) سورة المزمل : ١ .

العرب ؛ وللسيدة الزباء :

ما للجمال مشيها وئيداً   أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديداً   أم الرجال جُثماً قعودا

وقال من قال : الصرفان ـ ها هُنا ـ : الرصاص ؛ والله أعلم ؛ وأما الصريف : فهو اللبن ساعة يُحلب ؛ والصريف : هو صوت ناب البعير ؛ والصريف : هو المصارف بالفضة ؛ قال الشاعر :

بني غدانة ما إن أنتم ذهباً   ولا صريفاً ولكن أنتم خزف

وأما المقادر ، والمقادير : من الله (ﷻ) ؛ والتقدير : تقدير الشيء ؛ والقدر : القضاء المُوفق ؛ تقول : يقدر الله هذا الأمر تقديراً ؛ والمقدار : اسم القدر ؛ وإذا بلغ العبد المقدار الذي قدره الله (ﷻ) : مات ، قال الشاعر :

لو كان خلفك أو أمامك هائب   بشراً سواك لهابك المقدار

قال الله (تعالى) : ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ (1) ؛ والقدرية : قوم ينسبون إلى التكذيب بالقدر ؛ وأما قوله (تعالى) : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ (2) ، معناه : ما وصفوه حق وصفه ـ والله أعلم ؛ وقيل : ما عرفوه حق معرفته ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ عند مليك مُقتدر ﴾ (3) ، أي : قادر ؛ والقدر : فعل الله (جل جلاله) ؛ والمقدور : فعل العبد ؛ والله أعلم بالصواب .

وقيل : ﴿ ليلة القدر ﴾ (4) ؛ وقيل : يُوجد أنها ليلة حكم السنة ، وما

(١) سورة الأحزاب : ٣٨ .
(٢) سورة الأنعام : ٩١ ؛ سورة الزمر : ٦٧ .
(٣) سورة القمر : ٥٥
(٤) سورة القدر : ١ ، ٢ ، ٣ .

يقدر فيها للعباد : ﴿ خير من ألف شهر ﴾ [١] ؛ قيل : هي ليس خير من ألف شهر ، لكن العمل فيها ، خير من العمل في ألف شهر ؛ وقيل : بل هي : ﴿ خير من ألف شهر ﴾ [١] ، ليس فيه : ﴿ ليلة القدر ﴾ [٢] .

وقال النبي (ﷺ) : " إلتمسوها في العشر الأواخر من رمضان " ؛ وقيل : أن النبي (ﷺ) ، قال : " إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان ، شمر الإزار ، وأيقظ أهله " ؛ وقال (ﷺ) : " إطلبوا النجاة من النار " .

وأما قوله : { وتغتالهم أيدي الردى في التغاير } ؛ تغتالهم : تهلكهم ؛ والغول : الهلاك ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾ [٣] ؛ والردى : الهلاك أيضاً ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ أرداكم ﴾ [٤] ، أي : أهلكهم ؛ قال الشاعر :

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً فقلت أعند الله ذلكم الردى

أي : الهلاك ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وما يُغني عنه ماله إذا تردى ﴾ [٥] ، أي : إذا هلك .

وقيل : إذا سقط مكبوباً على وجهه في النار ؛ وقيل : أنها نزلت في أبي سُفيان بن حرب ؛ قال عدي بن زيد :

خطفته منية فتردى وهو في الهلك يأمل التعميرا

وقوله : { أيدي الردى في التغاير } ؛ فما للردى أيدي ، وإنما هو على الإستعارة وسعة اللغة ومجازها عند العرب ؛ وأما التغاير : فهو إختلاف الزمان ، وأحداثه ، وتعاقبه ، بالخير والشر ؛ وتغاير الأحداث :

---

(١) سورة القدر : ٣ .
(٢) سورة القدر : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٣) سورة الصافات : ٤٧ .
(٤) سورة فصلت : ٢٣ .
(٥) سورة الليل : ١١ .

تؤذن باستحالة كل عشية .

وأما قوله : { بما إقترفوه من عظيم الجرائر } ؛ إقترفوه ، أي : إكتسبوه ؛ والإقتراف : الإكتساب ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وليقترفوا ما هم مُقترفون ﴾ [1] ، معناه : وليكتسبوا ما هم مكتسبون ، وليلصقوا بأنفسهم الإثم ؛ قال الشاعر :

وإني لآت ما أتيت وأنني   لما إقترفت نفسي عليَّ لراهب

وفي الحديث ، عن رسول الله (ﷺ) : " إن كُنت قارفت ذنباً ، فتوبي إلى الله منه " ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ [2] ، أي : يكتسب ؛ والمُقترف : هو الذي دانى من الهجنة ؛ قال ذو الرمة :

تريك غرة وجه غير مقرفة   ملساء ليس بها خال ولا ندب

يعني : أنها كريمة الأصل ، لم تُخالطها هجنة ، تُسب بها ؛ والقروف : أوعية تتخذ من الجلود ؛ والقرقف : الخمر ، سُميت قرقفاً ، لأن شاربها يقرقف ، إذا داوم على شرابها ؛ والقرقوف : الدرهم الأبيض ؛ قال الراجز :

ما كل أبيض قرقوف   لا شعر ولا صوف
بكل بلد يطوف   ....

يعني ذلك : الدرهم الأبيض .

وأما قوله : { عظيم الجرائر } ؛ فقد تقدم ذِكر : عظيم ؛ وأما الجرائر ، والجرائم ، بمعنى واحد ، وهي الاسم ؛ والرجل يجر على نفسه جريرة ، يعني : جناية ؛ وجمعها : جرائر .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٣ .
(٢) سورة الرعد : ٥ .

وأما قوله : { فأضحوا حديثاً مُعجباً للسوامر } ؛ حديث مُعجب ، أي : حسن ، يعجب السامع ؛ وأعجبني الشيء إعجاباً ؛ وأمر عجيب وعجاب ، بمعنى واحد ؛ والإستعجاب : شدة الإعجاب .

قيل : أن المُهلب بن أبي صُفرة ، يتمثل بهذا البيت :

ومستعجب مما رأى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

قال الله (ﷻ) : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم ﴾ [1] ؛ وما هو بعجاب ؛ والسوامر : جمع السمار .

وأما قوله : { بهم يتغنى المُنشدون بألحان } ؛ والتغني : من الغناء : وهو الصوت الممدود ؛ وليس من الغنى ، الذي هو المال ، وهو مقصور ؛ وقد تقدمت الحجة عليه .

والمُنشدون : جمع مُنشد : من قولك : أنشد ، يُنشد ، فهو مُنشد : من إنشاد الشعر ؛ قال الحريري :

ولئن قمت مُنشداً فلقد قمت مُرشدا

ونشدت الضالة : إذا طلبتها ؛ وأنشدتها : إذا عرفتها ؛ فالأول بغير (ألف) ، والثاني (بألف) ؛ قال الشاعر :

يسيخ للناشد أسماعه ساخة الناشد للمُنشد

والألحان : جمع لحن ، وهو رفع الصوت بالغناء ؛ قال غيره :

قد هاج شوقي إن تغنت حمامة مطوقة ورقاء تصدح بالفجر
هتوف تبكي ساق حر ولا ترى لها دمعة يوماً على خدها تجري

(١) سورة الرعد : ٥ .

تغنت بلحن واستجاب لصوتها نوائح بالأصوات من فنن السدر
إذا فترت كرت بلحن شج بها تهيج للصب الحزين جوى الصدر
وعنهن مطراب العشية والضحى بصوت يهيج المستهام على الذكر
فأستعدتها بالنواح حتى كأنها سريرة سلافاً من مُعتقة الخمر
تجاوبن لحناً في الغصون كأنما نوائح ميت ينتدبن لدى قبر
فقلت لقد هيجتن صباً مُتيماً حزيناً وما منكن واحدة تدري

في شعر له طويل ؛ واللحن عند العرب : يكون خطأ ، ويكون صواباً ؛ قال الشاعر :

وحديث ألذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب ويلحن أحياناً وخير الكلام ما كان لحنا

وقال غيره في الأصوات والبيان ؛ قال :

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ولحنت لحناً ليس بالمُرتاب

أي : بينت وأوضحت ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ [1] ، أي : في بيانه .

قيل : وكان رسول الله (ﷺ) ، بعد نزول هذه الآية ، يعرف المُنافقين ، إذا سمع كلامهم ، إستدل بذلك على ما يرى من مثلهم في كلامهم ؛ واللحانة : الرجل الكثير اللحن ، القادر على الكلام ، العالم بالحجج ، هذا من الصواب ؛ ويجوز أن يكون أيضاً اللحانة : الكثير اللحن ، الذي هو الخطأ ؛ وقال الخليل بن أحمد :

فإذا نطقت فلا تكن لحانة فيظل يسخر من كلامك معرب

---

(١) سورة محمد : ٣٠ .

وقال الشاعر :

إلى الله أشكو أنني وسط معشر يخالف لحني في الكلام لحونها

بيت القصيدة :

وهل في معد كالهُمام ابن عادياً بذمته لله أصبح وافيا
وفي الأرض عن قبح المعائب نائياً غداة أتاه جيش غسان غازيا
يطالبه ما استودع الملك عادياً فلم يستكن ثم إستكانة ولهان

الشرح :

قوله : { وهل في معد كالهُمام ابن عاديا} ؛ فقد تقدم ذِكر [هل] ، وذِكر [معد] ؛ وأما الهمام : فهو السيد البعيد الهمة ، لا تسمى به الملوك ؛ قال النابغة :

ألم أقسم عليك لتخبرني أمحمول على النعش الهمام

وقال عِصام في نفسه :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما
فصيرته ملِكاً هُماما. ....

وأن عادياً ، هو : السموْل بن حيا .

ويُقال : السموْل بن حليا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن كعب بن عمرو (مُزيقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد .

وكان من الحديث عن السموءل ، أنه : لما عزم امرؤ القيس بن حجر الكندي ، للمسير إلى قيصر ـ ملك الروم ـ يستمد منه العون على المُنذر بن ماء السماء ؛ جمع حرمه ، وخدمه ، وماله ، وسلاحه ، وكانت له دروع كثيرة ، يُقال : أنها مائة ألف درع ، فجمعها ، وأتى السموءل الغساني بتيماء ، قال : أني إخترتك على الناس لحرمي وسلاحي ، ومعي نحو ثلاثين امرأة من بني عمك ، حتى أرجع من عند قيصر ، فإن رجعت قبضت مالي قِبلك ، وإن أنا مت ، فورثتي بنو عمرو بن معاوية ؛ قال : فقبل منه السموءل ذلك ، وانصرف امرؤ القيس إلى قيصر ، فبلغ المُنذر ذلك ، فبعث إليه خيلاً ، حتى أتى تيما ، فتحصن السموءل في الأبلق ، وهو حصنه ؛ قال : فأشار إليه بتسليم سلاح امرئ القيس الذي عنده ، ليصرف الجيش عنه ؛ قال : فقال السموءل : لا كان ذلك أبداً ، وكان ابن السموءل خارجاً في أول النهار ليتصيد ، ثم أقبل ابن السموءل من صيده ، وإذا الجيش واقفاً بتيما ؛ قال : فوثبت عليه الخيل ، فأخذته القوم ؛ قال : فلما صار في أيديهم ، فسروا بذلك وأتوا به ، حتى أوقفوه على باب الأبلق ، ثم قالوا : يا سموءل ، إدفع لنا الحرم ، والدروع ، وجميع السلاح ، وإلاَّ قتلنا ولدك ؛ قال : فشاور السموءل أم الولد ، ولم يكن لها ولد غيره ، فقالت الأم : حيضة من حيضي ، قل له : يقتله ، ولا عار الدهر ؛ فقال السموءل : ليس لي من سبيل إلى تخليص الأمانة التي عندي ، فافعل ما أنت فاعله ؛ قالوا : إضجعوا ابنه ، فضجعوه ، وقالوا له : ادفع السلاح وإلاَّ ذبحناه ذبح الجزور ؛ قال : ما لي إلى دفع السلاح من سبيل ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ قال : فناشدوه ، فأبى عليهم ؛ قال : فعمد القوم إلى الغُلام فذبحوه ، ثم لم يستعملوا غير ذلك ، وانصرفوا ، فضُربت به الأمثال في الوفاء ؛ فقال عند ذلك الأعشى شِعراً :

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به   في جحفل كسواد الليل جرار

بـالأبلق الفـرد مـن تيمـاء منزلـه حصـن حصـين وجـار غيـر ختـار
إذ سـامه خطتـي خسـف فقـال لـه قـل مـا تشـاء فـإني سـامع جـاري
فقـال غـدر وثكـل أنـت بينهمـا فـاختر ومـا فيهمـا حـظ لمختـار
فشـك غيـر طويـل ثـم قـال لـه أقتـل أسيرك إنـي مـانع جـاري
فقـام مُقتـدراً إذ قـام يذبحـه أشرف سموئل وانظر للدم الجـاري
وإختـار أدراعـه كيلاً يسب بهـا ولـم يكـن عهـده فيهـا بختـار
والصبر منـه على ما كان من قلق وزنـده فـي الوفـاء الثـاقب الواري

فقال بعد ذلك السموئل بن عادياً ، شِعراً :

وفيـت بـأدرع الكنـدي إنـي إذا مـا خـان أقـوام وفيـت
بنـى لـي عاديـاً حِصنـاً حَصينـاً وعينـاً كلمـا شـئت إسـتقيت
وأوصـى عاديـاً جـدي بـأن لا تضـيع يـا سـموئل مـا بنيـت
وبيتـا قـد بنيـت بغير طين ولا خشـب وغـدراً مـا أتـيت

السموئل : تُضرب به الأمثال في الإسلام ، شِعراً :

وقـال أخـو تيمـاء إذ هـو مشـرف يُناديـه مغلـولاً فتـىً غيـر خيـب
فأدى إلى امرئ القيس بزاً وأخدماً وأدراعـه معروفـة لـم تـغيـب

وقال الكُميت ، يضرب به المثل شعراً :

ولا السـموئل إذ قـال الهمـام لـه إنـي مُخيـر مـن ثكـل وأخفـار
فـاختـار مكرمة الدُنيـا بـواحـدة فعل الموارث نحوي صفقة الشاري

وقيـل : أن فـزارة غـزت ، فسـبت مـنهم سـباءً مـن نسـائهم ، فمـروا بحصن السموئل ، فلما جاوزوا ، صحن النساء : يا سيد العرب ، أجرنا من

هؤلاء ؛ قال : فخرج إليهم ، فاستنكفهم ، وخلصهن إلى أهلهن مُكرمات ؛ فقال فيه الشاعر :

بلغ سموئل غسان وسيدها | وابن العرانين من زيد بن كهلان
بأن أنعمه عمت علانية | بيض المحاجر من قيس بن غيلان
من بعد ما قد علون الرمل ضاحية | مُستردفات على أكتاف حنان
فاستنقذ الله منا كل غانية | بثاقب الزند وافٍ غير خوان
فسوف أشكره دهري بأنعمه | ما غرد الورق في الأغصان أغصان

وقيل في الأخبار : أنه كان جاهلاً قديماً ، وهو تضرب به الأمثال في الوفاء إلى يوم القيامة .

وقيل : أوفياء العرب أربعة ، أولهم : السموئل هذا ، والعُبيد بن الحصين بن امرئ القيس بن سعد الأنصاري ، وأبو حنبل بن حارثة بن مرة الطائي ، وعبد الله بن جلهمة الطائي .

والحصين ، يُسمىً : حصن الكتائب ، لإجماع الكتائب عليه في حربٍ كانت بين الأوس والخزرج ؛ قيل : لما شرفت الخزرج على الأوس ، ونظرت الأوس إلى هول ما معهم من الجمع ؛ قالت عند ذلك للحصين : يابا سيد ، لو أنك حاجزت القوم ، وبعثت إلى حلفانك من مرتبة ، فجاءوك ، ثم لقيت القوم ، وكان قد نزل بين أظهرهم ، وهو واضع سنة قوسه بين ثناياه ، فلما قالوا له ذلك ، طرح القوس من يده ، فقالوا : ما أنت صانع إذا إلتقينا ؟ قال : لا أزال عن موقفي هذا حتى أقتل ، أو أهزم عدوي ، ثم قام فحط أصحابه على الحرب ، ثم زحف الخزرج ، فلما إلتقوا إقتتلوا قتالاً شديداً ، فلما كثرت القتلى بينهم ، إنكسرت الأوس من بين يديه ، فلما رأى حصين وهو واقف في موقفه ، صاحت بهم الخزرج : إلى أين يا معشر الأوس ؟ فعمد حصين إلى حربته ، فغرزها في رجله ، حتى

أثبت بها قدمه ، وأثبتها في الأرض ، فلما رأت الأوس أنه قد صنع هذا بنفسه ، عطفوا عليه من كل جانب ، وقاتلوا دونه ساعة ، فحملوا على الخزرج ، وكان أول قتيل من الخزرج : عمرو بن النعمان ـ صاحب الخزرج ـ فلما قتل إنكشفت الخزرج ، فقتل منهم سبعون رجلاً في ذلك اليوم ، حتى إنجلت الحرب ، حُمل الحصين في الكتائب مُثخناً في حربته التي أثبتها في قدمه ، فلما ساروا غير بعيد أشفقوا عليه ، ومالوا به إلى منزل طليب بن ربعي ، فمات فيه ، فبنى طليب على قبره بناء ؛ وقال خفاف بن ثدية النبلي ، هذه الأبيات يرثيه :

أزار طليب بأكنافه حصين الكتائب والمختلس

وقال غيره :

لو أن المنايا حدن عن ذي مهابة لهبن حصيناً يوم علق واقما

وهذا حصين الكتائب ، وفى بما قاله ، وكان في ذلك الوفاء قتله ، فآثر الوفاء على الحياة .

وقال أبو حنبل بن حارثة بن مرة الطائي (مُجير الجراد) : بلغ من وفائه ، أن جراداً وقع بمحلته ، فغدا إليه الناس ليصيدوا منه ، وهو لا يعلم ؛ فقال : ما بال الناس قد غدوا في هذا الوجه ؟ قيل له : أنهم يُريدون جيرانك ، فقال : وأي جيراني ؟ فقالوا له : جراد بمحلتك ، فقال : وإنه لجار لي ؟ فقالوا : نعم ؛ قال : فدعا من بني أبيه ، وخرج إلى الجراد ، ومنع منه الناس ، ثم قال : لا يُهضم له جار ؛ فلم يزل كذلك ، حتى حميت الشمس على الجراد فطار ؛ قال شاعر طيء في ذلك :

وبالجبلين لنا معقل صعدنا إليه بشم الصعاد
ومنا ابن مرة أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد

ملكناه في أوليات الزمان من بعد نوح ومن قبل عاد
وزيد لنا ولنا حاتم غياث الورى في العصور الشداد

فهذا هو : حارثة بن مرة بن حنبل .

وأما عبد الله بن جلهمة الطائي ، كان من حديثه : أنه خرج يُريد العراق ، فلقي المُنذر بن المُنذر (ماء السماء) ، في يوم بُؤسه ، فأسروه ، فأتي به إلى المُنذر ، فأمر بذبحه ؛ فقال : أبيت اللعن ، ما لي غير ذلك من سبيل ؟ قال : لا ؛ قال : اعلم أن لي أولاداً ، ولي مال كثير ، فإن أهلك فجأة ، قتل أولادي بعضهم بعضاً ، فاتركني أذهب فأقسم فيهم الأموال ، ثم آتيك فتذبحني ، أو تمن عليَّ .

قال : فقال له المُنذر : فأقم رجُلاً مكانك ، فإن وفيت ، وإلاَّ ذبحناه ؛ قال : فإني أقيم لك ذمتي ، وحفيظتي ، ومعرفة العرب بوفائي ؛ قال له : لا أرضى إلاَّ برجل مكانك ، فأقام رجلاً من كلب ، واحد من بني : جشم بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف ، وهم : بنو الحرافية ، يُقال له : قراد بن أجرح ، قال : فأنا مكانه .

قال : فضمنه على أنه إن أتى إلى ثلاثة أيام ، وإلاَّ ذبحه مكانه ؛ فخلى سبيل الطائي ، فإنطلق إلى أهله ، فقسم ماله ، وأقام ؛ فلما كان في اليوم الثالث من آخر النهار ، لم يأت عبد الله الطائي ، فأخرجوا قراداً عند وجوب غروب الشمس ؛ فلما كادت الشمس أن تغيب ، إذ هو بعبد الله ، فلما طلع عليهم أخذ يلوح بثوبه ، وهو يقول :

خليلي لا تبكي قراد بن أجدعا أخي فيفدى أم قتيل فأخنعا

فلما دنا عبد الله من القوم ، قام قراد ، ثم قال : ذروني ، فقد وصلكم صاحبكم ؛ قال : فحلوا عن قراد ، وأخذوا صاحبهم عبد الله ليذبحوه ، ثم

قالوا : ترسلوا إلى المُنذر ؛ فأرسلوا إليه فأعلموه بمجيء عبد الله ، واستشاروه ؛ قال : فبعث إليهما ، فأتي بهما ، فأقبل على عبد الله ، وقال : ويحك ، فضمنك رجل فنجوت ، فلو لم تأت ، قتل وسلمت ، ولكن رجعت وفاءً بما قلت ، ما رأيت أوفى منك ذمة ؛ ثم أقبل على الكلبي ، فقال له : وأنت يا أخا كلب ، ضمنت على رجل ، على قتلك إن لم يأت ، فما أكون شر الثلاثة ، فأمر بتخليتهم جميعاً ، وأمر للكلبي بناقة ، وأمر لعبد الله الطائي بمائة ناقة ، وألف دينار من ذهب ، وأكرمه ، ونوه باسمه في العرب .

وهذا في الجاهلية الجهلاء ، وهذا في العرب كثير ، ولكن هذه أعلام مُتفق عليها في الوفاء ، ولا ينكر فضلها فاضل ؛ رجعنا إلى وضوح البيت .

أما قوله : { بذمته لله أصبح وافيا } ؛ الذمة : هي العهد ؛ وأهل الذمة : وهي في اليهود ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ لا يرقبون في مُؤمن إلاً ولا ذمة ﴾ [1] ؛ ويوجد [الإل] في التفسير : هي القرابة ؛ قال أبو عُبيد : الآل : العهد ؛ والذمة : التذمم : من لا عهد له ؛ قال بعض الشعراء :

إن الوشاة كثير إن أطعتهم   لا يرقبون بنا إلاً ولا ذمما

وقيل : أن [الآل] : هو الحلف ؛ وقيل : الجوار ، والذمام : كله حُرمة تلزمك إذا ضيعتها ؛ والذمة مأخوذة من هذا ؛ تقول : قضيت ذمة صاحبي ، أي : قد قمت بمصالحه لئلا يذمني ؛ وتقول : لا يلزمك من هذا ذمة ، ولا ذمام ، ولا ذمم : كله بمعنى واحد ؛ والذمام : الإحتقار ؛ تقول : لأذمه فهو مذموم ، أي : محقور ؛ الحجة ، قال الله (ﷻ) : ﴿ قال أخرج منها مذءوماً مدحوراً ﴾ [2] ؛ وبئر ذمة ، أي : قليلة الماء ، وجمعها :

---

(١) سورة التوبة : ١٠ .   (٢) سورة الأعراف : ١٨ .

ذمام ؛ قال ذو الرمة :

على حمير تأتي كأن عيونها ذمام الركايا لكربها الموانح

وأما قوله : { بذمته لله أصبح وافيا } ؛ فما أدري : هل وفاءه ، كان لله ، أو لغير الله ؟ وأما وافياً : فإن العرب تقول : وفيٌ ، وأوفى ؛ قال الشاعر :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص الهم حاديها

فأتى باللغتين جميعاً ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [1] ؛ قال الشاعر :

وفيت وفي بعض الوفاء مذلة لإتيانه في الحي شيمته الغدر

ويُوجد : أن لغة أهل تهامة : أوفيت ، وهي أفصح اللغتين ، وهي لغة قريش أيضاً ، وبها نطق القرآن الكريم ؛ وكل شيء بلغ الكمال : فقد أوفى وتم ؛ تقول : درهم وافٍ ؛ وقيل : أوف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ [2] ؛ وقال (تعالى) : ﴿ فوفاه حسابه ﴾ [3] .

وأما قوله : { وفي الأرض عن قبح المعائب نائيا } ؛ فقبح ، يعني : القبيح : وهو ضد الحُسن ؛ والقباحة : ضد الملاحة ؛ والمقبُوح : المشوه في خلقه ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ [4] ، أي : من المشوهين بسود الوجوه وزُرقة العيون ؛ وقول الحالف : قبح الله وجهه ، أي : شوه الله خلقه ؛ ومن حلف بهذا وحنث ، لزمته كفارة يمين مُغلظة ، في قول محمد بن محبوب ،

---

(١) سورة الفتح : ١٠ .
(٢) سورة يوسف : ٨٨ .
(٣) سورة النور : ٣٩ .
(٤) سورة القصص : ٤٢ .

ومُوسَى بن عليّ (رحمهما الله) ؛ وقال غيرهما : يمين مُرسلة ؛ والقبيح أيضاً : عظم المرفق ، مما يلي الصدر ؛ والعظم الذي يلي القفا اسمه : المليح ؛ وقال الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله) :

وإن جذ يُمنى واحد من قبيحها ومن آخر من كوعها لك مفصل

الكوع : رأس الزند ، مما يلي الإبهام ؛ والكرسوع : الزند ، مما يلي الخنصر ؛ وأما المعائب : فهو جمع عيب : وهو ما يُعاب به الإنسان ؛ ويُذم به ؛ وله - أيضاً - الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله) :

ففتش من أردت فكل حي له عيب يعد من العيوب

وقال الحريري :

إن تجد عيباً فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

وقال غيره :

إذا أنت عبت الناس عابوا فأكثروا عليك فأبدوا منك ما أنت تستر
إذا عبت قوماً بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور من هو أعور
متى تلتمس للناس عيباً تجد لهم عيوباً ولكن الذي فيك أكثر

والعيب : ما أدخل على صاحبه عاراً ، وذماً ، وشبه المعائب ؛ وجمعه : المعائب .

وقوله : { غداة أتاه جيش غسان غازيا } ؛ الجيش : جمعه جيوش ؛ والجيش : جمع يسيرون للحرب ؛ وجاشت الحرب : كالقدر إذا غلت ؛ وجاش البحر : إذا طمى موجه ؛ وللملك امرئ القيس :

على العقب جياش كأن إهتزامه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل

والغازي : الذي يغزو العدو ؛ وفي الحديث : " ما غزي قوم في صحن دارهم ، إلاّ ذلوا " ؛ وقالوا المسلمون : من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، فهو هالك ؛ وجمع الغازي : الغزاة ، وغزو ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أو كانوا غزىً ﴾ (١) ؛ وجمع الغازي أيضاً : غازون ؛ قال الفزاري :

ولا قائد الغازين تحت لوائهم　　بيوم جزارى كالنسور القشاعم

والملك ، يعني به : امرأ القيس بن حجر الكندي ، الذي استودع السموؤل ، أهله وسلاحه ، حتى خرج إلى قيصر ، وهي قد أتت في موضعها .

وأما قوله : { فلم يستكن ثم إستكانة ولهان } ؛ إستكان : إذا خضع وذل ؛ وأصله من السكون ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ (٢) ؛ قال الشاعر :

لا أستكين إذا ما أزمة ازمت　　وإن يراني بخير فإن البيت وهيان

وهي الحائط ؛ يهي ، وهيا . فهو واهٍ : إذا إسترخى دماغه ؛ وكذلك القرية ، والجبل ، وأشباه ذلك ؛ رجع إلى القصيدة .

بيت القصيدة :

ولم يرض يوماً بالدناءة والخسف　　ولم يغض إغضاء الذليل على عنف
وقادوا إبنه فرداً إلى مصرع الحتف　　فنازلهم بالطعن والضرب والحذف
وأضحى عزيزا في الورى شامخ الأنف　　بما لم يضعه من ودائع أديان

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٦ .
(٢) سورة المؤمنون : ٧٦ .

الشرح :

الممدوح في هذا خاصة : السموءل ، المُقدم ذِكره في الأول وشرحه ؛ وإشتقاق إسم السموءل : من الأرض السهلة ؛ وقيل : اسمه عبراني ، وهو (بالعربية) : سماويل ، هذا ما وجدته ؛ والله أعلم بالصواب .

وقوله : { ولم يرض يوماً بالدنائة والخسف } ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [1] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ لعلك ترضى ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ ولسوف يُعطيك ربك فترضى ﴾ [3] ؛ وقال المعري في هذا المعنى شِعراً :

منك الصدود ومني بالصدود رضى   من ذا عليَّ بهذا في هواك قضى

وقال غيره :

رضيت بما قسم الله لي   وفوضت أمري للخالق

وقال غيره :

فقالوا أترضى أنه لك مالك   وأنت له عبد فقال نعم راضي

والدناءة والدنية : من الأفعال التي ينقص فاعلها ؛ وجمع الدنية : دنايا ؛ قال الحريري :

فالمنايا ولا الدنايا وخير   من ركوب الخنا ركوب الجنازه

والدنايا : هي الأفعال الخبيثة ، التي تزري بصاحبها عند الناس ؛ وكل

---

(١) سورة المائدة : ١١٩ ؛ سورة التوبة : ١٠٠ ؛ سورة المجادلة : ٢٢ ؛ سورة البينة : ٨ .
(٢) سورة طـه : ٨ .
(٣) سورة الضحى : ٥ .

فعلة أزرت بصاحبها : فهي دنية ؛ ويُوجد : أن إشتقاقها من الدنو ، إلى المعائب ؛ وأما الخسف : فتغير الخلق وتبديله ؛ قال الله (تعالى) ، في قصة قارون : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ (1) ؛ ويُقال أن موسى (عليه السلام) : سأل ربه ، فقال : يا رب ، إن عبدك قارون ، أفسد عليَّ بني إسرائيل ، وفرق جماعتهم ، فأمر الأرض أن تطيعني فيه ، ومن معه ؛ قال : فأوحى الله (عز وجل) ، إلى الأرض أن تطيعه فيه ومن معه ، بما يأمره مُوسَى (عليه السلام) ؛ فإنطلق مُوسَى (عليه السلام) ، حتى إنطلق إلى قارون ومن معه ؛ قال (عليه السلام) : يا بني إسرائيل ، إن الله (عز وجل) قد بعثني إلى قارون ، كما بعثني إلى فرعون ، فمن كان معي ، فليعتزل معي ، ومن كان معه ، فليمكث معه ؛ فلما سمعوا ذلك منه ، عرفوا أنه صادق ، فاعتزلوا عن قارون إلى موسى (عليه السلام) ، غير رجلين من بني إسرائيل بن يعقوب (عليه السلام) ، بقيا مع قارون ؛ فقال عند ذلك مُوسى (عليه السلام) للأرض : يا أرض خُذيهم ، فأخذتهم الأرض إلى رُكبهم ؛ ثم قال : يا أرض خُذيهم ، فأخذتهم إلى صدورهم ؛ فقال قارون : أنشدك الله والرحم ؛ فأخذتهم الأرض وغيبتهم ، ولم يرق مُوسى (عليه السلام) لهم ؛ قال : فأوحى الله (عز وجل) ، إلى موسى (عليه السلام) : يا موسى ، وعزتي وجلالي ، لو أتاني ودعاني لأجبته .

ووجدت : أن قارون يتجلجل فيها كل يوم ، قدر قامة الرجل ، إلى أن تقوم الساعة ؛ قال : ثم أن موسى (عليه السلام) ، دعا على ماله ، فخُسف به ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ (2) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ وخسف القمر ﴾ (3) ؛ فالخسف : ذهاب بعضه ؛ والكسوف : ذهابه كله ؛ وقال أبو عُبيدة : الخسوف والكسوف ، واحد ، والمعنى : ذهاب ضوئه .

---

(1) سورة القصص : ٨١ .
(2) سورة القصص : ٨١ .
(3) سورة القيامة : ٨ .

وأما قوله : { ولم يرض يوماً بالدناءة والخسف } ؛ فالخسف في هذا البيت ، غير ذلك ، ومعناه : أنه لم يرض بالذل ، ولا أقر بالضيم ، والله أعلم ؛ قال الشاعر :

إذ سامه خطتي خسف فقال له　　قل ما بدا لك إني سامع جاري

وقوله : { ولم يغض أغضاء الذليل على عنف } ؛ فأغضى : إذا أطبق جفن عينيه على القذاء ؛ والقذا : ما وقع في العين من حطب ، وشوك ، وغير ذلك ؛ قال المُتنبي :

أغضى على غصص الزمان وغمضا　　ومضى إلى حيث القضاء به مضى

قال الله (ﷻ) : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [1] ؛ وغض ، وغمض ، وأغضى : كله بمعنى واحد ؛ والذليل : ضد العزيز ؛ والأذل : ضد الأعز ؛ قال الله (ﷻ) في مُحكم كِتابه : ﴿ ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ [2] ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ [3] ؛ قال الشاعر :

واعلم عِلماً ليس بالظن أنه　　إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وقال :

فكم من عزيز أعقب الذل عزه　　فأصبح مرحوماً وقد كان يحسد

وقوله : { على عنف } ؛ فالعنف : أن تكلف الرجل أن يعمل لك عملاً بالكُره ، وهو غير بصير بذلك العمل الذي يعمله ؛ وضد العنف :

(١) سورة النور : ٣٠ .
(٢) سورة المنافقون : ٨ .
(٣) سورة النمل : ٣٧ .

الحاذق البصير ؛ وفي الكلام : إن قاد فلم يعنف ، وإن ساق فلم يرجف ؛ وللملك امرئ القيس :

يزل الغلام الخف عن صواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل

الخف : الخفيف ؛ والعنيف : الذي لا رفق له ؛ تقول : عنفت بكذا وكذا ، إذا لم تكن به رفيقاً ؛ حاذقاً ، يعني : أن هذا الفرس من جودته وسرعته ، إذا أعنف راكبه ، أطاره عن صهوته .

وأما قوله : { وقادوا ابنه فرداً إلى مصرع الحتف } ؛ وقادوا ، أي : أخذوه وجروه ، كما يجر الجزور بكره ، أخذ من قود الدابة ؛ والقود : معروف : وهو خلاف السوق ؛ وأما الفرد : فهو الذي لا ثاني له ؛ وأما الحتف : فهو الموت والهلاك ؛ وجمعه : حتوف : وهو المنية ؛ ويُقال : أنه لما مات عُثمان بن مظعون ، قال النبي (ﷺ) : " مات عُثمان حتف أنفه " ؛ قال ابن دريد :

وخامرت نفس أبي الخير الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى

وأما قوله : { فنازلهم بالطعن } ؛ نازلهم : من مُنازلة الحرب : وهو أن ينزل الرجل للرجل .

وقال : وقيل في الحرب : نزال مثل ما .... (١) .

وأما قوله : { والضرب والحذف } ؛ فالضرب : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ (٢) ، أي : إقتلوهم ؛ يُوجد : أنها نزلت في يوم بدر ، أمرهم الله (ﷻ) بذلك ؛ وقال (ﷻ) في آية أخرى : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾ (٣) ؛ وفوق زائدة ، والمعنى :

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) سورة محمد : ٤ .
(٣) سورة الأنفال :

اضربوا الأعناق ؛ والضرب : هو بالسيف ؛ والطعن : هو بالرماح ؛ قال الشاعر :

ولربما طعن الفتى أقرانه   بالرأي قبل تطاعن الأقران

وقد يكون الطعن : بالكلام ؛ يُقال : فلان يطعن في فلان ؛ وفلان يطعن على المسلمين : إذا قال فيهم ، وأزرى عليهم ، وأعابهم ؛ والطاعن : الموت ؛ وقيل : أنه داء يقتل ؛ والحذف : بالعصا ؛ ومن أمثالهم : بقناس حاذف وقاذف بالعصى [1] ، والقاذف بالحصى .

وأما قوله : { وأضحى عزيزاً في الورى شامخ الأنف } ؛ فالعزيز على الحقيقة : هو الله (عَزَّ وَجَلَّ) ؛ وقد قال الله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) : ﴿ هو الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدوس السلام المُؤمن المُهيمن العزيز الجبار المُتكبر ﴾ [2] ؛ ويجوز أن يُسمى المخلوق - على المُجاز لا على الحقيقة - عزيز ؛ والعزيز : خلاف الذليل ؛ والفرضة : الذل ؛ ومن أمثالهم : من عز بز ، ومن غلب سلب ؛ قال الشاعر :

من عز بز ولم تؤمن بوائقه   ومن تضعضع مأكول ومشروب

وقال غيره :

بني إذا ما سامك الذل ظاهراً   عزيزاً فإن الذل للعز أحرز
فلا تحملن يوماً عليه تعززاً   فقد يُورث الطويل التعزز

وقوله : { شامخ الأنف } ؛ فالشامخ : العالي : من قولهم : جبل شامخ ، أي : عالي ؛ قال صاحب : " المقامات " :

(١) غير واضحة في الأصل ، ولعلها : كما كُتبت ؛ والله أعلم .
(٢) سورة الحشر : ٢٣ .

يقولــون أن جمـــال الفتـــى وزينتـــــه أدب راســــخ
ومـا إن يـزين سـوى المُكثـرين ومــن طــود ســؤدده شــامخ
وأمــا الـفـقـيـر فـخـيـر لــه من الأدب الـقـرض والـكـامـخ

والأنـف : معروف ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ الأنـف بـالأنف ﴾ [1] ؛ فجمـع الأنـف : أنـوف ؛ وبعير مـأنوف ، أي : مُنقـاد بأنفـه ؛ وقيـل : أن المؤمن كالجمـل الأنـف ، حيثمـا قيـد إنقـاد ؛ والأنـف : الـذليل المُنقـاد ؛ والأنـف : الحميـة ؛ والأنـف : المرعـى والمـوارد ؛ وكـلأ أنـف ؛ وكـأس أنـف : إذا لـم يشرب به أحد قبل ؛ وقال الشاعر ، في الأنف الذي في الوجه :

ولست قصيراً عن قصير وفعله رأى أن ينال الفضل في جدع أنفه

وأما قولـه : { بمـا لـم يضـعه مـن ودائـع أديـان } ؛ فيضعه : مـن الضياع ؛ وضـاع الشـيء : مـن الضـياع ؛ وضـاع الشـيء : إذا ذهـب ؛ قـال الشاعر :

أضاعـوني وأي فـتـى أضـاعـوا لـيـوم كـريـهـة وســداد ثـغـر

والودائـع : جمـع وديعـة ، وقـد تقـدم ذِكرهـا ؛ والأديـان : جمـع ديـن ؛ والدين في اللغة ، على وجُوه كثيرة ؛ قال ابن عباس (رضي الله عنهمـا) ، والحسـن : الـدين : الحُكـم والقضـاء ؛ وقـال أبـو عُبيـدة : الـدين : الجـزاء والحسـاب ؛ ومنـه قـولهم : " كمـا تـدين تـدان " ، أي : كمـا تفعـل ، يُفعـل بك وتُجـازى ؛ والـدين : الطاعـة ؛ تقـول : دان فـلان لفـلان ، إذا أطـاع لـه وانقـاد ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ما كـان ليأخذ أخـاه فـي ديـن الملـك ﴾ [2] ، أي : فـي طـاعتـه ؛ وقـال ابـن عبـاس (رضي الله عنهمـا) ، وأبـو الحسـن ، وأبـو

(١) سورة المائدة : ٤٥ .
(٢) سورة يوسف : ٧٦ .

عُبيدة : الدين : القهر ، والقدرة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ (١) ، أي : مقهورين ، مملوكين ؛ قال عمرو بن كلثوم :

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

أي : نطيع ؛ والدين : الدأب ، والمُداومة على الشيء ؛ وللملك امرئ القيس :

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

وقال ورقة بن نوفل ، وقال الشاعر (٢) :

واعلم وأيقن أن مُلكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

وقوله : { من ودائع أديان } ، يعني بذلك : دينه الذي يتدين به ؛ والله أعلم :

بيت القصيدة :

ومنا الذي من بعد دينٍ تنصرا وصعر خداً عزةً وتكبرا
وولى وقد عاصى الأمير المُؤمرا ولم يخش من أبناء عدنان معشرا
وأم بجيش يملأ الأرض قيصرا فإيوانه بالروم أعظم إيوان

الشرح :

فأما قوله : { ومنا الذي من بعد دين تنصرا } ؛ فقد تقدم تفسيره قبل هذا ، إلاّ : تنصرا ، ومعناه : تنصر ، أي : دخل في دِّين النصارى ،

(١) سورة الواقعة : ٨٦ .
(٢) هكذا في الأصل ، ويبدو أن هناك سهو من الناسخ ؛ والله أعلم .

كما تقول : تهود ، وتمجس : إذا دخل في دين اليهودية والمجوسية ؛ وهذا الذي تنصر ، من بعد ما كان مُسلماً ، هو : جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو (مُزيقياء) بن عامر (ماء السماء) بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة (الصنم) بن مازن بن الأزد الغساني .

ومن غسان : جبلة بنت الحارث بن الملك ، وهي : مارية التي يُضرب المثل بقرطيها ؛ ويُقال : ولو بقرطي مارية ؛ وأخوها جبلة بن الأيهم ، الذي إرتد وخرج إلى بلاد الروم ، فولد له الحارث بن جبلة : النُعمان ، والمُنذر ، والمُنيذر ، وجبلة ، وأبا ملوكاً [١] كلهم ؛ فصاحب هذه القصيدة ، لم يعن إلاّ جبلة بن الأيهم ، وهو الذي إرتد وتنصر ؛ وله حديث يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وأما قوله : { وصعر خداً عزةً وتكبرا } ؛ وصعر خداً ، أي : أماله في جانب عن الناس ، من الكبر ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾ [٢] ، أي : تتكبر عليهم وتتعظم ؛ قال الشاعر :

وكُنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وأما الصعر : فميل العُنق من الكِبر ، وهو أن يصفح بعُنقه مُعرضاً عن الناس ، مُتكبراً عليهم ؛ وأما الخد : معروف : وقد تقدم ذِكره ؛ والإخدود : ما يُحفر في الأرض ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود ﴾ [٣] ؛ قيل : أن الجبار ، حفر في الأرض أخاديد ، وأوقد فيها ناراً ، وألقى فيها المُؤمنين .

وقوله : { عزة وتكبرا } ؛ فالعزة : معروفة ؛ قال الله (ﷻ) :

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) سورة لقمان : ١٨ .

(٣) سورة البروج : ٤ ـ ٥ .

﴿ من كان يُريد العِزة فلله العزة جميعاً ﴾ (١) ؛ وقد تقدم ذِكر العِز ؛ وتكبرا : من الكبر والعظمة ؛ فالكبرياء والعظمة : لله (ﷻ) ، دون خلقه ؛ وتكبر الرجل : إذا صار ذا كبر وعظمة في نفسه ، وفعل فعل الجبابرة ، من القتل والصلب ، وغير ذلك من أنواع العذاب ؛ وللملك امرئ القيس :

وكنا أناساً قبل غزوة قرمل ورثنا الغُلا والمجد أكبر أكبرا

أي : كابراً عن كابر .

وقوله : { وولى وقد عصى الأمير المُؤمرا } ؛ فولى : أدبر سائراً ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ولى مُدبراً ولم يُعقب يا مُوسَى ﴾ (٢) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ فتول عنهم ﴾ (٣) ؛ وعاصى : من العصيان ؛ والمعنى : أعصى ؛ والعصيان : معروف ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (٤) ؛ والعصيان : ضد الطاعة ؛ وعاصى : مثل ضارب ، وقاتل ، وحارب ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ قاتلهم الله ﴾ (٥) ، أي : قتلهم ؛ وقيل : معناه : لعنهم ؛ والله أعلم بتأويل كِتابه ؛ قال الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حُبه هذا لعمرك في المقال بديع
لو كان حُبك صادقاً لأطعته إن المُحب لمن يحب مُطيع

والأمير ، يعني بذلك - والله أعلم - : عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وهو

---

(١) سورة فاطر : ١٠ .
(٢) سورة النمل : ١٠ ؛ سورة القصص : ٣١ .
(٣) سورةالصافات : ١٧٤ ؛ سورة الذاريات : ٥٤ ؛ سورة القمر : ٦ .
(٤) سورة طـه : ١٢١ - ١٢٢ .
(٥) سورة التوبة : ٣٠ ؛ سورة المنافقون : ٤ .

أمير المؤمنين (رضي الله عنه) ؛ وأمير المؤمنين : إذا أمره غيره ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها ﴾ (١) .

وقيل : أمرناهم بالطاعة ، فعملوا بالمعصية ؛ وقرئت [أمرنا] (بالتشديد) ، والمعنى : جعلناهم أمراء ، أي : ملوكاً ؛ قال الشاعر :

وإن أمير المُؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار لما فعل الدهر

وقال غيره :

لعمرك ما سب الأمير عدوه ... ولكنما سب الأمير المبلغ

وأما قوله : { ولم يخش من أبناء عدنان معشرا } ؛ فالخشية : الخوف ؛ وقد تقدم شرحه ، وشرح عدنان ، ونسبه ، وإشتقاقه ؛ وجمع المعشر : معاشر ؛ ومعشر الرجل : قومه ، وعشيرته ؛ قال الشاعر :

فيا معشر العشاق ما أبغض الهوى ... إذا كان لا يلقى المُحب حبيبه

وقوله : { وأم يجيش يملأ الأرض قيصرا } ؛ أم ، يعني : قصد ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ (٢) ؛ يعني : قاصدين ؛ وقد تقدم ذِكر الجيش .

وقوله : { يملأ الأرض قيصرا } ؛ يملأ ، معناه : الإمتلاء ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ لأملأن جهنم ﴾ (٣) ؛ وقال (تعالى) : ﴿ يوم نقول لجهنم هل إمتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (٤) ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة الإسراء : ١٦ .
(٢) سورة المائدة : ٢ .
(٣) سورة الأعراف : ١٨ ؛ سورة هود : ١١٩ ؛ سورة السجدة : ١٣ ؛ سورة ص : ٨٥ .
(٤) سورة ق : ٣٠ .

إمتلأ الحوض وقال قطني مهلاً .رويداً قد ملأت بطني

قطني ، يعني : كفاني ؛ وقيصر : هو ملك الروم ؛ قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأي الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وأما قوله : { فإيوانه بالروم أعظم إيوان } ؛ فالإيوان : بيت يشبه المجلس والدهليز ، يكون للملوك ؛ ولقد كان لكسرى إيوان بالمدائن من العراق ؛ والروم : اسم رجل ، وهؤلاء ذريته ونسله ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ الم * غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١) ؛ والروم أهل كِتاب : وهم نصارى ؛ وقد أشركوا بالله (ﷻ) ، وكفروا بنبيه محمد (ﷺ) ؛ ﴿ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ (٢) .

بيت القصيدة :

يحف بأطراف القنا والنيازك ويزهو بالولدان فوق الأرائك
تطوف بأيديهم صحاف السبائك ونشر عبير شيب بالمسك صائك
شعارهم الرومي تحت الحبائك ومنظوم ياقوت ودرّ ومرجان

الشرح :

الممدوح في هذا البيت : جبلة بن الأيهم ، الذي تقدم ذِكره في البيت الأول .

وأما قوله : { يحف بأطراف } ؛ يحف ، معناه : يُطاف به ؛ قال

(١) سورة الروم : ١ ـ ٢ .
(٢) سورة البقرة : ١٦١ ؛ سورة آل عمران : ٨٧ .

الله (ﷻ) : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ [1] ؛ والأطراف : النواحي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ [2] ؛ ويُوجد : أنه ذهاب العُلماء ؛ ويُقال : أنه خراب القرى الصغار من المُدن ؛ والله أعلم .

وقوله : { بأطراف القنا والنيازك } ؛ وأطراف القنا : الأسنة ، التي هي للحرب معدُودة معروفة ؛ والقنا : جمع قناة ؛ قال المُتنبي :

وما لك تعني بالأسنة والقنا وجدك طعان بغير سنان

والقنا : هي الرماح ؛ قال المُتنبي أيضاً :

وأكثر في مجالسنا إستماعا فلاناً دق رُمحاً في فلان

وقال الحريري :

وزجه حين مد الرمح مُستعرا ....

قوله : أزجه ، يعني : الزج في الحاجبين ؛ وقنا ، يعني : القنا ، الذي في الأنف ؛ والقنا : هو إرتفاع الأنف وإشرافه ؛ قال امرؤ القيس :

سباط البنان والعرانين والقنا لطاف الخصور في تمام وإكمال

والنيازك : جمع نزيكة : وهي الرُمح القصيرة .

وفي الحديث : " أن عيسى بن مريم (عليه السلام) ، يقتل الدجال بنزيكة " ؛ قال الشاعر :

أذوب من الأشواق حتى كأنما على مُهجتي للشوق وخز النيازك

---

(١) سورة الزمر : ٧٥ . (٢) سورة الرعد : ٤١ .

وأما قوله : { ويزهر بالولدان فوق الأرائك } ؛ فالأزهر : هو الأبيض ـ عند العرب ـ وقد تقدم ذِكره فيما مضى ؛ والولدان : الخدم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ [1] ، أي : تخدمهم ؛ ويُقال : طاف الغُلام على مولاه ، أي : خدمه ؛ وأطافوا : إذا أحاطوا به ، وأداروا حوله ؛ والولدان : الوصفان ؛ وإشتقاقه : من الولدان الصغار ، وهو المولود ؛ والله أعلم ؛ والواحد : وليد ؛ والجمع : ولدان ؛ والأنثى : وليدة ؛ وجمعها : ولائد ؛ ﴿ مُخلدون ﴾ : لا يموتون ؛ ويُقال : أنهم في شيء واحد لا يتغيرون ؛ ويُقال : ﴿ مُخلدون ﴾ : لا يهرمون ؛ والأرائك : السرر التي عليها الحجال ؛ وكل سرير بغير حجلة ، لا يكون أريكة ؛ هكذا وجدت ؛ والله أعلم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ [2] .

وأما قوله : { تطوف بأيديهم صحاف السبائك } ؛ فالطواف بالبيت : معروف ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أن طهرا بيتي للطائفين ﴾ [3] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ [4] ، يعني بذلك : أصحاب النار ؛ وطاف عليه : إذا جاءه ليلاً ؛ ومن هذا سُميَ : طائف الليل ؛ وطائف الخيال ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ [5] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ﴾ [6] ؛ فطاف الرجل ، وأطاف : إذا جاءه الغائط .

ويُقال لما يخرج من الرجل : الرجيع ـ أيضاً ـ : طوف ؛ والصحاف : جمع صحفة ؛ لا جمع صحيفة ؛ والصحيفة : القصعة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يُطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ [7] ؛ والصحائف : الكُتب ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة الإنسان : ١٩ .
(٢) سورة المطففين : ٢٣ ، ٣٥ .
(٣) سورة البقرة : ١٢٥ .
(٤) سورة الرحمن : ٤٤ .
(٥) سورة القلم : ١٩ .
(٦) سورة الأعراف : ٢٠١ .
(٧) سورة الزخرف : ٧١ .

صحائف عندي للعتاب طويتها ستنشر يوماً والعتاب طويل

قال الله (ﷻ) : ﴿ صُحف إبراهيم وموسى ﴾ [1] ؛ وفي التفسير : عن ابن عباس ، أنه قال : في قوله (ﷻ) : ﴿ صُحف إبراهيم وموسى ﴾ : أن الآخرة خير من الأولى ؛ وأما السبائك : فسبائك الفضة ، إذا أذيبت صارت سبيكة .

وأما قوله : { ونشر عبير شيب بالمسك صائك } ؛ فالنشر : طيب الرائحة ، وقد تقدم ذِكره ؛ وأما العبير : فهو الزعفران وحده ؛ قال الأعشى :

وتبرد برد رداء العروس في الصيف رقرقت فيه العبيرا

أي : رقرق فيه الزعفران ، والمعنى : رقرقت .

وقد قيل : أن العبير أخلاط الطيب ، بعضه ببعض ؛ والحجة فيه ؛ الحديث المروي : " أتعجز إحداكن أن تتخذ تُومتين ، فتخلطهما بعبير ، أو زعفران " ؛ فدل أنه غيره ؛ والتومة : مُشبهة بالحية ، تُتخذ من ذهب أو فضة .

وأما قوله : { شيب بالمسك صائك } ؛ فشيب ، أي : خلط ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ثم أن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ [2] ؛ والمسك : معروف ؛ وأما الصائك : اللاصق ؛ تقول : صايكه : إذا لصق به ؛ قال الشاعر :

ومثلك مُعجبة بالشباب صأيكه العبير بأجلادها

ويُقال : صيق [3] الدم : إذا جمد ، والصائك في البيت : نعت للعبير ؛

(١) سورة الأعلى : ١٩ .
(٢) سورة الصافات : ٦٧ .
(٣) هكذا في الأصل .

قال الشاعر :

حتى إذا بلغ العناء أنوفها   بقيت بدر صائك متفجر

وأما قوله : { شعارهم الرومي تحت الحبائك } ؛ فالشعار : مما يلي الجسد من الثياب الرومية ؛ والحبائك : جمع حبيكة : وهو ما إحتبكوا به فوق ثيابهم ، مثل : المنطقة ، والهيميان ، وغير ذلك ، وقد تقدم ذِكره وشرحه .

وأما قوله : { ومنظوم ياقوت ودُرٍّ ومرجان } ؛ فالمنظوم : ما نظمه من الخرز والدُر والياقوت ، وغير ذلك ؛ قال الشاعر :

فمني علينا بالكلام فإنما   كلامك ياقوت ودر منظم

فهذا البيت : شاهد على المنظوم ، والدُر ، والياقوت ؛ قال الحريري :

إن الغريب الطويل الذيل مُمتهن   فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر مُوجعة   فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطال ما أصلي الياقوت جمر غضى   ثم إنطفي الجمر والياقوت ياقوت

فالمتفق : أن الياقوت يُمتحن بالنار ليُختبر ، فإن إحترق ، فليس بياقوت ، وإن لم يحترق ، فهو ياقوت ؛ قال الشاعر :

تقول لي ودموعي مزج أدمعها   صنفان أدمعنا در وياقوت
أقم بأرضك هذا العام قلت لها   كيف المقام وما في منزلي قوت
فاستعبرت ثم قالت فالإياب متى   فقلت ما قدر الرحمن موقوت

والمرجان في التفسير : أنه صغار اللؤلؤ ؛ قال الله (تبارك وتعالى) ، في مُحكم

كِتابه الكريم : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [(١)] ؛ فاللؤلؤ : ما كبر منه ؛ والمرجان : ما صغر منه ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ يخرج منهما ﴾ ؛ إنما يخرج من البحر المالح ، دُون العذب ، لأنه إذا كان الشيئين مُصطحبين ، ذكر إحداهما وترك الآخر ، والمعنى مفهوم ؛ والحجة في كِتاب الله (ﷻ) : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ [(٢)] ؛ وهذه السرابيل : تقي الحر والبرد .

بيت القصيدة :

تطل عليه الطير بالمسك ناضحه	وتزدحم الوفاد للرفد مائحه
له أنملٌ كالسحب العرف طافحه	وكفٌ وكوفٌ للمكارم لانحه
وذو همةٍ للنجم في السمك ناطحه	سليل الأولى الأملاك أرباب تيجان

الشرح :

هذا المدح ـ أيضاً ـ لجبلة .

أما قوله : { تطل عليه الطير بالمسك ناضحه } ؛ الذي يُوجد في حديث جبلة ، ما رُوي عن حارثة بن زيد ، أنه قال : دُعينا إلى مأدبة ، فحضرتها وفيها حسان بن ثابت ، فجلسنا على مائدة واحدة ، ومعه إبنه عبد الرحمن ، وكان إذا أتي بطعام ، قال لإبنه ـ وقد كُف بصره ـ : يا بُني ، طعام يد ، أم طعام يدين ؟ فإن قال له : طعام يد ، أكل ؛ وإن قال له : طعام يدين ، أمسك ؛ فطعام اليد : الطبيخ ؛ وطعام اليدين : المشوي .

وقيل : طعام اليد : الثريد ؛ قال : فلما فرغوا ، أتوا بجاريتين مُغنيتين ، فغنتاه بقول حسان :

---

(١) سورة الرَّحمن : ٢٢ .   (٢) سورة النحل : ٨١ .

انظر خليلي بباب جلق هل يُؤمن دون التلقاء من أحد
أظعان سعي إذ هبطن من الهضبة والكثبان والسند
يحملن حُوراً حُور المدامع في الربط يبيض الوجوه كالبرد

قال : فلما سمع حسان الغناء ؛ قال حسان : ليتني هناك سميعاً بصيراً ، وعيناه تذرفان بالدمع ؛ وقيل بإسنادٍ : لما رجع من تلك المأدبة ، أتى منزله ، واستلقى على فِراشه ، وضع رجلاً على الأخرى ، وقال : والله ، لقد ذكرتني رابعة وصاحبتها أمراً ، سمعت أذناي في الجاهلية ، مع جبلة بن الأيهم ، قيل له : يا أبا الوليد ، وهل كان القيان عند جبلة ؟

قال : فتبسم ضاحكاً وجلس ، ثم قال : رأيت عند جبلة عشر جوار ، خمس رُوميات يُغنين بالرُومية ، وخمس يُغنين غناء أهل الحيرة ، بعث بهن إليه أناس من قيضة الطائي ، وكانتا يُغنينه من وفد عليه من العرب ، وكان إذا جلس للشراب ، فرش تحته الآس ، والورد ، والياسمين ، وأصناف الرياحين ، في مجلس مد البصر ، وضرب العبير في صحائف الذهب والفضة ، وأتوه بالعود ، فأوقد عليه ، فلا والله ما جلست يوماً معه ، إلاَّ وخلع عليَّ ثيابه التي عليه في ذلك اليوم ، أو على غيري من جُلسائه ، ومع هذا حلم راجح ، وكُنا على دين الشرك ، وجبلة لم يبت قط إلاَّ حتى يخلع ثيابه التي عليه ، على أحد من جُلسائه ، يلبس من غد غيرها ، وكان مُتفقاً على جُوده .

وقيل : أن معاوية بن أبي سفيان ، بعث رجُلاً يُقال له : أبو الأعور السلمي ، إلى ملك الروم ، فلما دخل أبو الأعور على ملك الروم وكلمه ، أوصل إليه الكُتب ؛ قال : فالتفت ملك الروم إلى رجل بجنبه ، فقال : أنزل عني هذا ؛ قال أبو الأعور : فخرجت ، فلم أزل بالباب حتى خرج الرجل الذي كان بجنب الملك ، ثم أذن لي فدخلت ، حتى وصلت إليه ، وإذا برجُل

قاعد وحوله غلمان ، عليه ثياب غير جُدد ؛ فقال لي : أتعرفني ؟ فقلت : لا أعرفك ؛ فقال : أنا جبلة بن الأيهم ؛ ثم أقبل عليَّ ، وقال لي : ويحك ، أني لم أزل أطلب رجُلاً غريباً ، يُبلغ عني ، حتى رأيتك ، وأرجو أنك تكون موضع لذلك ؛ فقلت له : إني بجنب سرك ؛ فقال : بلغ عني معاوية بن أبي سُفيان ، أني كان لما عليه من مقامي مع هؤلاء العلوج .

قال : فقلت له : أكتب كِتاباً ؛ فقال : أحب ، ولكن احفظ بقلبك ، فكشف ما في نفسه ؛ فقلت له : إن حسان قدِم الشام ، وأمرني أن أبلغك سلامه ؛ فقال : نعم ، أبلغه أني غير تاركه ؛ ثم دعا بخادم له ، وقال : ناولني الحق الفلاني الذي فيه كذا وكذا ، فأتاه به ، فقبضه ، ثم أمر بأثواب ، فدفع الكل إليَّ ، وأمرني أن أدفعه إلى حسان ، ثم أوصلت رسالته إلى معاوية .

قال : فأجاب معاوية إلى ما طلب منه ، وسر بذلك ، وكتب كِتاباً ، وبرد برداً ، فخرج البريد ؛ ووجد جبلة قد مات ، ثم سلمت إلى حسان ما أرسل إليه ، وقد كنت كشفت الحق بعد خروجي من عند جبلة ؛ فوجدت فيه جوهرة عظيمة ، فدفعت ذلك إليه ، فأخذه ، ثم قال : هل إلى جبلة من سبيل قبل الموت ؟

وفي حديث آخر : أنه لما سار جبلة إلى هرقل - ملك الروم - كتب إليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كِتاباً ، يدعوه إلى الإسلام ، وكان الذي أشار على عمر (رضي الله عنه) بذلك ، عِبادة بن الصامت ؛ قال : فكتب عمر (رضي الله عنه) كِتاباً ، وأرسله إلى يزيد بن أبي سفيان ، ليبعث به إلى جبلة .

قال : فبعث يزيد مع تميم بن بشير الأنصاري ، وأمره بلقاء هرقل ، فسألني ، فلما فرغ من سؤالي ، قال لي : هل لك في رجُل من العرب ، من أهل بيت مُلك وشرف ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأمرني ، فدخلت على جبلة بن الأيهم ، وعليه تاج ، وحوله أناس ، فسألني ، فانتسبت له ، فرحب بي ، وقال : ما أقدمك ؟ فدفعت إليه الكِتاب ، أي : كِتاب عُمر (رضي الله عنه) .

قال : فقرأ جبلة الكِتاب ، ثم دعا بغدائه ، ثم قال : أي طعامنا تأكلون ؟ قلت : كل الطعام إلاّ الخنزير ؛ فقال : أن الحُر لا يأكل الخنزير ؛ ثم قال : وأي شرابنا تشربون ؟ فقلت : الماء ؛ فقال : يا غلام ، آتنا بآنية ومناديل جُدد ، فإن من إجلال الضيف ، أن يُكره إلاّ على ما يُريد ؛ فبينما نحن بعد فراغنا من الطعام ، إذ نحن بجاريتين ، مع كل جارية جامان عظيمان مملوّان ، أحدهما : ماء ورد ، والأخرى : تحمل مسكاً ، وعلى رأس كل واحدة ، طائر يشبه الطاووس ، لم أر من الطير مخلوقين أحسن منهما ؛ قال : فوقع أحد الطيرين في جام المسك ، ووقع الآخر في الجام الذي فيه ماء الورد ، ثم خرجا من الجامين ، فوقعا على منكبي جبلة ، فنفضا أجنحتهما عليه ، وعلى ثيابه ، ثم يعودان في الجامين ، ويرتفعان على منكبي جبلة ، فينضحان بذلك الطيب ، مرة أخرى بعد أخرى ؛ فهذا ما عنى به صاحب : " القصيدة " ، حيث يقول : { تطل عليه الطير بالمسك ناضحه } ؛ ثم قال جبلة للمُغنيتين : غنيا قول حسان ، حيث يقول :

لله در عصابةٍ نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

قال : فضحك عند ذلك جبلة ، وعلى ما قاله حسان ؛ وقال : ما فعل ابن الفريعة ؟ قلت له : حي صالح ؛ قال : فإذا كان مسيرك ، فاذكرنيه حتى أعطيك له شيئاً ؛ فلما حضر مسيري ، أعطاني له أربعمائة دينار هرقلية ، وتسعة أثواب من بز الملوك ؛ وقال : ادفع هذا إلى حسان ، فلما قدمت المدينة ، لقيت حسان ، قلت له : يا ابن الفريعة ، إن جبلة يُقرئك

السلام ؛ فقال : وعليك وعليه السلام ، وهات ما بعث به إليَّ معك ؛ قلت : وما يُشعرك ؟ قال : فرض لي عليه في كل عام ؛ فقلت : ها هو ، فدفعت إليه ، فهذا ما بعث به إلى حسان ، فأرسله إليه على بُعد داره ، بالحبا والكرامة ؛ والأشياء التي ذكرناها له ، تدل على جُوده ، وكرمه ، وحشمه ، وحميته ، وأنفته ، وهذه أخباره في الإسلام ، وهي دالة على شهرته ، وجُوده في الجاهلية .

وعن محمد بن جعفر بن الوليد ، عن ابيه ، عن جده ، أنه قال : غزونا مع يزيد بن معاوية الروم ، فانتهى إلى مدينتهم العُظمى ، وإذا هو بقُبتين عظيمتين على رأس المدينة ، إحداهما : حمراء ، والآخرى : صفراء ، فإذا هزمت العرب الروم ، ضربت الجواري القبة الصفراء بالدفوف ، وإذا هزمت الروم العرب ، ضربت الجواري القُبة الحمراء بالدفوف .

قال : فسأل يزيد بن معاوية عن ذلك ، فلم يجد من يُخبره بذلك ، حتى إذا أخذ أسيراً من الروم ، فسأله عن ذلك ؛ فقال له : أما القبة الحمراء ، ففيها إبنة ملك الروم ، فإذا هزمت الروم العرب ، ضربن الدفوف فرحة بذلك ؛ وأما القبة الصفراء ، ففيها إبنة جبلة بن الأيهم وحشمها ، فإذا هزمت العرب الروم ، ضربن الدفوف فرحة بذلك ، وقلن قد غلبنا بني عمنا الروم ؛ قال : فقال يزيد : والله ، لأدخلن السرور على إبنة جبلة بن الأيهم ، فشد في القتال ، حتى وصل إلى قريب من باب القُسطنطينية ، وأبلى في الروم يومئذ بلاءً حسناً .

ووجدت : أن جبلة بن الأيهم ، آخر ملوك بني غسان ، وهو الذي غضب وأنف أن تكون عينه وعين المزني بمنزلة واحدة ، فتنصر ودخل في دين النصرانية مع الروم ، وهو القائل في ذلك ـ جبلة بن الأيهم ـ هذه الأبيات :

تنصرت الأشراف في عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
يُداخلني فيها لجاجٌ ونخوةٌ ... وكنت كمن باع السلامة بالغرر
فيا ليت لي بالشام أدنى معيشة ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى القول الذي قاله عُمر

يعني : عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، لأنه كان حكم عليه بالقصاص ، في عين الرجل المزني ، فأبى جبلة من قبول الحُكم - أنفة وحمية - من الحُكم عليه ، وكانت قصة جبلة : أن هذا الرجل المزني ، نازع جبلة ، ولطمه جبلة لطمة فأبلع عينه ، فحكم عليه عُمر (رضي الله عنه) بالقصاص ، فأبى ، وخرج من دِّين عُمر (رضي الله عنه) ، في مائة ألف ، منها ثلاثون ألفاً من غسان ، وسبعون ألفاً من سائر الناس ؛ وكان خروجه إلى الروم .

وأما قوله في البيت : { تطل عليه الطير بالمسك ناضحه } ؛ فالطير : واحد الطيور ؛ وقد يكون الطير جمعاً ؛ والحجة ، قول الله (تعالى) : ﴿ قال فخذ أربعة من الطير ﴾ (١) ؛ ولم يقل : من الطيور ، فلفظه واحد ؛ ومعناه : جمع ؛ وقوله (تعالى) : ﴿ فصرهن إليك ﴾ (١) ، أي : ضمهن ؛ وقيل : إجمعهن ؛ وقيل : فرقهن بعد الذبح .

فمن قرأ : [فصرهن] (بضم الصاد) : أراد جمعهن ؛ ومن قرأ : [فصرهن] (بكسر الصاد) : أراد قطعهن ، وفرقهن على كل جبل .

وقيل : أن الله (عز وجل) ، أمره : أن إذبحهن ، ثم قطعهن ، وأخلط اللحم باللحم ، والعظم بالعظم ، والدم بالدم ، والريش بالريش ، ثم جزئهن أربعة أجزاء ، بعد خلط بعضهن ببعض ، ثم إجعلهن على أربعة أجبل : ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهم جُزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴾ (١) .

قال : ففعل ذلك ، فأتينه يسعين ، أي : يطرن مُسرعات ؛ قيل : أن

(١) سورة البقرة : ٢٦٠ .

الأطيار كُن : ديكاً ، وحمامة ، وغراباً ، وطاووساً ؛ قال الشاعر :

متى تقول خلت من أهلها الدار كأنهم بجناحي طائر طاروا

وقوله (ﷻ) ، في مُحكم كِتابه : ﴿ قالوا إنا تطيرنا بكم ﴾ (١) ، أي : تشاءمنا بكم ؛ ومعنى قوله (ﷻ) : ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ (٢) ؛ عملكم حظكم ، من الخير والشر .

وقوله : { بالمسك ناضحه } ؛ فالمسك : قد تقدم شرحه ؛ وناضحه : قال الله (ﷻ) : ﴿ فيهما عينان نضاختان ﴾ (٣) ؛ والنضخ عند العرب : الرش ؛ نضاختان : رشاشتان ؛ والنضح (بالحاء) : دون النضخ ؛ والله أعلم ، هكذا وجدت .

وأما قوله : { وتزدحم الوفاد للرفد مانحه } ؛ تزدحم : من الزحام : وهو أن يجتمع الناس ، يركب بعضهم بعضاً ؛ قال الشاعر :

تزدحم الناس على بابه والمورد العذب كثير الزحام

والوفاد : جمع وافد ؛ والوفد : الركبان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يوم نحشر المُتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ (٤) ، أي : ركباناً .

ويُوجد في التفسير : أن الناس يُحشرون يوم القيامة ، على ثلاثة أصناف : ثلث على الدواب ركباناً ؛ وثلث على أقدامهم ؛ وثلث على وجوههم .

وقيل في قوله (ﷻ) : ﴿ ونسوق المُجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ (٥) ؛

---

(١) سورة يس : ١٨ .
(٢) سورة يس : ١٩ .
(٣) سورة الرحمَن : ٦٦ .
(٤) سورة مريم : ٨٥ .
(٥) سورة مريم : ٨٦ .

فالورد : أن يردون الماء عطاشاً ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ [1] ، يعني بذلك : جهنم ـ نعوذ بالله منها ـ يعني : بئس العطاء الذي أعطوه أهل النار .

وقوله : { للرفد مانحة } ؛ فالمانح : المُعطي ؛ وأصله : أن الرجل ينزل إلى أسفل البئر ، إذا كان ماؤها قليلاً ، ثم يغترف الماء من البئر في دلوه ؛ والماتح (بالتاء) : الذي يجر الدلو من البئر ، ويرفعه من البئر ؛ قال الشاعر :

يا أيها الماتح دلوي دونكا إني سمعت الناس يحمدونكا

وأما قوله : { له أنملٌ كالسحب بالعُرف طافحه } ؛ فقد تقدم فيه الكلام ؛ وطافحة : مملوءة ؛ تقول : طفح البحر ، يطفح ، فهو طافح : إذا إمتلأ ؛ قال الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله) :

فلله قبر ضمن البر والتقى بنخل وبحراً بالمواهب يطفح

وقوله : { وكفٌّ وكوفٌ بالمكارم لائحه } ؛ فقد تقدم ذِكر الكف ؛ والوكوف : مأخوذ من وكف القطر ، إذا همل وانسكب ؛ وكوف السماء : إذا إنسكب ؛ وقد تقدم ذِكر المكارم ، والكريم ، والكرم ؛ قال المُتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

والمكارم : فعل الكرام .

وقوله : { لائحه } ؛ من قولك : لاح البرق : إذا أضاء ؛ ولاح فلان : إذا رأيته طالعاً من مكان بعيد ؛ ولاقحه : من قولك : لقحت الناقة ، إذا حملت ، فهي لاقحه ؛ أيضاً المرأة تسمى لاقحه : إذا حملت ؛ وأكثر

(١) سورة هود : ٩٨ .

إستعمالهم في النوق ؛ وسُميت الرياح : لواقح ، لأنها تلقح السحاب ، أي : تثيره ، وتلقحه ، أي : تحمله الماء .

وأما قوله : { وذو همةٍ للنجم في السمك ناطحه } ؛ الهمة : واحدة الهم ؛ والهم : معروف ؛ وقد تقدم ذِكره ، وذِكر النجم ؛ والسمك : ما علا رأسك من السماء ، وغيره .

ويُقال لسقف البيت : سمك ، وسماء ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ رفع سمكها فسواها ﴾ [١] ، أي : خلقها وعدلها ، فلا يُرى فيها فطور ، ولا تفاوت ، وطولها مسيرة خمسمائة عام .

وقوله : { ناطحه } ، أي : همته تناطح النجم ؛ ومنه تناطح الكبشان : إذا تصادما ؛ قال الشاعر :

كأن جوادينا لدى حومة الوغى　　إذا إصطدما كبشان ينتطحان

ويُقال للسيد الشُجاع : كبش النطاح .

وأما قوله : { سليل الأولى الأملاك أرباب تيجان } ؛ فالسليل : الولد ؛ قال الله (تعالى) : ﴿ ثم جعل نسله من سُلالة من ماءٍ مهين ﴾ [٢] ؛ إشتقاقة من قولك : سللته من الشيء ، إذا أخرجته منه ؛ قالت هند ـ امرأة الحجاج ـ :

وما هند إلاَّ مُهرة عربية　　سليلة أفراس تسنمها بغل
فإن أنتجت مُهراً كريماً فبالحري　　وإن كان إقرافاً فما خبأ الفحل

والأملاك : جمع ملك ؛ وقد تقدم ذِكر ذلك ؛ والأرباب : الملوك ؛ والله (جل جلاله) رب الأرباب ؛ والتيجان : جمع تاج ؛ والتاج : ما يُحمل على رؤوس الأملاك ، ولا يكون إلاَّ للملوك ، وهو من،سوج بالذهب ، ومُرصع

(١) سورة النازعات : ٢٨ .　　(٢) سورة السجدة : ٨ .

بالدُر ، والياقوت ، وأصناف الجواهر ؛ والرواية عن النبي (ﷺ) ، أنه قال : " العمائم تيجان العرب " ؛ قال الشاعر :

ولا محكم بحر العمامة كلها ولا هودة المغصوب تاج الأعاجم

بيت القصيدة :

لنا مطعم عين النعيم وقلبه وما يصطفيه ربنا ويحبه
ومسرحنا ريف الشام وخصبه وكم ثم من قصر لنا التبر تربه
ومفرشه الخز الذي يستحبه وعدنان مأواها الخراب بقيعان

الشرح :

قوله : { لنا مطعم عين النعيم وقلبه } ، معناه : جعل طعمنا عين النعيم وقلبه ، أي : جعل طعامنا عينه وقلبه ؛ وجعل النعيم عيناً وقلباً ؛ والعين والقلب : خير ما يكون في الإنسان ؛ كما قيل : " المرء بأصغريه : لسانه ، وجنانه " ؛ والمطعم : هو الطعام الذي يُقاس به طعم الرجل ، إذا أكل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ (١) ، معناه : إذا أكلتم ؛ وطعم : إذا أكل ؛ وأطعم : إذا أطعم غيره ؛ الحجة ، قال الله (ﷻ) في مُحكم كِتابه : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ (٢) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴾ (٣) ؛ وعين الشيء : خياره ؛ والعين : التي يُبصر بها الإنسان ؛ والعين : الذهب نفسه ؛ والعين في اللغة على وجوه كثيرة ؛ وأما القلب : فقال الخليل : أنه مُضغة في الفؤاد ، مُعلقة بالنياط ؛ قال الشاعر :

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣ .
(٢) سورة الحج : ٢٨ .
(٣) سورة قريش : ٤ .

فكيف بقلب إنما هو مُضغة يُقلبه حر النوى والهواجر

وقال غيره :

ما سُميَّ القلب إلاَّ من تقلبه والرأي يصرف والإنسان أطوار

وجمع القلب : قلوب .

وفي الحديث : " أن لكل شيءٍ قلباً ، وأن قلب القرآن يس " ؛ والقلب والفؤاد : إسمان بمعنى واحد ؛ والله أعلم ، هكذا ما وجدت ؛ قال الشاعر :

وما سُميَّ الإنسان إلاَّ لأنسه وما القلب إلاَّ أنه يتقلب

ومعنى صاحب القصيدة ـ والله أعلم ـ : أن لهم من النعيم عينه وقلبه ، كما تقول : هذا لب الشيء ، ولبابه ، وخياره ، وصفوته ؛ والنعيم : كل شيء ما تنعم به الإنسان : وهو عند العرب نعيم ؛ والله أعلم .

والحجة ، قول الله (ﷻ) : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ [١] ؛ قيل في التفسير : النعيم : الماء البارد ؛ وقيل : الظلال .

وأما قوله : { وما يصطفيه ربنا ويحبه} ؛ الإصطفاء : الإختيار ؛ يصطفيه : يختاره ؛ وصفوة الشيء : خياره ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إن الله إصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ [٢] ، أي : إختارهم ؛ وقال الله (ﷻ) في موضع آخر : ﴿ وانهم عندنا لمن المُصطفين الأخيار ﴾ [٣] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ إن الله إصطفاك وطهرك ﴾ [٤] .

---

(١) سورة التكاثر : ٨ .
(٢) سورة آل عمران : ٣٣ .
(٣) سورة ص : ٤٧ .
(٤) سورة آل عمران : ٤٢ .

وقوله : { ويحبه} ، أي : يرضاه ؛ وليس محبة الله (عَجَّلَ) ، كمحبة خلقه ؛ قال (تَعَالَى) : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله ﴾ [1] ، أي : يرضى عملكم ، ويتقبل منكم ، ويقيكم بعد الرضا الجنة .

وقوله : { ومسرحنا ريف الشام وخصبه } ؛ فالمسرح : المكان الذي تسرح الناس إليه ؛ والريف : هو الخصب ، وسعة العيش ؛ والشام : هو بلد معروف ، وهو دمشق وما حولها ، وهو إقليم واسع ؛ قال الشامي :

خليلي هل برق الشام شئآم　　　إذا لم تكن لي زورة ولمام

وقال أيضاً :

تقاذفت الآفاق بي وتحولت　　　لنا يمن عن حالها وشئآم

والخصب : ضد المحل ؛ قال الشامي :

متى تجمع الأيام بيني وبينها　　　فيخصب قلب قد أضر به المحل

وقوله : { وكم ثم من قصر لنا التبرُ تربه } ؛ ثم : إذا كانت مفتوحة (الثاء) : كانت حرف ، ولعلها : حرف عطف ؛ والقصر : واحد القصور ؛ وأما التبر : فهو الذهب ؛ قال الشيخ أحمد بن النضر (رحمه الله) :

سلي أولي الصنعة من حاكة　　　الديباج أو من صاغة التبر

تقول العرب : إن أنزل العرب قدراً ، من أهل الصنع : الصاغة ـ لعله : الحاكة ـ وأما الترب ؛ فهو التراب ؛ قال أبو نواس :

(١) سورة آل عمران : ٣١ .

إذا نلت منك الود فالمال هين   وكل الذي فوق التراب تراب

وقال غيره :

أنا وجميع من فوق التراب   فدى لتراب نعل أبي تراب

وقيل : أن أبا تراب ، كُنية : عليّ بن أبي طالب ؛ وإسم التراب ، أصله من كِتاب الله (ﷻ) ، فقال وقوله الحق ، في صفة الكافر : ﴿ يا ليتني كُنت تراباً ﴾ [1] ؛ فقال التراب : لا ، ولا كرامة لك ، أن تكون مثلي ، أو من جعلك مثلي ، أنت أقل القليل ، أخسأ في جهنم صاغراً .

وأما قوله : { ومفرشه الخز الذي يستحبه } ؛ المفرش : الموضع الذي تفرش فيه الفرش ؛ فواحد الفرش : فراش ؛ قال الله (ﷻ) في مُحكم كِتابه العزيز : ﴿ كالفراش المبثوث ﴾ [2] ؛ وقال (ﷻ) في الجمع : ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ [3] ؛ والخز : ضرب من الحرير والإبريسم ؛ وقال الشاعر ، في الجمع ، وأظنها الخنساء :

ويلبس في الحرب نسج الحديد   ويلبس في السلم خزاً وقزاً

وقوله : { الذي يستحبه } ؛ فيستحبه : مُستفعل من المحبة ؛ والمحبة ، والحُب : معروفان .

وأما قوله : { وعدنان مأواها الخراب بقيعان } ؛ فعدنان : تقدم نسبه ؛ والمأوى : الذي يأوي إليه الإنسان ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ مأواكم النار هي مولاكم ﴾ [4] ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ فإن الجنة هي المأوى ﴾ [5] ؛

(١) سورة النبأ : ٤٠ .
(٢) سورة القارعة : ٤ .
(٣) سورة الواقعة : ٣٤ .
(٤) سورة الحديد : ١٥ .
(٥) سورة النازعات : ٤١ .

وقال (ﷻ) : ﴿ يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المُؤمنين ﴾ [1] ؛ ويُقال : أنها نزلت في بني قريظة ، وبني النظير ؛ قول العرب : خراب بيات ؛ فالبيات : الذي لا فيه أحد ؛ قال الشاعر :

فيا ليت ما بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

والقيعان : جمع قاع ؛ والقاع من الارض المستوي : الأملس ؛ قال امرؤ القيس :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها مملوءة حب فلفل

يعني : أنه هو موقوفة ، يسكنون الأرض وقيعانها ، ولا ينالون نعيم القرى ، وهم النازلون بالعراء .

بيت القصيدة :

ومطعمها عند الخطوب الكوائن إذا نزلت للرعي حول المدائن
صيادة جرذان هناك سواكن وأخذ يرابيع قصعن كوامن
وجرش ضباب في الجحور مواكن بها يتغذى منهم كل مبطان

الشرح :

قوله : { ومطعمها عند الخطوب الكوائن } ؛ فتفسير المطعم في البيت الأول : أنه مطعمه ومطعم قومه ، عين النعيم وقلبه ، ومطعم هؤلاء : إنما هو الجرذان ، واليرابيع ، والضباب ؛ والخطوب : جمع خطب ؛ والكوائن : نعت الخطوب ، وهو مُشتق من كان ، يكون ، فهو كائن ؛ والكوائن : جمع كائن ، أو كائنة .

(١) سورة الحشر : ٢ .

وقوله : { إذا نزلت للرعي حول المدائن } ؛ نزلت : فالنزول بالمكان ، والحلول به ؛ قال الشاعر :

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا

وأنزلت الشيء من أعلا إلى أسفل ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ (1) ، يعني بذلك : القرآن الكريم ؛ والرعاة : الذين يرعون ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ حتى يصدر الرعاء ﴾ (2) ، يعني : الرعاة ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ (3) ؛ قال الشاعر :

فنحن رعية وهم رعاة ولولا رعيهم شبع الستار

وحول الشيء : ما طاف به وحواليه ؛ وأحسب أن هذا قد تقدم ذِكره ؛ والمدائن : جمع مدينة ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ (4) ؛ وقال (ﷻ) : ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ (5) ؛ وفي العراق مدينة تسمى : المدائن ؛ وقيل : هي مدائن كسرى .

وأما قوله : { صيادة جرذان هناك سواكن } ؛ فصيادة : مصدر صاد ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ (6) ؛ ويُقال : أن الصيد ما اصطيد وهو حي ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ مُكلبين تعلمونهن ﴾ (7) ، أي : تعلمونهن الصيد ؛ قال الشاعر :

يا طامعا بظبا الخصيب يصيدها أخشى عليك تصاد قبل تصيد

---

(1) سورة القدر : 1 .
(2) سورة القصص : 23 .
(3) سورة طـه : 54 .
(4) سورة القصص : 15 .
(5) سورة القصص : 20 .
(6) سورة المائدة : 2 .
(7) سورة المائدة : 4 .

والجرذان : جمع جرذ : وهو ذكر الفأر ؛ وبعض يرى : أنه نوع يشبه الفأر ؛ قال الحريري :

وحادثات قرعت مروتي وقوضت مجدي وبنيانه
وأمحلت ربعي حتى خلت من ربعي الممحل جرذانه

وسواكن : مأخوذ من السكون بالمكان ، والإقامة به ، لا من السكون الذي هو ضد الحركة ؛ والسكن (مُحرك السين والكاف) : المكان الذي يسكن فيه ؛ والسكن (مُحرك السين مُخفف الكاف) : هم القوم الذين يسكنون بالمكان ؛ قال الحريري :

وجب البلاد فإنها أرضك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن
واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن
كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن

وأما قوله : { وأخذ يرابيع قصعن كوامن } ؛ فالأخذ : معروف ؛ تقول : أخذت الشيء ، آخذه ، أخذاً ؛ وإذا أمرت ، قلت : خُذه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ يا يحيى خذ الكِتاب بقوة ﴾ (١) ؛ قال الشاعر :

خذوا من ظبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

وأما اليربوع : قيل : أنه مثل الضبة ؛ وقصعن ، أي : أقمن ؛ وقصع بالمكان : إذا أقام به ، فهو قاصع ؛ قال الأخطل :

غدوت بأرض قاصعا من ضرورة وقد كنت أهوى أن أرى غير قاصع

---

(١) سورة مريم : ١٢ .

وعندي : أنه مأخوذ من القاصعاء ؛ والقاصعاء : فم جحر اليربوع ، وهو أول جحره الذي يدخل منه ، ثم النافقاء ، والداما ، وابن أهطا ؛ فإذا أحس بطلب ، دخل في القاصعاء ، وخرج من النافقاء ؛ وسُمي المُنافق مُنافقاً : لأنك إذا جئته من وجه ، خرج من آخر ، ولا يُعرف له كل ذلك لنفاقه ، ومكره ، وخديعته ، وخبث باطنه ، ودناءة نفسه ؛ وكوامن : جمع كامنة ؛ من قولهم : كمن بالمكان ، إذا أقام فيه مُستتراً ، مُختفياً لنفسه ؛ ومن ُلك اسم الكمين ؛ وأما الكمي عند العرب : فهو الشجاع ، الذي يخفي ﺷ جاعته ، ولا يرى إظهارها ، فهو عند العرب أفضل الرجلين ؛ وجمع الكمي : كماة ؛ قال عنترة :

ومدجج كره الكماة نزاله　　　لا مُمعن هرباً ولا مُستسلم

وقوله : { وجرش ضباب في الجحور مواكن } ؛ فجرش : أخذ من التجريش ؛ تقول : جرشت بين الرجلين ؛ وأصل الجرش : في صيد الضباب ، وهو : أن يأتي تحته ، إلى جحر الضب ، فإذا تركت ، وسمع الضب حركتها ، خرج ليُقابلها ، فيُصطاد عند ذلك ؛ ويُقال : أن العرب في أول الزمان ، تقول : أن الضب قال لابنه : يا بُني ، إحذر الجرش ؛ قال : فبينما هما ذات يوم مُجتمعان ، حفر ، حافر ، يحفر عنهما ؛ فقال ابن الضب : يا أبتِ ، أهذا الجرش الذي خوفتني منه ؟ فقال له : يا بُني هذا أجل من الجرش ، وأعظم مُصاباً ؛ فضربوا مثلاً لكل من كان يخشى شيئاً ، فوقع فيما هو أشد منه ؛ والضب : معروف ؛ قال الحريري :

والحمد والبخل لم يقض إجتماعهما　　　حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا

يعني بذلك : أنهما مُفترقان أبداً ، لأن الضب لا يعيش في الماء ؛ والحوت لا يعيش في البر .

وقولـه : { فـي الجحـور مـواكن } ؛ فـالجحور : جمـع جحـر : وهـو سرب اليربوع ، والضب ، وغير ذلك ؛ وكل سرب في الأرض : فهو جُحـر (الجيم مضموم) ؛ قال الشاعر :

وأنـت كالأفعى الـتـي لا تحتفـر ثـم تـجـيء سـادرة فـتنـجـحر

ومعناه : أنها لا تحتفر ، أي : لا تحتفر لنفسها بيتاً ، إلاّ أنـها تـدخل فـي كل سرب وجدته .

وقيل : تنجحـر : أنـهـا تـدخل فـي سرب غيرهـا ؛ وفـي المثـل : أن فلانـاً أظلم من حية .

ووجـدت : أن المكـن : بـيض الضـب ، فـي بعـض القـول ؛ والمكـن : مُستعار من مواكن ؛ تقول : مكن الضب ، يمكن ، مكونـاً ، فـهو مـاكن فـي جُحره ؛ كما يقول في الزجاج .

وأمـا قولـه : { كـل مبطـان } ؛ المبطـان : فهو كثيـر الأكـل ؛ ورجـل رغيب ؛ تقول العرب : الرغب : شؤم ؛ والـهيم عنـد العرب : الـذي يأكـل ، ويملي بطنه ، ولا تتهنا عينه ، ولا نفسه ؛ والمبطان ؛ كذلك قال :

فـتى غيـر مبطّان العشيات أروعـا ....

ورجل بطن : إذا كان لا يهمه إلاّ بطنـه ، وهو مذموم .

بيت القصيدة :

وإن عضـهم نـاب الزمـان المكالـب ونصـهم منـه بخـف وغـارب
لهـا فـي متـون المقفـرات الغـوارب وجـالوا مجـال الجـن فـي كـل جـانب
وألـقـوا بـهـا أشـراكهم كـالأرانـب ومـا ترتـعيها من ضباع ومضريان

الشرح :

قوله : { وإن عضهم ناب الزمان المكالب } ؛ فالعض : لا يكون إلاَّ بالأسنان ، وإنما هي إستعارة للزمان ؛ وقد قال الله (ﷻ) ، في مُحكم كِتابه : ﴿ عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ [1] ؛ قال ابن دريد :

تتغذى منهم الجوامع لحماً عاث فيه بظفرها والعظاظ

الزمان المكالب : نعت للزمان ؛ والزمان : معروف ، لأنك تقول : كلب ، ومكلب ، ومكالب ؛ والكلب : الذي لا يأكل لحوم الناس ، فيأخذه من ذلك شبه الجنون ، فلا يعُض إنساناً إلاَّ الكلب العقور ، الذي أصابه داء يُسمى الكلب ، وهو : أن يعوي عوي الكلاب ، ويُمزق أثوابه ، ويعقر من أصاب ، ثم تصير عاقبة أمره ، أن يأخذه العطش ، فيموت من شدة العطش ، وهو لا يشرب ، ولا يقدر أن يشرب .

وقيل : أن دواءه ، أن يأخذ من الدراريج ، فيُجفف في الظل ، ثم يُدق ويُنخل ، ويُجعل في جُزء من العدس المُنقى ، ثم يُسقى منه وزن قيراطين بشراب صرف ، ثم يُقام في الشمس ، ويُوكل به من لا يدعه ينام ، حتى يعرق ، ويُفعل به مراراً ، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى .

وتقول : كلب ، يكلب ، كلباً ، إذا حرص على شيء ؛ وزمن مكالبة ؛ ودهر كلب : إذا ألح على أهله بما يسوءهم ؛ وكلب على الشيء كلب : إذا حرص عليه ؛ والكلب ، والكلبة : معروفان .

وقد قيل : الكلب من لا يعرف الكلب ؛ وللكلب عشرة أسماء ، تقول في هذه الأسماء ، وهو : الكلب (المعروف) ، والذئب (كلب البر) ، والأسد (كلب الله) ، والكلب (مسمار قائم السيف ، الذي فيه الدواة ، وهو السير

---

(١) سورة آل عمران : ١١٩ .

المعروف عند الناس بالمرياس) ، والكلب (كلب الماء) ، والكلب (نجم من النجوم تحت الدلو ، على ما وجدت) ، والكلب (سير أحمر ، يجعل بين طرفي الأديم ، إذا خرز) ، والكلب (سمكة في البحر) ، والكلب (ما يعلق به على الرجل ، من بقية الأثاث) ، والكلب (جبل معروف) ، فهذه عشرة أسماء .

ويُقال : أن الكلاب كانت من الوحوش ، وأنه لما أهبط الله (ﷻ) ، آدم (عليه السلام) ، هربت الوحش ، ثم أنها إعتورته لتأخذه ، حتى أشفق منها ، فأوحى الله (ﷻ) إليه ، أمرر يدك على أقربها إليك ، وكان الكلب أقربها ، فلما وضع آدم (عليه السلام) ، يده على الكلب ، أنس به ، ثم هرش به عن السباع ، ثم صار آدم (عليه السلام) أنيساً له ، والله أعلم بصحة الأخبار ؛ قال جرير :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي حوره المُستنفر الحامي

ويُروى : (المُستأسد الحامي) ؛ وقال الشافعي :

ليت الكلاب لنا كانت مُجاورة وإننا لا نرى مما نرى أحدا
إن الكلاب لتهدي في أماكنها والناس ليس بهادٍ شرها أبدا
فاحتل لنفسك في تفريدها أبداً تعش حميدا إذا ما شئت مُنفردا

وأما قوله : { ونصهم منه بخفٍ وغارب } ؛ نصهم ، يعني : أخرجهم ؛ من قولهم : نص الحجر ، إذا خرج منه الماء ، ولعل الكلمة تكون : رضهم ؛ والرض : الدق ؛ تقول : رضضته رضاً ، أي : دققته دقاً ، أي : دون السحق ؛ والقول : (رضهم الزمان بخف وغارب) ، أي : وطئهم ، وليس للزمان خف ، ولا غارب ، وإنما هذا على الإستعارة ومجاز اللغة ، وقد تقدم ذِكر ذلك .

والخف : للجمال ؛ وجمعه : أخفاف ؛ قال ابن دريد :

أخفافهن من وجىً ومن حفىً مرثومة تخضب مبيض الحصى

والنسك : للفرس ؛ والمخلب : للطير ؛ والبرثن : للكلب ؛ وما كان بمنزلة الأصابع للإنسان والفرس ؛ والمنسم : الظفر للإنسان ؛ والغارب : للفرس ، وما تحت الفرس .

وقيل : ما قدام السرج ؛ وقيل : أن اسمه الحارك في الفرس ، وفي غير الفرس من الدواب : الغارب .

وقيل : أن الغارب : كل دابة ظهرها .

وأما قوله : { لها في متون المُقفرات الغوارب } ؛ علو: من العلو ؛ تقول : علا ، يعلو ، علواً ، وعلا ، فهو : عال ؛ قال الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم ....

والمتون : جمع متن الإنسان ؛ ومتن الفرس : موضع الراكب ؛ ومتن الأرض : ما علا منها واستوى ؛ قال امرؤ القيس :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

وله أيضاً :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقد تقدم ذِكره ؛ والمقفرات : جمع مقفرة ؛ أقفرت الأرض ، فهي مقفرة ؛ والقفر : هو المكان الخالي من الناس والماء ، وربما كان من الكلأ ؛ وأقفر الرجل من أهله ، إذا غاب عنهم ، وبقي وحده ؛ قال عُبيد بن الأبرص :

أقفر من أهله عُبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والقفار : جمع قفرة .

ويُوجد : أن القفار : هي العظام ـ لعله : هو الطعام ـ الذي لا أدم فيه ولا دسم .

وفي الحديث : " ما أقفر قوم وعندهم الخل " ؛ فأقام الخل مقام الأدم ؛ والقائف : الذي يقتفي الأثر ، أي : يتبعه ؛ والعازب من كل شيء : البعيد ؛ والعزب : الذي لا أهل له ؛ وقد عزب ، يعزب ، عزوبة ؛ والمُعازبة : التي طالت عزوبته ، حتى ما له في الأهل من حاجة ؛ ويُقال : عزب فلان حلمه وعقله ، إذا ذهب عنه ؛ وأعزب الله عنه حله ، إذا ذهبه ؛ قال الشاعر :

وعازب نور في خلائه في مقفر الكمأة من خبائه

وكل شيء يعوزك ، حتى لا تقدر عليه ، فقد عزب عنك ؛ والله (ﷻ) : ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاَّ في كِتاب مُبين ﴾ [(١)] ؛ والعازب من الكلأ : الذي لا يرعى قط لبُعده ؛ وأعزب القوم : أصابوا عازباً من الكلأ .

وأما قوله : { وجالوا مجال الجن في كل جانب } ؛ تقول : جلت في البلاد جولة ، إذا ضربت فيها شرقاً وغرباً ؛ والجُولان : الإضطراب في البلاد ؛ والجُولان أيضاً : تراب تجلبه الريح على وجه الأرض ؛ وجال التراب وإنجال : إذا إنكشف عنها ؛ وأجالوا القوم الرأي بينهم ؛ والجن : أحد الثقلين : (الجن والإنس) ؛ وسُميَّ الجن جناً ، لإستتارهم عن أعين الناس ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾ [(٢)] ، يعني :

---

(١) سورة سبأ : ٣ .

(٢) سورة الصافات : ١٥٨ .

الملائكة ؛ قال الأعشى ، في قصة سُليمان بن داوود (عليهما السلام) :

وسخر من جن الملائك تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

أراد : الجن الملائكة (عليهم السلام) ؛ وأضافهم إليه ، لإختلاف اللفظين .

وقيل : كل مستجن فهو جني ؛ ومن ذلك : سُميَّ الجنين في بطن أمه ؛ والجنين في القبر أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ [1] ؛ قال عمرو بن كلثوم :

ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلاَّ جنينا

والعرب : إذا مدحوا رجُلاً بالشدة والنجدة ، سمُّوه : جنيناً ، شبيهاً بالجن ؛ فصارت مثلاً ؛ قال زهير :

جميل عليها جنة عقربية جديرون يوماً أن ينالوا فيشعلوا

وكذلك إذا إستحسنت العرب امرأة ، قالوا : جنية ؛ قال غيره :

جنية من نساء الإنس أحسن من شمس النهار وبدر الليل قد قرنا

وقال غيره :

جنية أم لها جن يُعلمها ترمي القلوب بلا قوس ولا وتر

وقوله : { في كل جانب } ؛ فجانب كل شيء : ناحيته ؛ وجوانب الجبل : نواحيه ؛ ورجل سهل الجانب ، أي : سهل النفس ؛ في المُقابل : رجل أجنبي ، أي : بعيد منك في النسب والدار ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ والجار

(١) سورة النجم : ٣٢ .

الجنب ﴾ [1] ؛ الذي يُجاورك من قوم آخرين ؛ ورجل ذو جنابة ، أي : لا قرابة له ؛ قال النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همه   تضاعف فيه الحُزن من كل جانب

وأما قوله : { وألقوا بها أشراكهم كالأرانب } ؛ وألقوا : قد تقدم ذِكره ؛ وبها ، يعني : بمتون الأرض أشراكهم ؛ والأشراك : جمع شرك (مُحرك الشين والراء) : ما ينصبه الصائد ؛ وكل شيء يُنصب للطير ، أو للصيد : فهو شرك ؛ والأرانب : جمع أرنب : وهي من الصيد ، إلاَّ أنها صغيرة ، قليلة في جنب غيرها ؛ قال الشاعر :

صيد الملوك أرانباً وثعالباً   وإذا ركبنا صيدنا الأبطالا

وقوله : { وما ترتعيها من ضباع وضريان } ؛ فيرتعي : يفتعل : من الرعي ؛ والضبع : معروفة ؛ وتُكنى الضبع : أم عمرو ، وأم عامر ؛ قال الشاعر :

ومن يفعل المعروف في غير أهله   يُجازى كما جُوزي مُجير أم عامر
أعد لها لما إستجارت ببيته   لتأمن البان اللقاح الدرائر
فأسمنها حتى إذا ما تمكنت   فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاءُ من   يجود بمعروف إلى غير شاكر

والضبع أيضاً : السنة ؛ قال الشاعر :

أبا خراشة أما كُنت ذا نفر   فإن قومي لم تأكلهم الضبع

وأما قوله : { وضريان } ؛ فالضريان : دُويبة صغيرة .

---

(١) سورة النساء : ٣٦ .

ووجدت في كِتاب : " العين " : أنها أكبر من الجرذ ، على خلقة الكلب ، مُنتنة الريح .

ويُوجد : أنها تأتي إلى جُحر الضب ، فتفسو فيه ، فيخرج من حر ما يجد من إنتان ريحها فتأكله .

ومعنى صاحب هذه القصيدة : أن عدنان تأكل هذه الدواب كلها ، من شدة الجوع ، وهذا قد نسب إلى ربيعة ، وشهر عند العرب .

ومن قولهم : ربيعة الجوع ؛ ولم يُسم بهذا الإسم أحد من العرب قط ، فصار الأغلب عليهم من النسب ؛ قال الشاعر :

ربيعة الجوع كفوا عن مآكلكم لحمي فليس بلحمي سورة الجوع

وقال الراجز :

كل الطعام تشتهي ربيعة الخرس والإعذار والنقيعة

فالخرس : الطعام الذي يُصنع للنفساء ، إذا إغتسلت من نفاسها ؛ والإعذار : الطعام عندما يُختتن الصبي ؛ والبقيعة : طعام القادم من السفر ؛ والبقعة ـ في غير هذا ـ : هي العبيطة من الإبل ، وهي الجزور ؛ قال المهلهل :

إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ضرب القدار نقيعة القدام

القدار في لغة العرب : الجرار ؛ والقدام : هو الملك .

وقيل : أن النقيعة : ما يجُره رئيس القوم من الغنيمة ، قبل أن تقسم ؛ والنقري : الطعام الذي يدعو إليه بعض دون بعض ؛ والجفلى : الذي يدعو إليه الناس ؛ قال الشاعر :

نحن في المشتاة ندعوا الجفلى   لا تـــرى الآدب فـينـا ينـتـقـر

هذا والله أعلم ؛ وإنما أثرت ما وجدته ، وبالله التوفيق .

تقـول العـرب : إنتقـر الرجـل ، إذا خـص بطعامـه بعضـاً دون بعـض ؛ وتقول العرب : أن معد ، وعدنان ، ومضر ، وربيعة ، كلهـم علـى مـا تـرى ينتسبون .

وفي الرواية : عن عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : أخشوشنوا وتمعددوا ؛ يقـول : دعـوا عنكم التنعم ، وزي العجـم ، وعليكم بزي معد ، ومـا كـانوا عليـه مـن زيهـم ، ومعاشـهم ، أنهـم كـانوا غلـظ ، وخشـونة ؛ والعجـم : أصحاب تنعم ، ولين في المعاش .

ويقول : عليكم باللبسة المعدية ، يعني : أنهم كانوا يلبسون المسوح ، والعباء من الصوف والشعر ، وأشباه ذلك ؛ والله أعلم بصحة الأخبار ، وإنما كتبنا ما نجده ؛ وبالله التوفيق .

بيت القصيدة :

ومنـا الـذي قـد بـيَّن الله أمـره   وأعـلا عُلاه فـي الأنـام وقـدره
وأثـر فـي الـذِكر المُسطر ذِكـره   إلى أن يُوافي الخلق في البعث حشره
فذاك الجُلندى غاصب الفُلك دهره   مليكٌ عزيـز قـاهـر كـل سُلطان

الشرح :

قولـه : { ومنا الذي قد بيَّن الله أمره } ، يعني : أن هذا الممدوح ، أصله وعشيرته من قوم المادح له ، ونسبهما واحد ؛ وقد بـين الله أمـره ، أي : أفصح أمره .

وأمـا قولـه : { وأعـلا عُلاه فـي الأنـام وقـدره } ؛ فأعلا : رفـع ؛

والعالي : هو الرفيع ؛ وقدر الشيء قيمته وقدره ؛ فتقول العرب : فلان عظيم القدر عند الناس ، يعني : إرتفاع منزلته .

وأما قوله : { وأثر في الذِكر المُسطر ذِكره } ؛ وأثر : من الأثر في الكُتب والعِلم ، لا من الأثر في الأرض ؛ والذِكر : هو القرآن الكريم ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ إنا نحن نزلنا الذِكر وإنا له لحافظون ﴾ [(١)] ؛ والمُسطر ذِكره ؛ وذكره : شرفه ؛ الحجة ، قول الله (ﷻ) : ﴿ كِتاباً فيه ذِكركم ﴾ [(٢)] ، أي : شرفكم .

وأما قوله : {إلى أن يُوافي الخلق في البعث حشره} ؛ فيوافي ، يعني : يأتي ؛ تقول : وافيت الرجل ، إذا أتيته ؛ وقال : يوم يوافي الحجيج واندفعوا ؛ والبعث : هو بعث الناس يوم القيامة ، وهو يوم النشور ، يُسمى كذلك : يوم البعث ، ويوم القيامة ، ويوم النشور ، ويوم الدين ، ويوم الحشر ، ويوم النشر ، ويوم الصاخة ، ويوم الجائزة ، ويوم الطامة ، ويوم المبعث لمن في القبور ؛ ويوم الفزع الأكبر ، ويوم الحساب ، ويوم الثواب ، ويوم العقاب ، ويوم الواقعة ، ويوم القارعة ، ويوم الغاشية ، ويوم يكشف عن الأسرار ـ نعوذ بالله من هول ذلك اليوم ـ ولها أسماء كثيرة تركتها .

والحشر : إجتماع الناس في الآخرة ؛ ويكون أيضاً في الدنيا ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وأن يُحشر الناس ضحى ﴾ [(٣)] ؛ فهذا في الدنيا ؛ وفي قصة مُوسَى (الطَّيِّلاَ) وفرعون ؛ قال (ﷻ) : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾ [(٤)] ؛ فهذا في الآخرة .

وأما قوله : { فذاك الجُلندى غاصب الفُلك دهره } ، يعني بذلك : الجُلندى ، وهو الذي ذكره الله (عَزَّلَ) ، في كِتابه بقوله (ﷻ) : ﴿ وكان

---

(١) سورة الحجر : ٩ .
(٢) سورة الأنبياء : ١٠ .
(٣) سورة طـه : ٥٩ .
(٤) سورة الكهف : ٤٧ .

وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ [1] ؛ وراءهم : قدامهم ؛ ولو كان وراءهم ، لم يأخذهم ؛ والملك هو : الجُلندى بن الرحيل ؛ وشراحيل ، ومعنى : أنها شراحيل : وهو منزلة ابن الجلندى الأزدي ؛ وكان منجر السفن .

قال : فخرق الخضر السفينة ، وكانت لمساكين ، يعني : فقراء ، وقرنت : [مساكين] ، يعني : دباغين الجلود .

وقيل : كان منزله ومقامه بصُحار ؛ وإبناه : عبد وجيفر ، اللذين كتب إليهم رسول الله (ﷺ) : إلى جيفر وعبد ؛ وكانا سيدي أهل عُمان ؛ وأهديا إلى النبي (ﷺ) هدايا ؛ قال الشاعر :

وإني امرؤ يهدي بعبث تحية ... إلى ابن الجلندى فارس الخيل جيفر

وقيل : أنه الجُلندى بن المُستتر .

وفي نُسخة : المُستكبر بن مسعود بن الجرار بن عبد العُزى بن شمس بن عمر بن غنم بن غالب بن عُثمان بن نصر بن زهر بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزهر ، فهو : أب جيفر وعبد ؛ وهو الذي أنزل الله (ﷻ) فيه : ﴿ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ [1] ؛ وهكذا قالت العُلماء : إنتسابه له .

وقال بعضهم ، هو : الجُلندى بن كركر ، من ولد مالك بن فهم ، وأنه أخذته الفسقة ، وأهل الإعتداء ، وكان من جبابرة الملوك المُتوجين .

قيل : أن جبابرة العرب خمسة ، أولهم : الجُلندى ، والضحاك بن قيس ، والحارثة بن عمرو ، والمرار بن عُدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن غيم بن نمارة بن لخم ؛ قال الفزاري :

---

(١) سورة الكهف : ٧٩ .

وابـن الجلندى فـي عُمان ولا الذي أجـار جـراد القـفر مـن كـل طـاعـم

وقد ذكرنـا الجُلنـدى ، ومُجير الجـراد أبـو حنبـل ؛ وأمـا الغصـب : فـهـو أخذ الشيء ظلماً مُجاهرة ؛ قال الشاعر :

تـزودت منها نظرة لم تجد بها وقـد يُـؤخذ العلَق المضيع بالغصب

والفلك : مراكـب البحـر ، أطـول مـا يكـون ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ إذا أبـق إلى الفلك المشحون ﴾ [1] ؛ وهو المملوء ؛ والدهر : قد تقدم ذِكره .

وأما قوله : { مليكٌ عزيز قـاهرٌ كـل سُلطان } ؛ فمليـك ، وملـك : كله بمعنى واحد ؛ والعزيز هو الله (ﷻ) ؛ ووجدت : أنه يجوز أن يُسمى بنـو آدم ، علـى المجـاز لا علـى الحقيقـة ؛ والقهـار أيضـاً هـو الله (ﷻ) ؛ والقهـر : الغلبـة ؛ وأمـا السُلطان : ففيـه قـولان ، أحـدهما : أنـه مُسـلط ، والآخـر : أنـه حجـة ، مـن حجـج الله (ﷻ) ؛ فالسُـلطان : لتسـلطه ؛ والسُلطان - عند العرب - : الحجـة علـى الأمـة ، مـن الله (ﷻ) ؛ وقـال (ﷻ) ، وقوله الحق : ﴿ وما كـان لـه علـيهم مـن سُلطان ﴾ [2] ، أي : من حجـة ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ أم لكـم سُلطان مُبـين ﴾ [3] ؛ وقـال (ﷻ) : ﴿ أو ليأتيني بسُلطان مُبين ﴾ [4] ، أي : بحجة ، وهكذا وجدت ، والله أعلم .

وقال (ﷻ) : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسُلطان مُبـين ﴾ [5] ، أي : بحجة ؛ وما كـان الله (ﷻ) ، ليأخذ عبيده إلاّ بحجـة فـي الدنيا والآخـرة ؛ وقوله (ﷻ) : ﴿ هلك عني سُلطانية ﴾ [6] ، أي : حجته .

ووجدت في اللغة : أن السُلطان يُذكر ويُؤنث ؛ تقول : غضب السلطان ؛

---

(١) سورة الصافات : ١٤٠ .
(٢) سورة سبأ : ٢١ .
(٣) سورة الصافات : ١٥٦ .
(٤) سورة النمل : ٢١ .
(٥) سورة هود : ٩٦ ؛ سورة غافر : ٢٣ .
(٦) سورة الحاقة : ٢٩ .

وغضبت السُلطان ؛ وحكى بعض العرب ، أنه قال ، في حُكم جرى : قضيت به عليك السُلطان ، الحجة ؛ قول الشاعر :

أحجاج لولا الملك هبت وليس لي بما قضت السُلطان ملك يدان

فالتذكير ، بمعنى : الرجل ؛ والتأنيث ، بمعنى : الجمع .

وقيل : أن التأنيث ، بمعنى : الحجة ؛ والسُلطان : قدرة الملك ، وقدرة من يتخذ له ذلك .

بيت القصيدة :

ومنا الذي لم يرض بالذل مقعداً ولم يعتضد إلاّ الحُسام المُهندا
فأورده ممن عصى وتمرد وساء مقالاً هامة والمقلدا
فيا حبذا جذع إذا الشعر أنشدا فمن مثله أو كالهمام ابن حيدان

الشرح :

وأما قوله : { ومنا الذي لم يرض بالذل مقعداً } ؛ الذل : ضد العز ، لأنك تقول : رجل ذليل ؛ قال جرير :

بكى دوبل لا يرقا الله دمعه ألا إنما تبكي من الذل دوبل

ووجدت : أن الشِعر لجرير ، وهو يُجاوبه الأخطل ؛ والدوبل في اللغة ، هو : الحمار الصغير ؛ وأما المقعد : فهو المكان الذي يجلس فيه ؛ وكذلك المنزل ؛ وكذلك المرقد أيضاً ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ (١) ؛ وقال النبي (ﷺ) : " من تأول القرآن من تلقاء نفسه ، فيتبوأ مقعده من النار " .

---

(١) سورة يس : ٥٢ .

وقولـه : { ولـم يعتضـد إلاّ الحُسـام المُهنـدا } ؛ فيعتضـد : يأخذه بعضده ، لأن الكف في الساعد ، والساعد في العضد ؛ وإذا أخذه بكفه ، فقد أخذه بساعده وعضده ؛ وكفه : إسم لليد مُشتمل على جميع هذا ؛ ويُحتمل أن يكون لـه بمنزلـة هذا العضد ، أي : القوة ، لأن العضد لا من القـوة ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ ومـا كنـت مُتخـذ المُضـلين عضـدا ﴾ [1] ، أي : قوة وظهراً ؛ والله أعلم .

وأمـا الحُسـام : فهو السيف القـاطع ؛ وهـو مُشتق مـن الحسـم ، وهـو القطـع ؛ من قولـك : قطعت الشـيء ، وصـرمته ، وبتلتـه ، .... [2] ، وجذمتـه ، .... [3] ، وحسـمته ، كل هـذا بمعنـى : القطـع ؛ قـال الله (ﷻ) : ﴿ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ [4] .

قيل : الحسوم : التي تحسم الخير ، أي : تقطعه ؛ وقيـل : أن الحسـوم لتتابعة أحد حسم الداء ، إذا كواه ، لأنه تتابع عليه الكي مـرة بعد أخـرى ؛ ويُقال : الحسوم : الشؤم ؛ ويُقال : أنـهـا ليـالي فـي آخـر شـهر شـوال ، مـن الأربعاء إلى الأربعاء ؛ قال الشاعر :

ولربما يكبو الجواد وشأوه متقدم ونبا الحُسام القاطع

والمُهنـد ، والهنـدي ، والهنـد : أوانـي ، كلـه منسوب إلـى الهنـد ؛ قـال طرفة :

فآليت لا ينفك كشحي بطانة لعضب رقيق الشفرتين مُهند
حُسام إذا ما قمت مُنتصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال حاجزه قد

(١) سورة الكهف : ٥١ .
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل .
(٣) كلمة غير واضحة في الأصل .
(٤) سورة الحاقة : ٧ .

وقولـه : { فـأورده ممـن عصـى وتمـردا } ، يعنـي : أورد الحُسام ممـن عصـى وتمـرد ؛ والعتـو : التجبـر ، وهـو التكبـر ، والإمتنـاع علـى الحق ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ (١) ، أي : جرأة وتعظماً ؛ وعلواً ، يعني : في الكُفر ، وهو يُريد بذلك القادة والملوك .

وقال الحسن : القسوة ؛ وقيل : لما جلس قاتل أبي جهل على نحره ، وأراد أن يجز رأسه ، قال أبو جهل : أطل فـي عُنقي لئلا يُقال : أنـي كنت أوقص ، أي : قصير العُنق .

قال : فلما أخبر رسول الله (ﷺ) ، قال : لأنه أعتى من فرعون ، لأن فرعون لما أدركه الغرق : ﴿ قال أمنت أنه لا إله إلاّ الذي أمنت به بنوا إسرائيل ﴾ (٢) ؛ والتمرد : الإصرار ، والنفاق ، والإقامة عليه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ مردوا على النفاق ﴾ (٣) ؛ والمارد : من الشياطين ؛ فالجن والإنس ، الفاجر الذي لا يقدر عليه من خبثه ، ونفاقه ، ومسه ، وقلة وفائه ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ وحفظاً من كل شيطان مارد ﴾ (٤) .

وقيل : أن المارد : العاتي المُتكبر ؛ يُقال : تمرد فلان على أهله ؛ وشيطان مارد على الله ، أي : قد عصاه ، لا يقبل إليه ، ولا يُطيعه .

وأما قوله : { وساء مقالاً هامة والمقلدا } ؛ فساء : كلمة موضوعة للذم ؛ كما أن : نعم ، كلمة موضوعة للحمد والمدح ؛ قال الله (ﷻ) : ﴿ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ (٥) ، ومعناه : هامة ؛ فالهامة : على الرأس : وهي معروفة ؛ كما قال التهامي :

إذا قابلته من بعيد ترجلت   وإن هي لم تفعل ترجل هامها

(١) سورة مريم : ٦٩ .
(٢) سورة يونس : ٩٠ .
(٣) سورة التوبة : ١٠١ .
(٤) سورة الصافات : ٧ .
(٥) سورة الأعراف : ١٧٧ .

والمقلد : موضع مسقط نجاد السيف ؛ كأنه قال : فأورد الحُسام هامة والمقلدا .

وأما قوله : { فيا حبذا جذعٌ إذا الشعر أنشدا } ؛ جذع : اسم رجل ، وهو : جذع بن سنان ، من آل غسان ، وكان فارساً من الفرسان المعدودة ، وفتاكها ، ومشاجعها ، وكان على عهد عمرو (مُزيقياء) بن عامر (ماء السماء) ، وأن خروجهم عن السد ، وخراب السد ، في خبر طريفة الكاهنة .

ويُقال : أنها قالت : سيروا إلى عك ، ففيهم قتلة وصرف ، ولكم منهم حلاً وحتوف ، ويل لهم من جذع بن سنان ، ذي المكر والشان ، فارس الفرسان ، صاحب الأزمان ، يظلم ولا يُظلم ، يُكيد ويُنتقم ، خلق ينحس وسعد ، لا يجعل لوعيد من وعد سببا الضمير ، يدهي الأمير ، ويفك الأسير .

ويُقال : أنه لما خرج مع الملك عمرو بن عامر ، من جنتي مأرب ، وانتهى إلى أرض عك ، أرسل الملك عمرو إلى سملقة بن الحباب ، وكان سيد عك ، وهو من الأزد : إنا قد قدمنا إلى أرضكم ، وأردنا المقام بها يسيراً ، كمقام الرائد ، فواسونا قليلاً ، ثم نمضي عنكم ، وأنتم محمودون غير مذمومين .

قال : فدعا سملقة قومه ، وقال : ما ترون في بني عمكم ، وقد سألوكم حين سألوكم حُسن الجوار ، ثم يمضون عنكم ، وقد كرهوا أن ينزلوا أرضكم بغير إذنكم ولا رضاكم ؛ قالت له عك : ذلك غير ما أنزل قوم على قوم قط ، وقد عرفوا وجوه أرضهم ، وقطنوا معهم إلاَّ وأضمروا لهم الغيلة ، ومتى راموا منهم أمراً ، كانت لهم الطائلة ؛ وكان يعرب بن قحطان ، يقول : إذا نزل النزيل بأرض قوم كانوا لهم أعداء ، وله على

الأرض إقتداراً ، أنزل بها ظلماً ، وشرد بها أهلها ، ونحن نقول لك : يا سملقة ، يا ويل المنزل عليه من النازل ، لكن المنزل عليه متوقف ، والنازل متطاول .

فقال لهم سملقة : أقرب إليكم رحماً ، وهو أعظم منزلة ، أن يفعل شيئاً تكرهونه ؛ فقالوا له : إفعل ما أحببت ، فسار إليه سملقة ، وقال له : أيها الملك ، إختر ما تريد ، أي جانب شئت من الوادي ، شرقيه أم غربيه ، فقال جذع بن سنان : أيها الملك ، غربي الوادي أحسن ، لأنه مجمع السيول ، ومُستقر الماء ، وكان جذع بن سنان ، إذا رأى أرضين ، وكان فارس غسان وفاتكها وصعلوكها ، لم يكن للعرب في وقته فارس أسمع منه ، ولا أجسر على الأمور ، ولا أمضى منه على كريهة .

قال : إختار عند ذلك غربي الوادي ، فأجابوه إليه ، فنزل فيه ، وبعث الرواد يرتادون له منزلاً ، وبعث ابنه حارثة في جهة أخرى يرتاد له ، وبعث ابنه عامر أيضاً يرتاد له أطيب مكاناً ينزله .

قال : ثم ذبح ، ونحر ، ونادى في عك ، فأجابوه إلى طعامه ، أمر لهم بجوائز سنية ، وكسوة حسنة .

قال : وأقام عمرو بن عامر دهراً طويلاً ، فلما أراد التحول عنهم ، أتاه سماعة في وجوه أصحابه ، وقال له : أيها الملك ، ما الذي أنكرت من جوارنا ، حتى تريد أن ترحل عنا ، قال له جذع : إنما الجوار لك ، ألا نعم الجوار ، ولكن لابُد من الإنصراف ، فقال : أقم ، فأرضك خير الأرض لك ، وجوارك لي خير جوار ، فأقام عند ذلك ما شاء الله ، ثم أن الملك إعتل ، فدعا بإبنه ثعلبة ، فقال له : لك الأمر من بعدي يا ثعلبة ، وأنت وصي عهدي ؛ ثم أوصاه بوصية ، ثم أن الملك عمرو بن عامر ، ولي الأمر من بعده ابنه ثعلبة العنقاء .

قال : فلما وليَّ ثعلبة ، قال سملقة بن حباب العكي : يا معشر عك ، إني أخاف عليكم القتل من حين مات الملك ، وولي ثعلبة ، وهو غر لا أمانة له ، وكل ملك عادل لا يزول خيره ، حتى بعبوس الملك غيره ؛ ثم أن جذع بن سنان ، ضلت له إبل ، فخرج في طلبها ، فسار نهاره حتى غشيه الأصيل ، وهجم عليه الليل ، وهو قريب من وادي الجن ؛ ووادي الجن إذا نزل نازل من الناس ، قتلته الجن بشدخ رأسه بالحجارة .

قال : فلما نزل جذع بن سنان بوادي الجن ، وجن عليه الليل ، ولاحت له نيران السعالي من كل جانب ، فخاف عند ذلك ، فأوى إلى دوحة طيبة ، وعقل بعيره ، وطلب الجوار من الجن .

قال : فأنس إليه قوم حسان الوجوه ، وقالوا له : أهلاً ومرحباً يا ضيفنا ، أما أنه ما نزل أحد بوادينا إلاَّ قتلناه ، إلاَّ أنك طلبت الجوار ، وأناساً طعنا ، ولك عندنا حق الضيفة ، وحُسن الجوار ، ولنا غذاء لا تطعمه أنت ولا قومك الإنس ؛ فقال لهم : أتطعمون أنتم طعامي ، وتشربون شرابي ؟ قالوا : نعم ، فنحر جذع ناقته ، وقرب زاده ، وأضرم ناراً ، وجعل يشوي ويُنبذ إليهم اللحم ، ويأكلون منه ، ويأتيه من الجن وفد بعد وفد ، وهو يطعمهم ، حتى إستفرغ لحم جزوره ؛ فقالوا : ياجذع ، إبلك التي ضلت لك في هذا الوادي ، هي مردودة عليك ، فأمروا بها ، فسيقت إليه .

قال : ثم أن قاشر وأصحابه ، سامروا جذع بن سنان ، فقرب إليهم الخمر ، فشرب وسقاهم ، فلم يزل يُسامرهم إلى الصباح .

قال : ثم أخذتهم الخمرة ؛ قال لهم جذع : يا معشر الجن ، في هذه الصورة خلقكم ربكم ؟ فقالوا : لا ، سألتم الذي سمك السماء ، وأجرى الماء ، وبحق الذي منعنا مُعاشرتكم ، أن نظهر الخلق الذي خلقنا ، ومُنعتم أن لا تزورونا كذلك ، ولكن يا جذع ، أفيكم طريفة الخير بن

الحجورية ؟ ـ وقيل : الحجولية ـ قال : نعم ؛ قالوا : أنها ليست منكم ، بل هي منا جنية ، أبوها عقاب بن عفراء ، عفريت من عفاريت جن سُليمان بن داوود (عليهما السلام) ، وأمها راحيل بنت زنباع ، إنسية ؛ ولكن يا جذع ، إحذر من سملقة بن حباب ، فإنه بكم غادر ومُغتاب ، صاحب إقتدار وأسباب ، إسبقه قبل نزول الأقدار ، ثم إنصرفوا ، ومدوا عنه وقت الصباح ، فركب جذع جملاً من جماله ، وساق باقيهن ، وأنشأ يقول :

أتوا رحلي فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

في شِعر له طويل ؛ وقال أيضاً :

بوادي الجن من أعلام عك ليوم الملك ثعلبة بن عمرو
ملاحم وقعة من أرض عك قضى أمرين من عُسر ويُسر

في شِعر له .

ثم أن ثعلبة أقام ينتظر إخوته المُرتادين له المنازل ، حتى أتاه وفد من الجن ، وفيهم قاشر الجني ، فلما حضروا الوادي ، حلبوا لهم لبناً ، وقدموه إليهم ، فشرب قاشر الجني وأصحابه ، فوجدوه مالحاً رقيقاً ، قليل الذوق ؛ قال لهم قاشر : يا معشر غسان ، ما بال لبنكم ليس كلبن بني عمكم عك ؟ قالوا : لا ندري ، فلم ذلك أيها الرجل ، قال لهم قاشر الجني : أتدرون من نحن ؟ قالوا : لا ؛ قالوا : نحن الجن ، وأنا قاشر ـ مارد الشياطين ـ نحن أعلم منكم بهذا الشأن أيها الإنس ، إنما أوتيتم في ألبانكم ومذاقها ، من قِبل الأرض ، وحُسن المرعى وطيبه ، وقد أنزلكم بنو أعمامكم على الوادي وأسفل الأرض ، فاطلبوا لهم أن يُبدلوكم بالمرعى ، ويُنزلونكم من الوادي شرقيه .

فعند ذلك ، بعث غسان إلى عك ، أن أبدلونا بالمنزل ، ولا تستأثروا

علينا ، قبل أن تهلك أغنامنا ومواشينا ، فإنا قد جهلنا أرضكم ، وقد أضرت بمواشينا وأنعامنا .

فقالت لهم عك : يا قوم ، إنما الأرض أرضنا ، والبلد بلدنا ، وأنتم بنو عمنا ، السيد الكريم ، والملك الرحيم ، عمرو بن عامر ، ورحمكم ، وقدمنا مُواساتكم ، ولا أضعنا أحداً بذلك ، ولا جعلنا لأحد من الناس إلى ذلك سبيلاً ، إلاَّ النزول في أرضنا ، وقد خيرناكم فاخترتم غربي الوادي ، فلا تبغوا علينا .

قال الملك ثعلبة : إن بني عمكم قد أحسنوا مُواساتكم ، وخيروكم فاخترتم منزلكم الذي أنتم فيه ، فلا تحملوا لهم ذنباً ، فلا ذنب عليهم ، وهذا منكم بغي عليهم .

فقال جذع بن سنان ـ وكان أصم أعور ، وكان أكيد العرب في ذلك ، وكان أشجع العرب ، وأفتكهم ، وأعزهم : صدقت أيها الملك ، نحن عند أمرك ....[1] عمرو لكم ، علاهم يرجعون عن مرادهم .

قال : فلما أتى قاشر الجني في نفر من الجن إلى جذع ، فنزل عليه ، فأطعمه هو ومن معه ؛ فقال لهم قاشر الجني : إسقوني المالح ، فإنا شربنا عند بني عمكم عك ، لبناً دسماً ، عذباً مريناً ، ولكن قولوا لبني عمكم : يعقبونكم من أرضهم ، ويبدلونكم بالمنزل ، قبل أن تهلك مواشيكم .

ويُقال : أن رجُلاً من الجن ، لقي رجُلاً من بني غسان ، فقال له : أيها الغساني ، لا بُد لأمركم من نبأ ، هذا قاشر ـ مارد الشياطين ـ قد خدع مارد شياطين الإنس ، وهما يرُومان أمراً جليلاً .

قال : فإن جذع بن سنان ، جمع قبائل غسان ، فلما حضروا ، قام

---

(١) بياض في الأصل .

جذع بن سنان فيهم خطيباً ؛ وقال : يا معاشر غسان ، ذو المُلك والتيجان ، ذو العِز والسُلطان ، فارقتكم الأوطان ، وحللتم معاشر غسان ، فأقسموا بالله قسماً حقاً ، ويميناً صدقاً ، لأن لم تشهروا السيوف ، وتردوا الحتوف ، وتريقوا الدماء ، وتبيحوا الحمى ، ليخطفكم الأعداء عما قليل ، ويلقون حرباً أيما حرب ، خاب ظنكم ، وضل سعيكم ، هل تجدون زعيماً ، أو تلقون رحيماً ، أو حميماً ، وأنشأ يقول :

(قوموا قبل أن تكونوا مثلاً للقبائل ، وطعمة للآكل ، واحذروا غدرة الخائن ، وفتكة الضعيف الواهن ، واحذروا من أخذة الذليل الراهن ، وهو سملقة الخائن) ، وقال :

ألم ترنا أنا تركنا معاقلاً	بمأرب غبراً خاليات دواثرا
يصيح عليها العام في رونق الضُحى	ويُمسي عليها نائح الليل ساهرا
تبات بذل تندب العز بعدما	وتثني طلولاً عندها ومقاصرا
فكيف يلذ العيش من كان نازلاً	بأفناء هذا الخلق يلقى المقادرا
فأما تريعوا الناس عنكم بنجدة	بفضل الظباء المُرهفات البواترا

ليكون ذلك حسرة في القبائل ، ولا ينفعكم حول حائل ، إقصدوا عكاً بالردى ، وأرسلوا بأسكم سدى ، يدُوم عِزكم سرمداً ، ولا يفترق جمعكم أبداً ، أوقعوا بعك وقعة تملكوا بها المعالم ، وتأخذوا بها الغنائم ، يقدمكم الناس ، ويحذركم ذو البأس ، وإن عصيتم أمري ، حدث بكم الفتك ، من كل قبيل ، وصرتم مثلاً في كل جيل ، تطلبون منهم الجوار ، فلا تجاورهم ؛ هذا رأي جذع بن سنان .

فقام إليه زوبعة بن عامر ، فقال : الملك ثعلبة يُريد العهد لعك ، ولو كان ذلك مُرادهم فينا ؛ فقال جذع بن سنان : إن الملك حدث غر ، لا يُحسن النظر لنفسه .

قال : فقال زربعة : ويحك يا ثعلبة ، إن سملقة أخي وصاحبي ، فكيف أغدر به ؟ فقال له جذع بن سنان : وليس عندي غير هذا .

قال : فلما رأى زوبعة ما نزل به ، وأنه غير تارك ، أتى جذعاً ، فقال له : يا جذع ، أردت أمراً طمعت فيه ، لظن في قلبك ، فرأيت الهلاك فيه والذل ، ثم أردت .... [1] عنك ، وعن غسان ، فرأيت الموت فيه ، ثم أردت الغدر به في منزله ، فرأيت العار فيه ، ثم رأيت ما يُريد سملقة بقومه ، فرأيت الفناء فيه ، وكشفت العورات ، فقد رأيت قتل سملقة .

قال : فسار زوبعة ، حتى نزل على سملقة ، فوجد عنده نفراً من بني زيد مُتضيفين ؛ فقال زوبعة : يا سملقة ، وعاقب بني عمك في الإصلاح والمُواشاة ، فقد هلكت أنعامهم ومواشيهم ، ونحن نكره قطيعة الرحم ، وإفاسد ذات البين ، واعلم أن مقامنا يسير ، ثم نطلب منزلاً نرحل إليه عنكم ، وأنتم محمودون ، ولم تصبنا خصاصة منكم ؛ وكان سملقة .... [2] عارفاً ، فعند ذلك ، قال زوبعة الكلام .

فقال سملقة : دعني يا زوبعة ، أن الذي أتيت فيه أراه مذبوحاً ؛ فعند ذلك ، قال زوبعة : ولم قلت ذلك ؟ فقال له : ألم [3] عندك كلام الأول بالديك في يدها مذبوحاً .

قال : ثم أن زوبعة بات مع سملقة على فراش ، وبات بنو زيد بعيداً منهما ؛ قال : فلما كان في جوف الليل ، أتى زوبعة بن عامر الغساني ، إلى سملقة العكي ، وهو نائم ، فوضع سيفه في سملقة حتى مات .

قال : ثم أتى الزيديين ؛ فقال : سملقة قد مات ، وإن أصبح ميتاً ، لم

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٣) هكذا في الأصل .

نسلم من ولده إذا أصبح ميتاً ، فانهزموا تحت ليلتهم .

قال : أصبحت عك ، ورأوا سملقة قتيلاً على فِراشه ، إجتمعت وأغارت على غسان ، فخرج إليهم جذع بن سنان ، في ثلاثة نفر من الأزد ، فقال لهم : يا قومنا ، لا تعجلوا علينا ، ونحن بنو أم وأب واحد ، وأنتم أقرب الناس منا رحماً ؛ وقد كان من زوبعة ما كان ، ثم هرب على وجهه ، ولم نعلم أي أرض أقلته ، ونحن نطلبه حتى نظفر به ، وندفعه إلى ورثته فيقتلوه بسملقة ، وقد كان ما كان من زوبعة بغير عقد ، ولا عِلم ، ولا هوى ، ولا إرادة .

فقال عند ذلك : صالح بعضهم بعضاً ، وائتمروا إلى جذع بن سنان .... [1] ؛ ذلك منهم ، فقال : أتقتلون .... [2] .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) إلى هنا لم يكتمل الشرح ، وجاءت كلمة (مُنقطع) ، وذلك في الثلاث نسخ من المخطوطة .

الخاتمـــة :

إلـى هنـا ، وقـد إنتهـى الشـرح - وهـو مُنقطـع كمـا تـرى - إلـى كلمة : [أتقتلون] ، في هذا اليوم الإثنين ، التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٤٢٧هـ ، الموافق : الحادي عشر من ديسمبر سنة ٢٠٠٦م ، وهو شرح : " للقصيدة الحلوانية " ، تأليف الشيخ الفقيه العلاّمة أبي عبد الله محمد بن سعيد القلهاتي الأزدي ، وشارحها الشيخ العَالِم الفقيه / عادي بن يزيد بن محمد الأزدي البهلوي .

وقد تم نسخها بأمر صاحب المعالي ، السيد الجليل / محمد بن أحمد بن سعود بن حمد بن هلال بن محمد بن الإمام أحمد بن سعيد آلبوسعيدي ؛ المُستشار الخاص لجلالة السُلطان للشؤون الدينية والتاريخية ـ أبقاه الله ، وحفظه ، ومتعه بالصحة ، والعافية ـ وذلك بمكتبته الخاصة ، العامرة ، الزاهرة ، الزاخرة بالمخطوطات ، والمراجع العِلمية ، الكائنة بالشرادي / بولاية السيب .

وقد نسخها / محمد بن حسن بن مُحسن بن عَليّ بن أحمد بن عَليّ بن أحمد بن عَليّ الرمضاني بيده .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* تقديم لكل من :	
- معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود آلبوسعيدي	١٧
- راشد بن حمد بن راشد الحارثي	١٨
- فضيلة الشيخ القاضي / سالم بن راشد القلهاتي	٢٢
- عبد الله بن سُلطان بن راشد المحروقي السناوي	٢٦
* مُقدمة	٣١
* القصيدة	٤٥
* شرح القصيدة	٥٩
* الخاتمة	٥٠٩
* الفهرس	٥١١

رقم الإيداع : ٢٢٤ / ٢٠٠٧م

طبع بمطابع النهضة ش.م.م
تلفون : ٢٤٥٦٣١٠٤ ، فاكس : ٢٤٥٦٣١٠٦
البريد الألكتروني : admin@anpressoman.com